الإقناع

في الرد على من عاند الإجماع

جمع وترتيب
الشيخ جيل صادق

الإقناع

في الرد على من عاند الإجماع

جمع وترتيب

الشيخ جيل صادق

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، خالق السموات والأرضين المنزّه عن المشابهة للمخلوقين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد طه الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد يقول الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة البقرة]. وقال رسول الله ﷺ: "**إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان**" رواه أحمد.

إنّ في هذه الآية الكريمة وفي هذا الحديث الشريف تنبيه لذوي الفهم والاعتبار وتحذير لذوي العقول والأبصار من الحكم على الشخص بالصلاح والفلاح وأنه من أهل النجاح لمجرد فصاحته أو لكثرة كلامه. فالعبرة ليست بكثرة البيان ولا بفصاحة اللسان وإنما العبرة بإصابة الحق. فينبغي لطالب الحق أن يتنبه لهذا الأمر وأن لا ينخدع بمن كان هذا حاله لا سيما في هذا الزمن الذي كثر فيه المنتسبون للإسلام، الذين يدّعون العلم وأنهم يدْعون إلى الصراط المستقيم وهم في الحقيقة دعاة إلى الانضمام إلى أهل الجحيم.

ومن هؤلاء المنحرفين مشبهة العصر الذين أقاموا مذهبهم على التشبيه والتجسيم والتنقيص من قدر وجاه النبي الكريم ﷺ. فزعموا أنهم للدين مقيمين وأنهم للبدعة قامعين مستعينين في ذلك بالتمويه والتلبيس على

ضعفاء العقول الجاهلين. فنسبوا لله المكان والحيّز، ونسبوا له الجسم والأعضاء وجعلوه يشبه المخلوقين، زاعمين أن هذا ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الطيبين. وزادوا على ذلك بإنكارهم جاه النبي ﷺ ونفعه لأمته بعد مماته، فحرموا التوسل به وبغيره من الأنبياء والأولياء، وجعلوا ذلك كفرا وإشراكا. ومن مفاسدهم أيضا تحريمهم لإحداث أي أمر في الدين زاعمين أن البدعة لا تكون إلا سيئة. وهم في كل ذلك يدّعون أن هذا ما كان عليه السلف الصالح، والسلف الصالح بريء مما يفترون.

فدفعا لشبههم وبيانا للحق الذي لا محيد عنه، جمعنا لكم في هذا الكتاب الكثير من الأدلة من كتب الأئمة الأعلام من السلف إلى أيامنا التي تبين كذبهم وافتراءاتهم في انتسابهم إلى أهل السنة والجماعة. والتي فيها تنزيه الله عن الحيّز والمكان وجواز التوسل بالأنبياء والصالحين وجواز إحداث كل أمر في الدين موافق للشرع. وبهذا يتبين لكل منصف من هو صاحب البدعة المردودة. ولكي لا يُظَنّ أننا ممن يدّعون على الناس بالباطل تجدون في ءاخر هذا الكتاب بعض ما ورد في كتب زعماء هذه الفرقة الضالة، مما يؤكد ما نسبناه إليهم.

فالحمد لله الذي جعلنا على عقيدة سيد الأنام ﷺ، مقتفين ءاثار الصحابة الكرام والأئمة الأعلام الذين نصر الله بهم الإسلام. نسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل وأن يكرم كل من ساهم في إعداده بالثواب الجزيل، ونسأله أن يجعل فيه النفع العميم فإنه على كل شيء قدير.

الفهرس

* **كتاب الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي** ١٩
- نقل الإجماع على تنزيه الله عن المكان ٢٠
* **كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي** ٢١
- قول الإمام البيهقي في الاستواء ٢٢
- الاستدلال بحديث: (أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء) في نفي المكان عن الله ٢٣
* **كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي** ٢٥
- باب القول في الاستواء ٢٦
- قول الإمام مالك في الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٢٧
- قول الإمام البيهقي في الاستواء وفي ما تشابه من النصوص ٢٨
* **كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني** ٢٩
- شرح قول النبيّ ﷺ : (إنّ ربه بينه وبين القبلة) واعتراض ابن باز الوهابي على ذلك ٣٠
- قول الحافظ ابن حجر باستحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ٣٢
- قول عمر: نعم البدعة، وتقسيم ابن حجر للبدع إلى قسمين وقوله قد تنقسم إلى الأحكام الخمسة ٣٤
- شرح حديث : (ضحك الله من فعالكما) واعتراض ابن باز الوهابي على ذلك ٣٨
- تأويل العسقلاني للضحك أو العَجب الوارد في الحديث نسبتهما إلى الله ٤٠
- قول ابن بطال بتنزيه الله عن الجسمية والمكان وإن هذا ما عليه البخاري ٤٢
* **كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي** ٤٣
- تفسير قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ٤٤
- تفسير قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ ٤٦
- تفسير قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ ٤٨

- تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ٤٩
- تفسير قول الله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ ٥٢
- تفسير قول الله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ ٥٤
- شرح الإمام أبي المعالي لحديث: (لا تفضلوني على يونس بن متّى) وأنّ فيه إشارة إلى تنزيه الله عن الجهة ٥٦
- تفسير قول الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ ٥٨
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وأنه لا بد فيه من التأويل ٦٠
- تفسير قول الله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ٦٢
- تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ ٦٤

* **كتاب التفسير الكبير للإمام الرازي** ٦٥

- تفسير قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ٦٦
- الدليل العقلي على بطلان القول بأن الله فوق العرش بذاته ٦٧
- قوله إن القول بأن الله في السماء هو دين فرعون وإخوانه من الكفرة ٦٩
- بيان أنّ الآية : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ من المتشابهات التي يجب تأويلها ٧٠
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ٧١
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ونفي التغير عن الله ٧٤
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وأنّ الاستواء هنا هو بالقهر والقدرة والتدبير ... ٧٨
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ والردّ على القائلين بأنه لا يجوز حمل الاستواء على الاستيلاء ٨٠
- بيان تنزيه الله عن المكان والجهة ٨٢
- الاستدلال بالآية ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ بأن الله ليس في السماء بذاته ٨٤
- تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وأنه لا بد فيه من التأويل ٨٦
- الردّ على المشبهة في تعلّقهم بالآية: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ لنصرة عقيدتهم الفاسدة ٨٨

- الرد على المشبهة في تعلّقهم بالآية ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ على إثبات المكان لله..... ٩٠
- تفسير قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾..... ٩١
* **كتاب تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي**..... ٩٣
- قول الإمام مالك في الاستواء..... ٩٤
- تفسير قول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾..... ٩٨
- تفسير قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وأنه لا بد فيه من التأويل..... ١٠٠
- تفسير قول الله تعالى : ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾..... ١٠٢
- قول الإمام أبي حيان الأندلسي في الأخذ بظواهر النصوص الدالة على التجسيم..... ١٠٤
- تفسير قول الله تعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾..... ١٠٦
- ما قاله الإمام أبو حيان في حديث الجارية وأن مرادها كان نفي الألوهية عن الأصنام التي تعبد من دون الله في الأرض..... ١٠٨
* **كتاب تفسير النسفي**..... ١٠٩
- تفسيره للاستواء بالاستيلاء..... ١١٠
- تفسير قول الله تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾..... ١١١
- تفسير قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وأن المعية هنا هي معية علم وقدرة..... ١١٤
- تفسيره للاستواء بالاستيلاء..... ١١٦-١١٧-١١٨
* **كتاب الأشباه والنظائر للإمام السيوطي**..... ١١٩
- قول الإمام الشافعي بتكفير المجسم..... ١٢٠
* **كتاب إتحاف السادة المتقين للإمام محمد مرتضى الزّبيدي**..... ١٢١
- قوله : إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية..... ١٢٢
- تنزيه الله عن المكان ونقل قول الشافعي بذلك..... ١٢٣
- تفسير معنى الاستواء ومعنى القرب إذا أطلقا على الله..... ١٢٤
- تنزيه الله عن الجسمية والمكان وأن رفع الأيدي إلى السماء لأنها قبلة الدعاء..... ١٢٤
- نقل دعاء الإمام زين العابدين وفيه تنزيه الله عن المكان وعن الحدود..... ١٢٦
- نفي الجسمية عن الله وحكم من ينسب الجسم إلى الله وأنه كافر..... ١٢٨

- نفي المكان عن الله وبيان أنه من أصول الاعتقاد..... ١٢٩
- الدليل العقلي على نفي الجهة عن الله ونقل كلام الإمام أبو منصور التميمي في ذلك..... ١٣٠
- كلام السبكي الذي فيه أن أبو حيان مازال يلعن ابن تيمية إلى أن مات..... ١٣١
- رد القشيري على المشبهة وبيان أنهم أضر على الاسلام من اليهود والنصار..... ١٣٣
- تفسير القشيري لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾..... ١٣٤
- ذكر حديث دعاء الخروج إلى المسجد وأنه رواه ابن ماجة بإسناد حسن..... ١٣٨
* **كتاب طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين السبكي**..... ١٣٩
- مما ذكره في ترجمة الشيخ ابن عساكر..... ١٤٠
- ما قاله الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي في العقيدة المرشدة..... ١٤١
- نص العقيدة المرشدة..... ١٤٢
- قوله : هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سني..... ١٤٣
- من ترجمة الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام..... ١٤٤
- من أقوال الشيخ ابن عبد السلام وفيه تنزيه الله عن المكان..... ١٤٥
- بيان أن المشبهة ليسوا على طريقة السلف الصالح وأن الرد عليهم واجب..... ١٤٦
- من ترجمة الشيخ أحمد الكلابي..... ١٤٨
- مما كتبه الشيخ أحمد الكلابي في الرد على ابن تيمية وفي تنزيه الله عن الحدود..... ١٤٩-١٥٠
* **كتاب صيد الخاطر للإمام عبد الرحمن بن الجوزي**..... ١٥١
- بيان أن النصوص المتشابهة الواردة في الصفات لا تحمل على ظاهرها..... ١٥٢
* **كتاب العقيدة وعلم الكلام للإمام الكوثري**..... ١٥٣
- نفي المكان عن الله مما قاله الإمام الباقلاني في كتاب الإنصاف..... ١٥٦
- كلام ابن الجوزي في حديث الجارية في كتاب دفع شبهة التشبيه..... ١٥٨
- قول الإمام أبو حنيفة في الاستواء في وصيّته..... ١٦٠
- قول أبو حنيفة بكفر من قال : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض وكذا الذي يقول إنه على العرش، في الفقه الأبسط..... ١٦٢
- القول بتنزيه الله عن المكان في كتاب الفقه الأبسط..... ١٦٣

- ذكر الحصني لحال ابن تيمية وما حصل بسببه من الفتن بين العامة في كتاب دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد..... ١٦٨
- نسخة المرسوم السلطاني في كشف حال ابن تيمية والأمر بسجنه التي أوردها الحصني في الكتاب المذكور..... ١٧١
- ذكر الحصني لحادثة كلام ابن تيمية في الاستواء ووثوب الناس عليه وما حصل من اعتقاله ومحاكمته..... ١٧٤
- نقل ما ذكره ابن شاكر في تاريخه وما في ذلك من محاكمة ابن تيمية واعتقاله..... ١٧٥-١٧٩
- نقل ما ذكره ابن أبي بكر المالكي من أنّ ابن تيمية حرم زيارة قبر النبي ﷺ وأن العلماء ضللوه وحبسوه..... ١٧٩
- نقل ما ذكره أبو حيان الأندلسي مما قرأه في كتاب لابن تيمية وأنه نسب فيه الجلوس لله تعالى..... ١٨٠
- مبحث الرد على ابن تيمية في قوله بفناء النار من كتاب دفع شبه من شبه..... ١٨١
- مبحث الرد عليه في القول بقدم العالم من كتاب دفع شبه من شبه..... ١٨٢
- بيان زندقة ابن تيمية وتحريمه للتوسل بالأنبياء والصالحين..... ١٨٣
- ما قاله الإمام مالك لأبي جعفر من استقبال قبر النبي ﷺ والدعاء وطعن ابن تيمية في هذه القصة..... ١٨٤
- قصة الرجل الذي جاء قبر النبي ﷺ وطلب منه الاستغفار فنودي من القبر أن قد غفر لك ١٨٧
- ذكر قصة الرجل الذي فتح قبر ابن تيمية بعد دفنه وأنه وجد ثعبانا على صدره..... ١٨٨
- نداء زينب بنت علي رضي الله عنهما : يا محمداه، يوم مقتل الحسين..... ١٨٩
- بيان زندقة ابن تيمية وأن كلامه مآله تكفير سيدنا آدم عليه السلام الذي توسل بالنبي ﷺ..... ١٩٠
- القول بتكفير ابن تيمية لقوله (ولا يطلب منه شيء سواء كان نبيا أو شيخا أو غير ذلك)..... ١٩١
- طعن ابن تيمية في أئمة الحديث..... ١٩٣
- ذكر قصة زيارة بلال رضي الله عنه لقبر النبي ﷺ وما حصل معه فيها وعدم إنكار العلماء هذه الزيارة..... ١٩٥
- قول الإمام القاضي عياض بأن زيارة النبي أمر مجمع على استحبابه وأنه مرغّب فيه..... ١٩٦
- تضعيف ابن تيمية للأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ وبيان تناقضه..... ١٩٧
- تحذير الحصني من إتباع ابن تيمية وأن من اتبعه هالك..... ١٩٨

- طعن ابن تيمية في أئمة الحديث..... ١٩٩
- بيان تدليس ابن تيمية وسوء فهمه في إيراده لحديث اتخاذ القبور مساجد..... ٢٠٠
- تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ وبقبره..... ٢٠١
- تصحيح الخصفي لقصة الإمام مالك مع الخليفة المنصور..... ٢٠٢
- قول الإمام النووي وغيره من الأئمة بتطويل الدعاء عند قبر النبي ﷺ..... ٢٠٣
- بيان أن كلام ابن تيمية فيه هدم للدين..... ٢٠٤
- بيان معنى التوسل وسوء فهم ابن تيمية..... ٢٠٥
- تكفير الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي لابن تيمية..... ٢٠٧
- حكم الإمام الخصفي على كل من يتبع ابن تيمية بأنه هالك في دينه..... ٢٠٨

* **كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي**..... ٢٠٩
- مما ذكره الإمام الغزالي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة..... ٢١٠
- نفي الجسمية والتحيز في الأماكن عن الله تعالى..... ٢١٢

* **كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة للإمام محمد النجدي**..... ٢١٣
- ذكر ترجمة الشيخ عبد الوهاب بن سليمان والتعريج على حال ابنه محمد..... ٢١٤

* **كتاب تفسير القرءان العظيم لابن كثير الدمشقي**..... ٢١٧
- نقل ابن كثير لقول العلماء، مالك والأوزاعي والثوري والشافعي وأحمد في الاستواء ونفي الكيفية عن الله..... ٢١٨
- تفسير الآية: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ وأن المراد هنا هو جبريل عليه السلام..... ٢٢٠

* **كتاب المعجم الصغير للطبراني (طبعة دار الفكر)**..... ٢٢١
- رواية حديث توسل الأعمى وتصحيح الحافظ الطبراني للحديث..... ٢٢٢

* **كتاب المعجم الصغير للطبراني (طبعة دار مؤسسة الكتب الثقافية)**..... ٢٢٥
- رواية حديث توسل الأعمى وتصحيح الحافظ الطبراني للحديث..... ٢٢٦

* **كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام للإمام السبكي**..... ٢٢٩
- جواز التوسل بالنبي ﷺ وأن أول من حرم ذلك هو ابن تيمية..... ٢٣٠
- تصحيح الحاكم لحديث توسل ءادم عليه السلام بالنبي ﷺ والرد على ابن تيمية..... ٢٣١

* **كتاب البداية والنهاية لابن كثير** ٢٣٣
- نداء السيدة زينب : يا محمداه، يوم مقتل الحسين ٢٣٤
- شعار المسلمين في معركة مسيلمة الكذاب كان : يا محمداه ٢٣٥
- قول ابن كثير بأن تفسير الاستواء بالإستيلاء هذا قول الجهمية وأنه باطل بزعمه ٢٣٨
- كتاب عمر إلى أبي موسى وإلى عمرو بن العاص عام الرمادة أن يا غوثاه لأمة محمد ٢٣٩
- قصة الرجل الذي جاء قبر الرسول ﷺ في زمن عمر وقال : يا رسول الله استسق لأمتك ٢٤٠
* **كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير** ٢٤١
- شعار المسلمين في معركة مسيلمة الكذاب كان : يا محمداه ٢٤٢
- نداء السيدة زينب يا محمداه يوم مقتل الحسين ٢٤٤
* **كتاب الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي** ٢٤٥
- رسالة حسن المقصد في عمل المولد ٢٤٦
* **كتاب سنن النسائي بشرح الإمام السيوطي وحاشية الإمام السندي** ٢٤٩
- نقل قول القرطبي في شرح حديث : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ٢٥٠
- كلام السيوطي والسندي في حديث الجارية وأنه لا يحمل على ظاهره ٢٥٤
* **كتاب تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن** ٢٥٧
- نقل قول الإمام مالك في الاستواء وجوابه لذلك السائل ٢٥٨
- أهل مصر كانوا يتبركون بيوسف عليه السلام بعد موته ٢٦٠
* **كتاب لسان العرب** ٢٦١
- الحديث القدسي: (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا) وأن المراد هو القرب بالذكر والعمل الصالح ونفي كون الله في جهة أو مكان ٢٦٢
* **كتاب حاشية الإمام الصاوي المالكي على تفسير الجلالين** ٢٦٣
- وصف الوهابية بأنهم خوارج العصر وأنهم يحسبون أنهم على شيء ٢٦٤
* **كتاب الرسالة القشيرية للإمام القشيري** ٢٦٥
- نقل قول أبي بكر بن فورك : الآن أسلمت إسلاما جديدا بعدما زال عنه ما كان يعتقده من حديث الجهة ٢٦٦
- قول الإمام جعفر الصادق بكفر من قال أن الله في شيء أو على شيء أو من شيء ٢٦٧

- القول بأن قبر معروف الكرخي ترياق مجرب..... ٢٦٨
* **كتاب صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي**..... ٢٦٩
- قصة خبيب بن عدي وهو أول من سن صلاة ركعتين عند القتل..... ٢٧٠
* **كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي**..... ٢٧٣
- رؤية أهل الجنة لله تعالى بلا كيف ولا مكان ولا جهة..... ٢٧٤
- معنى (يوم يكشف عن ساق) وأن المراد بالساق هي الشدة..... ٢٧٥
- شرح الإمام النووي لحديث الجارية..... ٢٧٨
- شرح حديث (من سن في الإسلام سنة حسنة) وأن فيه تخصيص حديث (كل بدعة ضلالة) بالبدع الباطلة..... ٢٨٠
* **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الجويني**..... ٢٨١
- تنزيه الله عن المكان وعن المشابهة للحوادث..... ٢٨٢
- الرد على المشبه والقول بأن آيات الاستواء هي من قبيل المتشابه لا بد فيها من التأويل..... ٢٨٣
* **كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام القاضي عياض**..... ٢٨٧
- شرح حديث النزول وأن الله منزه عن الدنو والقرب بالمسافة..... ٢٨٨
* **كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام للإمام الشهرستاني**..... ٢٨٩
- بيان أن مذهب أهل الحق هو أن الله منزه عن صفات الأجسام موجود بلا مكان..... ٢٩٠
* **كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري للحافظ ابن عساكر**..... ٢٩١
- بيان أن عقيدة الإمام الأشعري هي تنزيه الله عن المكان بخلاف النجارية والمجسمة..... ٢٩٢
* **كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني**..... ٢٩٣
- مذهب أهل الحق هو تنزيه الله عن المكان والجهة..... ٢٩٤
* **كتاب الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي**..... ٢٩٥
- تأويل الإمام المازري لحديث الجارية..... ٢٩٦
- ذكر حال ابن تيمية وأنه خالف الإجماع في عديد المسائل منها ما ذكر هنا..... ٢٩٨
* **كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق للشيخ ابن نجيم الحنفي**..... ٣٠١
- تكفير من يثبت لله المكان..... ٣٠٢

* **كتاب إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان للشيخ البياضي**..... ٣٠٥
- تنزيه الله عن المكان والجلوس والاستقرار من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه..... ٣٠٦
- حديث الجارية وأنه لا يحمل على ظاهره وأن المراد بالعلو هو علو المنزلة..... ٣٠٩
- بيان أن قرب الله ليس بالمسافة..... ٣١٠
* **كتاب غاية المرام في علم الكلام للإمام سيف الدين الآمدي**..... ٣١١
- تنزيه الله عن المكان وعن أن يجري عليه زمان وأن هذا مذهب أهل الحق..... ٣١٢
* **كتاب الدر الثمين والمورد المعين للشيخ ابن أحمد ميارة المالكي**..... ٣١٣
- القول بأن الله لا داخل العالم ولا خارج العالم ونفي المكان عن الله..... ٣١٤
* **كتاب التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للإمام الاسفراييني**..... ٣١٧
- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وأن منها تنزيه الله عن الكيفية والكمية والأينية..... ٣١٨
- تنزيه الله عن الحركة والسكون والتغير واستدلال سيدنا إبراهيم عليه السلام بتغير القمر على أنه لا يجوز أن يكون خالقا..... ٣٢١
* **كتاب القبس في شرح موطأ مالك لأبي بكر بن العربي المعافري**..... ٣٢٣
- تنزيه الله عن الحركة وبيان أنه لا يجوز الأخذ بظاهر "النزول" إذا طلق على الله..... ٣٢٤
- تنزيه الله عن أن تحده الجهات واعتراض المعلق الوهابي على ذلك..... ٣٢٥
- شرح حديث الجارية وأنه لا يحمل على ظاهره ومخالفة المعلق الوهابي في ذلك..... ٣٢٨
* **كتاب الفتاوي الهندية**..... ٣٢٩
- القول بكفر من قال أن الله في السماء مريدا بذلك إثبات المكان لله تعالى وكذلك من قال : لا محل خالي من الله..... ٣٣٠
* **كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين لعفيف الدين أبي السعادات**..... ٣٣١
- قول الإمام جعفر الصادق بكفر من قال أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء..... ٣٣٢
- نقل أن كثيرا من العلماء والأئمة الكبار أولوا "استوى" بـ "استولى"..... ٣٣٢
- ما نقل عن الشيخ أبي عثمان المغربي من تنزيه الله عن المكان..... ٣٣٣
- نقل ما قاله الشيخ القشيري في العقيدة وما فيه من تنزيه الله عن المكان والجهة..... ٣٣٤
- نقل ما قاله الشيخ شهاب الدين السهروردي في العقيدة وما فيه من تنزيه الله عن المكان والجهة..... ٣٣٦

* **كتاب النهر الماد من البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي**..... ٣٤٣
- نقل الإمام أبو حيان لما قرأه في كتاب لابن تيمية مما فيه نسبة الجلوس على الكرسي لله تعالى.... ٣٤٤
* **كتاب بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها للإمام عبد الله الأندلسي**..... ٣٤٥
- نفي المكان والحركة عن الله وشرح حديث (لا تفضلوني على يونس بن متى)..... ٣٤٦
* **كتاب شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**..... ٣٤٧
- نقل أن الإمام مالك أول النزول بنزول الرحمة والأمر أو نزول الملائكة..... ٣٤٨
* **كتاب المقاصد الحسنة في بيان الكثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام السخاوي**... ٣٤٩
- تنزيه الله عن الحلول في الأماكن..... ٣٥٠
* **كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم للشيخ زكريا بن محمد القزويني**..... ٣٥١
- باب التوحيد وما فيه من تنزيه الله عن المكان..... ٣٥٢
* **كتاب منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر للإمام ملا علي القاري**..... ٣٥٥
- شرح قول الإمام أبو حنيفة (شيء لا كالأشياء) وأن في ذلك نفي المكان عن الله..... ٣٥٦
- نقل الإمام ابن عبد السلام قول الإمام أبي حنيفة: من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر..... ٣٥٧
- بيان أن رفع الأيدي إلى السماء عند الدعاء لأنها قبلة الدعاء وأن هذا ما قاله النسفي..... ٣٥٩
- تكفير من نسب المكان لله تعالى..... ٣٦٠
* **كتاب مناقب الشافعي للإمام البيهقي** ٣٦١
- تقسيم الشافعي للمحدثات من الأمور (البدع) إلى قسمين..... ٣٦٢
* **كتاب المصاحف للشيخ أبي بكر بن الأشعث**..... ٣٦٥
- نقل أن أول من نقط المصاحف هو يحيى بن يعمر..... ٣٦٦
* **كتاب الجامع في العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل**..... ٣٦٧
- الإمام أحمد يقول بجواز التبرك بمنبر النبي ﷺ وقبره..... ٣٦٨
* **كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري**..... ٣٦٩
- باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله..... ٣٧٠
* **كتاب الوفا بأحوال المصطفى للإمام ابن الجوزي**..... ٣٧١

- ما حصل لأبي بكر المنقري والطبراني وأبي الشيخ عند قبر النبي ﷺ، وما في ذلك أنه شكى، أي أبو بكر المنقري، الجوع إلى رسول الله ﷺ ٣٧٢
- نداء السيدة فاطمة لأبيها ﷺ بعد موته بقولها : يا أبتاه ٣٧٣
- تبرك السيدة فاطمة بتراب قبر النبي ﷺ ٣٧٣
* **كتاب تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي** ٣٧٥
- تقسيم الإمام النووي للبدع إلى قسمين وأن ابن عبد السلام قسمها إلى: واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة مباحة ٣٧٦
- نقل ما رواه البيهقي في مناقب الشافعي أن الشافعي قال : المحدثات من الأمور ضربان ٣٧٧
* **كتاب الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ للإمام النووي** ٣٧٩
- باب ما يقوله إذا خدرت رجله ٣٨٠
- حديث الأعمى ٣٨٢
- فصل في زيارة قبر رسول الله ﷺ ٣٨٣
- جواز زيارة قبر الرسول ﷺ والدعاء عنده من حديث العتبي ٣٨٥
* **كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي وبهامشه فتاوى الرملي** ٣٨٧
- العلامة شمس الدين الرملي يقول بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ٣٨٨
* **كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني** ٣٨٩
- خبيب بن عدي هو أول من سنّ لكل مسلم قتل صبرا الصلاة ٣٩١
* **كتاب شرح الشفا للملا علي القاري** ٣٩٣
- الإمام مالك يقول بجواز استقبال قبر الرسول ﷺ والدعاء عنده ٣٩٥
* **كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي** ٣٩٧
- الإمام أحمد يتبرك بآثار النبي ويجيز ذلك ٣٩٨
* **كتاب التبصرة لابن الجوزي** ٣٩٩
- الإمام ابن الجوزي يتوسل بالرسول ﷺ ٤٠٠
* **كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي** ٤٠١
- قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ٤٠٤
- الإمام الشافعي يتبرك بأبي حنيفة ٤٠٥

* كتاب التفسير الكبير للطبراني ٤٠٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ٤٠٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ٤١٠
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ ٤١٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ٤١٥
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ٤١٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ ٤١٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ٤١٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ٤٢٠
- الاستواء معناه الاستيلاء وتخصيص العرش بذلك لتعظيم شأنه ٤٢١
- تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ ٤٢٤
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ ٤٢٦
- تفسير قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ ٤٢٧
- تفسير قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ٤٢٨
- تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ٤٢٩
* كتاب المُعْلم بفوائد مسلم للإمام المازري ٤٣١
- تفسير حديث الجارية ٤٣٢
* الكتاب المسمى اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية الحراني ٤٣٣
- ابن تيمية يقول أن من يتخذ المولد موسما يكون له أجر عظيم ٤٣٤
* الكتاب المسمى الكلم الطيب لأحمد بن تيمية الحراني ٤٣٥
- إيراد ابن تيمية لحديث ابن عمر الذي فيه أنه قال : يا محمد ٤٣٦
* كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٣٧
- قوله عن الأخطل : شاعر زمانه ٤٣٨
* الكتاب المسمى التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ٤٣٩

- قوله عن موسى عليه السلام أنه مندفع عصبي المزاج وهذا ضلال..... ٤٤٠
- قوله عن ابراهيم عليه السلام أنه ظن أن النجم ربه وهذا كفر صريح..... ٤٤١
- قوله عن يوسف عليه السلام أنه كاد أن يضعف أمام زليخة والعياذ بالله من الضلال..... ٤٤٢
* **الكتاب المسمى مجموعة الفتاوى لأحمد بن تيمية**..... ٤٤٣
- ابن تيمية يقول عن الأشاعرة إنهم أنصار أصول الدين..... ٤٤٤
- قوله بأن محمدا ﷺ يجلسه ربه على العرش معه وهذا كفر..... ٤٤٥
- قوله عن الله إن له وجها موصوفا بالأنوار والعياذ بالله..... ٤٤٨
- قوله إن الكرسي موضع قدمي الله والعياذ بالله ونسبة ذلك للعلماء..... ٤٤٨
- قوله إن رفع الأيدي للسماء لأن الله على العرش والعياذ بالله..... ٤٤٩
- قوله إن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة والعياذ بالله، (وهذا دليل على سوء فهمه)..... ٤٥٠
- تمويه ابن تيمية ودفاعه عن عقيدته الفاسدة..... ٤٥١
- قوله زورا وبهتانا إن السلف كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة..... ٤٥٢
- قوله عن الملائكة أنهم أعوان الله والعياذ بالله..... ٤٥٣
* **الكتاب المسمى لقاء الباب المفتوح لعبد الله الطيار**..... ٤٥٥
- ابن عثيمين المجسم يقول أن الإمام النووي والإمام ابن حجر العسقلاني ليسا من أهل السنة والجماعة..... ٤٥٦
* **الكتاب المسمى بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية**..... ٤٥٧
- قوله إن الله يقعد النبي ﷺ على العرش معه والعياذ بالله ونسبته ذلك زورا وبهتانا لجمع من الأئمة..... ٤٥٨
* **الكتاب المسمى فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن آل الشيخ**..... ٤٦١
- قوله إن الله يجلس على الكرسي وهذا كفر صريح..... ٤٦٢
* **الكتاب المسمى في ظلال القرآن لسيّد قطب**..... ٤٦٣
- تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وقوله إنها كلمة على الحقيقة والعياذ بالله تعالى من الكفر..... ٤٦٤
- قوله عن الله : الريشة المبدعة والعياذ بالله تعالى..... ٤٦٦
- قوله عن الله : الريشة المبدعة والعياذ بالله تعالى..... ٤٦٧

- تكفيره لمن يتلقى الأحكام من غير الله على الإطلاق..... ٤٦٨
- قوله إن البشرية تزاول رجعية شاملة إلى الجاهلية..... ٤٧٨
- قوله إن الاشتغال بالفقه مضيعة للعمر والأجر معا والعياذ بالله من الضلال..... ٤٧٩
- قوله عن الله : العقل المدبر والعياذ بالله..... ٤٨١
- وصفه لله بأنه الأصل المطلق وأن الإنسان له اتصال به وهذا كفر..... ٤٨٢
- قوله بأنه لا موجود إلا الله وهذا ضلال..... ٤٨٣

* **الكتاب المسمى معارج القبول لحافظ بن أحمد حكمي**..... ٤٨٥
- قوله بأنه الله يجلس على الكرسي ويمد ساعديه والعياذ بالله..... ٤٨٦

* **الكتاب المسمى حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم الجوزية**..... ٤٨٧
- نقله لقول ابن تيمية بفناء النار..... ٤٨٨

الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَق

تأليف

الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي

المتوفى ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧م

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ-٢٠٠١م

اعتنى بها وعلّق عليها

الشيخ إبراهيم رمضان

دار الفتوى - بيروت

دار المعرفة

بيروت. لبنان

غُلاة الروافض ومن أتباع داود الجواربي أنه على صورة الإنسان، وقد زعم هشام بن سالم الجواليقي وأتباعُه من الرافضة أن معبودهم على صورة الإنسان، وعلى رأسه وَفْرَة سوداء، وهو نور أسود، وأن نصفه الأعلى مُجَوَّف ونصفه الأسفل مُصْمَت، وخلاف قول المغيرية من الرافضة في دعواهم أن أعضاء معبودهم على صُورة حروف الهجاء، تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

وأجمعوا على أنه لا يَحْوِيه مكان، ولا يجري عليه زمان، على خلاف قول مَنْ زعم من الهشامية والكرامية أنه مماسّ لعرشه، وقد قال أمير المؤمنين علي رضي اللَّه عنه: إن اللَّه تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته، وقال أيضاً: قد كان ولا مكان، وهو الآن على ما كان.

وأجمعوا على نفي الآفات والغموم والآلام واللَّذات عنه، وعلى نفي الحركة والسكون عنه، على خلاف قول الهاشمية من الرافضة في قولها بجواز الحركة عليه، وفي دعواهم أن مكانه حَدَثَ من حركته، وخلاف قول مَنْ أجاز عليه التعب والراحة والغم والسرور والمَلاَلة كما حكي عن أبي شعيب الناسك، تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

وأجمعوا على أن اللَّه تعالى غنيّ عن خلقه، لا يجتلب بخلقه إلى نفسه نفعاً، ولا يدفع بهم عن نفسه ضرراً، وهذا خلاف قول المجوس في دعواهم أن اللَّه إنما خلق الملائكة ليدفع بهم عن نفسه أذى الشيطان وأذى أعوانه.

وأجمعوا على أن صانع العالم واحد، على خلاف قول الثَّنَوِية بصانعين قديمين، أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وخلافُ قول المجوس بصانعين، أحدهما: إلَه قديم اسمه عندهم يزدان، والآخر: شيطان رجيم اسمُه أهرمن، وخلاف قول المفوضة من غُلاةَ الروافض في أن اللَّه تعالى فَوَّض تدبير العالم إلى عليّ؛ فهو الخالق الثاني، وخلاف قول الخابطية من القَدَرية أتباع أحمد بن خابط في قولهم: إن اللَّه تعالى فَوَّضَ تدبير العالم إلى عيسى ابن مريم، وإنه هو الخالق

كتاب

الأسماء والصفات

للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي

المتوفى ٤٥٨ هـ

تحقيق وتعليق وفهرست

الشيخ عماد الدين أحمد حيدر

مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

الطبعة الثانية

١٤١٥هـ-١٩٩٤م

الجزء الثاني

الناشر

دار الكتاب العربي

ابن سلمان الفقيه ثنا إسماعيل بن إسحاق ثنا ابن أبي أُويس ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إن رسول الله ﷺ قال « لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي »[1] . رواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس . وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله في معنى هذا الحديث : القول فيه والله أعلم : أنه أراد بالكتاب أحد شيئين: إما القضاء الذي قضاه وأوجبه كقوله ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[2] أي قضى الله وأوجب ، ويكون معنى قوله « فهو عنده فوق العرش » أي فعلم ذلك عند الله تعالى فوقَ العرش لا ينساه ولا ينسخه ، ولا يبدله، كقوله جل وعلا ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[3] وإما أن يكون أراد بالكتاب اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر أصناف الخلق والخليقة ، وبيان أمورهم وذكر آجالهم وأرزاقهم ، والأقضية النافذة فيهم ، ومآل عواقب أمورهم ، ويكون معنى قوله فهو عنده فوق العرش ، أي فذكره عنده فوق العرش ، ويضمر فيه الذكر أو العلم ، وكل ذلك جائز في الكلام ، سهل في التخريج ، على أن العرش خلق الله عز وجل مخلوق لا يستحيل أن يمسه كتاب مخلوق ، فإن الملائكة الذين هم حملة العرش قد روى أن العرش على كواهلهم ، وليس يستحيل أن يماسوا العرش إذا حملوه ، وإن كان حامل العرش وحامل حملته في الحقيقة هو الله تعالى ، وليس معنى قول المسلمين : إن الله استوى على العرش ، هو أنه مماس له ، أو متمكن فيه ، أو متحيز في جهة من جهاته ، لكنه بائن من جميع خلقه ، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ، ونفينا عنه التكيف ، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: ٤ : ٣٠٩ : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ .

(٢) المجادلة : ٢١ .

(٣) طه : ٥٢ .

تحتها مسيرة خمسمائة عام ، حتى عدّ سبع أرضين وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام ، ثم قال ﷺ . والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السابعة لهبط على الله* تبارك وتعالى ، ثم قرأ رسول الله ﷺ وهو الأول والآخر والظاهر والباطن »[1] قلت : هذه الرواية في مسيرة خمسمائة عام اشتهرت فيما بين الناس ، وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله مثلها ، ويحتمل أن يختلف ذلك باختلاف قوة السير وضعفه ، وخفته وثقله ، فيكون يسير القوى أقل ، ويسير الضعيف أكثر ، والله أعلم . والذي روى في آخر هذا الحديث إشارة إلى نفي المكان عن الله تعالى ، وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء ، وأنه الظاهر ، فيصح إدراكه بالأدلة ، الباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان . واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي ﷺ : « أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء »[2] وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان . وفي رواية الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه انقطاع ، ولا ثبت سماعه من أبي هريرة ، وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً .

*التقدير : لهبط على علم الله. معناه الله محيط بكل شيء علما

أخبرناه أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ « ما بين الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة سنة ، وغلظ السماء الدنيا مسيرة خمسمائة سنة ، وما بين كل سماء إلى السماء التي تليها مسيرة خمسمائة سنة ، والأرضين مثل ذلك ، وما بين السماء السابعة إلى العرش

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في «مسنده»: ٢ : ٣٧٠ : مسند أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»: ٨ : ٧٩ : كتاب الدعاء والذكر والاستغفار والتوبة : باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع : عن أبي صالح .

الاعتقاد

على مذهب السلف أهل السنة والجماعة

للإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
المتوفى سنة ٤٥٨

الطبعة الثانية
١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قال الشيخ الأستاذ الإمام رحمه الله : وهذا القول لا يخالف قول أحمد ابن حنبل رحمه الله ، وقد روينا عنه في كتاب الأسماء والصفات أنه أنكر على تلميذه أبي طالب قوله : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، وكره الكلام في اللفظ ، قال : وسمعت أبا عمرو الأديب يقول : سمعت أبا بكر الإسماعيلي يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن ناجية يقول : سمعت عبد الله بن أحمد ابن حنبل يقول : سمعت أبي يقول : من قال : لفظي بالقرآن مخلوق — يريد به القرآن — فهو كافر . قال الشيخ رضي الله عنه : فإنما أنكر قول من تذرع بهذا إلى القول بخلق القرآن . وكان يستحب ترك الكلام فيه لهذا المعنى ، والله أعلم .

باب
القول في الاستواء

قال الله تبارك وتعالى : ﴿الرَّحمنُ على العَرْش استَوى﴾[1] والعرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء ، قال الله عز وجل : ﴿وكان عرشُهُ على الماء﴾[2] وقال : ﴿وهُوَ ربُّ العرش العظيم﴾[3] وقال : ﴿ذُو العرش المجيد﴾[4] وقال : ﴿وترى الملائكةَ حافّينَ من حول العرْش﴾[5] وقال : ﴿الّذينَ يحملونَ العرشَ ومن حولَهُ يُسبّحونَ بحمْد ربّهم﴾[6] الآية . وقال : ﴿ويحملُ عرْشَ ربّك فوقَهُم يومَئذٍ ثمانيةٌ﴾[7] وقال : ﴿إنَّ ربّكُمُ اللهُ الذي خلقَ السّموات والأرض في ستّة أيامٍ ، ثمَّ استوَى على العَرْشِ﴾[8] وقال : ﴿اللهُ الّذي رفَعَ السّمواتِ بغيرِ عَمَدٍ ترَوْنها. ثمَّ استوَى على العَرْشِ﴾[9] وقال : ﴿ثمَّ استوَى على العرْشِ الرَّحمن﴾[10]

(١) سورة طه ، الآية : ٥ .
(٢) سورة هود ، الآية : ٧ .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ .
(٤) سورة البروج ، الآية : ١٥ .
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٧٥ .
(٦) سورة غافر ، الآية : ٧ .
(٧) سورة الحاقة ، الآية : ١٧ .
(٨) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .
(٩) سورة الرعد ، الآية : ٢ .
(١٠) سورة الفرقان ، الآية : ٥٩ .

الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف ، وإلى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا ، ومن تبعهم من المتأخرين ، وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ، ووردت به الأخبار الصحيحة . وقبوله من جهة التوقيف واجب والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز .

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه . أنا أبو محمد بن حيان ثنا أبو جعفر أحمد بن زيرك اليزدي ، قال : سمعت محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري يقول : سمعت يحيى بن يحيى يقول : كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله ، ﴿الرَّحمنُ على العرْشِ استَوى﴾(١) كيف استوى ؟ فأطرق مالك رأسه ثم علاه الرحضاء . ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول . والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً ، فأمر به أن يخرج .

قال الشيخ : وعلى مثل هذا ، درج أكثر علمائنا في مسألة الاستواء ؛ وفي مسألة المجيء والإتيان والنزول ، قال الله عز وجل : ﴿وجاء ربُّك والمَلَكُ صَفّاً صَفّا﴾(٢) وقال : ﴿هل يَنظرونَ إلاّ أن يأتيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ﴾(٣) .

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ، ثنا أحمد بن سلمان قال قرئ على سليمان بن الأشعث (ح) .

وأخبرنا أبو علي الروذباري ، أنا أبو بكر بن داسة ؛ ثنا أبو داود ، ثنا القعنبي ، عن مالك ، عن بن شهاب ؛ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعن أبي عبد الله الأغر ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؛ من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

---

(١) سورة طه ، الآية : ٥ .
(٢) سورة الفجر ، الآية : ٢٢ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٠ .

قال رحمه الله : وهذا حديث صحيح رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ ، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين : منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله ، ووكل علمه إلى الله ، ونفى الكيفية والتشبيه عنه ، ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ، ولا يناقض التوحيد . وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب .

وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ، ولا استقرار في مكان ، ولا مماسة لشيء من خلقه ، لكنه مستو على عرشه . كما أخبر بلا كيف ، بلا أين ، بائن من جميع خلقه ، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان ، وأن مجيئه ليس بحركة ، وأن نزوله ليس بنقلة ، وأن نفسه ليس بجسم ، وأن وجهه ليس بصورة ، وأن يده ليست بجارحة ، وأن عينه ليست بحدقة ، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها ، ونفينا عنها التكييف ، فقد قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (١) . وقال : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٢) . وقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٣) .

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ، ثنا محمد بن بشر بن مطر ، ثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا الوليد ابن مسلم قال : سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث ، فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيفية .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني محمد بن يزيد ، سمعت أبا يحيى البزار يقول : سمعت العباس بن حمزة يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كل ما وصف الله من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه .

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(٢) سورة الاخلاص ، الآية : ٤ .
(٣) سورة مريم ، الآية : ٦٥ .

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

طبعة جديدة منقحة ومصححة على الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها

عبد العزيز بن عبد الله بن باز — محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الأول

يحتوي على الكتب التالية
بدء الوحي - الإيمان - العلم - الوضوء - الغسل
الحيض - التيمم - الصلاة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سهواً كما يظهر في الرواية الماضية من قوله: «فثنى رجله واستقبل القبلة».

٣٣ ـ باب حَكِّ البُزاقِ باليدِ منَ المسجدِ

٤٠٥ ـ حدَّثنا قُتيبةُ قال: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ جَعفرٍ عن حُميدٍ عن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ رأى نُخامَةً في القِبلةِ فشقَّ ذلكَ عليه حتى رُئي في وجهِهِ، فقامَ فحكَّهُ بيدِهِ فقال: **«إنَّ أحدَكم إذا قامَ في صَلاته فإنَّهُ يُناجي ربَّهُ أو إن ربه بينهُ وبينَ القِبلةِ. فلا يَبزُقَنَّ أحدُكم قِبَلَ قِبلتِهِ، ولكنْ عن يَساره أو تحتَ قدَمَيه»** ثمَّ اخذَ طَرَفَ رِدائهِ فبصَقَ فيهِ، ثمَّ ردَّ بَعضَهُ عَلَى بعضٍ فقال: **«أو يَفعلُ هكذا»**.

قوله: (**باب حك البزاق باليد من المسجد**) أي سواء كان بآلة أم لا. ونازع الإسماعيلي في ذلك فقال: قوله: «فحكه بيده» أي تولى ذلك بنفسه لا أنه باشر بيده النخامة، ويؤيد ذلك الحديث الاخر أنه: «حكها بعرجون» اهـ. والمصنف مشى على ما يحتمله اللفظ، مع أنه لا مانع في القصة من التعدد، وحديث العرجون رواه أبو داود من حديث جابر.

قوله: (**عن حميد عن أنس**) كذا في جميع ما وقفت عليه من الطرق بالعنعنة، ولكن أخرجه عبد الرزاق فصرح بسماع حميد من أنس فأمن تدليسه.

قوله: (**نخامة**) قيل هي ما يخرج من الصدر، وقيل النخاعة بالعين من الصدر، وبالميم من الرأس.

قوله: (**في القبلة**) أي الحائط الذي من جهة القبلة.

قوله: (**حتى رئي**) أي شوهد في وجهه أثر المشقة، وللنسائي «فغضب حتى احمر وجهه» وللمصنف في الأدب من حديث ابن عمر: «فتغيظ على أهل المسجد».

قوله: (**إذا قام في صلاته**) أي بعد شروعه فيها.

قوله: (**أو أن ربه**) كذا للأكثر بالشك كما سيأتي في الرواية الأخرى بعد خمسة أبواب. وللمستملي والحموي «وأن ربه» بواو العطف، والمراد بالمناجاة من قبل العبد حقيقة النجوى ومن قبل الرب لازم ذلك فيكون مجازاً، والمعنى إقباله عليه بالرحمة والرضوان، وأما قوله «وإنَّ ربه بينه وبين القبلة» وكذا في الحديث الذي بعده: «فإن الله قبل وجهه» فقال الخطابي: معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه فصار في التقدير: فإن مقصوده بينه وبين قبلته. وقيل هو على حذف مضاف أي عظمة الله أو ثواب الله. وقال ابن عبد البر: هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة. وقد نزع به بعض المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان، وهو جهل واضح، لأن في الحديث أنه يبزق تحت قدمه، وفيه نقض ما أصلوه، وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته[1] ومهما تؤول به هذا جاز أن يتأول به ذاك والله أعلم. وهذا التعليل يدل على أن البزاق في القبلة حرام سواء كان في المسجد أم لا ولا سيما من المصلي فلا يجري فيه الخلاف في أنَّ كراهية البزاق في المسجد هل هي للتنزيه أو للتحريم. وفي صحيحي ابن خزيمة وابن حبان من حديث حذيفة مرفوعاً: **«من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه»** وفي رواية لابن خزيمة من حديث ابن عمر مرفوعاً: **«يبعث صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه»** ولأبي داود وابن حبان من حديث السائب بن خلاد: «أن رجلاً أم قوماً فبصق في القبلة، فلم فرغ قال رسول الله ﷺ: **لا يصلي لكم»** الحديث، وفيه أنه قال له: **«إنك آذيت الله ورسوله»**.

---

(١) ليس في الحديث المذكور رد على من أثبت استواء الرب سبحانه على العرش بذاته، لأن النصوص من الآيات والأحاديث في إثبات استواء الرب سبحانه على العرش بذاته محكمة قطعية واضحة لا تحتمل أدنى تأويل. وقد أجمع أهل السنة على الأخذ بها والإيمان بما دلت عليه على الوجه الذي يليق بالله سبحانه من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته. وأما قوله في الحديث: «فإن الله قبل وجهه إذا صلى» وفي لفظ. «فإن ربه بينه وبين القبلة» فهذا لفظ محتمل أن يفسر بما يوافق النصوص المحكمة. كما قد أشار الإمام ابن عبد البر إلى ذلك، ولا يجوز حمل هذا اللفظ وأشباهه على ما يناقض نصوص الاستواء الذي أثبتته النصوص القطعية المحكمة الصريحة والله أعلم.

هذا كلام ابن باز الوهابي فلا عبرة به. وانظر كيف أنه يقول أن الله فوق العرش بذاته وهذا كفر

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى ٨٥٢ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

طبعة جديدة منقحة ومصححة عن الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها

عبد العزيز بن عبد الله بن باز — محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الثاني

يحتوي على الكتب التالية

مواقيت الصلاة - الأذان - الجمعة - صلاة الخوف - العيدين - الوتر
الاستسقاء - الكسوف - سجود القرآن - تقصير الصلاة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث. فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس» وأخرج أيضاً من طريق داود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: «استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب» فذكر الحديث وفيه «فخطب الناس عمر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله» وفيه «فما برحوا حتى سقاهم الله» وأخرجه البلاذري من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فقال: «عن أبيه» بدل ابن عمر، فيحتمل أن يكون لزيد فيه شيخان. وذكر ابن سعد وغيره أن عام الرمادة كان سنة ثمان عشرة، وكان ابتداؤه مصدر الحاج منها ودام تسعة أشهر، والرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم، سمي العام بها لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الأرض جداً من عدم المطر، وقد تقدم من رواية الإسماعيلي رفع حديث أنس المذكور في قصة عمر والعباس، وكذلك أخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق محمد بن المثنى بالإسناد المذكور. ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه.

٤- باب تحويلِ الرِّداءِ في الاستِسقاءِ

١٠١١. حدّثنا إسحاقُ قال: حدَّثنا وهَبٌ قال: أخبرَنا شُعبةُ عن محمدِ بنِ أبي بكرٍ عن عبّادِ بنِ تَميمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ: «أنَّ النبيَ ﷺ استسقى، فقلبَ رِداءَه».

١٠١٢. حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ قال: حدَّثَنا سُفيانُ قال حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ إنه سمعَ عبّادَ بنَ تَميمٍ يُحدِّثُ أباهُ عن عمِّهِ عبدِ اللهِ بن زيدٍ «أنَّ النبيَّ ﷺ خرج إلى المصلّى فاستَسقى، فاستقبَلَ القِبلةَ، وَقلَبَ رِداءَهُ، فصلى ركعتَين». قال. أبو عبدِ اللهِ كان ابنُ عُيينةَ يقول: هوَ صاحب الأذانِ، وَلكنّه وَهِمَ لأن هذا عبدُ اللهِ بنِ زيد بن عاصمِ المازنيُّ، مازِنُ الأنصارِ.

قوله: (باب تحويل الرداء في الاستسقاء) ترجم لمشروعيته خلافاً لمن نفاه، ثم ترجم بعد ذلك لكيفيته كما سيأتي.

قوله: (حدثنا إسحق) هو ابن راهويه كما جزم به أبو نعيم في المستخرج وأخرجه من طريقه.

قوله: (عن محمد بن أبي بكر) أي ابن محمد بن عمرو بن حزم، وهو أخو عبد الله بن أبي بكر المذكور في الطريق الثانية من هذا الباب، وقد حدث به عن عباد أبو هما أبو بكر بن محمد بن عمرو كما سيأتي بعد خمسة عشر باباً.

قوله: (استسقى فقلب رداءه) ذكر الواقدي أن طول ردائه ﷺ كان ستة أذرع في ثلاثة أذرع وطول إزاره أربعة أذرع وشبرين في ذراعين وشبر، كان يلبسهما في الجمعة والعيدين. ووقع في «شرح الأحكام لا بن بزيزة» ذرع الرداء كالذي ذكره الواقدي في ذرع الإزار، والأول أولى. قال الزين بن المنير: ترجم بلفظ التحويل، والذي وقع في الطريقين اللذين ساقهما لفظ القلب، وكأنه أراد أنهما بمعنى واحد انتهى. ولم تتفق الرواة في الطريق الثانية على لفظ القلب، فإن رواية أبي ذر «حول» وكذا هو في أول حديث في الاستسقاء، وكذلك أخرجه مسلم من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر، وقد وقع بيان المراد من ذلك في «باب الاستسقاء بالمصلى» في زيادة سفيان عن المسعودي عن أبي بكر بن محمد، ولفظه «قلب رداءه جعل اليمين على الشمال» وزاد فيه ابن ماجه وابن خزيمة من هذا الوجه «والشمال على اليمين» والمسعودي ليس من شرط الكتاب وإنما ذكر زيادته استطراداً، وسيأتي بيان كون زيادته موصولة أو معلقة في الباب المذكور إن شاء الله تعالى. وله شاهد أخرجه أبو داود من طريق الزبيدي عن الزهري عن عباد بلفظ «فجعل عطافه الأيمن على عاتقه الأيسر، وعطافه الأيسر، على عاتقه الأيمن» وله من طريق عمارة بن غزية عن عباد «استسقى وعليه خميصة سوداء، فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها، فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه» وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى ٨٥٢ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

طبعة مصححة منقحة ومرقمة وفق الطبعة التي حققوا أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها

عبد العزيز بن عبد الله بن باز — محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الرابع

يحتوي على الكتب التالية

الموصر - جزاء الصيد - فضائل المدينة - الصوم - صدقة التراويح - فضل ليلة القدر - الاعتكاف - البيوع - السلم - الشفعة - الإجارة - الحوالة - الكفالة - الوكالة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قوله: (قال ابن شهاب فتوفي رسول الله ﷺ والناس) في رواية الكشميهني «والأمر» **(على ذلك)** أي على ترك الجماعة في التراويح. ولأحمد من رواية ابن أبي ذئب عن الزهري في هذا الحديث «ولم يكن رسول الله ﷺ جمع الناس على القيام» وقد أدرج بعضهم قول ابن شهاب في نفس الخبر أخرجه الترمذي من طريق معمر عن ابن شهاب، وأما ما رواه ابن وهب عن أبي هريرة «خرج رسول الله ﷺ وإذا الناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال ما هذا؟ فقيل: ناس يصلي بهم أبيّ بن كعب، فقال: **أصابوا ونعم ماصنعوا**» ذكره ابن عبد البر، وفيه مسلم بن خالد وهو ضعيف، **والمحفوظ** أن عمر هو الذي جمع الناس على أبي بن كعب.

قوله: (وعن ابن شهاب) هو موصول بالإسناد المذكور أيضاً، وهو في «الموطأ» بالاسنادين، لكن فرقهما حديثين، وقد أدرج بعض الرواة قصة عمر في الاسناد الأول أخرجه إسحق في مسنده عن عبد الله بن الحارث المخزومي عن يونس عن الزهري فزاد بعد قوله وصدراً من خلافة عمر «حتى **جمعهم** عمر على أبي بن كعب فقام بهم في رمضان، فكان ذلك أول اجتماع الناس على قارىء واحد في رمضان» وجزم الذهلي في «علل حديث الزهري» بأنه وهم من عبد الله بن الحارث والمحفوظ رواية مالك ومن تابعه، وأن قصة عمر عند ابن شهاب عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد هو بغير إضافة، لا عن أبي سلمة.

قوله: (أوزاع) بسكون الواو بعدها زاي أي جماعة متفرقون، وقوله في الرواية «متفرقون» تأكيد لفظي، وقوله «يصلي الرجل لنفسه» بيان لما أجمل أولاً وحاصله أن بعضهم كان يصلي منفرداً وبعضهم يصلي جماعة، قيل يؤخذ منه جواز الائتمام بالمصلي وإن لم ينو الإمامة.

قوله: (أمثل) قال ابن التين وغيره استنبط عمر ذلك من تقرير النبي ﷺ من صلى معه في تلك الليالي، وإن كان كره ذلك لهم فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم، وكأن هذا هو السر في إيراد البخاري لحديث عائشة عقب حديث عمر، فلما مات النبي ﷺ حصل الأمن من ذلك، ورجح عند عمر ذلك لما في الاختلاف من افتراق الكلمة، ولأن الاجتماع على واحد أنشط لكثير من المصلين، وإلى قول عمر جنح الجمهور، وعن مالك في إحدى الروايتين وأبي يوسف وبعض الشافعية الصلاة في البيوت أفضل عملاً بعموم قوله ﷺ **«أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»** وهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وبالغ الطحاوي فقال: إن صلاة التراويح في الجماعة واجبة على الكفاية، وقال ابن بطال: قيام رمضان سنة لأن عمر إنما أخذه من فعل النبي ﷺ، وإنما تركه النبي ﷺ خشية الافتراض. وعند الشافعية في أصل المسألة ثلاثة أوجه. ثالثها من كان يحفظ القرآن ولا يخاف من الكسل ولا تختل الجماعة في المسجد بتخلفه فصلاته في الجماعة والبيت سواء فمن فقد بعض ذلك فصلاته في الجماعة أفضل.

قوله: (فجمعهم على أبي بن كعب) أي جعله لهم إماماً وكأنه اختاره عملاً بقوله ﷺ **«يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله»** وسيأتي في تفسير البقرة قول عمر «أقرؤنا أبيّ» وروى سعيد بن منصور من طريق عروة «أن عمر جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصلي بالرجال، وكان تميم الداري يصلي بالنساء» ورواه محمد بن نصر في «كتاب قيام الليل» له من هذا الوجه فقال «سليمان بن أبي حثمة» بدل تميم الداري، ولعل ذلك كان في وقتين.

قوله: (فخرج ليلة والناس يصلون بصلاة قارئهم)[1] أي إمامهم المذكور، وفيه، إشعار بأن عمر كان لا يواظب على الصلاة معهم وكأنه كان يرى أن الصلاة في بيته ولاسيما في آخر الليل أفضل، وقد روى محمد بن نصر في «قيام الليل» من طريق طاوس عن ابن عباس قال «كنت عند عمر في المسجد، فسمع هيعة الناس فقال: ما هذا؟ قيل: خرجوا من المسجد، وذلك في رمضان، فقال: ما بقي من الليل أحب إلي مما مضى» ومن طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه من قوله. **قوله: (قال عمر نعم البدعة)** في بعض الروايات «نعمت البدعة» بزيادة تاء، والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة، والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في

(١) هذه الرواية تختلف عن رواية المتن، ورواية المتن هي التي شرح عليها القسطلاني.

الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة.

قوله: (والتي ينامون عنها أفضل) هذا تصريح منه بأن الصلاة في آخر الليل أفضل من أوله، لكن ليس فيه أن الصلاة في قيام الليل فرادى أفضل من التجميع.

(تكميل): لم يقع في هذه الرواية عدد الركعات التي كان يصلي بها أبي بن كعب، وقد اختلف في ذلك ففي «الموطأ» عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنها إحدى عشرة، ورواه سعيد بن منصور من وجه آخر وزاد فيه «وكانوا يقرؤون بالمائتين ويقومون على العصي من طول القيام» ورواه محمد بن نصر المروزي من طريق محمد بن إسحق عن محمد بن يوسف فقال ثلاث عشرة ورواه عبد الرزاق من وجه آخر عن محمد بن يوسف فقال إحدى وعشرين وروى مالك من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عشرين ركعة وهذا محمول على غير الوتر، وعن يزيد بن رومان قال «كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين» وروى محمد بن نصر من طريق عطاء قال «أدركتهم في رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر» والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس وبذلك جزم الداودي وغيره، والعدد الأول موافق لحديث عائشة المذكور بعد هذا الحديث في الباب، والثاني قريب منه، والاختلاف فيما زاد عن العشرين راجع إلى الاختلاف في الوتر وكأنه كان تارة يوتر بواحدة وتارة بثلاث، وروى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال «أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز - يعني بالمدينة - يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث» وقال مالك هو الأمر القديم عندنا. وعن الزعفراني عن الشافعي «رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين، وليس في شيء من ذلك ضيق» وعنه قال: أن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن، والأول أحب إلي. وقال الترمذي: أكثر ما قيل فيه أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة يعني بالوتر، كذا قال: وقد نقل ابن عبد البر عن الأسود بن يزيد: تصلى أربعين ويوتر بسبع، وقيل ثمان وثلاثين ذكره محمد بن نصر عن ابن أيمن عن مالك، وهذا يمكن رده إلى الأول بانضمام ثلاث الوتر، لكن صرح في روايته بأنه يوتر بواحدة، فتكون أربعين إلا واحدة، قال مالك: وعلى هذا العمل منذ بضع ومائة سنة، وعن مالك ست وأربعين وثلاث الوتر وهذا هو المشهور عنه، وقد رواه ابن وهب عن العمري عن نافع قال: لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعاً وثلاثين يوترون منها بثلاث، وعن زرارة بن أوفى أنه كان يصلي بهم بالبصرة أربعاً وثلاثين ويوتر، وعن سعيد بن جبير أربعاً وعشرين وقيل ست عشرة غير الوتر روي عن أبي مجلز عند محمد بن نصر، وأخرج من طريق محمد بن إسحق حدثني محمد بن يوسف عن جده السائب بن يزيد قال: كنا نصلي زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة، قال ابن إسحق وهذا أثبت ما سمعت في ذلك، وهو موافق لحديث عائشة في صلاة النبي ﷺ من الليل والله أعلم.

قوله: (حدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس. **قوله: (أن رسول الله ﷺ صلى وذلك في رمضان)** هكذا أورده مقتصراً على شيء من أوله وشيء من آخره، وقد أورده تاماً في أبواب التهجد بلفظ «أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس» فذكر الحديث إلى قوله **«خشيت أن تفرض عليكم»** وذلك في رمضان وقد تقدم شرحه مستوفى هناك. **قوله: (خشيت أن تفرض عليكم)** قال ابن المنير في الحاشية: يؤخذ منه أن الشروع ملزم إذ لا تظهر مناسبة بين كونهم يفعلون ذلك ويفرض عليهم إلا ذلك انتهى، وفيه نظر لأنه يحتمل أن يكون السبب في ذلك الظهور اقتدارهم على ذلك من غير تكلف فيفرض عليهم.

قوله: في آخر طريق عقيل **(فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك)** هذه الزيادة من قول الزهري كما بينته في الكلام على الحديث الأول.

قوله: (ما كان يزيد في رمضان إلخ) تقدم الكلام عليه مستوفى في أبواب التهجد وأما ما رواه ابن أبي شيبة من حديث ابن عباس «كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر» فإسناده ضعيف، وقد عارضه حديث عائشة هذا الذي في الصحيحين مع كونها أعلم بحال النبي ﷺ ليلاً من غيرها. والله أعلم.

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

طبعة جديدة منقحة ومصححة على الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها

عبد العزيز بن عبد الله بن باز — محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء السابع

يحتوي على الكتب التالية

فضائل الصحابة - مناقب الأنصار - المغازي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قوله: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ) لم أقف على اسمه وسيأتي أنه أنصاري زاد في رواية أبي أسامة عن فضيل بن غزوان في التفسير «فقال: يا رسول الله أصابني الجهد» أي المشقة من الجوع، وفي رواية جرير عن فضيل بن غزوان عند مسلم «إني مجهود».

قوله: (فبعث إلى نسائه) أي يطلب منهن ما يضيفه به.

قوله: (فقلن ما معنا) أي ما عندنا (إلا الماء) وفي رواية جرير «ما عندي» وفيه ما يشعر بأن ذلك كان في أول الحال قبل أن يفتح الله لهم خيبر وغيرها.

قوله: (من يضم أو يضيف) أي من يؤوي هذا فيضيفه، وكأن «أو» للشك، وفي رواية أبي أسامة «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله».

قوله: (فقال رجل من الأنصار) زعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس، وقد أورد ذلك ابن بشكوال من طريق أبي جعفر بن النحاس بسنده له عن أبي المتوكل الناجي مرسلاً، ورواه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» ولكن سياقه يشعر بأنها قصة أخرى لأن لفظه «أن رجلاً من الأنصار عبر عليه ثلاثة أيام لا يجد ما يفطر عليه ويصبح صائماً حتى فطن له رجل من الأنصار يقال له ثابت بن قيس» فقص القصة وهذا لا يمنع التعدد في الصنيع مع الضيف وفي نزول الآية، قال ابن بشكوال: وقيل هو عبد الله بن رواحة ولم يذكر لذلك مستنداً، وروى أبو البختري القاضي أحد الضعفاء المتروكين في «كتاب صفة النبي ﷺ» له أنه أبو هريرة راوي الحديث، والصواب الذي يتعين الجزم به في حديث أبي هريرة ما وقع عند مسلم من طريق محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه بإسناد البخاري «فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة» وبذلك جزم الخطيب لكنه قال: أظنه غير أبي طلحة زيد بن سهل المشهور، وكأنه استبعد ذلك من وجهين: **أحدهما**: أن أبا طلحة زيد بن سهل مشهور لا يحسن أن يقال فيه «فقام رجل يقال له أبو طلحة» **والثاني**: أن سياق القصة يشعر بأنه لم يكن عنده ما يتعشى به هو وأهله حتى احتاج إلى إطفاء المصباح، وأبو طلحة زيد بن سهل كان أكثر أنصاري بالمدينة مالاً فيبعد أن يكون بتلك الصفة من التقلل، ويمكن الجواب عن الاستبعادين، والله أعلم.

قوله: (إلا قوت صبياني) يحتمل أن يكون هو وامرأته تعشيا وكان صبيانهم حينئذ في شغلهم أو نياماً فأخروا لهم ما يكفيهم، أو نسبوا العشاء إلى الصبية لأنهم إليه أشد طلباً، وهذا هو المعتمد لقوله في رواية أبي أسامة «ونطوي بطوننا الليلة» وفي آخر هذه الرواية أيضاً «فأصبحا طاويين»، وقد وقع في رواية وكيع عند مسلم «فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه».

قوله: (وأصبحي سراجك) بهمزة قطع أي أوقديه.

قوله: (نومي صبيانك) في رواية لمسلم «عليهم بشيء».

قوله: (فجعلا يريانه كأنهما) في رواية الكشميهني بحذف الكاف من كأنهما، وقوله: «طاويين» أي بغير عشاء.

قوله: (ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما) في رواية جرير «**من صنيعك**» وفي رواية التفسير «**من فلان وفلانة**» ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما[1]، وقوله: «**فعالكما**» في رواية «**فعلكما**» بالإفراد، قال في «اليارع»: الفعال بالفتح اسم الفعل الحسن مثل الجود والكرم، وفي التهذيب: الفعال بالفتح فعل الواحد في الخير خاصة يقال هو كريم الفعال بفتح الفاء، وقد يستعمل في الشر، والفعال بالكسر إذا كان الفعل بين اثنين يعني أنه مصدر فاعل مثل قاتل قتالاً.

---

(١) ليت المصنف نزه كتابه عن بيان غير بيان رسول الله ﷺ، واكتفى بأن قال: ضحك وعجب يليق بجلاله عز وجل. والكلام في الصفات كالكلام في الذات: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين.

هذا كلام ابن باز الوهابي، وفيه يزعم أن الحافظ العسقلاني أبي ببيان يخالف بيان رسول الله. ضحك. كيف ظاهر لفظ الضحك هو خروج صوت من الضاحك، وتغيّر في ملامح الوجه. فعلى زعم هذا الوهابي، يكون النبي قد كذب قول الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وهذا مستحيل. أما قول الحافظ العسقلاني فقد توفيق بين الحديث والآية.

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى ٨٥٢هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

طبعة جديدة منقحة ومصححة عدد طبعة التي حققها وقدم كتبها وأبوابها وأحاديثها

عبد العزيز بن عبد الله بن باز محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الثامن

المحتوى:
تتمة كتاب المغازي - كتاب تفسير القرآن

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قوله: (حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير) هو الدورقي.

قوله: (أتى رجل رسول الله ﷺ) هذا الرجل هو أبو هريرة، وقع مفسراً في رواية الطبراني، وقد نسبته في المناقب إلى تخريج أبي البختري الطائي في صفة النبي ﷺ وأبو البختري لا يونق به.

قوله: (ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله) في رواية الكشميهني «يضيف هذا رحمة» بالتنوين.

قوله: (فقام رجل من الأنصار) تقدم شرح هذا الحديث في مناقب الأنصار أنه أبو طلحة، وتردد الخطيب هل هو زيد بن سهل المشهور أو صحابي آخر يكنى أبا طلحة، وتقدم أيضاً قول من قال: إنه ثابت بن قيس. ولكن أردت التنبيه هنا على شيء وقع للقرطبي المفسر ولمحمد بن علي بن عسكر في ذيله على تعريف السهيلي، فإنهما نقلا عن النحاس والمهدوي أن هذه الآية نزلت في أبي المتوكل، زاد ابن عسكر: الناجي، وأن الضيف ثابت بن قيس. وقيل: إن فاعلها ثابت بن قيس حكاه يحيى بن سلام انتهى. وهو غلط بين، فإن أبا المتوكل الناجي تابعي مشهور، وليس له في القصة ذكر، إلا أنه رواها مرسلة أخرجها من طريق إسماعيل القاضي كما تقدم هناك. وكذا ابن أبي الدنيا في كتاب «قرى الضيف» وابن المنذر في تفسير هذه السورة كلهم من طريق إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل «أن رجلاً من المسلمين مكث ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يفطر عليه، حتى فطن له رجل من الأنصار يقال له ثابت بن قيس» الحديث. وقد تبع ابن عسكر جماعة من الشارحين ساكتين عن وهمه، فلهذا نبهت عليه، وتفطن شيخنا ابن الملقن لقول ابن عسكر إنه أبو المتوكل الناجي فقال: هذا وهم، لأن أبا المتوكل الناجي تابعي إجماعاً انتهى. فكأنه جوز أنه صحابي يكنى أبا المتوكل وليس كذلك.

قوله: (ونطوي بطوننا الليلة) في حديث أنس عند ابن أبي الدنيا «فجعل يتلمظ وتتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان».

قوله: (ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ) في حديث أنس «فصلى معه الصبح».

قوله: (لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك) كذا هنا بالشك، وذكره مسلم من طريق جرير عن فضيل بن غزوان بلفظ «عجب» بغير شك، وعند ابن أبي الدنيا في حديث أنس «ضحك» بغير شك. وقال الخطابي: إطلاق العجب على الله محال ومعناه الرضا، فكأنه قال إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم، قال: وقد يكون المراد بالعجب هنا أن الله يعجب ملائكته من صنيعهما لندور ما وقع منهما في العادة: قال: وقال أبو عبد الله: معنى الضحك هنا الرحمة. قلت: ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري، قال الخطابي: وتأويل الضحك بالرضا أقرب من تأويله بالرحمة، لأن الضحك من الكرام يدل على الرضا فإنهم يوصفون بالبشر عند السؤال. قلت: الرضا من الله يستلزم الرحمة وهو لازمه، والله أعلم. وقد تقدم سائر شرح هذا الحديث في مناقب الأنصار.

٦٠- سورةُ الممتَحِنة

وقال مجاهد: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: لا تُعذِّبنا بأيديهم. فيقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ ما أصابهم هذا. ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] أُمِرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ بِفِراق نسائهم، كنَّ كوافِرَ بمكة.

قوله: (سورة الممتحنة) سقطت البسملة لجميعهم، والمشهور في هذه التسمية فتح الحاء، وقد تكسر وبه جزم السهيلي، فعلى الأول هي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها، والمشهور فيها أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقيل: سعيدة بنت الحارث، وقيل: أميمة بنت بشر، والأول هو المعتمد كما سيأتي إيضاحه في كتاب النكاح. ومن كسر جعلها صفة السورة كما قيل لبراءة الفاضحة.

قوله: (وقال مجاهد: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا تعذبنا بأيديهم إلخ) وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه بلفظه وزاد «ولا بعذاب من عندك» وزاد في آخره «ما أصابهم مثل هذا» وكذا أخرجه عبد بن حميد عن شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه، والطبري من طريق أخرى عن ورقاء عن عيسى عن ابن أبي نجيح

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

تأليف

الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

طبعة جديدة منقحة ومرقمة على الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها

عبد العزيز بن عبد الله بن باز — محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الثالث عشر

يحتوي على الكتب التالية

الفتن - الأحكام - التمني - أخبار الآحاد
الاعتصام بالسنة - التوحيد

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

عباس في تفسيرها «الكلم الطيب» ذكر الله، و«العمل الصالح» أداء فرائض الله، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه، وقال الفراء معناه أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب أي يتقبل الكلام الطيب إذا كان معه عمل صالح، وأما التعليق عن أبي جمرة فمضى موصولاً في باب إسلام أبي ذر وساقه هناك بطوله، والغرض منه قول أبي ذر لأخيه: اعلم لي علم هذا الذي يأتيه الخبر من السماء، وتقدم شرحه ثمة، قال الراغب: العروج ذهاب في صعود وقال أبو علي القالي في كتاب البارع: المعارج جمع معرج بفتحتين كالمصاعد جمع مصعد والعروج الارتقاء، يقال عرج بفتح الراء يعرج بضمها عروجاً ومعرجاً والمعرج المصعد، والطريق التي تعرج فيها الملائكة إلى السماء، والمعراج شبيه السلم أو درج تعرج في الأرواح إذا قبضت وحيث تصعد أعمال بني آدم وقال ابن دريد هو الذي يعانيه المريض عند الموت فيشخص فيما زعم أهل التفسير، ويقال إنه بالغ في الحسن بحيث أن النفس إذا رأته لا تتمالك عن أن تخرج، قال البيهقي: صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول، وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء، وأما ما وقع من التعبير في ذلك بقوله «إلى الله» فهو على ماتقدم عن السلف في التفويض، وعن الأئمة بعدهم في التأويل، وقال ابن بطال*: غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المجسمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه فقد كان ولا مكان، وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه مع تنزيهه عن المكان انتهى. وخلطه المجسمة بالجهمية من أعجب ما يسمع، ثم ذكر فيه أربعة أحاديث لبعضها زيادة على الطريق الواحدة.

الحديث الأول: عن أبي هريرة «يتعاقبون فيكم ملائكة» وقد تقدم شرحه في أوائل «كتاب الصلاة» و«إسماعيل» شيخه هو ابن أبي أويس، والمراد منه قوله فيه ثم يعرج الذين باتوا فيكم، وقد تمسك بظواهر أحاديث الباب من زعم أن الحق سبحانه وتعالى في جهة العلو، وقد ذكرت معنى العلو في حقه جل وعلا في الباب الذي قبله. **الحديث الثاني:**

قوله: (وقال خالد بن مخلد) كذا للجميع، ووقع عند الخطابي في شرحه قال أبو عبد الله البخاري «حدثنا خالد بن مخلد».

قوله: (حدثنا سليمان) هو ابن بلال المدني المشهور، وقد وصله أبو بكر الجوزقي في الجمع بين الصحيحين، قال «حدثنا أبو العباس الدغولي حدثنا محمد بن معاذ السلمي قال حدثنا خالد بن مخلد» فذكره مثل رواية البخاري سواء وكذا أخرجه أبو عوانة في صحيحه عن محمد بن معاذ وبيض له أبو نعيم في المستخرج، ثم قال «رواه» فقال «وقال خالد بن مخلد» وأخرجه مسلم عن أحمد بن عثمان عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال، لكن خالف في شيخ سليمان فقال «عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه» كما أوضحت ذلك في أوائل الزكاة، وقد ضاق مخرجه عن الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما فأخرجاه من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي صالح وهذه الرواية هي التي تقدمت للبخاري في «كتاب الزكاة» ودلت الرواية المعلقة وموافقة الجوزقي لها على أن لخالد فيه شيخين، كما أن لعبد الله بن دينار فيه شيخين على ما دل عليه التعليق الذي بعده.

قوله: (وقال ورقاء) يعني ابن عمر (عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب) يريد أن رواية ورقاء موافقة لرواية سليمان إلا في شيخ شيخهما، فعند سليمان أنه عن أبي صالح وعند ورقاء أنه عن سعيد بن يسار هذا في السند، وأما في المتن فظاهره أنهما سواء، إلا في قوله «الطيب» فإنه في رواية ورقاء «طيب» بغير ألف ولام وقد وصلهما البيهقي من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم عن ورقاء فوقع عنده الطيب، وقال في آخره «مثل أحد» عوض قوله في الرواية المعلقة «مثل الجبل» وقوله في الرواية المعلقة «يتقبلها» وقع في رواية الكشميهني «يقبلها» مخففاً بغير مثناة وهي رواية البيهقي، وقوله «يربيها لصاحبه» وقع في رواية المستملي «يربيها لصاحبها» وهي رواية البيهقي والباقي سواء، وقد ذكرت في الزكاة أني لم أقف على رواية ورقاء بهذه المعلقة ثم وجدتها بعد ذلك عند كتابتي هنا وقد تقدم شرح المتن في «كتاب الزكاة»

* أحمد شراح البخاري. توفي سنة ٤٤٩ هـ.

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

(المتوفى سنة ٦٧١ هـ)

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

المجلد الأول

١ - ٢

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

١٧٦ ـــ

٢٥٤ عليكِ). وروى النسائي عن عائشة قالت: دخل عليَّ/ سائل مرّة وعندي رسول الله ﷺ ، فأمرت له بشيء ثم دعوت به فنظرت إليه فقال رسول الله ﷺ : (أمَا تريدين ألا يدخل بيتك شيء ولا يخرج إلا بعلمك) قلت: نعم؛ قال: (مَهْلاً يا عائشة لا تُحْصي فيُحصي الله عزّ وجلّ عليكِ).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ « ثم » لترتيب الإخبار لا لترتيب الأمر في نفسه. والاستواء في اللغة: الارتفاع والعلوّ على الشيء؛ قال الله تعالى: « فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ » [المؤمنون: ٢٨]، وقال « لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ » [الزخرف: ١٣]، وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفَيْفاء قفرة وقد حلّق النجم اليمانيّ فاستوى

أي ارتفع وعلا، واستوت الشمس على رأسي واستوت الطير على قِمّة رأسي، بمعنى علا. وهذه الآية من المشكلات، والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه، قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها؛ وذهب إليه كثير من الأئمة، وهذا كما روي عن مالك رحمه الله أن رجلاً سأله عن قوله تعالى: « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » [طه: ٥] قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سَوْء! أخرجوه. وقال بعضهم: نقرؤها ونفسّرها على ما يحتمله ظاهر اللغة. وهذا قول المشبّهة. وقال بعضهم: نقرؤها ونتأولها ونُحيل حَمْلَها على ظاهرها. وقال الفرّاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ قال: الاستواء في كلام العرب على وجهين، أحدهما: أن يَسْتَوِيَ الرجل وينتهي شبابه وقوّته، أو يستوي عن اعوجاج. فهذان وجهان. ووجه ثالث أن تقول: كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى عليَّ وإليَّ يشاتمني. على معنى أقبل إليَّ وعليَّ. فهذا معنى قوله: « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ » والله أعلم. قال وقد قال ابن عباس: ثم استوى إلى السماء صعِد. وهذا كقولك: كان قاعداً فاستوى قائماً، وكان قائماً فاستوى قاعداً؛ وكل ذلك في كلام العرب جائز.

٢٥٥ وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن عليّ بن الحسين: قوله:/ « استوى » بمعنى أقبل صحيح، لأن الإقبال هو القصد إلى خلق السماء؛ والقصد هو الإرادة، وذلك جائز في صفات الله تعالى. ولفظة « ثم » تتعلق بالخلق لا بالإرادة. وأما ما حكي عن ابن عباس فإنما أخذه عن تفسير الكلبيّ، والكلبيّ ضعيف. وقال سفيان بن عُيينة وابن كَيسان في قوله « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ »: قصد إليها، أي بخلقه واختراعه؛ فهذا قول. وقيل: على دون تكييف ولا تحديد؛ واختاره الطبري. ويُذكر عن أبي العالية الرِّياحيّ في هذه الآية أنه يقال: استوى بمعنى أنه ارتفع. قال البيهقي: ومراده من ذلك ـ والله أعلم ـ ارتفاع أمره، وهو بخار الماء الذي وقع منه خلق السماء. وقيل: إن المستوي الدخان. وقال ابن عطية: وهذا يأباه وصف الكلام. وقيل: المعنى استولى؛ كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراق من غير سَيفٍ ودَمٍ مُهراق

قال ابن عطية: وهذا إنما يجيء في قوله تعالى: « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » [طه: ٥].

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

المجلد الثاني

٣ - ٤

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ليس بمرضيّ ، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسيّ مخلوق بين يديّ العرش والعرش أعظم منه . وروى أبو إدريس الخولانيّ عن أبي ذرّ قال : قلت يا رسول الله ، أيّ ما أنزل عليك أعظم؟ قال : (آية الكرسيّ ـ ثم قال ـ يا أبا ذرّ ما السموات السبع مع الكرسيّ إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسيّ كفضل الفلاة على الحلقة) . أخرجه الآجُرِّي وأبو حاتم البستيّ في صحيح مسنده والبيهقي وذكر أنه صحيح . وقال مجاهد : ما السموات والأرض في الكرسيّ إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة . وهذه الآية منبئة عن عِظم مخلوقات الله تعالى ، ويستفاد من ذلك، عظم قدرة الله عز وجل إذْ لا يَؤُدُه حفظ هذا الأمر العظيم .

و﴿يَئُودُهُ﴾ معناه يُثْقِله ؛ يقال : آدَني الشيء بمعنى أثقلني وتحملت منه المشقة ، وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم . قال الزجاج : فجائز أن تكون الْهَاءُ لله عز وجل ، وجائز أن تكون للكرسيّ ؛ وإذا كانت للكرسيّ ؛ فهو من أمر الله تعالى . و﴿الْعَلِيُّ﴾ يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان ؛ لأن الله منزّه عن التحيُّز . وحكى الطبريّ عن قوم أنهم قالوا : هو العليّ عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه . قال ابن عطية : وهذا قول جهلةٍ مجسِّمين ، وكان الوجه ألا يُحكى . وعن عبد الرحمن بن قُرْط أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به سمع تسبيحاً في السموات العلى : سبحان الله العليّ الأعلى سبحانه وتعالى . والعلي والعالي : القاهر الغالب للأشياء ؛ تقول العرب : علا فلان فلاناً أي غلبه وقهره ؛ قال الشاعر :

فلَمّا عَلَوْنا واسْتَوَيْنا عليهم تَرَكْناهُمُ صَرْعَى لِنَسْرٍ وكاسِرِ

٢٧٩ /ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص : ٤] . و﴿الْعَظِيمُ﴾ صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف ، لا على معنى عِظَم الأجرام . وحكى الطبريّ عن قوم أن العظيم معناه المعظَّم ، كما يقال : العتيق بمعنى المعتق ، وأنشد بيت الأعشى :

فكأنّ الخمرَ العَتِيقَ من الإسـ ـفِنْطِ مَمْزُوجَةٌ بماءٍ زُلالِ

وحُكي عن قوم أنهم أنكروا ذلك وقالوا : لو كان بمعنى مُعَظَّم لوجب ألاّ يكون عظيماً قبل أن يخلق الخلق وبعد فَنائهم ؛ إذْ لا معظَّم له حينئذ.

قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ . فيه مسألتان :

الأولى : قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الدين في هذه الآية المعتقد والمِلّة بقرينة قوله : ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ . والإكراه الذي في الأحكام من الإيمان والبيوع والهبات وغيرها ليس هذا موضعه ، وإنما يجيء في تفسير قوله : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل : ١٠٦] . وقرأ أبو عبد الرحمن ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ وكذا روي عن الحسن والشعبيّ ؛ يقال : رَشَد يَرْشُد رُشْداً ، ورَشِد يَرْشَد

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

٦

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

﴿أَجَلًا﴾ في الموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل القيامة؛ فالمعنى على هذا: حَكَم أجلًا، وأعلمكم أنكم تقيمون إلى الموت ولم يعلمكم بأجل القيامة. وقال الحسن ومجاهد وعِكْرمة وخصيف وقَتادة ـ وهذا لفظ الحسن ـ: قضى أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن تموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني الآخرة. وقيل: ﴿قَضَى أَجَلًا﴾ ما أعلمناه من أنه لا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ من الآخرة. وقيل: ﴿قَضَى أَجَلًا﴾ مما نعرفه من أوقات الأهلّة والزرع وما أشبههما، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أجل الموت؛ لا يعلم الإنسان متى يموت. وقال ابن عباس ومجاهد: معنى الآية: ﴿قَضَى أَجَلًا﴾ بقضاء الدنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لابتداء الآخرة. وقيل: الأوّل قبض الأرواح في النوم، والثاني قبض الروح عند الموت؛ عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ابتداء وخبر: أي تَشكُّون في أنه إله واحد. وقيل: تُمارون في ذلك أي تجادلون جدال الشّاكّين؛ والتِّماري المجادلة على مذهب الشّك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم: ١٢].

/قوله تعالى: وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يقال: ما عامل الإعراب في الظرف من ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾؟ ففيه أجوبة: أحدها: أي وهو الله المعظَّم أو المعبود في السموات وفي الأرض؛ كما تقول: زيد الخليفة في الشرق والغرب أي حُكْمه. ويجوز أن يكون المعنى وهو الله المنفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض؛ كما تقول: هو في حاجات الناس وفي الصلاة، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر ويكون المعنى: وهو الله في السموات وهو الله في الأرض. وقيل: المعنى وهو الله يعلم سِرّكم وجهركم في السموات وفي الأرض فلا يخفى عليه شيء؛ قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل فيه. وقال محمد بن جَرير: وهو الله في السموات ويعلم سِرّكم وجهركم في الأرض؛ فيعلم مقدّم في الوجهين، والأول أسلم وأبعد من الإشكال. وقيل غير هذا. والقاعدة تنزيهه ـ جل وعز ـ عن الحركة والانتقال وشَغْل الأمكنة. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أي من خير وشر. والكسب الفعل لاجتلاب نفع أو دفع ضرر؛ ولهذا لا يقال لفعل الله كَسْبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ أي علامة كانشقاق القمر ونحوها. و«مِنْ» لاستغراق الجنس؛ تقول: ما في الدار من أحد. ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ «مِن» الثانية للتبعيض. و ﴿مُعْرِضِينَ﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾. والإعراض ترك النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله جل وعز من خلق السموات والأرض وما بينهما، وأنه يرجع إلى قديم حي غنيّ عن جميع الأشياء، قادر لا يعجزه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء من المعجزات التي أقامها لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ ليُستدلّ بها على صدقه في جميع ما أتى به.

الصَّبر وأن الفَرَجَ مع الكَرْب وأن مع العسر يسراً» أخرجه أبو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب «الفصل والوصل» وهو حديث صحيح؛ وقد خرجه الترمذيّ، وهذا أتم.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

/قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ القهر الغلبة، والقاهر الغالب، وأُقهِر الرجل إذا صير بحال المقهور الذليل؛ قال الشاعر:

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أن يَسُودَ جِذاعُـه ... فـأمسى حُصَيْنٌ قَـد أذَلَّ وأقْهَـرا

وقُهر غُلب. ومعنى «فَوْقَ عِبَادِهِ» فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم؛ أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان؛ كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة. وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأعمال عباده، أي من أتصف بهذه الصفات يجب ألاّ يُشرَك به.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت الآية؛ عن الحسن وغيره. ولفظ «شيء» هنا واقع موقع اسم الله تعالى؛ المعنى الله أكبر شهادة أي انفراده بالربوبية، وقيام البراهين على توحيده أكبر شهادة وأعظم؛ فهو شهيد بيني وبينكم على أني قد بلّغتكم وصَدَقت فيما قلته وادّعيته من الرسالة.

قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ أي والقرآن شاهد بنبوّتي. ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ يا أهل مكة. ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي ومن بلغه القرآن. فحذف «الهاء» لطول الكلام. وقيل: ومن بلغ الحُلُم. ودلّ بهذا على أن من لم يَبلغ الحُلُم ليس بمخاطَب ولا مُتعبَّد. وتبليغ القرآن والسنة مأمور بهما، كما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بتبليغهما؛ فقال: «يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» [المائدة: ٦٧]. وفي صحيح البخاريّ عن عبدالله بن عمرو عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: (بَلِّغُوا عني ولو آية وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج ومن كَذَب عليّ متعمِّداً فَلْيتبوّأ مَقْعَده من النار). وفي الخبر أيضاً؛ من بَلَغته آية من كتاب الله فقد بَلَغه أمر الله أَخَذَ به أو تَرَكه. وقال مُقاتل: من بَلَغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له. وقال القُرَظيّ: من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمداً صلى الله عليه وسلم وسَمع منه. وقرأ أبو نَهيك: «وَأُوحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرآنَ» مسمى الفاعل؛ وهو معنى قراءة الجماعة. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ آستفهام توبيخ / وتقريع. وقرىء «أَئِنَّكُم» بهمزتين على الأصل. وإن خَفَّفت الثانية قلت: «أَيِنَّكُمْ». وروى الأصمعيّ عن أبي عمرو ونافع «آئِنَّكُمْ»؛ وهذه لغة معروفة، تُجعَل بين الهمزتين ألفٌ كراهة لالتقائهما؛ قال الشاعر:

أَيَا ظَبيةَ الْوَعْسَاءِ بين جَلاَجِلٍ ... وبَيْنَ النَّقَـا آأَنْـتِ أَمْ أُمُّ سَـالِمِ

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

المجلد الرابع

٧ - ٨

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٤٤ /**قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع نصب. قال الكوفيون. لئلا تقولوا. وقال البصريون:** أنزلناه كراهية أن تقولوا. وقال الفرّاء والكسائي: المعنى فاتقوا أن تقولوا يا أهل مكة. **﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ﴾** أي التوراة والإنجيل. **﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾** أي على اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب. **﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾** أي عن تلاوة كتبهم وعن لغاتهم. ولم يقل عن دراستهما؛ لأن كل طائفة جماعة. **﴿أَوْ تَقُولُوا﴾** عطف على «أَنْ تَقُولُوا». **﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** أي قد زال العذر بمجيء محمد ﷺ. والبينة والبيان واحد؛ والمراد محمد ﷺ، سماه سبحانه بينة. **﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾** أي لمن اتبعه. ثم قال: **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾** أي فإن كذبتم فلا أحد أظلم منكم. **﴿صَدَفَ﴾** أعرض، و**﴿يَصْدِفُونَ﴾** يعرضون. وقد تقدّم.

قوله تعالى: هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فماذا ينتظرون. **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾** أي عند الموت لقبض أرواحهم. **﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾** قال ابن عباس والضحاك: أمْرُ ربّك فيهم بالقتل أو غيره، وقد يذكر المضاف إليه والمراد به المضاف؛ كقوله تعالى: «وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ» [يوسف: ٨٢] يعني أهل القرية. وقوله: «وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» [البقرة: ٩٣] أي حُبّ العجل. كذلك هنا: يأتي أمر ربك، أي عقوبة ربّك
١٤٥ وعذاب ربّك. ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. وقد تقدّم القول/في مثله في «البقرة» وغيرها. **﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾** قيل: هو طلوع الشمس من مغربها. بيّن بهذا أنهم يُمْهلون في الدنيا فإذا ظهرت الساعة فلا إمهال. وقيل: إتيانُ الله تعالى مجيئُه لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة؛ كما قال تعالى: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» [الفجر: ٢٢]. وليس مجيئه تعالى حركة ولا انتقالاً ولا زوالاً؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً. والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: يجيء وينزل ويأتي. ولا يُكَيِّفون؛ لأنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (ثلاث إذا خرجْنَ لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها والدّجالُ ودابّةُ الأرض). وعن صَفْوان بن عَسّال المُرَاديّ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يُغْلَق حتى تطلع الشمس من نحوه). أخرجه الدَّارَقُطْنِيّ والدارميّ والتّرمذيّ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال سفيان: قِبل الشام،

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق
سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

١٠

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ولم يقل جلود. وقيل: وحّد اليمين لأن الشمس إذا طلعت وأنت متوجّه إلى القبلة انبسط الظل عن اليمين ثم في حال يميل إلى جهة الشمال ثم حالات، فسماها شمائل.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما في السَّمٰوات وَمَا في الأرض مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي من كل ما يدب على
١١١ الأرض. ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ يعني الملائكة الذين في الأرض، وإنما أفردهم بالذكر لاختصاصهم/ بشرف المنزلة، فميزّهم من صفة الدبيب بالذكر وإن دخلوا فيها؛ كقوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]. وقيل: لخروجهم من جملة ما يدبّ لما جعل الله لهم من الأجنحة، فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا. وقيل: أراد ﴿وَلِلَّهِ يسجد ما في السموات﴾ من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب، ﴿وما في الأرض من دابة﴾ وتسجد ملائكة الأرض. ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادة ربهم. وهذا ردّ على قريش حيث زعموا أن الملائكة بنات الله. ومعنى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي عقاب ربهم وعذابه، لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء. وقيل: المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم؛ ففي الكلام حذف. وقيل: معنى «يخافون ربهم من فوقهم» يعني الملائكة، يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافون؛ فلأن يخاف مَن دونهم أولى؛ دليل هذا القول قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يعني الملائكة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ قيل: المعنى لا تتخذوا آثنين إلهين. وقيل: جاء قوله ﴿اثنين﴾ توكيداً. ولما كان الإله الحق لا يتعدّد وأن كل من يتعدّد فليس بإله، اقتصر على ذكر الاثنين؛ لأنه قصد نفي التعديد. ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يعني ذاته المقدّسة. وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته حسبما تقدّم في «البقرة» بيانه وذكرناه في آسمه الواحد في شرح الأسماء، والحمد لله. ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي خافون. وقد تقدّم في «البقرة».

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾

١١٢ / قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا في السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ الدِّين: الطاعة والإخلاص. و «وَاصِباً» معناه دائماً؛ قاله الفرّاء، حكاه الجوهريّ. وَصَبَ الشيء يَصِب وُصوباً، أي دام. ووَصَب الرجل على الأمر إذا واظب عليه. والمعنى: طاعة الله واجبة أبداً. وممن قال واصباً دائماً: الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات:

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

المجلد السادس

١١ - ١٢

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الحوت يونس عليه السلام ظن أنه قد مات فطول رجليه فإذا هو لم يمت فقام إلى عادته يصلي فقال في دعائه: «واتخذت لك مسجداً حيث لم يتخذه أحد». وقال أبو المعالي: قوله ﷺ (لا تفضّلوني على يونس بن متى) المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه، وهو في قعر البحر في بطن الحوت. وهذا يدل على أن الباري سبحانه وتعالى/ليس في جهة. وقد تقدّم هذا ٣٣٤
المعنى في «البقرة» و «الأعراف». ﴿أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم. وقيل: في الخروج من غير أن يؤذن له. ولم يكن ذلك من الله عقوبة؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، وإنما كان ذلك تمحيصاً. وقد يؤدّب من لا يستحق العقاب كالصبيان؛ ذكره الماوردي. وقيل: من الظالمين في دعائي على قومي بالعذاب. وقد دعا نوح على قومه فلم يؤاخذ. وقال الواسطي في معناه: نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً. ومثل هذا قول آدم وحواء: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» [الأعراف: ٢٣] إذ كانا السبب في وضعهما أنفسهما في غير الموضع الذي أنزلا فيه.

الثانية: روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: (دعاء ذي النون في بطن الحوت «لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له) وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم. ورواه سعد عن النبي ﷺ. وفي الخبر: في هذه الآية شرط الله لمن دعاه أن يجيبه كما أجابه وينجيه كما أنجاه، وهو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس هاهنا صريح دعاء وإنما هو مضمون قوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فاعترف بالظلم فكان تلويحاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم. وذلك قوله: «فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» [الصافات: ١٤٣] وهذا حفظ من الله عز وجل لعبده يونس رعى له حق تعبده، وحفظ زمام ما سلف له من الطاعة. وقال الأستاذ أبو إسحاق: صحب ذو النون الحوت أياماً قلائل فإلى يوم القيامة يقال له ذو النون، فما ظنك بعبد عبده سبعين سنة يبطل هذا عنده! لا يظن به ذلك. «مِن الْغَمِّ» أي من بطن الحوت.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ قراءة العامة بنونين من أنجى ينجي. وقرأ ابن عامر «نُجِّي» بنون واحدة وجيم مشدّدة وتسكين الياء على الفعل الماضي وإضمار المصدر أي وكذلك نُجّي النجاءُ المؤمنين؛ كما تقول: ضُرِب زيداً بمعنى ضُرِب الضربُ زيداً وأنشد:

/ولـو وَلَـدتْ قُفَيْرَةُ جرو كَلْبٍ لَسُبَّ بذلك الجـرو الكلاَبَا ٣٣٥

أراد لَسُبَّ السبُّ بذلك الجرو. وسكنت ياؤه على لغة من يقول بَقِي ورَضِي فلا يحرك الياء. وقرأ الحسن «وَذَرُوا مَا بَقِي مِنَ الرِّبَا» [البقرة: ٢٧٨] استثقالاً لتحريك ياء قبلها كسرة. وأنشد:

خَمَّـر الشَّيبُ لِمُبْقِـي تَخْوِيرَا وَحَـدَا بي إلـى القُبـور البعيرَا
ليتَ شِعْـري إذا القيامـةُ قامتْ ودُعِـي بالحسـابِ أين المصيرَا

سكن الياء في دعي استثقالاً لتحريكها وقبلها كسرة وفاعل حدا المشيب؛ أي وحدا المشيُب البعير؛

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

١٤

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ هذه «أمْ» المنقطعة التي تقدّر ببل وألف الاستفهام؛ أي بل أيقولون. وهي تدلّ على خروج من حديث إلى حديث؛ فإنه عز وجلّ أثبت أنه تنزيل من رب العالمين، وأن ذلك مما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» أي افتعله واختلقه. **﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾** كذّبهم في دعوى الافتراء **﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾** قال قتادة: يعني قريشاً، كانوا أمّة أميّة لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ. و«لِتُنْذِرَ» متعلق بما قبلها فلا يوقف على «مِنْ رَبِّكَ». ويجوز أن يتعلق بمحذوف؛ التقدير: أنزله لتنذر قوماً، فيجوز الوقف على «مِنْ رَبِّكَ». و«ما» في قوله: **﴿مَا أَتَاهُمْ﴾** نفي. **﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾** صلة. و**﴿نَذِيرٍ﴾** في محل الرفع، وهو المُعْلِم المُخَوِّف. وقيل: المراد بالقوم أهل الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام؛ قاله ابن عباس ومقاتل. وقيل: كانت الحجة ثابتة لله جل وعز عليهم بإنذار من تقدّم من الرسل وإن لم يروْا رسولاً؛ وقد تقدّم هذا المعنى.

قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

/ **قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** عرّفهم كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتأمّلوه. ومعنى: «خَلَقَ» أبدع وأوجد بعد العدم وبعد أن لم تكن شيئاً. **﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة. قال الحسن: من أيام الدنيا. وقال ابن عباس: إن اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض مقدارُه ألف سنة من سِنِي الدنيا. وقال الضحاك: في ستة آلاف سنة؛ أي في مدّة ستة أيام من أيام الآخرة. **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾** تقدّم في الأعراف والبقرة وغيرهما، وذكرنا ما للعلماء في ذلك مستوفى في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى). وليست «ثُمَّ» للترتيب وإنما هي بمعنى الواو. **﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾** أي ما للكافرين من وليّ يمنع من عذابهم ولا شفيع. ويجوز الرفع على الموضع. **﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾** في قدرته ومخلوقاته.

قوله تعالى: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يُنزل القضاء والقدر. وقيل: ينزل الوحي مع جبريل. وروى عمرو بن مرّة عن عبد الرحمن بن سابط قال: يدبّر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، ومَلَك الموت، وإسرافيل؛ صلوات الله عليهم أجمعين. فأما جبريل

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

المجلد التاسع

١٧-١٨

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فيها . ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي الله لا يعجزه شيء .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ اختلف في معاني هذه الأسماء وقد بيناها في الكتاب الأسنى . وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحاً يغني عن قول كل قائل ، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة : (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر) عنى بالظاهر الغالب ، وبالباطن العالم ، والله أعلم . ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ بما كان أو يكون فلا يخفى عليه شيء .

قوله تعالى : هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

/قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ٢٣٧
تقدّم في «الأعراف» مستوفى .

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي يدخل فيها من مطر وغيره ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من نبات وغيره ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من رزق ومطر ومَلَك ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ يعني بقدرته وسلطانه وعلمه ﴿ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ يبصر أعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيء منها . وقد جمع في هذه الآية بين « اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ » وبين « وَهُوَ مَعَكُمْ » والأخذ بالظاهرين تناقض فدل على أنه لا بدّ من التأويل ، والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض . وقد قال الإمام أبو المعالي : إن محمداً ﷺ ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت . وقد تقدّم .

قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ هذا التكرير للتأكيد أي هو المعبود على الحقيقة ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أي أمور الخلائق في الآخرة . وقرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حَيْوة وابن مُحَيصن وحميد والأعمش وحمزة والكسائي وخلف « تَرْجِع » بفتح التاء وكسر الجيم . الباقون « تُرْجَعُ » .

قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ تقدّم في «آل عمران» . ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي لا تخفى عليه الضمائر ، ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز أن يعبد من سواه .

/قوله تعالى: ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ٢٣٨

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

١٨

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

قال ابن عباس: أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه. وقيل: تقديره أأمنتم من في السماء قدرته وسلطانُه وعرشُه ومملكته. وخصّ السماء وإن عَمّ مُلْكه تنبيهاً على أن الإله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من يعظّمونه في الأرض. وقيل: هو إشارة إلى الملائكة. وقيل: إلى جبريل وهو المَلَك المُوَكّل بالعذاب.

/قلت: ويحتمل أن يكون المعنى: أأمنتم خالق مَن في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون. ﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أي تذهب وتجيء. والمَوْر: الاضطراب بالذهاب والمجيء. قال الشاعر:

رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ القلوبَ ولن ترى دماً مائراً إلاّ جَرَى في الحَيَازِم

جمع حَيْزوم وهو وسط الصدر. وإذا خُسف بإنسان دارت به الأرض فهو المَوْر. وقال المحققون: أأمنتم مَن فوقَ السماء؛ كقوله: «فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ» [التوبة: ٢] أي فوقها لا بالمماسّة والتحيّز لكن بالقهر والتدبير. وقيل: معناه أأمنتم مَن على السماء؛ كقوله تعالى: «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» [طه: ٧١] أي عليها. ومعناه أنه مديرها ومالكها؛ كما يقال: فلان على العراق والحجاز؛ أي واليها وأميرها. والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة منتشرة، مشيرة إلى العلو؛ لا يدفعها إلا مُلْحدٌ أو جاهل معاند. والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السّفل والتّحت. ووصفه بالعلوّ والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام. وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، ومحل القُدس، ومعدن المطهرين من الملائكة، وإليها ترفع أعمال العباد، وفوقها عرشه وجنته؛ كما جعل الله الكعبة قِبلةً للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان. ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان. وقرأ قُنْبل عن ابن كثير «النشور وامنتم» بقلب الهمزة الأولى واواً وتخفيف الثانية. وقرأ الكوفيون والبصريون وأهل الشام سوى أبي عمرو وهشام بالتخفيف في الهمزتين، وخفّف الباقون. وقد تقدم جميعه.

قوله تعالى: أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾

/قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ أي حجارةً من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفِيل. وقيل: ريح فيها حجارة وحَصْباء. وقيل: سحاب فيه حجارة. ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ أي إنذاري. وقيل: النذير بمعنى المنذر. يعني محمداً ﷺ فستعلمون صدقه وعاقبة تكذيبكم.

قوله تعالى: وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني كفار الأمم؛ كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَن وأصحاب الرَّسّ وقوم فرعون. ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي إنكاري وقد تقدم.

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

المتوفى سنة ٦٧١ هـ

تحقيق

سالم مصطفى البدري

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

٢٠

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. فهو ردّ لانكبابهم على الدنيا، وجمعهم لها؛ فإن من فعل ذلك يندم يوم تُدَكّ الأرض، ولا ينفع الندم. والدّك: الكسر والدقّ؛ وقد تقدّم. أي زلزلت الأرض، وحُرِّكت تحريكاً بعد تحريك. وقال الزجاج: أي زلزلت فَدُكّ بعضها بعضاً. وقال المبرد: أي الصِقت وذهب ارتفاعها. يقال ناقة: دَكّاء، أي لا سنام لها، والجمع دُكٌّ. وقد مضى في سورة «الأعراف» و «الحاقة» القول في هذا. ويقولون: دُكّ الشيء أي هُدِم. قال:

* هل غير غارٍ دَكَّ غاراً فانهدمْ *

﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي مرة بعد مرة؛ زلزلت فكسّر بعضها بعضاً؛ فتكسر كل شيء على ظهرها. وقيل: دُكّت جبالها وأنشازها حتى آستوت. وقيل: دُكت أي آستوت في الانفراش؛ فذهب دُورها وقُصورها وجبالها وسائر أبنيتها. ومنه سمّي الدّكان، لاستوائه في الانفراش. والدكّ: حطُّ المرتفع من الأرض بالبسط، وهو معنى قول آبن مسعود وآبن عباس: تمدّ الأرض مدّ الأديم.

/ **قوله تعالى:** وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ٥٥

قوله تعالى: ﴿وجاءَ ربُّك﴾ أي أمره وقضاؤه؛ قاله الحسن. وهو من باب حذف المضاف. وقيل: أي جاءهم الربّ بالآيات العظيمة؛ وهو كقوله تعالى: «إلاّ أن يأتيَهُمُ الله في ظُلَلٍ من الغمام» [البقرة: ٢١٠]، أي بظلل. وقيل: جعل مجيء الآيات مجيئاً له، تفخيماً لشأن تلك الآيات. ومنه قوله تعالى في الحديث: (يابن آدم، مرِضتُ فلم تَعُدني، وآستسقيتُك فلم تَسْقِني، وآستطعمتك فلم تُطْعِمْني). وقيل: «وجاءَ رَبُّك» أي زالت الشُّبَهُ ذلك اليوم، وصارت المعارف ضرورية، كما تزول الشُّبه والشك عند مجيء الشيء الذي كان يُشَك فيه. قال أهل الإشارة: ظهرت قدرته وآستولت، والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحوّل من مكان إلى مكان، وأنّى له التحوّل والانتقال، ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان؛ لأن في جَرَيان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز.

قوله تعالى: ﴿والمَلَكُ﴾ أي الملائكة. ﴿صفًّا صفًّا﴾ أي صفوفاً. ﴿وجِيءَ يومَئِذٍ بِجَهَنَّم﴾: قال آبن مسعود ومقاتل: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد سبعين ألف ملك، لها تغيظ وزفير، حتى تنصب عن يسار العرش. وفي صحيح، مسلم عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (يُؤتَى بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها). وقال أبو سعيد الخُدريّ: لما نزلت ﴿وجِيءَ يومَئِذٍ بِجَهَنَّم﴾ تغيرلون رسول الله ﷺ، وعُرِف في وجهه. حتى آشتدّ على أصحابه، ثم قال: (أقرأني جبريل «كَلَّا إذا دُكتِ الأرضُ دَكًّا دَكًّا» الآية - وجيء يومئذٍ بجهنم). قال عليّ رضي الله عنه: قلت يا رسول الله، كيف يجاء بها؟ قال: (يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، يقود بكل زمام سبعون ألفَ مَلَك، فتَشْرُد شَرْدَة لو تركت لأحرقت أهل

التفسير الكبير

أو

مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

الجزء الرابع عشر

محتوى الجزء الرابع عشر: من الآية (١٥٣) من سورة الأنعام، إلى الآية (١٤٥) من سورة الأعراف

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وأما السؤال السادس: فجوابه أن قوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر) [القمر: ٥٠] محمول على إيجاد كل واحد من الذوات وعلى إعدام كل واحد منها، لأن إيجاد الذات الواحدة وإعدام الموجود الواحد لا يقبل التفاوت فلا يمكن تحصيله إلا دفعة واحدة، وأما الإمهال والمدة فذاك لا يحصل إلا في المدة.

وأما السؤال السابع: وهو تقدير هذه المدة بستة أيام، فهو غير وارد لأنه تعالى لو أحدثه في مقدار آخر من الزمان لعاد ذلك السؤال، وأيضاً قال بعضهم لعدد السبعة شرف عظيم، وهو مذكور في تقرير أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين، وإذا ثبت هذا قالوا: فالأيام الستة في تخليق العالم واليوم السابع في حصول كمال الملك والملكوت. وبهذا الطريق حصل الكمال في الأيام السبعة انتهى.

المسألة الرابعة: في هذه الآية بشارة عظيمة للعقلاء لأنه قال ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾ والمعنى أن الذي يربيكم ويصلح شأنكم ويوصل إليكم الخيرات ويدفع عنكم المكروهات هو الذي بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته إلى حيث خلق هذه الأشياء العظيمة وأودع فيها أصناف المنافع وأنواع الخيرات، ومن كان له مرب موصوف بهذه الحكمة والقدرة والرحمة، فكيف يليق أن يرجع إلى غيره في طلب الخيرات أو يعول على غيره في تحصيل السعادات؟ ثم في الآية دقيقة أخرى فإنه لم يقل أنتم عبيده بل قال هو ربكم، ودقيقة أخرى وهي أنه تعالى لما نسب نفسه إلينا سمى نفسه في هذه الحالة بالرب، وهو مشعر بالتربية وكثرة الفضل والإحسان، فكأنه يقول من كان له مرب مع كثرة هذه الرحمة والفضل، فكيف يليق به أن يشتغل بعبادة غيره؟

أما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فاعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد منه كونه مستقراً على العرش ويدل على فساده وجوه عقلية، ووجوه نقلية. أما العقلية فأمور: أولها: أنه لو كان مستقراً على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهياً وإلا لزم كون العرش داخلاً في ذاته وهو محال، وكل ما كان متناهياً فإن العقل يقضي بأنه لا يمنع أن يصير أزيد منه أو أنقص منه بذرة والعلم بهذا الجواز ضروري، فلو كان الباري تعالى متناهياً من بعض الجوانب لكانت ذاته قابلة للزيادة والنقصان، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بذلك المقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر، وكل ما كان كذلك فهو محدث، فثبت أنه تعالى لو كان على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهياً، ولو كان كذلك لكان محدثاً وهذا محال فكونه على العرش يجب أن يكون محالاً. وثانيها: لو كان في مكان وجهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً في كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً من بعض الجهات دون البعض والكل باطل فالقول بكونه في المكان والحيز باطل قطعاً.

بيان فساد القسم الأول: أنه يلزم أن تكون ذاته مخالطة لجميع الأجسام السفلية والعلوية، وأن تكون مخالطة للقاذورات والنجاسات، وتعالى الله عنه، وأيضاً فعلى هذا التقدير: تكون السموات حالّة في ذاته، وتكون الأرض أيضاً حالة في ذاته.

إذا ثبت هذا فنقول: الشيء الذي هو محل السموات، إما أن يكون هو عين الشيء الذي هو محل الأرضين أو غيره. فإن كان الأول لزم كون السموات والأرضين حالّتين في محل واحد من غير امتياز بين محليهما أصلاً، وكل حالّين حلّا في محل واحد، لم يكن أحدهما ممتازاً عن الآخر، فلزم أن يقال:

فحينئذ يكون ذاته سطحاً رقيقاً في غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منه ألف ألف مرة، والعاقل لا يرضى أن يجعل مثل هذا الشيء إله العالم، فثبت أن كونه تعالى في الحيز والجهة يفضي إلى فتح باب هذه الأقسام الباطلة الفاسدة.

الحجة الثالثة عشرة: العالم كرة، وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إله العالم حاصلاً في جهة فوق.

أما المقام الأول: فهو مستقصى في علم الهيئة إلا أنا نقول إنا إذا اعتبرنا كسوفاً قمرياً حصل في أول الليل بالبلاد الغربية كان عين ذلك الكسوف حاصلاً في البلاد الشرقية في أول النهار، فعلمنا أن أول الليل بالبلاد الغربية هو بعينه أول النهار بالبلاد الشرقية، وذلك لا يمكن إلا إذا كانت الأرض مستديرة من المشرق إلى المغرب، وأيضاً إذا توجهنا إلى الجانب الشمالي فكلما كان توغلنا أكثر، كان ارتفاع القطب الشمالي أكثر وبمقدار ما يرتفع القطب الشمالي ينخفض القطب الجنوبي وذلك يدل على أن الأرض مستديرة من الشمال إلى الجنوب، ومجموع هذين الاعتبارين يدل على أن الأرض كرة.

وإذا ثبت هذا فنقول: إذا فرضنا إنسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أخمص قدميهما متقابلين، والذي هو فوق بالنسبة إلى أحدهما يكون تحت بالنسبة إلى الثاني، فلو فرضنا أن إله العالم حصل في الحيز الذي فوق بالنسبة إلى أحدهما، فذلك الحيز بعينه هو تحت بالنسبة إلى الثاني، وبالعكس؛ فثبت أنه تعالى لو حصل في حيز معين لكان ذلك الحيز تحتاً بالنسبة إلى أقوام معينين، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق، فوجب أن لا يكون حاصلاً في حيز معين. وأيضاً فعلى هذا التقدير فإنه كل ما كان فوق بالنسبة إلى أقوام كان تحت بالنسبة إلى أقوام آخرين، وكان يميناً بالنسبة إلى ثالث، وشمالاً بالنسبة إلى رابع، وقدام الوجه بالنسبة إلى خامس، وخلف الرأس بالنسبة إلى سادس، فإن كون الأرض كرة يوجب ذلك إلا أن حصول هذه الأحوال بإجماع العقلاء محال في حق إله العالم إلا إذا قيل إنه محيط بالأرض من جميع الجوانب فيكون هذا فلكاً محيطاً بالأرض وحاصله يرجع إلى أن إله العالم هو بعض الأفلاك المحيطة بهذا العالم، وذلك لا يقوله مسلم، والله أعلم.

الحجة الرابعة عشرة: لو كان إله العالم فوق العرش، لكان إما أن يكون مماساً للعرش، أو مبايناً له ببعد متناه أو ببعد غير متناه، والأقسام الثلاثة باطلة، فالقول بكونه فوق العرش باطل.

أما بيان فساد القسم الأول: فهو أن بتقدير أن يصير مماساً للعرش كان الطرف الأسفل منه مماساً للعرش، فهل يبقى فوق ذلك الطرف منه شيء غير مماس للعرش أو لم يبق؟ فإن كان الأول فالشيء الذي منه صار مماساً لطرف العرش غير ما هو منه غير مماس لطرف العرش، فيلزم أن يكون ذات الله تعالى مركباً من الأجزاء والأبعاض فتكون ذاته في الحقيقة مركبة من سطوح متلاقية موضوعة بعضها فوق بعض، وذلك هو القول بكونه جسماً مركباً من الأجزاء والأبعاض وذلك محال، وإن كان الثاني فحينئذ يكون ذات الله تعالى سطحاً رقيقاً لا ثخن له أصلاً، ثم يعود التقسيم فيه، وهو أنه إن حصل له تمدد في اليمين والشمال والقدام والخلف كان مركباً من الأجزاء والأبعاض، وإن لم يكن له تمدد ولا ذهاب في الأحياز بحسب الجهات الستة كان ذرة من الذرات وجزءاً لا يتجزأ مخلوطاً بالهباآت، وذلك لا يقوله عاقل.

بالدلائل المشهورة المذكورة في علم الأصول، وهي مقبولة عند جمهور المتكلمين، فيلزم كون الإله محدثاً، وهو محال. فثبت أن القول بأنه تعالى حاصل في الحيز والجهة قول باطل على كل الاعتبارات.

الحجة السادسة عشرة: وهي حجة استقرائية اعتبارية لطيفة جداً، وهي أنا رأينا أن الشيء كلما كان حصول معنى الجسمية فيه أقوى وأثبت، كانت القوة الفاعلية فيه أضعف وأنقص، وكلما كان حصول معنى الجسمية فيه أقل وأضعف، كان حصول القوة الفاعلية أقوى وأكمل، وتقريره أن نقول وجدنا الأرض أكثف الأجسام وأقواها جسمية، فلا جرم لم يحصل فيها إلا خاصة قبول الأثر فقط، فأما أن يكون للأرض الخالصة تأثير في غيره فقليل جداً. وأما الماء فهو أقل كثافة وجسمية من الأرض، فلا جرم حصلت فيه قوة مؤثرة، فإن الماء الجاري بطبعه إذا اختلط بالأرض أثر فيها أنواعاً من التأثيرات. وأما الهواء، فإنه أقل جسمية وكثافة من الماء، فلا جرم كان أقوى على التأثير من الماء، فلذلك قال بعضهم إن الحياة لا تكمل إلا بالنفس، وزعموا أنه لا معنى للروح إلا الهواء المستنشق. وأما النار، فإنها أقل كثافة من الهواء، فلا جرم كانت أقوى الأجسام العنصرية على التأثير فبقوة الحرارة يحصل الطبخ والنضج، وتكون المواليد الثلاثة أعني المعادن والنبات والحيوان. وأما الأفلاك، فإنها ألطف من الأجرام العنصرية، فلا جرم كانت هي المستولية على مزاج الأجرام العنصرية بعضها البعض، وتوليد الأنواع والأصناف المختلفة من تلك التمزيجات. فهذا الاستقراء المطرد يدل على أن الشيء كلما كان أكثر جسمية وجرمية وجسمية كان أقل قوة وتأثيراً وكلما كان أقوى قوة وتأثيراً كان أقل جسمية وجرمية وجسمية، وإذا كان الأمر كذلك أفاد هذا الاستقراء ظناً قوياً أنه حيث حصل كمال القوة والقدرة على الإحداث والإبداع لم يحصل هناك البتة معنى الجسمية والجرمية والاختصاص بالحيز والجهة، وهذا وإن كان بحثاً استقرائياً إلا أنه عند التأمل التام شديد المناسبة للقطع بكونه تعالى منزهاً عن الجسمية والموضع والحيز. وبالله التوفيق. فهذه جملة الوجوه العقلية في بيان كونه تعالى منزهاً عن الاختصاص بالحيز والجهة.

أما الدلائل السمعية فكثيرة: أولها: قوله تعالى (قل هو الله أحد) [الإخلاص: ١] فوصفه بكونه أحداً والأحد مبالغة في كونه واحداً. والذي يمتلىء منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركباً من أجزاء كثيرة جداً فوق أجزاء العرش، وذلك ينافي كونه أحداً. ورأيت جماعة من الكرامية عند هذا الإلزام يقولون إنه تعالى ذات واحدة، ومع كونها واحدة حصلت في كل هذه الأحياز دفعة واحدة. قالوا: فلأجل أنه حصل دفعة واحدة في جميع الأحياز امتلأ العرش منه. فقلت حاصل هذا الكلام يرجع إلى أنه يجوز حصول الذات الشاغلة للحيز والجهة في أحياز كثيرة دفعة واحدة والعقلاء اتفقوا على أن العلم بفساد ذلك من أجل العلوم الضرورية. وأيضاً فإن جوزتم ذلك فلم لا تجوزون أن يقال: إن جميع العالم من العرش إلى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد إلا أن ذلك الجزء الذي لا يتجزأ حصل في جملة هذه الأحياز، فيظن أنها أشياء كثيرة، ومعلوم أن من جوزه، فقد التزم منكراً من القول عظيماً.

فإن قالوا: إنما عرفنا ههنا حصول التغاير بين هذه الذوات لأن بعضها يفنى مع بقاء الباقي، وذلك يوجب التغاير، وأيضاً فنرى بعضها متحركاً، وبعضها ساكناً والمتحرك غير الساكن، فوجب القول بالتغاير، وهذه المعاني غير حاصلة في ذات الله، فظهر الفرق. فنقول: أما قولك بأنا نشاهد أن هذا الجزء يبقى مع أنه

يفني ذلك الجزء الآخر، وذلك يوجب التغاير. فنقول: لا نسلم أنه فني شيء من الأجزاء بل نقول لم لا يجوز أن يقال إن جميع أجزاء العالم جزء واحد فقط؟ ثم إنه حصل ههنا وهناك، وأيضاً حصل موصوفاً بالسواد والبياض وجميع الألوان والطعوم، فالذي يفنى إنما هو حصوله هناك، فأما أن يقال إنه فني في نفسه، فهذا غير مسلم. وأما قوله نرى بعض الأجسام متحركاً وبعضها ساكناً، وذلك يوجب التغاير، لأن الحركة والسكون لا يجتمعان. فنقول: إذا حكمنا بأن الحركة والسكون لا يجتمعان لاعتقادنا أن الجسم الواحد لا يحصل دفعة واحدة في حيزين، فإذا رأينا أن الساكن بقي هنا وأن المتحرك ليس هنا، قضينا أن المتحرك غير الساكن. وأما بتقدير أن يجوز كون الذات الواحدة حاصلة في حيزين دفعة واحدة، لم يمتنع كون الذات الواحدة متحركة ساكنة معاً، لأن أقصى ما في الباب أن بسبب السكون بقي هنا، وبسبب الحركة حصل في الحيز الآخر، إلا أنا لما جوزنا أن تحصل الذات الواحدة دفعة واحدة في حيزين معاً لم يبعد أن تكون الذات الساكنة هي عين الذات المتحركة، فثبت أنه لو جاز أن يقال إنه تعالى في ذاته واحد لا يقبل القسمة، ثم مع ذلك يمتلىء العرش منه، لم يبعد أيضاً أن يقال: العرش في نفسه جوهر فرد وجزء لا يتجزأ، ومع ذلك فقد حصل في كل تلك الأحياز وحصل منه كل العرش، ومعلوم أن تجويزه يفضي إلى فتح باب الجهالات. وثانيها: أنه تعالى قال (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [الحاقة: ١٧] فلو كان إله العالم في العرش، لكان حامل العرش حاملاً للإله، فوجب أن يكون الإله محمولاً حاملاً، ومحفوظاً حافظاً، وذلك لا يقوله عاقل. وثالثها: أنه تعالى قال (والله الغني) [محمد: ٣٨] حكم بكونه غنياً على الإطلاق، وذلك يوجب كونه تعالى غنياً عن المكان والجهة. ورابعها: أن فرعون لما طلب حقيقة الإله تعالى من موسى عليه السلام ولم يزد موسى عليه السلام على ذكر صفة الخلاقية ثلاث مرات، فإنه لما قال (وما رب العالمين) [الشعراء: ٢٣] في المرة الأولى قال (رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) [الشعراء: ٢٤] وفي الثانية قال (ربكم ورب آبائكم الأولين) [الشعراء: ٢٦] وفي المرة الثالثة قال (رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) [الشعراء: ٢٨] وكل ذلك إشارة إلى الخلاقية، وأما فرعون لعنه الله فإنه قال (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى) [غافر: ٣٦] فطلب الإله في السماء، فعلمنا أن وصف الإله بالخلاقية، وعدم وصفه بالمكان والجهة، دين موسى وسائر جميع الأنبياء، وجميع وصفه تعالى بكونه في السماء دين فرعون وإخوانه من الكفرة. وخامسها: أنه تعالى قال في هذه الآية ﴿ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ وكلمة «ثم» للتراخي وهذا يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد تخليق السموات والأرض، فإن كان المراد من الاستواء الاستقرار، لزم أن يقال: إنه ما كان مستقراً على العرش، بل كان معوجاً مضطرباً، ثم استوى عليه بعد ذلك، وذلك يوجب وصفه بصفات سائر الأجسام من الاضطراب والحركة تارة، والسكون أخرى، وذلك لا يقوله عاقل. وسادسها: هو أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه إنما طعن في إلهية الكوكب والقمر والشمس بكونها آفلة غاربة فلو كان إله العالم جسماً، لكان أبداً غارباً آفلاً، وكان منتقلاً من الاضطراب والاعوجاج إلى الاستواء والسكون والاستقرار، فكل ما جعله إبراهيم عليه السلام طعناً في إلهية الشمس والكوكب والقمر يكون حاصلاً في إله العالم، فكيف يمكن الاعتراف بإلهيته. وسابعها: أنه تعالى ذكر قبل قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ شيئاً وبعده شيئاً آخر. أما الذي ذكره قبل هذه الكلمة فهو قوله ﴿إن ربكم الله

الذي خلق السموات والأرض﴾ وقد بينا أن خلق السموات والأرض يدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته من وجوه كثيرة. وأما الذي ذكره بعد هذه الكلمة فأشياء: أولها قوله **﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾** وذلك أحد الدلائل الدالة على وجود الله، وعلى قدرته وحكمته. وثانيها: قوله **﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾** وهو أيضاً من الدلائل الدالة على الوجود والقدرة والعلم. وثالثها: قوله **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** وهو أيضاً إشارة إلى كمال قدرته وحكمته.

إذا ثبت هذا فنقول: أول الآية إشارة إلى ذكر ما يدل على الوجود والقدرة والعلم، وآخرها يدل أيضاً على هذا المطلوب، وإذا كان الأمر كذلك فقوله **﴿ثم استوى على العرش﴾** وجب أن يكون أيضاً دليلاً على كمال القدرة والعلم، لأنه لو لم يدل عليه بل كان المراد كونه مستقراً على العرش كان ذلك كلاماً أجنبياً عما قبله وعما بعده، فإن كونه تعالى مستقراً على العرش لا يمكن جعله دليلاً على كماله في القدرة والحكمة وليس أيضاً من صفات المدح والثناء، لأنه تعالى قادر على أن يجلس جميع أعداد البق والبعوض على العرش وعلى ما فوق العرش، فثبت أن كونه جالساً على العرش ليس من دلائل إثبات الصفات والذات ولا من صفات المدح والثناء، فلو كان المراد من قوله **﴿ثم استوى على العرش﴾** كونه جالساً على العرش لكان ذلك كلاماً أجنبياً عما قبله وعما بعده، وهذا يوجب نهاية الركاكة، فثبت أن المراد منه ليس ذلك، بل المراد منه كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها وهو المطلوب. وثامنها: أن السماء عبارة عن كل ما ارتفع وسما وعلا، والدليل عليه أنه تعالى سمى السحاب سماء حيث قال (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) [الأنفال: ١١] وإذا كان الأمر كذلك، فكل ما له ارتفاع وعلو وسمو كان سماء، فلو كان إله العالم موجوداً فوق العرش، لكان ذات الإله تعالى سماء لساكني العرش. فثبت أنه تعالى لو كان فوق العرش لكان سماء والله تعالى حكم بكونه خالقاً لكل السموات في آيات كثيرة منها هذه الآية وهو قوله **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾** فلو كان فوق العرش سماء لسكان أهل العرش لكان خالقاً لنفسه وذلك محال.

وإذا ثبت هذا فنقول: قوله **﴿الذي خلق السموات والأرض﴾** آية محكمة دالة على أن قوله **﴿ثم استوى على العرش﴾** من المتشابهات التي يجب تأويلها، وهذه نكتة لطيفة. ونظير هذا أنه تعالى قال في أول سورة الأنعام (وهو الله في السموات) [الأنعام: ٣] ثم قال بعده بقليل (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله) [الأنعام: ١٢] فدلت هذه الآية المتأخرة على أن كل ما في السموات فهو ملك لله، فلو كان الله في السموات لزم كونه ملكاً لنفسه، وذلك محال فكذا ههنا. فثبت بمجموع هذه الدلائل العقلية والنقلية أنه لا يمكن حمل قوله **﴿ثم استوى على العرش﴾** على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز، وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان: الأول: أن نقطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله، وهو الذي قررناه في تفسير قوله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) [آل عمران: ٧] وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه.

والقول الثاني: أن نخوض في تأويله على التفصيل، وفيه قولان ملخصان: الأول: ما ذكره القفال رحمة الله عليه فقال **﴿العرش﴾** في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك، ثم جعل العرش كناية عن

نفس الملك، يقال: ثل عرشه أي انتقض ملكه وفسد. وإذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا: استوى على عرشه، واستقر على سرير ملكه، هذا ما قاله القفال. وأقول: إن الذي قاله حق وصدق وصواب، ونظيره قولهم للرجل الطويل: فلان طويل النجاد وللرجل الذي يكثر الضيافة كثير الرماد، وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيباً، وليس المراد في شيء من هذه الألفاظ إجراؤها على ظواهرها، إنما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا ههنا يذكر الاستواء على العرش، والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة. ثم قال القفال رحمه الله تعالى: والله تعالى لما دل على ذاته وعلى صفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله، إلا أن كل ذلك مشروط بنفي التشبيه، فإذا قال: إنه عالم فهموا منه أنه لا يخفى عليه تعالى شيء، ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة ولا روية ولا باستعمال حاسة، وإذا قال: قادر علموا منه أنه متمكن من إيجاد الكائنات، وتكوين الممكنات، ثم علموا بعقولهم أنه غني في ذلك الإيجاد والتكوين عن الآلات والأدوات، وسبق المادة والمدة والفكرة والروية، وهكذا القول في كل صفاته، وإذا أخبر أن له بيتاً يجب على عباده حجه فهموا منه أنه نصب لهم موضعاً يقصدونه لمسألة ربهم وطلب حوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب، ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه، وأنه لم يجعل ذلك البيت مسكناً لنفسه، ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد بعينه عن نفسه، فإذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه، ثم علموا بعقولهم أنه لا يفرح بذلك التحميد والتعظيم ولا يغتم بتركه والإعراض عنه.

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض كما أراد وشاء من غير منازع ولا مدافع، ثم أخبر بعده أنه استوى على العرش، أي حصل له تدبير المخلوقات على ما شاء وأراد، فكان قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي بعد أن خلقها استوى على عرش الملك والجلال. ثم قال القفال: والدليل على أن هذا هو المراد قوله في سورة يونس (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر) [يونس: ٣] فقوله (يدبر الأمر) جرى مجرى التفسير لقوله (استوى على العرش) وقال في هذه الآية التي نحن في تفسيرها ﴿ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر﴾ وهذا يدل على أن قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ إشارة إلى ما ذكرناه.

فإن قيل: فإذا حملتم قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ على أن المراد: استوى على الملك، وجب أن يقال: الله لم يكن مستوياً قبل خلق السموات والأرض.

قلنا: إنه تعالى إنما كان قبل خلق العوالم قادراً على تخليقها وتكوينها، وما كان مكوناً ولا موجداً لها بأعيانها بالفعل، لأن إحياء زيد، وإماتة عمرو، وإطعام هذا وإرواء ذلك لا يحصل إلا عند هذه الأحوال، فإذا فسرنا العرش بالملك والملك بهذه الأحوال، صح أن يقال: إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض. وهذا جواب حق صحيح في هذا الموضع.

والوجه الثاني في الجواب أن يقال: استوى بمعنى استولى، وهذا الوجه قد أطلنا في شرحه في سورة طه فلا نعيده هنا.

والوجه الثالث: أن نفسر العرش بالملك ونفسر استوى بمعنى علا واستعلى على الملك، فيكون المعنى: أنه تعالى استعلى على الملك بمعنى أن قدرته نفذت في ترتيب الملك والملكوت. واعلم أنه تعالى ذكر قوله ﴿استوى على العرش﴾ في سور سبع. إحداها: ههنا. وثانيها: في يونس. وثالثها: في الرعد. ورابعها: في طه. وخامسها: في الفرقان. وسادسها: في السجدة. وسابعها: في الحديد، وقد ذكرنا في كل موضع فوائد كثيرة، فمن ضم تلك الفوائد بعضها إلى بعض كثرت وبلغت مبلغاً كثيراً وافياً بإزالة شبه التشبيه عن القلب والخاطر.

أما قوله ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص ﴿يُغْشي﴾ بتخفيف الغين وفي الرعد هكذا، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر بالتشديد، وفي الرعد هكذا. قال الواحدي رحمه الله: الإغشاء والتغشية إلباس الشيء بالشيء، وقد جاء التنزيل بالتشديد والتخفيف، فمن التشديد قوله تعالى (فغشاها ما غشي) [النجم: ٥٤] ومن اللغة الثانية قوله (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) [يس: ٩] والمفعول الثاني محذوف على معنى فأغشيناهم العمى وفقد الرؤية.

المسألة الثانية: قوله ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾ يحتمل أن يكون المراد يلحق الليل بالنهار، وأن يكون المراد النهار بالليل، واللفظ يحتملهما معاً وليس فيه تغيير، والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس ﴿يَغْشى الليل النهار﴾ بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل ويطلبه. قال القفال رحمه الله: إنه سبحانه لما أخبر عباده باستوائه على العرش عن استمرار أصعب المخلوقات على وفق مشيئته، أراهم ذلك عياناً فيما يشاهدونه منها ليضم العيان إلى الخبر، وتزول الشبه عن كل الجهات، فقال ﴿يغشي الليل النهار﴾ لأنه تعالى أخبر في هذا الكتاب الكريم بما في تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة، والفوائد الجليلة، فإن بتعاقبهما يتم أمر الحياة، وتكمل المنفعة والمصلحة.

المسألة الثالثة: قوله ﴿يطلبه حثيثاً﴾ قال الليث: الحث: الإعجال، يقال: حثثت فلاناً فاحث، فهو حثيث ومحثوث، أي مجد سريع.

واعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة، وذلك هو الحق، لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة، وأكملها شدة، حتى إن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا: الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل، فإلى أن يرفع رجله ويضعها ويتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل، وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية الشدة والسرعة، فلهذا السبب قال تعالى ﴿يطلبه حثيثاً﴾ ونظير هذه الآية قوله سبحانه (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [يس: ٤٠] فشبه ذلك السير وتلك الحركة بالسباحة في الماء، والمقصود: التنبيه على سرعتها وسهولتها وكمال إيصالها.

التفسير الكبير

أو

مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

المجلد التاسع
١٨-١٧

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

محتوى الجزء السابع عشر: من الآية (١) من سورة يونس، إلى الآية (٤٤) من سورة هود
محتوى الجزء الثامن عشر: من الآية (٤٥) من سورة هود، إلى الآية (٢) من سورة الرعد

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

والسؤال الثالث: فهل هذه الأيام كأيام الدنيا أو كما روي عن ابن عباس أنه قال: إنها ستة أيام من أيام الآخرة كل يوم منها ألف سنة مما تعدون؟

والجواب: قال القاضي: الظاهر في ذلك أنه تعريف لعباده مدة خلقه لهما، ولا يجوز أن يكون ذلك تعريفاً إلا والمدة هذه الأيام المعلومة.

ولقائل أن يقول: لما وقع التعريف بالأيام المذكورة في التوراة والإنجيل، وكان المذكور هناك أيام الآخرة لا أيام الدنيا، لم يكن ذلك قادحاً في صحة التعريف.

السؤال الرابع: هذه الأيام إنما تتقدر بحسب طلوع الشمس وغروبها، وهذا المعنى مفقود قبل خلقها، فكيف يعقل هذا التعريف؟

والجواب: التعريف يحصل بما أنه لو وقع حدوث السموات والأرض في مدة، لو حصل هناك أفلاك دائرة وشمس وقمر، لكانت تلك المدة مساوية لستة أيام.

ولقائل أن يقول: فهذا يقتضي حصول مدة قبل خلق العالم، يحصل فيها حدوث العالم، وذلك يوجب قدم المدة.

وجوابه: أن تلك المدة غير موجودة بل هي مفروضة موهومة، والدليل عليه أن تلك المدة المعينة حادثة، وحدوثها لا يحتاج إلى مدة أخرى، وإلا لزم إثبات أزمنة لا نهاية لها وذلك محال، فكل ما يقولونه في حدوث المدة فنحن نقوله في حدوث العالم.

السؤال الخامس: أن اليوم قد يراد به اليوم مع ليلته، وقد يراد به النهار وحده. فالمراد بهذه الآية أيهما؟.

والجواب: الغالب في اللغة أنه يراد باليوم اليوم بليلته.

المسألة الثانية: أما قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ ففيه مباحث: الأول: أن هذا يوهم كونه تعالى مستقراً على العرش والكلام المستقصى فيه مذكور في أول سورة طه، ولكنا نكتفي ههنا بعبارة وجيزة، فنقول: هذه الآية لا يمكن حملها على ظاهرها، ويدل عليه وجوه: الأول: أن الاستواء على العرش معناه كونه معتمداً عليه مستقراً عليه، بحيث لولا العرش لسقط ونزل، كما أنا إذا قلنا إن فلاناً مستو على سريره، فإنه يفهم منه هذا المعنى. إلا أن إثبات هذا المعنى يقتضي كونه محتاجاً إلى العرش، وإنه لولا العرش لسقط ونزل، وذلك محال، لأن المسلمين أطبقوا على أن الله تعالى هو الممسك للعرش والحافظ له، ولا يقول أحد إن العرش هو الممسك لله تعالى والحافظ له. والثاني: أن قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ يدل على أنه قبل ذلك ما كان مستوياً عليه، وذلك يدل على أنه تعالى يتغير من حال إلى حال، وكل من كان متغيراً كان محدثاً، وذلك بالاتفاق باطل. الثالث: أنه لما حدث الاستواء في هذا الوقت، فهذا يقتضي أنه تعالى كان قبل هذا الوقت مضطرباً متحركاً، وكل ذلك من صفات المحدثات. الرابع: أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض لأن كلمة «ثم» تقتضي التراخي وذلك يدل على أنه تعالى كان قبل خلق العرش غنياً عن العرش، فإذا خلق العرش امتنع أن تنقلب حقيقته وذاته من

الاستغناء إلى الحاجة. فوجب أن يبقى بعد خلق العرش غنياً عن العرش، ومن كان كذلك امتنع أن يكون مستقراً على العرش. فثبت بهذه الوجوه أن هذه الآية لا يمكن حملها على ظاهرها بالاتفاق، وإذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها في إثبات المكان والجهة لله تعالى.

المسألة الثالثة: اتفق المسلمون على أن فوق السموات جسماً عظيماً هو العرش.

إذا ثبت هذا فنقول: العرش المذكور في هذه الآية هل المراد منه ذلك العرش أو غيره؟ فيه قولان:

القول الأول: وهو الذي اختاره أبو مسلم الأصفهاني، أنه ليس المراد منه ذلك، بل المراد من قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ أنه لما خلق السموات والأرض سطحها ورفع سمكها، فإن كل بناء فإنه يسمى عرشاً، وبانيه يسمى عارشاً، قال تعالى (ومن الشجر ومما يعرشون) [النحل: ٦٨] أي يبنون، وقال في صفة القرية (فهي خاوية على عروشها) [الحج: ٤٥] والمراد أن تلك القرية خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقوفها، وقال (وكان عرشه على الماء) [هود: ٧] أي بناؤه، وإنما ذكر الله تعالى ذلك لأنه أعجب في القدرة، فالباني يبني البناء متباعداً عن الماء على الأرض الصلبة لئلا ينهدم، والله تعالى بنى السموات والأرض على الماء ليعرف العقلاء قدرته وكمال جلالته. والاستواء على العرش هو الاستعلاء عليه بالقهر، والدليل عليه قوله تعالى (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) [الزخرف: ١٣] قال أبو مسلم: فثبت أن اللفظ يحتمل هذا الذي ذكرناه، فنقول: وجب حمل اللفظ عليه، ولا يجوز حمله على العرش الذي في السماء، والدليل عليه هو أن الاستدلال على وجود الصانع تعالى، يجب أن يحصل بشيء معلوم مشاهد، والعرش الذي في السماء ليس كذلك، وأما أجرام السموات والأرضين فهي مشاهدة محسوسة، فكان الاستدلال بأحوالها على وجود الصانع الحكيم جائزاً صواباً حسناً. ثم قال: ومما يؤكد ذلك أن قوله تعالى ﴿خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ إشارة إلى تخليق ذواتها، وقوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ يكون إشارة إلى تسطيحها وتشكيلها بالأشكال الموافقة لمصالحها، وعلى هذا الوجه تصير هذه الآية موافقة لقوله سبحانه وتعالى (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها) [النازعات: ٢٨] فذكر أولاً أنه بناها، ثم ذكر ثانياً أنه رفع سمكها فسواها. وكذلك ههنا، ذكر بقوله ﴿خلق السموات والأرض﴾ أنه خلق ذواتها ثم ذكر بقوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ أنه قصد إلى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالأشكال الموافقة لها.

والقول الثاني، وهو القول المشهور لجمهور المفسرين: أن المراد من العرش المذكور في هذه الآية: الجسم العظيم الذي في السماء، وهؤلاء قالوا إن قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ لا يمكن أن يكون معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والأرضين بدليل أنه تعالى قال في آية أخرى (وكان عرشه على الماء) [هود: ٧] وذلك يدل على أن تكوين العرش سابق على تخليق السموات والأرضين. بل يجب تفسير هذه الآية بوجوه أخر، وهو أن يكون المراد: ثم يدبر الأمر وهو مستو على العرش.

والقول الثالث: أن المراد من العرش الملك، يقال فلان ولي عرشه أي ملكه فقوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ المراد أنه تعالى لما خلق السموات والأرض واستدارت الأفلاك والكواكب، وجعل بسبب دورانها الفصول الأربعة والأحوال المختلفة من المعادن والنبات والحيوانات، ففي هذا الوقت قد حصل وجود هذه

التفسير الكبير

أو

مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

الجزء الثامن عشر

محتوى الجزء الثامن عشر: من الآية (٤٥) من سورة هود، إلى الآية (٢) من سورة الرعد

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فكل ما كان مختصاً بجهة فوق جهة فهو محتاج إلى حفظ الإله بحكم هذه الآية فوجب أن يكون الإله منزهاً عن جهة فوق. أما قوله ﴿ترونها﴾ ففيه أقوال: الأول: أنه كلام مستأنف والمعنى؛ رفع السموات بغير عمد، ثم قال ﴿ترونها﴾ أي وأنتم ترونها أي مرفوعة بلا عماد. الثاني: قال الحسن في تقرير الآية تقديم وتأخير تقديره: رفع السموات ترونها بغير عمد.

واعلم أنه إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره كان المصير إلى التقديم والتأخير غير جائز. والثالث: أن قوله ﴿ترونها﴾ صفة للعمد، والمعنى: بغير عمد مرئية، أي للسموات عمد ولكنا لا نراها. قالوا: ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونها. وهذا التأويل في غاية السقوط، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر، ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة؛ لأنه يقال إن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأي دلالة لثبوتها على وجود الإله، وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكل، وهو أن العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى. فنتج أن يقال إنه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك.

وأما قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ فاعلم أنه ليس المراد منه كونه مستقراً على العرش، لأن المقصود من هذه الآية ذكر ما يدل على وجود الصانع ويجب أن يكون ذلك الشيء مشاهداً معلوماً وأن أحداً ما رأى أنه تعالى استقر على العرش فكيف يمكن الاستدلال به عليه وأيضاً بتقدير أن يشاهد كونه مستقراً على العرش إلا أن ذلك لا يشعر بكمال حاله وغاية جلاله، بل يدل على احتياجه إلى المكان والحيز. وأيضاً فهذا يدل على أنه ما كان بهذه الحالة ثم صار بهذه الحالة، وذلك يوجب التغير وأيضاً الاستواء ضد الاعوجاج فظاهر الآية يدل على أنه كان معوجاً مضطرباً ثم صار مستوياً وكل ذلك على الله محال، فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ يعني أن من فوق العرش إلى ما تحت الثرى في حفظه وفي تدبيره وفي الاحتياج إليه. وأما الاستدلال بأحوال الشمس والقمر، فهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾.

واعلم أن هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة:

النوع الأول: قوله ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ وحاصله يرجع إلى الاستدلال على وجود الصانع القادر القاهر بحركات هذه الأجرام، وذلك لأن الأجسام متماثلة فهذه الأجرام قابلة للحركة والسكون فاختصاصها بالحركة الدائمة دون السكون لا بد له من مخصص. وأيضاً أن كل واحدة من تلك الحركات مختصة بكيفية معينة من البطء والسرعة فلا بد أيضاً من مخصص لا سيما عند من يقول الحركة البطيئة معناها حركات مخلوطة بسكنات وهذا يوجب الاعتراف بأنها تتحرك في بعض الأحياز وتسكن في البعض فحصول الحركة في ذلك الحيز المعين والسكون في الحيز الآخر لا بد فيه أيضاً من مرجح.

الوجه الثالث: وهو أن تقدير تلك الحركات والسكنات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها وأدوارها متساوية بحسب المدة حالة عجيبة فلا بد من مقدر.

التفسير الكبير

أو

مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الجزء الرابع والعشرون

محتوى الجزء الرابع والعشرين: من الآية (٣٦) من سورة النور، إلى الآية (٥٥) من سورة القصص

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

واعلم أنه يجب على المكلف سواء كان على قولنا أو على قول المعتزلة أن يقطع الطمع عن أمثال هذه الأسئلة، فإنه بحر لا ساحل له. من ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار بتسعة عشر وحملة العرش بالثمانية وشهور السنة باثني عشر والسموات بالسبع وكذا الأرض وكذا القول في عدد الصلوات ومقادير النصب في الزكوات وكذا مقادير الحدود والكفارات. فالإقرار بأن كل ما قاله الله تعالى حق هو الدين، وترك البحث عن هذه الأشياء هو الواجب وقد نص عليه تعالى في قوله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) (المدثر: ٣١] ثم قال (وما يعلم جنود ربك إلا هو) [المدثر: ٣١] وهذا هو الجواب أيضاً في أنه لم لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك؟ وعن سعيد بن جبير أنه إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلقه الرفق والتثبت، قيل تم خلقها يوم الجمعة فجعلها الله تعالى عيداً للمسلمين.

السؤال الثالث. ما معنى قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾؟ ولا يجوز حمله على الاستيلاء والقدرة، لأن الاستيلاء والقدرة في أوصاف الله لم تزل ولا يصح دخول ثم فيه. والجواب: الاستقرار غير جائز، لأنه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث، ويقتضي التركيب والبعضية وكل ذلك على الله محال بل المراد ثم خلق العرش ورفعه وهو مستول كقوله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم) [محمد: ٣١] فإن المراد حتى يجاهد المجاهدون ونحن بهم عالمون، فإن قيل فعلى هذا التفسير يلزم أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات، وليس كذلك لقوله تعالى (وكان عرشه على الماء) [هود: ٧] قلنا: كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش، بل على رفعه على السموات.

السؤال الرابع: كيف إعراب قوله ﴿الرحمن فاسأل به خبيراً﴾؟. الجواب: الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره، أو هو صفة للحي، أو الرحمن خبر مبتدأ محذوف. ولهذا أجاز الزجاج وغيره أن يكون الوقف على قوله على العرش ثم يبتدىء بالرحمن أي هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود والتعظيم إلا له، ويجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وخبره قوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾.

السؤال الخامس: ما معنى قوله ﴿فاسأل به خبيراً﴾؟. الجواب: ذكروا فيه وجوهاً. أحدها: قال الكلبي معناه فاسأل خبيراً به وقوله ﴿به﴾ يعود إلى ما ذكرنا من خلق السماء والأرض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله عز وجل لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق الله السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله تعالى وعن ابن عباس أن ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام وإنما قدم لرءوس الآي وحسن النظم. وثانيها: قال الزجاج قوله ﴿به﴾ معناه عنه والمعنى فاسأل عنه خبيراً، وهو قول الأخفش، ونظيره قوله (سأل سائل بعذاب واقع) [المعارج: ١] وقال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

وثالثها: قال ابن جرير الباء في قوله ﴿به﴾ صلة والمعنى فسله خبيراً، وخبيراً نصب على الحال. ورابعها: أن قوله به يجري مجرى القسم كقوله (واتقوا الله الذي تساءلون به) [النساء: ١].

أما قوله ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ فهو خبر عن قوم قالوا هذا القول.

التفسير الكبير

أو

مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

المجلد الثالث عشر

٢٥-٢٦

محتوى الجزء الخامس والعشرين: من الآية (٥٦) من سورة القصص، إلى الآية (٥٤) من سورة سبأ
محتوى الجزء السادس والعشرين: من الآية (١) من سورة فاطر، إلى الآية (٥٢) من سورة الزمر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العرش مكاناً له وجوه من القرآن. أحدها: قوله تعالى (وإن الله لهو الغني) [الحج: ٦٤] وهذا يقتضي أن يكون غنياً على الإطلاق، وكل ما هو في مكان فهو في بقائه محتاج إلى مكان، لأن بديهة العقل حاكمة بأن الحيز إن لم يكن لا يكون المتحيز باقياً، فالمتحيز ينتفي عند انتفاء الحيز، وكل ما ينتفي عند انتفاء غيره فهو محتاج إليه في استمراره، فالقول باستقراره يوجب احتياجه في استمراره وهو غني بالنص. الثاني: قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص: ٨٨] فالعرش يهلك وكذلك كل مكان فلا يبقى وهو يبقى، فاذن لا يكون في ذلك الوقت في مكان، فجاز عليه أن لا يكون في مكان، وما جاز له من الصفات وجب له فيجب أن لا يكون في مكان. الثالث: قوله تعالى (وهو معكم) [الحديد: ٤] ووجه التمسك به هو أن على إذا استعمل في المكان يفهم كونه عليه بالذات كقولنا فلان على السطح وكلمة مع إذا استعملت في متمكنين يفهم منها اقترانهما بالذات كقولنا زيد مع عمرو إذا استعمل هذا فإن كان الله في مكان ونحن متمكنون، فقوله (إن الله معنا) [التوبة: ٤٠] وقوله ﴿وهو معكم﴾ كان ينبغي أن يكون للاقتران وليس كذلك، فان قيل كلمة مع تستعمل لكون ميله إليه وعلمه معه أو نصرته يقال الملك الفلاني مع الملك الفلاني، أي بالإعانة والنصر، فنقول كلمة على تستعمل لكون حكمه على الغير، يقول القائل لولا فلان على فلان لأشرف في الهلاك ولأشرف على الهلاك، وكذلك يقال لولا فلان على أملاك فلان أو على أرضه لما حصل له شيء منها ولا أكل حاصلها بمعنى الإسراف والنظر، فكيف لا نقول في استوى على العرش إنه استوى عليه بحكمه كما نقول هو معنا بعلمه. الرابع: قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [الأنعام: ١٠٣] ولو كان في مكان لأحاط به المكان وحينئذ فإما أن يرى وإما أن لا يرى، لا سبيل إلى الثاني بالاتفاق لأن القول بأنه في مكان ولا يرى باطل بالإجماع، وإن كان يرى فيرى في مكان أحاط به فتدركه الأبصار. وأما إذا لم يكن في مكان فسواء يرى أو لا يرى لا يلزم أن تدركه الأبصار. أما إذا لم ير فظاهر. وأما إذا رؤي فلأن البصر لا يحيط به فلا يدركه. وإنما قلنا إن البصر لا يحيط به لأن كل ما أحاط به البصر فله مكان يكون فيه وقد فرضنا عدم المكان، ولو تدبر الإنسان القرآن لوجده مملوءاً من عدم جواز كونه في مكان، كيف وهذا الذي يتمسك به هذا القائل يدل على أنه ليس على العرش بمعنى كونه في المكان، وذلك لأن كلمة ثم للتراخي فلو كان عليه بمعنى المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليه فقبله إما أن يكون في مكان أو لا يكون، فإن كان يلزم محالان. أحدهما: كون المكان أزلياً، ثم إن هذا القائل يدعي مضادة الفلسفي فيصير فلسفياً يقول بقدم سماء من السموات. والثاني: جواز الحركة والانتقال على الله تعالى وهو يفضي إلى حدوث الباري أو يبطل دلائل حدوث الأجسام، وإن لم يكن مكان وما حصل في مكان يحيل العقل وجوده بلا مكان، ولو جاز لما أمكن أن يقال بأن الجسم لو كان أزلياً، فإما أن يكون في الأزل ساكناً أو متحركاً لأنهما فرعا الحصول في مكان، وإذا كان كذلك فيلزمه القول بحدوث الله أو عدم القول بحدوث العالم، لأنه إن سلم أنه قبل المكان لا يكون فهو القول بحدوث الله تعالى وإن لم يسلم فيجوز أن يكون الجسم في الأزل لم يكن في مكان ثم حصل في مكان فلا يتم دليله في حدوث العالم، فيلزمه أن لا يقول بحدوثه، ثم إن هذا القائل يقول إنك تشبه الله بالمعدوم فانه ليس في مكان ولا يعلم أنه جعله معدوماً حيث أحوجه إلى مكان، وكل محتاج نظراً إلى عدم ما يحتاج إليه معدوم ولو كتبنا ما فيها لطال الكلام.

ثم قال تعالى ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ لما ذكر أن الله خالق السموات

التفسير الكبير

أو

مفاتيح الغيب

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

المجلد الرابع عشر

٢٨-٢٧

الطبعة الثانية
٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ

محتوى الجزء السابع والعشرين: من الآية (٥٣) من سورة الزمر، إلى الآية (٣٧) من سورة الجاثية
محتوى الجزء الثامن والعشرين: من الآية (١) من سورة الأحقاف، إلى الآية (٢٩) من سورة النجم

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

لفظة ما واردة في حق الله تعالى قال تعالى (والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها) [الشمس: ٦] وقال (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) [الكافرون: ٥]. والثاني: أن صيغة من وردت في مثل هذه السورة قال تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) [مريم: ٩٣] وكلمة من لا شك أنها واردة في حق الله تعالى فدلت هذه الآية أن كل من في السموات والأرض فهو عبد لله فلو كان الله موجوداً في السموات والأرض وفي العرش لكان هو من جملة من في السموات فوجب أن يكون عبد الله، ولما ثبت بهذه الآية أن كل من كان موجوداً في السموات والعرش فهو عبدالله وجب فيمن تقدست كبرياؤه عن تهمة العبودية أن يكون منزهاً عن الكون في المكان والجهة والعرش والكرسي.

والصفة الرابعة والخامسة: قوله تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ ولا يجوز أن يكون المراد يكونه علياً العلو في الجهة والمكان لما ثبتت الدلالة على فساده، ولا يجوز أن يكون المراد من العظيم العظمة بالجثة وكبر الجسم، لأن ذلك يقتضي كونه مؤلفاً من الأجزاء والأبعاض، وذلك ضد قوله ﴿الله أحد﴾ فوجب أن يكون المراد من العلي المتعالي عن مشابهة الممكنات ومناسة المحدثات، ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر بالاستعلاء وكمال الإلهية.

ثم قال ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر «تكاد» بالتاء «يتفطرن» بالياء والنون، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة «تكاد» بالتاء «يتفطرن» بالياء والتاء، وقرأ نافع والكسائي: «يكاد» بالياء «يتفطرن» أيضاً بالتاء، قال صاحب الكشاف: وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة «تتفطرن» بالتاءين مع النون، ونظيرها حرف نادر، روي في نوادر ابن الاعرابي: الإبل تتشمسن.

المسألة الثانية: في فائدة قوله ﴿من فوقهن﴾ وجوه: الأول: روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾ قال والمعنى أنها تكاد تتفطر مِن ثقل الله عليها.

واعلم أن هذا القول سخيف، ويجب القطع ببراءة ابن عباس عنه، ويدل على فساده وجوه: الأول: أن قوله ﴿من فوقهن﴾ لا يفهم منه ممن فوقهن. وثانيها: هب أنه يحمل على ذلك، لكن لم قلتم إن هذه الحالة إنما حصلت من ثقل الله عليها، ولم لا يجوز أن يقال إن هذه الحالة إنما حصلت من ثقل الملائكة عليها، كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد». وثالثها: لم لا يجوز أن يكون المراد تكاد السموات تنشق وتتفطر من هيبة من هو فوقها فوقية بالإلهية والقهر والقدرة؟ فثبت بهذه الوجوه أن القول الذي ذكروه في غاية الفساد والركاكة. والوجه الثاني في تأويل الآية ما ذكره صاحب الكشاف، وهو أن كلمة الكفر إنما جاءت من الذين تحت السموات، وكان القياس أن يقال: يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة، ولكنه بولغ في ذلك فقلب فجعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن، ودع الجهة التي تحتهن، ونظيره في المبالغة قوله تعالى (يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود) [الحجر: ١٩] فجعل مؤثراً في أجزائه الباطنة. الوجه الثالث في تأويل الآية أن يقال ﴿من فوقهن﴾ أي من فوق الأرضين. لأنه تعالى قال قبل هذه الآية ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ ثم قال ﴿تكاد السموات

التفسير الكبير
أو
مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المجلد الخامس عشر

٢٩ - ٣٠

محتوى الجزء التاسع والعشرين: من الآية (٣٠) من سورة النجم، إلى الآية (١٤) من سورة الصف
محتوى الجزء الثلاثين: من الآية (١) من سورة الجمعة، إلى الآية (٥٠) من سورة المرسلات.

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

أسراره، وأنه لا يخفى عليه شيء من أحوال غيره ونظيره (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) [المائدة: ١١٦].

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى ﴿هو الذين خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ وهو مفسر في الأعراف والمقصود منه دلائل القدرة.

ثم قال تعالى ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ وهو مفسر في سبأ، والمقصود منه كمال العلم، وإنما قدم وصف القدرة على وصف العلم، لأن العلم بكونه تعالى قادراً قبل العلم بكونه تعالى عالماً، ولذلك ذهب جمع من المحققين إلى أن أول العلم بالله، هو العلم بكونه قادراً، وذهب آخرون إلى أن أول العلم بالله هو العلم بكونه مؤثراً، وعلى التقديرين فالعلم بكونه قادراً متقدم على العلم بكونه عالماً.

ثم قال تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه قد ثبت أن كل ما عدا الواجب الحق فهو ممكن، وكل ممكن فوجوده من الواجب، فإذن وصول الماهية الممكنة إلى وجودها بواسطة إفادة الواجب الحق ذلك الوجود لتلك الماهية. فالحق سبحانه هو المتوسط بين كل ماهية وبين وجودها، فهو إلى كل ماهية أقرب من وجود تلك الماهية، ومن هذا السر قال المحققون ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، وقال المتوسطون ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه، وقال الظاهريون ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده.

واعلم أن هذه الدقائق التي أظهرناها في هذه المواضع لها درجتان. أحدهما: أن يصل الإنسان إليها بمقتضى الفكرة والروية والتأمل والتدبر. والدرجة الثانية: أن تتفق لنفس الإنسان قوة ذوقية وحالة وجدانية لا يمكن التعبير عنها، وتكون نسبة الإدراك مع الذوق إلى الإدراك لا مع الذوق، كنسبة من يأكل السكر إلى من يصف حلاوته بلسانه.

المسألة الثانية: قال المتكلمون هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ والحراسة، وعلى التقديرين فقد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز، فإذن قوله ﴿وهو معكم﴾ لا بد فيه من التأويل. وإذا جوزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع.

المسألة الثالثة: اعلم أن في هذه الآيات ترتيباً عجيباً، وذلك لأنه بين بقوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [الحديد: ٣] كونه إلهاً لجميع الممكنات والكائنات، ثم بين كونه إلهاً للعرش والسموات والأرضين. ثم بين بقوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ معيته لنا بسبب القدرة والإيجاد والتكوين وبسبب العلم وهو كونه عالماً بظواهرنا وبُواطننا، فتأمل في كيفية هذا الترتيب، ثم تأمل في ألفاظ هذه الآيات فإن فيها أسراراً عجيبة وتنبيهات على أمور عالية.

التفسير الكبير
أو
مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

الجزء الثاني والعشرون

محتوى الجزء الثاني والعشرين: من الآية (١) من سورة طه، إلى الآية (١١٢) من سورة الأنبياء

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها. أما قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرىء الرحمن مجروراً صفة لمن خلق والرفع أحسن لأنه إما أن يكون رفعاً على المدح والتقدير هو الرحمن وإما أن يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى من خلق فإن قيل الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح؟ قلنا إذا جررت فهو خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن يكون كذلك وأن يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ.

المسألة الثانية: المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه: أحدها: أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنياً عنه فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعم زاعم أنه لم يزل مع الله عرش وثانيها: أن الجالس لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفاً مركباً وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب وذلك محال. وثالثها: أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكناً من الانتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثاً لا محالة وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزَّمِن بل أسوأ حالاً منه فإن الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم. ورابعها: هو أن معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات والقاذورات وذلك لا يقوله عاقل، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجاً وهو على الله محال. وخامسها: أن قوله (ليس كمثله شيء) [الشورى: ١١] يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء فإنه يحسن أن يقال ليس كمثله شيء إلا في الجلوس وإلا في المقدار وإلا في اللون وصحة الاستثناء تقتضي دخول جميع هذه الأمور تحته، فلو كان جالساً لحصل من يماثله في الجلوس فحينئذ يبطل معنى الآية وسادسها: قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) [الحاقة: ١٧] فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوق أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله وسابعها: أنه لو جاز أن يكون المستقر في المكان إلهاً فكيف يعلم أن الشمس والقمر ليس بإله لأن طريقنا إلى نفي إلهية الشمس والقمر أنهما موصوفان بالحركة والسكون وما كان كذلك كان محدثاً ولم يكن إلهاً فإذا أبطلتم هذا الطريق انسد عليكم باب القدح في إلهية الشمس والقمر. وثامنها: أن العالم كرة فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكني ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس، فلو كان المعبود مختصاً بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقاً لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء. وتاسعها: أجمعت الأمة على أن قوله (قل هو الله أحد) [الاخلاص: ١] من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان مختصاً بالمكان لكان الجانب الذي منه يلي ما على يمينه غير الجانب الذي منه يلي ما على يساره فيكون مركباً منقسماً فلا يكون أحداً في الحقيقة فيبطل قوله (قل هو الله أحد) [الإخلاص: ١] وعاشرها: أن الخليل عليه السلام قال (لا أحب الآفلين) [الأنعام: ٧٦] ولو كان المعبود جسماً لكان آفلاً أبداً غائباً أبداً فكان يندرج تحت قوله (لا أحب الآفلين) [الأنعام: ٧٦] فثبت بهذه الدلائل أن الاستقرار على الله تعالى محال وعند هذا للناس فيه

التفسير الكبير
أو
مفاتيح الغيب

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن
ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي
٥٤٤ - ٦٠٤ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

الجزء الثلاثون

محتوى الجزء الثلاثين: من الآية (١) من سورة الجمعة، إلى الآية (٥٠) من سورة المرسلات.

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

كانت مثل الذهب أو الحديد، لكانت تسخن جداً في الصيف، وكانت تبرد في الشتاء، ولكانت الزراعة فيها ممتنعة، والغراسة فيها متعذرة، ولما كانت كفاتاً للأموات والأحياء. ورابعها: أنه تعالى سخرها لنا بأن أمسكها في جو الهواء، ولو كانت متحركة على الاستقامة أو على الاستدارة لم تكن منقادة لنا.

المسألة الثالثة: قوله ﴿فامشوا في مناكبها﴾ أمر إباحة، وكذا القول في قوله ﴿وكلوا من رزقه﴾.

المسألة الرابعة: ذكروا في مناكب الأرض وجوهاً. أحدها: قال صاحب الكشاف: المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل، لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير، وأبعده من إمكان المشي عليه، فإذا صار البعير بحيث يمكن المشي على منكبه، فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة، فثبت أن قوله ﴿فامشوا في مناكبها﴾ كناية عن كونها نهاية في الذلولية. وثانيها: قول قتادة والضحاك وابن عباس: إن مناكب الأرض جبالها وآكامها، وسميت الجبال مناكب، لأن مناكب الإنسان شاخصة، والجبال أيضاً شاخصة، والمعنى أني سهلت عليكم المشي في مناكبها، وهي أبعد أجزائها عن التذليل، فكيف الحال في سائر أجزائها. وثالثها: أن مناكبها هي الطرق، والفجاج والأطراف والجوانب، وهو قول الحسن ومجاهد والكلبي ومقاتل، ورواية عطاء عن ابن عباس، واختيار الفراء، وابن قتيبة قال: مناكبها جوانبها، ومنكبا الرجل جانباه، وهو كقوله تعالى (والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً) [نوح: ٢٠] أما قوله ﴿وكلوا من رزقه﴾ أي مما خلقه الله رزقاً لكم في الأرض ﴿وإليه النشور﴾ يعني ينبغي أن يكون مكثكم في الأرض وأكلكم من رزق الله مكث من يعلم أن مرجعه إلى الله وأكل من يتيقن أن مصيره إلى الله، والمراد تحذيرهم عن الكفر والمعاصي في السر والجهر، ثم إنه تعالى بين أن بقاءهم مع هذه السلامة في الأرض إنما كان بفضل الله ورحمته، وأنه لو شاء لقلب الأمر عليهم، ولأمطر عليهم من سحاب القهر مطر الآفات.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾

فقال تقريراً لهذا المعنى ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾.

واعلم أن هذه الآيات نظيرها قوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) [الأنعام: ٦٥] وقال (فخسفنا به وبداره الأرض) [القصص: ٨١].

واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله ﴿ءأمنتم من في السماء﴾، (والجواب) عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله) [الأنعام: ١٢] فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكاً لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل، ثم فيه وجوه: أحدها: لم لا يجوز أن يكون تقدير الآية: أأمنتم من في السماء عذابه، وذلك لأن عادة الله تعالى جارية بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله ويعصيه من السماء فالسماء موضع عذابه تعالى، كما أنه موضع نزول رحمته ونعمته. وثانيها: قال أبو مسلم: كانت العرب مقرين بوجود الإله، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة، فكأنه تعالى

أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ

ثم قال تعالى ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: يقال لفلان عليَّ يمين بكذا إذا ضمنته منه وخلقت له على الوفاء به يعني أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد. فإن قيل إلى في قوله ﴿إلى يوم القيامة﴾ بم يتعلق؟ قلنا فيه وجهان. الأول: أنها متعلقة بقوله ﴿بالغة﴾ أي هذه الأيمان في قوتها وكمالها بحيث تبلغ إلى يوم القيامة. والثاني: أن يكون التقدير: أيمان ثابتة إلى يوم القيامة. ويكون معنى بالغة مؤكدة كما تقول جيدة بالغة، وكل شيء متناه في الصحة والجودة فهو بالغ، وأما قوله ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ فهو جواب القسم لأن معنى ﴿أم لكم أيمان علينا﴾ أم أقسمنا لكم.

المسألة الثانية: قرأ الحسن بالغة بالنصب وهو نصب على الحال من الضمير في الظرف. ثم قال للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ والمعنى أيهم بذلك الحكم زعيم، أي قائم به وبالاستدلال على صحته، كما يقوم زعيم القوم بإصلاح أمورهم.

ثم قال ﴿أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ وفي تفسيره وجهان. الأول: المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله فيعتقدون أن أولئك الشركاء يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب، وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم جعلوها شركاء لله وهذا كقوله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) [الروم: ٤٠]. الوجه الثاني في المعنى أم لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلمين والمجرمين، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم، والمراد بيان أنه كما ليس لهم دليل عقلي في إثبات هذا المذهب، ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه، فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول، وذلك يدل على أنه باطل من كل الوجوه.

واعلم أنه تعالى لما أبطل قولهم، وأفسد مقالتهم شرح بعد ذلك عظمة يوم القيامة.

فقال ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: يوم منصوب بماذا؟ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منصوب بقوله: ﴿فليأتوا﴾ في قوله: ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ وذلك أن ذلك اليوم يوم شديد، فكأنه تعالى قال: ﴿إن كانوا صادقين﴾ في أنها شركاء فليأتوا بها يوم القيامة، لتنفعهم وتشفع لهم. وثانيها: أنه منصوب بإضمار اذكر. وثالثها: أن يكون التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ، وأن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمته.

المسألة الثانية: هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق، أهو يوم القيامة أو في الدنيا؟ فيه قولان: الأول: وهو الذي عليه الجمهور، أنه يوم القيامة، ثم في تفسير الساق وجوه: الأول: أنه الشدة، وروي أنه سئل ابن

عباس عن هذه الآية، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال: وهو كرب وشدة، وروى مجاهد عنه قال: هو أشد ساعة في القيامة، وأنشد أهل اللغة أبياتاً كثيرة [منها]:

فإن شمرت لك عن ساقها فدنها ربيع ولا تسأم

ومنها:

كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وقال جرير:

ألا رب سام الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر:

في سنة قد شمرت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عراقها

وقال آخر:

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

ثم قال ابن قتيبة أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه، يشمر عن ساقه، فلا جرم يقال في موضع الشدة كشف عن ساقه، واعلم أن هذا اعتراف من أهل اللغة بأن استعمال الساق في الشدة مجاز، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة على أنه تعالى يستحيل أن يكون جسماً، فحينئذ يجب صرف اللفظ إلى المجاز، واعلم أن صاحب الكشاف أورد هذا التأويل في معرض آخر، فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر، فمعنى قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم، ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في البخل. ثم أخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه لما وقفنا على هذه الأسرار (وأقول) إما أن يدعي أنه صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، أو يقول إنه لا يجوز ذلك إلا بعد امتناع حمله على الحقيقة، والأول باطل بإجماع المسلمين، ولأنا إن جوزنا ذلك انفتحت أبواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد فإنهم يقولون في قوله (جنات تجري من تحتها الأنهار) [البروج: ١١] ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة، ويقولون في قوله: (اركعوا واسجدوا) [الحج: ٧٧] ليس هناك لا سجود ولا ركوع، وإنما هو مثل للتعظيم، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع وفساد الدين، وأما إن قال: بأنه لا يصار إلى هذا التأويل إلا بعد قيام الدلالة، على أنه لا يجوز حمله على ظاهره، فهذا هو الذي لم يزل كل أحد من المتكلمين [إلا] قال به وعول عليه، فأين هذه الدقائق، التي استبد هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان، فرحم الله امرأ عرف قدره، وما تجاوز طوره. القول الثاني: وهو

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الرابع

المحتوى

المائدة: ٨٢ - آخر الأنفال

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بتربتها ، وجبالها ، وشجرها ، ومكروهها ، ونورها ، ودوابها ، وآدم عليه السلام . وهذا يطابق الحديث الثابت في الصحيح . وتبقى ستة أيام على ظاهرها من العددية . ومن كونها أياماً باعتبار امتياز اليوم عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها . وأما استواؤه على العرش : فحمله على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم . والجمهور من السلف « السفيانان » و « مالك » و « الأوزاعي » و « الليث » و « ابن المبارك » وغيرهم في أحاديث الصفات على الإيمان بها وإمرارها على ما أراد الله تعالى من غير تعيين مراد . وقوم تأوّلوا ذلك على عدّة تأويلات ، وقال سفيان الثوري : « فعل فعلاً في العرش سماه استواء » . وعن أبي الفضل بن النحوي « أنه قال : « (العرش) مصدر « عرش يعرش » عرشاً . والمراد (بالعرش) في قوله (ثم استوى على العرش) هذا . وهذا ينبو عنه ما تقرر في الشريعة من أنه جسم مخلوق معين . ومسألة الاستواء مذكورة في « علم أصول الدين » وقد أمعن في تقرير ما يمكن تقريره فيها « القفال » « أبو عبد الله الرازي » وذكر ذلك في « التحرير » فيطالع هناك . ولفظة (العرش) مشتركة بين معان كثيرة فالعرش : « سرير الملك » . ومنه (ورفع أبويه على العرش) (نكروا لها عشرها) والعرش : السقف . وكل ما علا وأظل فهو عرش . والعرش : « الملك والسلطان والعز » ، وقال زهير :

تَدَارَكْتُما عَبْساً وَقَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا ... وَذُبْيَانَ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ(١)

وقال آخر :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ... بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شِهَابِ(٢)

والعرش : الخشب الذي يطوى به البئر بعد أن يطوى أسفلها بالحجارة . والعَرْش : أربعة كواكب صغار أسفل من العواء يقال لها عجز الأسد ويسمى عرش السماك . والعرش : ما يلاقي ظهر القدم وفيه الأصابع و (استوى) أيضاً يستعمل بمعنى : « استقر » . وبمعنى : (علا) . وبمعنى : « قصد » . وبمعنى : « ساوى » . وبمعنى : « تساوي » . وقيل بمعنى : استولى . وأنشدوا :

هُمَا اسْتَوَيَا بِفَضْلِهِمَا جَمِيعاً ... عَلَى عَرْشِ الْمُلُوكُ بِغَيْرِ زُورِ

وقال ابن الأعرابي : « لا نعرف (استوى) بمعنى استولى . والضمير في قوله (ثم استوى على العرش) يحتمل أن يعود على المصدر الذي دل عليه (خلق) (ثم استوى) خلقه على العرش ، وكذلك في قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ، لا يتعين حمل الضمير في قوله (استوى) على (الرحمن) إذ يحتمل أن يكون (الرحمن) خبر مبتدإ محذوف . والضمير في (استوى) عائد على الخلق المفهوم من قوله (تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى) أي : هو الرحمن . استوى خلقه على العرش ، لأنه تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض ، ذكر خلق ما هو أكبر وأعظم وأوسع من السموات والأرض . ومع الاحتمال في (العرش) وفي (استوى) وفي الضمير العائد . لا يتعين حمل الآية على ظاهرها هذا مع الدلائل العقلية التي أقاموها على استحالة ذلك . وقال الحسن « استوى أمره(٣) . وسأل مالك بن أنس رجل عن هذه

---

(١) البيت من الطويل يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف ، انظر ديوانه ص (١٠٦) مشاهد الإنصاف ٢٤٩/٣ ، شواهد الكشاف ص ٤٩٨ اللسان ٥٠١/١ (ثلل) القرطبي ٢٢٠/٧ .

(٢) البيت من الكامل نسب إلى رجل من بني نصر بن قعين ، ونسب أيضاً إلى أبي ذؤيب ، وقيل لداود بن ربيعة ، وروي (بربيعة بن الحارث) بدل عتيبة بن الحارث ، انظر شرح أشعار الهذليين ١٣٠٦/٣ المصون (٥) معاهد التنصيص ٢٠١/٣ شواهد الشافية (١٤١٤) شرح الحماسة ٨٤٣/٢ .

(٣) وهذا هو الحق الذي يعتقده أكابر أهل العلم ، انظر ما كتبناه على الوسيط ، (الأعراف) .

الآية فقال : كيف استوى ؟ فأطرق رأسه ملياً و - الرحضاء ثم قال : الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً . ثم أمر به فأخرج ، ﴿ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ التغشية : التغطية . والمعنى : أنه يذهب الليل نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل والنهار . فالليل للسكون . والنهار للحركة . وفحوى الكلام يدل على أن النهار يغشيه الله الليل . وهما مفعولان : لأن التضعيف والهمزة معدّيان . وقرأ بالتضعيف الأخوان « وأبو بكر » . وبإسكان الغين باقي السبعة وبفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام حميد بن قيس ، كذا قال عنه أبو عمرو الداني . وقال أبو الفتح عثمان بن جني عن حميد بنصب (الليل) ورفع (النهار) ، قال ابن عطية : « وأبو الفتح أثبت » . انتهى . وهذا الذي قاله من أن أبا الفتح أثبت كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءات ومعرفتها ، وضبط رواياتها ، واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه أحد من أئمة القراءات ، فضلاً عن النحاة الذين ليسوا مقرئين ، ولا رووا القرآن عن أحد ، ولا روي عنهم القرآن ، هذا مع الديانة الزائدة ، والتثبت في النقل ، وعدم التجاسر ، ووفور الخط من العربية ، فقد رأيت له كتاباً في « كلا » وكتاباً في « ادغام أبي عمرو الكبير » دلا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة ، ولا المقرئين . إلى سائر تصانيفه رحمه الله . والذي نقله أبو عمرو الداني عن حميد أمكن من حيث المعنى ؛ لأن ذلك موافق لقراءة الجماعة إذ (الليل) في قراءتهم وإن كان منصوباً هو الفاعل من حيث المعنى ، إذ همزة النقل أو التضعيف صيره مفعولاً . ولا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً من حيث المعنى ، لأن المنصوبين تعدى إليهما الفعل . وأحدهما فاعل من حيث المعنى ، فيلزم أن يكون الأول منهما كما لزم ذلك في « ملكت زيداً عمراً » . إذ رتبة التقديم هي الموضحة أنه الفاعل من حيث المعنى كما لزم ذلك في : « ضرب موسى عيسى » والجملة من (يطلبه) حال من الفاعل من حيث المعنى ، وهو (الليل) إذ هو المحدث عنه قبل التعدية . وتقديره : « حائا » . ويجوز أن يكون حالاً من (النهار) وتقديره : « محثوثاً » . ويجوز أن ينتصب نعتاً لمصدر محذوف . أي : « طلباً حثيثاً » . أي : « حائا » . أو « محثا » . ونسبة الطلب إلى الليل مجازية . وهو عبارة عن تعاقبه اللازم ، فكأنه طالب له لا يدركه بل هو في أثره بحيث يكاد يدركه . وقدّم (الليل) هنا كما قدمه في ﴿ يولج الليل في النهار ﴾ [الحديد : ٦] ، وفي ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ [يس : ٤٠] وفي ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] ، وقال أبو عبد الله الرازي : « وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة . « لأن تعاقب الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الأعظم ، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة ، وأكملها شدّة حتى أن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا : الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل قبل أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل ، ولهذا قال (يطلبه حثيثاً) ونظيره ﴿ لا الشمس ينبغي لها ﴾ [يس : ٤٠] ، الآية . شبه ذلك المسير وتلك الحركة بالسباحة في الماء . والمقصود التنبيه على السرعة والسهولة وكمال الاتصال » . انتهى . وفيه بعض تلخيص . ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ انتصب (مسخرات) على الحال من المجموع . أي : « وخلق الشمس » . وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة على الابتداء والخبر . وقرأ أبان بن ثعلب برفع (والنجومُ مسخراتٌ) فقط على الابتداء والخبر ومعنى (بأمره) بمشيئته وتصريفه . وهو متعلق بـ (مسخرات) أي : خلقهن جاريات بمقتضى حكمته ، وتدبيره ، وكما يريد أن يصرفها . سمى ذلك أمراً على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ، وقال أبو عبد الله الرازي : « الشمس لها نوعان من الحركة ، أحدهما : بحسب ذاتها وذلك يتم في سنة كاملة وبسبب ذلك تحصل السنة . والثاني : حركتها بحسب حركة الفلك الأعظم ويتم في اليوم بليلته . فتقول : الليل والنهار لا يحصلان بحركة الشمس . وإنما يحصلان بحركة السماء الأقصى الذي يقال له العرش ، فلهذا السبب لما دل على العرش بقوله (ثم استوى على العرش) وربط بقوله (يغشى الليل النهار) تنبيهاً على أن حدوث الليل والنهار إنما يحصل بحركة العرش . والشمس ، والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، تنبيهاً على أن الفلك الأعظم وهو العرش يحرك الأفلاك والكواكب على خلاف طبعها من المشرق إلى المغرب وأنه تعالى أودع في جرم الشمس قوة قاهرة باعتبارها قويت على قهر جميع الأفلاك

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الجزء السابع

المحتوى

أول الشعراء - آخر الشورى

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العزة لله جميعاً﴾ [النساء: ١٣٩] فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه. وقال ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون: ٨] انتهى». ولا تنافي بين قوله (فإن العزة لله جميعاً) وإن كان الظاهر أنها له لا لغيره وبين قوله ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون: ٨] وإن كان يقتضي الاشتراك، لأن العزة في الحقيقة لله بالذات، وللرسول بواسطة قربه من الله، وللمؤمنين بواسطة الرسول. فالمحكوم عليه أولاً غير المحكوم عليه ثانياً. و(مَنْ) اسم شرط وجملة الجواب لا بد أن يكون فيها ضمير يعود على اسم الشرط إذا لم يكن ظرفاً. والجواب محذوف. تقديره على حسب تلك الأقوال السابقة. فعلى قول مجاهد، فهو مغلوب. وعلى قول قتادة، فيطلبها من الله، وعلى قول الفراء، فلينسب ذلك إلى الله. وعلى القول الرابع فهو لا ينالها، وحذف الجواب استغناء عنه بقوله (فلله العزة جميعاً) لدلالته عليه. والظاهر من هذه الأقوال قول قتادة فليطلبها من العزة له يتصرف فيها كما يريد، كما قال تعالى: ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ [آل عمران: ٢٦] وانتصب (جميعاً) على المراد. والمراد عزة الدنيا وعزة الآخرة. و(الكلم الطيب) التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك. وقال ابن عباس: «شهادة أن لا إله إلا الله». وقيل: ثناء بالخير على صالحي المؤمنين. وقال كعب: «إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدوياً حول العرش كدوي النحل بذكر صاحبها». وقرأ الجمهور (يَصْعَد) مبنياً للفاعل من صعد (الكلمُ الطيبُ) مرفوعاً فـ (الكلم) جمع كلمة، وقرأ علي ـ وابن مسعود والسلمي وإبراهيم (يصعد) من أصعد الكلام الطيب على البناء للمفعول، انتهى. ـ وقرأ زيد بن علي (يصعد) من صعد الكلام رقي: وصعود الكلام إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى إليه، لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود، لأن الصعود من الأجرام يكون وإنما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال كما يقال علا كعبه وارتفع شأنه. ومنه ترافعوا إلى الحاكم ورفع الأمر إليه وليس هناك علو في الجهة. وقرأ الجمهور (والعملُ الصالح) يُرفعهما فـ (العمل) مبتدأ و(يرفعه) الخبر. وفاعل (يرفعه) ضمير يعود على (العمل الصالح) وضمير النصب يعود على (الكلم) أي: يرفع الكلم الطيب قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد والضحاك. وقال الحسن: «يعرض القول على الفعل فإن وافق القول الفعل قبل وإن خالف رده». وعن ابن عباس نحوه قال: «إذا ذكر الله العبد وقال كلاماً طيباً وأدّى فرائضه ارتفع قوله مع عمله وإذا قال ولم يؤدّ فرائضه رد قوله على عمله». وقيل: عمله أولى به. قال ابن عطية: «وهذا قول يرده معتقد أهل السنة ولا يصح عن ابن عباس. والحق أن القاضي لفرائضه إذا ذكر الله وقال كلاماً طيباً فإنه مكتوب له، متقبل وله حسناته، وعليه سيئاته والله يتقبل من كل من اتقى الشرك». وقال أبو صالح: وشهر بن حوشب: عكس هذا القول: «ضمير الفاعل يعود على (الكلم) وضمير النصب على (العمل الصالح) أي: يرفعه الكلم الطيب»، وقال قتادة: «إن الفاعل هو ضمير يعود على الله والهاء للعمل الصالح. أي: يرفعه الله إليه. أي: يقبله». وقال ابن عطية: هذا أرجح الأقوال. وعن ابن عباس: «والعمل الصالح يرفع عامله ويشرفه». فجعله على حذف مضاف. ويجوز عندي أن يكون (العمل) معطوفاً على (الكلم الطيب) أي: يصعدان إلى الله. و(يرفعه) استئناف إخبار أي: يرفعهما الله. ووحد الضمير لاشتراكهما في الصعود والضمير قد يجري مجرى اسم الإشارة فيكون لفظه مفرداً والمراد به التثنية، فكأنه قيل: ليس صعودهما من ذاتهما بل ذلك برفع الله إياهما. وقرأ عيسى وابن أبي عبلة و(العمل الصالح) بنصبهما على الاشتغال. فالفاعل ضمير (الكلم) أو ضمير الله. و(مكر) لازم و(السيئات) نعت لمصدر محذوف. أي: المكرات السيئات. أو المضاف إلى المصدر. أي: أضاف المكر إلى السيئات. أو ضمن (يمكرون) معنى يكتسبون، فنصب (السيئات) مفعولاً به، وإذا كانت (السيئات) نعتاً لمصدر أو لمضاف لمصدر فالظاهر أنه عنى به مكرات قريش في دار الندوة إذ تذاكروا إحدى ثلاث مكرات وهي المذكورة في الأنفال إثباته، أو قتله، أو إخراجه. و(أولئك) إشارة إلى الذين مكروا تلك المكرات، (يبور) أي: يفسد ويهلك دون مكر الله بهم إذ أخرجهم من مكة، وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً، وحقق فيهم قوله: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] و(هو) مبتدأ و(يبور) خبره. والجملة خبر عن قوله (ومكر أولئك) وأجاز الحوفي وأبو البقاء:

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

الجزء الثامن

المحتوى

أول الزخرف - آخر الناس

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الأولية والآخرية ، والثانية على أنه الجامع بين الظهور والخفاء ، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ، ومجموع الصفتين الأخريين ، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية ، وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالأدلة والخفاء ، فلا يدرك بالحواس ، وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة انتهى ، وفيه دسيسة الاعتزال ، (يعلم ما يلج في الأرض) من المطر والأموات وغير ذلك (وما يخرج منها) من النبات والمعادن وغيرها ، (وما ينزل من السماء) من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره (وما يعرج فيها) من الملائكة وصالح الأعمال وسيئها (وهو معكم أين ما كنتم) أي : بالعلم والقدرة ، قال الثوري : المعنى علمه معكم ، وهذه آية أجمعت الأمّة على هذا التأويل فيها ، وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات ، وهي حجة على من منع التأويل في غيرها ، مما يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها ، وقال بعض العلماء : فيمن يمتنع من تأويل ما لا يمكن حمله على ظاهره ، وقد تأول هذه الآية ، وتأول « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » ، لو اتسع عقله لتأول غير هذا مما هو في معناه ، وقرأ الجمهور (تُرجع) مبنياً للمفعول والحسن وابن أبي إسحق والأعرج مبنياً للفاعل ، و (الأمور) عام في جميع الموجودات أعراضها وجواهرها ، وتقدم شرح ما قبل هذا وما بعده فأغنى عن إعادته .

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

لما ذكر تعالى تسبيح العالم له ، وما احتوى عليه من الملك والتصرف ، وما وصف به نفسه من الصفات العلا ، وختمها بالعلم بخفيات الصدور ، أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الإيمان وإدامته والنفقة في سبيل الله تعالى ، قال الضحاك) نزلت في غزوة تبوك ، (مستخلفين فيه) أي : ليست لكم بالحقيقة ، وإنما انتقلت إليكم من غيركم ، وكما وصلت إليكم تتركونها لغيركم ، وفيه تزهيد فيما بيد الناس ، إذ مصيره إلى غيره ، وليس له منه إلا ما جاء في الحديث : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » ، وقيل لأعرابي : لمن هذه الإبل ؟ فقال : هي لله تعالى عندي ، أو يكون المعنى : أنه تعالى أنشأ هذه الأموال فمتعكم بها ، وجعلكم خلفاء في التصرّف فيها ، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء ، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ، ثم ذكر تعالى ما للمؤمن المنفق من الأجر ، ووصفه بالكرم ليصرعه في أنواع الثواب ، قيل : وفيه إشارة إلى عثمان بن عفان ، حيث بذل تلك النفقة العظيمة في جيش العسرة ، ثم قال (وما لكم لا تؤمنون بالله) وهو استفهام على سبيل التأنيب والإنكار ، أي : كيف لا تثبتون على الإيمان ودواعي ذلك موجودة ، وذلك ركزه فيكم من دلائل العقل ، وموجب ذلك من السمع في قوله (والرسول يدعوكم) لهذا الوصف الجليل ، وقد تقدم أخذ الميثاق عليكم بالإيمان ، فدواعي الإيمان موجودة ، وأسبابه حاصلة ، فلا مانع منه ، ولا عذر في تركه ، و (لا تؤمنون) حال كما تقول : مالك لا تقوم تنكر عليه انتفاء قيامه

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء السادس

المحتوى

أول الإسراء - آخر الفرقان

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

القرآن إلى أنه سحر وأضغاث أحلام ، وهو المعنيّ بقوله (مما تصفون) وأبعد من ذهب إلى أنه التفات من ضمير الغيبة في فما زالت تلك دعواهم) إلى ضمير الخطاب ، ثم أخبر تعالى أن من في السموات والأرض ملك له ، فاندرج فيه من سموه الصحابة والولد ومن عنده هم الملائكة ، واحتمل أن يكون معطوفاً على من ، فيكونون قد اندرجوا في الملائكة بطريق العموم لدخولهم في من ، وبطريق الخصوص بالنص على أنهم من عنده ويكون لا يستكبرون جملة حالية منهم أو استئناف إخبار، واحتمل أن يكون ومن عنده مبتدأ وخبره لا يستكبرون ، وعند هنا لا يراد بها ظرف المكان لأنه تعالى منزه عن المكان ، بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة ، والظاهر أن قوله (وله من في السماوات والأرض) استئناف إخبار بأن جميع العالم ملكه ، وقيل: يحتمل أن يكون معادلاً لقوله (ولكم الويل مما تصفون) كأنه يقسم الأمر في نفسه : أي للمختلفين هذه المقالة الويل ، ولله تعالى مَن في السماوات والأرض انتهى .

والمراد أن الملائكة مكرمون منزلون لكرامتهم على الله منزلة المقرّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم ، ويقال حسر البعير واستحسر : كَلَّ وتعب ، وحسرته أنا ، فهو متعد ولازم ، وأحسرته أيضاً ، وقال الشاعر :

بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[1]

قال الزمخشري[2] : فإن قلت : الاستحسار مبالغة في الحسور ، وكان الأبلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور ، قلت : في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه ، وأنهم إخفاء لتلك العنادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون انتهى ، (يسبحون) هم الملائكة بإجماع الأمة ، وصفهم بتسبيح دائم ، وعن كعب : جعل الله لهم التسبيح كالنفس ، وطرف العين للبشر يقع منهم دائماً دون أن يلحقهم فيه سآمة ، وفي الحديث « إني لأسمع أطيط[3] السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع راحة إلا وفيه ملك ساجد أو قائم » ﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ .

لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته ، وأن من في السماوات والأرض كلهم ملك له ، وأن الملائكة المكرمين هم في خدمته لا يفترون عن تسبيحه وعبادته ، عاد إلى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه أحلامهم ، و (أم) هنا منقطعة تتقدر ببل والهمزة ، ففيها إضراب ، وانتقال من خبر إلى خبر ، واستفهام معناه التعجب والإنكار : أي اتخذوا آلهة من الأرض يتصفون بالإحياء ويقدرون عليها وعلى الإماتة : أي لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف ، بل اتخذوا آلهة جماداً لا يتصف بالقدرة على شيء فهي غير آلهة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة .

---

(١) تقدم .

(٢) انظر الكشاف (٣/١٠٨) .

(٣) أطّت السماء : الأطيط : صوت الأقتاب .

لسان العرب (١/٩٢)

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الجزء الأول

المحتوى

أول الفاتحة - البقرة: ١٧٦

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

أي : جاه وشرف ، والتقدير فثمّ جلال الله وعظمته قاله أبو منصور ، في المقنع ، وحيث جاء الوجه مضافاً إلى الله تعالى فله محمل في لسان العرب إذ هو لفظ يطلق على معان ويستحيل أن يحمل على العضو وإن كان ذلك أشهر فيه ؛ وقد ذهب بعض الناس إلى أن تلك صفة ثابتة لله بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى ، وضعف أبو العالية وغيره هذا القول ، لأن فيه الجزم باثبات صفة لله تعالى بلفظ محتمل ، وهي صفة لا يدرى ما هي ولا يعقل معناها في اللسان العربي فوجب اطراح هذا القول والاعتماد على ما له محمل في لسان العرب إذا كان للفظ دلالة على التجسيم فتحمله إمّا على ما يسوغ فيه من الحقيقة التي يصح نسبتها إلى الله تعالى إن كان اللفظ مشتركاً ، أو من المجاز ، إن كان اللفظ غير مشترك ، والمجاز في كلامِ العرب أكثر من : رمل بيرين ، ونهر فلسطين ، فالوقوف مع ظاهر اللفظ الدال على التجسيم غباوة وجهل بلسان العرب وأنحائها ومتصرّفاتها في كلامها وحجج العقول التي مرجع حمل الألفاظ المشكلة إليها ونعوذ بالله أن نكون كالكرامية ومن سلك مسلكهم في إثبات التجسيم ، ونسبة الأعضاء لله تعالى الله عما يقول المفترون علواً كبيراً وفي قوله (فأينما تولوا فثمّ وجه الله) ردّ على من يقول إنه في حيز وجهة لأنه لما خبر في استقبال جميع الجهات دل على أنه ليس في جهة ولا حيز ، ولو كان في حيز لكان استقباله ، والتوجه إليه أحق من جميع الأماكن فحيث لم يخصص مكاناً علمنا أنه لا في جهة ولا حيز ، بل جميع الجهات في ملكه وتحت ملكه فأي جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظمين له ممتثلين لأمره ﴿ إن الله واسع عليم ﴾ وصف تعالى نفسه بصفة الواسع فقيل : ذلك لسعة مغفرته وجاء إن ربك واسع المغفرة وهو معنى قول الكلبي : لا يتعاظمه ذنب ، وقيل : واسع العطاء وهو معنى قول أبي عبيدة : غني ، وبمعنى قول الفراء : جواد ، وقيل : معناه : عالم من قوله ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ على أحد التفاسير ، وجمع بينه وبين عليم على سبيل التأكيد ، وقيل : واسع القدرة ، وقيل : معناه يوسع على عباده في الحكم دينه يسر ، عليم أي : بمصالحهم ، أو بنيات القلوب التي هي ملاك العمل وإن اختلفت ظواهرها في قبلة وغيرها ، وهذه التفاسير على قول من قال إن الآية نزلت في أمر القبلة ، وقال القفال : ليس فيها ذكر القبلة والصلاة ، وإنما أخبرهم تعالى عن علمه بهم ، وطوق سلطانه إياهم حيث كانوا كقوله تعالى ﴿ إن استطعتم ﴾ الآية وقوله ﴿ ما يكون من نجوى ﴾ الآية ، ويكون في هذا تهديد لمن منع مساجد الله من الذكر وسعى في خرابها أنه لا مهرب له من الله ولا مفر كما قال تعالى ﴿ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ [القيامة : ١٠ ـ ١١ ـ ١٢] ، وكما قال الشاعر :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وقال الشاعر :

وَلَمْ يَكُنِ الْمُغْتَرُّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى ... لِيَعْجَزَ وَالْمُغْتَرُّ بِاللَّهِ طَالِبُهْ

وقال الشاعر :

أَيْنَ الْمَفَرُّ وَلَا مَفَرَّ لِهَارِبٍ ... وَلَهُ الْبَسِيطَانِ الثَّرَى وَالْمَاءُ

وعلى هذا المعنى يكون الخطاب عاماً يندرج فيه من منع المساجد من الذكر وغيره وجاءت هذه الجملة مؤكدة بأن مصرحاً باسم الله فيها دالة على الاستقلال ، وقد قدّمنا ذلك في قوله ﴿ تجدوه عند الله ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وكقوله ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وذلك أفخم وأجزل من الضمير ، لأن الضمير يشعر بقوة التعلق ، والظاهر يشعر بالاستقلال ، ألا ترى أنه يصح الابتداء به وإن لم يلحظ ما قبله بخلاف الضمير ، فإنه رابط

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الثامن

المحتوى

أول الزخرف - آخر الناس

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً
سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ ﴿٣٠﴾

قرأ نافع ، وأبو عمرو ، والبزي (أأمنتم) بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ، وأدخل أبو عمرو ، وقالون بينهما ألفاً . وقنبل بإبدال الأولى واواً لضمهما قبلها . وعنه ، وعن ورش أوجه غير هذه والكوفيون ، وابن عامر بتحقيقهما (من في السماء) هذا مجاز وقد قام البرهان العقلي على أنه تعالى ليس بمتحيز في جهة ، ومجازه : أن ملكوته في السماء ، لأن في السماء هو صلة (من) ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه ، وهو استقر أي : من في السماء هو أي ملكوته فهو على حذف مضاف وملكوته في كل شيء ، لكن خص السماء بالذكر ، لأنها مسكن ملائكته ، وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأمره ونهيه أو جاء على هذا على طريق اعتقادهم إذ كانوا مشبهة فيكون المعنى (أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو المتعالي عن المكان) وقيل (من) على حذف مضاف أي خالق من في السماء ، وقيل : من هم الملائكة ، وقيل : جبريل وهو الملك الموكل بالخسف وغيره ، وقيل : (من) بمعنى « على » ويراد بالعلو القهر والقدرة ، لا بالمكان . وفي التحرير الإجماع منعقد على أنه ليس في السماء بمعنى الاستقرار ، لأن من قال من المشبهة والمجسمة أنه على العرش لا يقول بأنه في السماء(أن يخسف بكم الأرض) وهو ذهابها سفلاً (فإذا هي تمور) أي تذهب أو تتموج ، كما يذهب التراب في الريح . وقد تقدم شرح (الحاصب) في سورة الإسراء ، و« النذير » و« النكير » مصدران بمعنى الإنذار والإنكار ، وقال حسان بن ثابت :

فَأُنْذِرُ مِثْلَهَا نُصْحاً قُرَيْشاً ... مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلَتْ نَذِيرا(١)

وأثبت ورش ياء « نذيري » و« نكيري » ، وحذفها باقي السبعة .

ولما حذرهم ما يمكن إحلاله بهم من الخسف ، وإرسال الحاصب ، نسبهم على الاعتبار بالطير ، وما أحكم من خلقها ، وعن عجز آلهتهم عن شيء من ذلك ، وناسب ذلك الاعتبار بالطير إذا قد تقدمه ذكر الحاصب ، وقد أهلك الله

(١) البيت ذكره الألوسي في روح المعاني (٢٨/ ٢٠) .

تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الجزء السادس

المحتوى

أول الإسراء - آخر الفرقان

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وقال الزمخشري[1] : فإن قلت ، كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر ، وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى ، لأنهم مع إقرارهم بأن الله خالق السماوات والأرض ، وبأنه قادر على المقدورات كلها ، وعلى النشأة الأولى منكرين للبعث ، وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر ، فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة ؟

قلت : الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشاء ، لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور ، والإنشاء من جملة المقدورات ، وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل ، وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده ، لأن الإلهية لما صحت ، صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة ونحو قوله : (من الأرض) قولك فلان من مكة أو من المدينة ، تريد مكي أو مدني ، ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض ، لا أن الآلهة أرضية وسماوية من ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله ﷺ « أين ربك » فأشارت إلى السماء فقال « إنها مؤمنة » لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكاناً لله تعالى ، ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض ، لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة ، أو تعمل من بعض جواهر الأرض . فإن قلت لا بد من نكتة في قوله (هم) قلت : النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل : أم اتخذوا آلهة لا تقدر على الإنشاء إلا هم وحدهم انتهى ، و (اتخذوا) هنا يحتمل أن يكون المعنى فيها صنعوا وصوروا ، (ومن الأرض) متعلق باتخذوا ، ويحتمل أن يكون المعنى : جعلوا الآلهة أصناماً من الأرض كقوله : ﴿ أتتخذ أصناماً آلهة ﴾ [الأنعام : ٧٤] وقوله : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ [النساء : ١٢٥] وفيه معنى الاصطفاء والاختيار .

وقرأ الجمهور (ينشرون) مضارع نشر ومعناه يحيون ، وقال قطرب : معناه يخلقون كقوله : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ [الزمل : ١٧] ، وقرأ الحسن ومجاهد (ينشرون) مضارع نشر ، وهما لغتان نشر وأنشر متعديان ونشر يأتي لازماً تقول : أنشر الله الموتى فنشروا : أي : فحيوا ، والضمير في (فيهما) عائد على السماء والأرض ، وهما كناية عن العالم ، و (إلا) هنا صفة لآلهة : أي غير الله ، وكون إلا يوصف بها معهود في لسان العرب ومن ذلك ما أنشد سيبويه رحمه الله :

وَكُـلُّ أَخٍ مُـفَـارِقُـهُ أَخُـوهُ لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ إِلَّا الْفَـرْقَـدَانِ[2]

قال الزمخشري : فإن قلت : ما منعك من الرفع على البدل قلت لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب ، والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب ، كقوله : ﴿ ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ﴾ [هود : ٨١] وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه ، والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا ، وفيه دلالة على أمرين : أحدهما : وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً ، والثاني : أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده كقوله : ﴿ إلا الله ﴾ [محمد : ١٩] (فإن قلت) لم وجب الأمران ؟ قلت لِيعلِمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين ، لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف .

وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق : كان والله أعز عليّ من دم ناظري ، ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر . وأما طريقة التمانع ، فللمتكلمين فيها تجادل وطراد ، ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك

---

(١) انظر الكشاف (٣/١٠٨) .

(٢) تقدم .



تفسير النسفي

مدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام عبد الله بن أحمد النسفي
المتوفى سنة ٧١٠ هـ

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ-١٩٩٦م

تحقيق

الشيخ مروان محمد الشعار

الجزء الثالث

دار النفائس

تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾

﴿يَخْشَىٰ﴾ لمن يخافُ الله ، أو لمن يؤولُ أمرُه إلى الخَشيةِ .

٤ ـ ﴿تَنزِيلًا﴾ بدلٌ مِنْ تذكرةً إذا جُعِلَ حالاً ، ويجوزُ أنْ ينتصبَ بنُزِّلَ مضمراً ، أو على المدحِ ، أو بيخشى مفعولاً ، أي أنزله اللهُ تذكرةً لمن يخشى تنزيلَ اللهِ ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مَن يتعلقُ بتنزيلاً صلةً له ﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع العليا تأنيثُ الأعلى ، ووصْفُ السماواتِ بالعلى دليلٌ ظاهرٌ على عِظَمِ قدرةِ خالقِها .

٥ ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ رفعٌ على المدحِ ، أي هو الرحمن ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى . عن الزَّجَّاجِ ، ونبه بذكرِ العرشِ وهو أعظمُ المخلوقاتِ على غيرِه ، وقيل لمَّا كان الاستواءُ على العرشِ وهو سريرُ المُلْكِ مما يردفُ المُلْكَ جعلوه كنايةً عن المُلْكِ فقالوا[1] استوى فلانٌ على العرشِ أي مَلَكَ وإنْ لم يقعد على السريرِ البتة ، وهذا كقولك يدُ فلانٍ مبسوطةٌ أي جوادٌ وإنْ لم يكنْ له يدٌ رأساً ، والمذهبُ قولُ عليٍ رضي الله عنه : الاستواءُ غيرُ مجهولٍ والتكييفُ غيرُ معقولٍ والإيمانُ به واجبٌ والسؤالُ عنه بدعةٌ لأنه تعالى كانَ ولا مكانَ فهو على ما كانَ قبلَ خلقِ المكانِ لم يتغير عما كان .

٦ ـ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خبرٌ ومبتدأ ومعطوفٌ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي ذلك كله مِلْكُه ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ما تحتَ سبعِ الأراضين ، أو هو الصخرةُ التي تحتَ الأرضِ السابعةِ .

٧ ـ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ ترفع صوتَك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ما أسررتَه إلى غيرِك ﴿وَأَخْفَى﴾ منه وهو ما أخطرتَه ببالِك ، أو ما أسررتَه في نفسِك وما ستُسِرُّه فيها .

٨ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي هو واحدٌ بذاتِه وإنْ افترقت عباراتُ صفاتِه ردٌّ لقولِهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى ، والحسنى تأنيثُ الأحسنِ .

٩ ـ ﴿وَهَلْ﴾ أي وقد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ خبرُه ، قفَّاهُ بقصةِ موسى عليه السلام

(١) في (ز) فقال .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾

٤ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى عليه بإحدائه ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ مِنْ دونِ الله ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسِكم ولياً، أي ناصراً ينصرُكم ولا شفيعاً يشفعُ لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بمواعظِ الله.

٥ ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي أمرَ الدنيا ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى أنْ تقومَ الساعةُ ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ذلكَ الأمرُ كلُّه، أي يصيرُ إليه ليحكُمَ فيه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يومُ القيامةِ ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ مِنْ أيامِ الدنيا، ولا تمسُّكَ للمشبِّهةِ بقوله إليه في إثبات الجهةِ لأن معناه إلى حيثُ يرضاه، أو أمرُه، كما لا تشبُّثَ لهم بقوله: ﴿إني ذاهبٌ إلى ربي﴾[1] ﴿إني مهاجرٌ إلى ربي﴾[2] ﴿ومَنْ يخرج مِنْ بيته مهاجراً إلى الله﴾[3].

٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الموصوفُ بما مرَّ، عالمُ ما غابَ عن الخلقِ وما شاهدوه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ أمرُه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ البالغُ لطفُه وتيسيرُه، وقيل لا وقفَ عليه، لأن:

٧ ـ ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ صفتُه ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي حَسَّنه، لأنَّ كلَّ شيءٍ مرتبٌ على ما اقتضته الحكمةُ ﴿خَلَقَهُۥ﴾ كوفي ونافع وسهل، على الوصفِ أي كلَّ شيءٍ خلقَه فقد أحسنه[4]، خَلْقه غيرُهم على البدلِ أي أحسنَ خلقَ كلِّ شيءٍ ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ﴾.

٨ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريتَه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ مِنْ نطفةٍ ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي مَنِيٍّ، وهو بدلٌ مِنْ سلالةٍ ﴿مَّهِينٍ﴾ ضعيفٍ حقيرٍ.

---

(١) الصافات، ٣٧/٩٩.
(٢) العنكبوت، ٢٩/٢٦.
(٣) النساء، ٤/١٠٠.
(٤) في (ز) أحسن.



تفسير النسفي

مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ

تأليف

الإمام عبد الله بن أحمد النسفي

المتوفى سنة ٧١٠ هـ

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ-١٩٩٦م

تحقيق

الشيخ مروان محمد الشعار

الجزء الرابع

دار النفائس

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

٣ ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ هو القديمُ الذي كان قبلَ كلِّ شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاكِ كلِّ شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلةِ الدالةِ عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لكونه غيرَ مدركٍ بالحواس وإن كان مرئياً، والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامعُ بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهورِ والخفاءِ، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليَيْن ومجموع الصفتين الأخريَيْن، فهو مستمرُ الوجودِ في جميعِ الأوقاتِ الماضيةِ والآتيةِ، وهو في جميعها ظاهرٌ وباطنٌ، وقيل الظاهرُ العالي على كلِّ شيء الغالبُ له، مِنْ ظهرَ عليه إذا علاه وغلبَه، والباطنُ الذي بَطَنَ كلَّ شيءٍ أي علم باطِنَه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٤ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ عن الحسن: من أيام الدنيا، ولو أرادَ أنْ يجعلَها في طرفةِ عينٍ لفعل، ولكن جعلَ الستةَ أصلاً ليكون عليها المدارُ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما يدخُلُ في الأرضِ مِنَ البَذْرِ والقَطْرِ والكنوزِ والموتى ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِنَ النبات وغيرِه ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مِنَ الملائكةِ والأمطارِ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ مِنَ الأعمالِ والدعوات ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ﴾ بالعلمِ والقدرةِ عموماً وبالفضلِ والرحمةِ خصوصاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم بحسبِ[1] أعمالِكم.

٥ ـ ٦ ـ ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يدخلُ الليلَ في النهارِ بأنْ ينقصَ مِنَ الليلِ ويزيدَ في النهارِ ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

٧ ـ ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ يحتملُ الزكاةَ والإنفاقَ في سبيلِ الله ﴿مِمَّا

(١) في (ز) على حسب.



تفسير النسفي

مدارك التنزيل وحقائق التأويل

تأليف

الإمام عبد الله بن أحمد النسفي

المتوفى سنة ٧١٠ هـ

تحقيق

الشيخ مروان محمد الشعار

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ-١٩٩٦م

الجزء الثاني

دار النفائس

ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

على مشيئته ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أضافَ الاستيلاءَ إلى العرشِ وإنْ كان سبحانُه وتعالى مستولياً على جميعِ المخلوقاتِ، لأنَّ العرشَ أعظمُها وأعلاها، وتفسيرُ العرشِ بالسريرِ والاستواءِ بالاستقرارِ كما تقوله المشبهةُ[1] باطلٌ، لأنه تعالى كانَ قبلَ العرشِ ولا مكانَ، وهو الآن كما كانَ، لأنَّ التغيُّرَ مِنْ صفاتِ الأكوانِ، والمنقولُ عن الصادقِ والحسنِ وأبي حنيفةَ ومالكٍ رضي الله عنهم أنَّ الاستواءَ معلومٌ، والتكييفُ فيه مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والجحودُ له كفرٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يغشّي حمزة وعليّ وأبو بكر، أي يُلحقُ الليلَ بالنهارِ أو النهارَ بالليلِ ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حالٌ مِنَ الليلِ، أي سريعاً، والطالبُ هو الليلُ كأنه لسرعةِ مُضِيِّهِ يطلبُ النهارَ ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ أي وخلقَ الشمسَ والقمرَ والنجومَ ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حالٌ، أي مذللاتٌ، والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ شامي، والشمسُ مبتدأ والبقية معطوفةٌ عليها والخبرُ مسخراتٌ ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هو أمرُ تكوينٍ، ولما ذكرَ أنه خلقهنَّ مسخراتٍ بأمرِه قال ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي هو الذي خلقَ الأشياءَ وله الأمرُ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ كثُرَ خيرُه، أو دام برُّه، مِنَ البركةِ النماء، أو مِنَ البروكِ الثبات، ومنه البِرْكَة ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٥٥ ـ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ نصبٌ على الحالِ، أي ذوي تضرُّعٍ وخفيةٍ، والتضرُّع تفعُّلٌ مِنَ الضراعةِ وهي الذُّلُّ، أي تذللاً وتملُّقاً. قال عليه السلام: (إنكم لا تدعون أصمَ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً إنه معكم أينما كنتم)[2] عن الحسن: بين دعوةِ السرِّ والعلانيةِ سبعونَ ضِعفاً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين ما أمروا به في كلِّ شيءٍ مِنَ الدعاءِ وغيرِه، وعن ابن جريج: الرافعينَ أصواتَهم بالدعاءِ، وعنه: الصياحُ في الدعاءِ مكروهٌ وبدعةٌ، وقيل هو الإسهابُ في الدعاءِ، وعن النبي ﷺ: (سيكون قوم يعتدونَ في الدعاءِ وحسبُ المرءِ أنْ يقولَ اللهم إني أسألكَ الجنةَ وما قرَّب إليها مِنْ قولٍ وعملٍ، وأعوذُ بكَ مِنَ النارِ وما قرَّبَ إليها مِنْ قولٍ وعملٍ)[3] ثم قرأ **﴿إنه لا يحب المعتدين﴾**.

---

(١) المشبهة: فرقة متغلغلة في عدد من الفرق تثبت الصفات لله تعالى وبالغت فيها إلى حد التشبيه بصفات المحدَثات وقالوا إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية وإما جسمانية ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن (الملل والنحل ـ الباب الأول ـ الفصل الثالث).

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أبو يعلى من حديث سعد بن سعد، ورواه أبو داود الطيالسي والبيهقي.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

إلى الأمم لم يكونوا إلاّ بشراً مثلهم، وإرسالُ اليتيم أو الفقيرِ ليس بعجبٍ أيضاً، لأنَّ الله تعالى إنما يختارُ للنبوةِ مَنْ جمعَ أسبابَها، والغِنى والتقدُّم في الدنيا ليس مِنْ أسبابِها، والبعثُ للجزاءِ على الخيرِ والشرِ هو الحكمةُ العظمى، فكيف يكون عجباً؟ إنما العجبُ والمنكرُ في العقولِ تعطيلُ الجزاءِ ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي سابقةً وفضلاً ومنزلةً رفيعةً، ولما كان السعيُ والسَّبْقُ بالقَدَمِ سمّيت المسْعاةُ الجميلةُ والسابقةُ قَدَماً، كما سمّيت النعمةُ يداً لأنّها تُعطى باليد، وباعاً لأنَّ صاحبَها يبوعُ بها، فقيل لفلانٍ قدمٌ في الخيرِ، وإضافتُها إلى صِدْقٍ دلالةٌ على زيادةِ فضلٍ، وأنه مِنَ السوابقِ العظيمةِ، أو مُقامَ صِدْقٍ أو سبقُ السعادةِ ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ الكتابَ[1] ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مدني وبصري وشامي. ومَن قرأ لساحرٌ فهذه إشارةٌ إلى رسولِ الله ﷺ، وهو دليلُ عجزِهم واعترافِهم به وإنْ كانوا كاذبين في تسميتِه سحراً.

٣ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي استولى، فقد يُقدَّسُ الديانُ عن المكانِ والمعبودُ عن الحدودِ ﴿يُدَبِّرُ﴾ يقضي ويقدِّرُ على مقتضى الحكمة ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ أي أمرَ الخلقِ كلِّه وأمرَ ملكوتِ السماواتِ والأرضِ والعرشِ.

ولمّا ذكرَ ما يدلُّ على عظمتِه ومُلْكِه مِنْ خلقِ السمواتِ والأرضِ والاستواءِ على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادةِ الدلالةِ على العَظَمَةِ وأنه لا يخرجُ أمرٌ مِنَ الأمورِ عن قضائه وتقديرِه، وكذلك قوله ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ دليلٌ على عزتِه وكبريائه ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ العظيمُ الموصوفُ بما وُصِفَ به ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وهو الذي يستحقُّ العبادةَ ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحْدوه ولا تشركوا به بعضَ خلقِه مِنْ إنسانٍ أو مَلَكٍ فضلاً عن جمادٍ لا يضرُّ ولا ينفعُ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود[2] المصالحِ والمنافعِ على وجودِ المصلحِ النافعِ.

٤ ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ حالٌ، أي لا ترجعونَ في العاقبةِ إلاّ إليه، فاستعدوا

(١) سقطت من (ز) ولتداركه كرر الطابع شطر الآية في الشرح.
(٢) في (ز) بوجوب.

سورة الرعد

مكية، وهي ثلاث وأربعون آية كوفي، وخمس وأربعون آية شامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ ۗ وَالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

١ ـ ﴿الٓمٓرٰ﴾ أنا اللهُ أعلمُ وأرى عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى آياتِ السورةِ ﴿ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ﴾ أريدَ بالكتابِ السورةُ، أي تلكَ الآياتُ آياتُ السورةِ الكاملةِ العجيبةِ في بابها ﴿وَالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآنُ كلُّه ﴿الْحَقُّ﴾ خبرُ والذي ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيقولون تقوّله محمد.

ثم ذكر ما يوجبُ الإيمانَ فقال:

٢ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ﴾ أي خلقها مرفوعةً لا أنْ تكونَ موضوعةً فرفعها، والله مبتدأ والخبرُ الذي رفعَ السماواتِ ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ حال، وهو جمعُ عمادٍ أو عَمودٍ ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضميرُ يعودُ إلى السمواتِ، أي ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان، أو إلى عمدٍ فيكونُ في موضعِ جرٍ على أنه صفةٌ لعمدٍ، أي بغيرِ عَمَدٍ مَرْئِيَّةٍ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استولى بالاقتدارِ ونفوذِ السلطانِ ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لمنافع عبادِه ومصالح بلادِه ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاءُ الدنيا ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أمرَ ملكوتِه وربوبيتِه ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يبين آياتِه في كتبِه المنزلةِ ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لعلكم توقنون بأنَّ هذا المدبّرَ والمفصّلَ لا بد لكم مِنَ الرجوعِ إليه.

الأشباه والنظائر

في

قواعد وفروع فقه الشافعية

تأليف

الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قاعدة

قال الشافعى : لايكفر أحد من أهل القبلة ؛
واستثنى من ذلك :
المجسم ، ومنكر علم الجزئيات ؛

وقال بعضهم : المبتدعة أقسام :

الأول : مانكفره قطعا ، كقاذف عائشة رضى الله عنها ، ومنكر علم الجزئيات ، وحشر الأجساد ، والمجسمة ، والقائل بقدم العالم .

الثانى : مالا نكفره قطعا ، كالقائل بتفضيل الملائكة على الأنبياء ، وعلى على أبى بكر ؛

الثالث ، والرابع : مافيه خلاف ، والأصح : التكفير ، أوعدمه ، كالقائل بخلق القرآن . صحح الباقينى التكفير ، والأكثرون : عدمه . وساب الشيخين ، صحح المحاملى التكفير ، والأكثرون : عدمه ؛

ضابط

منكر المجمع عليه أقسام :

أحدها : مانكفره قطعا ، وهو مافيه نص ، وعلم من الدين بالضرورة ، بأن كان من أمور الاسلام الظاهرة ، التى يشترك فى معرفتها الخواص والعوام . كالصلاة ، والزكاة والصوم ، والحج ، وتحريم الزنا ، ونحوه ؛

الثانى : مالا نكفره قطعا ، وهو مالا يعرفه إلا الخواص ، ولانص فيه : كفساد الحج بالجماع قبل الوقوف .

الثالث : مايكفر به على الأصح ، وهو المشهور المنصوص عليه ، الذى لم يبلغ رتبة الضرورة ، كحل البيع ، وكذا غير المنصوص : على ماصححه النووى ؛

الرابع : مالا ، على الأصح ، وهو مافيه نص : لكنه خفى ، غير مشهور ، كاستحقاق بنت الإبن السدس ، مع بنت الصلب ؛

ضابط

كل من صح إسلامه ، صحت ردته جزما ، إلا الصبى المميز ، إسلامه صحيح على وجه مرجح ، ولاتصح ردته .

اتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء الثاني

دار الفكر

ومائتين فيما يظهر ذكره أبو عاصم العبادى الشافعى فى طبقة أبى بكر الصيرفى وابن النجار فى تاريخ بغداد وذكر بينه وبين عباد بن سليمان مناظرة وعباد بن سليمان هذا من رؤس المعتزلة وابن كلاب من أئمة السنة كان يقول ان صفات الذات ليست هى الذات ولا غيرها ثم زاد على سائر أهل السنة فذهب كعباد بن سليمان ان كلامه تعالى لا يتصف بالامر والنهى والخبر فى الازال لحدوث هذه الامور وقدم الكلام النفسى وانما يتصف بذلك فيما لا يزال فالزمهما أئمتنا أن يكون القدر المشترك موجودا بغير واحد من خصوصياته فهذه هى مقالة ابن كلاب التى ألزمه أصحابنا وجود الجنس دون النوع وهو غير معقول وكان عباد ينسبه للكفر لعله لتلك المقالة أولان المعتزلة بأسرهم يقولون للصفاتية أعنى مثبتى الصفات لقد كفرت النصارى بثلاث وكفرتم بسبع وهو تشنيع من سفهاء المعتزلة على الصفاتية ما كفرت الصفاتية ولا أشركت وانما وحدت وأثبتت صفات قديم واحد بخلاف النصارى فانهم أثبتوا قدماء فانى يستويان أو يتقاربان وقد ذكره والد الفخر الرازى فى آخر كتاب غاية المرام فى علم الكلام فقال ومن متكلمى أهل السنة فى أيام المأمون عبد الله بن سعيد التميمى الذى ذم المعتزلة فى مجلس المأمون وفضحهم ببيانه وهو أخو يحيى بن سعيد القطان صاحب الجرح والتعديل اه قال التاج السبكى وكشفت عن يحيى بن سعيد القطان هل له أخ اسمه عبد الله فلم أتحقق الى الآن شيأ وان تحققت شيأ ألحقته ان شاء الله قلت الرجل معروف بابن كلاب واسمه عبد الله واختلف فى اسم أبيه على قولين محمد أو سعيد وظاهر سياق أئمة النسب ان كلابا اسم جده أو لقب جده وان كان سبق فى أول الترجمة خلاف ذلك فانه مبنى على غير مشهور ويحيى بن سعيد القطان جده فروخ وهو من موالى تميم ولم أر من ذكر له أخا اسمه عبد الله ولم يأت بهذه الغريبة الا والد الفخر فيحتاج الى متابعة قوية والله أعلم وأما أبو العباس القلانسى فانه من طبقة ابن فورك بل من طبقة أصحابه فكيف يصح قوله وقد سبقه أى الاشعرى كما فى التبصرة النسفية والذى يظهر أن صاحب المقالات انما هو والد أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله القلانسى وهو أيضا فى الطبقة الثانية من أصحاب أبى الحسن الاشعرى معاصر لابن فورك ولا بد من التأمل والنظر فى هذا المقام والله أعلم

(الفصل الثانى) اذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الاشاعرة والماتريدية قال الخيالى فى حاشيته على شرح العقائد الاشاعرة هم أهل السنة والجماعة هذا هو المشهور فى ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الاقطار وفى ديار ماوراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الامام أبى منصور وبين الطائفتين اختلاف فى بعض المسائل كمسئلة التكوين وغيرها اه وقال الكستلى فى حاشيته عليه المشهور من أهل السنة فى ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الاقطار هم الاشاعرة أصحاب أبى الحسن الاشعرى أول من خالف أباعلى الجبائى ورجع عن مذهبه الى السنة أى طريق النبى صلى الله عليه وسلم والجماعة أى طريقة الصحابة رضى الله عنهم وفى ديار ماوراء النهر الماتريدية أصحاب أبى منصور الماتريدى تلميذ أبى نصر العياضى تلميذ أبى بكر الجوزجانى صاحب أبى سليمان الجوزجانى صاحب محمد بن الحسن صاحب الامام أبى حنيفة وبين الطائفتين اختلاف فى بعض الاصول كمسئلة التكوين ومسئلة الاستثناء فى الايمان ومسئلة ايمان المقلد والمحققون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر الى البدعة والضلالة اه وقال ابن السبكى فى شرح عقيدة ابن الحاجب اعلم ان أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وان اختلفوا فى الطرق والمبادى الموصلة لذلك أو فى لينة ما هنالك وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف الاول أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الادلة السمعية أعنى الكتاب والسنة والاجماع الثانية أهل النظر العقلى والصناعة الفكرية وهم الاشعرية والحنفية وشيخ الاشعرية أبو الحسن الاشعرى وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدى وهم متفقون فى المبادى العقلية فى كل مطالب

يتوقف

فكل عيب نقص وليس كل نقص عيبا كفوات الكمال أو كمال الكمال وضد العيب السلامة وضد النقص التمام والكمال والمراد تنزيه الله عن هذه الثلاثة فى ذاته وصفاته وأفعاله أما الذات فيجب أن يسلب عنها الثلاثة عيب الحدوث والفناء والتكثر والجوهرية والعرضية والجسمية والافتقار الى الموجد والموجب وكذا من النقص الذى يعترى الحادثات ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان فان اثبات ذلك من الالحاد فى الاسماء وكذلك يجب سلب ذلك عن الصفات والافعال هذا على طريق الاجمال وقد اشتمل سياق المصنف الآتى على جل من ذلك بالرموز والاشارات وأما تنزيهه عن عيب الحدوث فى ذاته فقد أشار به آنفا بقوله قديم لا أول له أزلى لا بداية له أى لا أول لوجوده ومن كان كذلك لا يجوز عليه الحدوث (وانه) تعالى (ليس بجسم) لان الجسم ما له طول وعرض وعمق قاله الراغب وقال غيره هو ما يتألف من جوهرين فأكثر وقال بعضهم هو جواهر مجتمعة والله تعالى متعال عن حال الاجسام وافتقارها وقبولها للانقسام فمن وصفه بالجسمية ضل وأضل وقد حكى البيهقى عن الخليمى ان قوما زاغوا عن الحق فوصفوا البارى جل وعز ببعض صفات المحدثين فمنهم من قال انه جسم تعالى الله عن ذلك اه ومنهم من زاد على ذلك فقال انه (مصوّر) أى حسن الصورة معتدلها يقال الرجل مصوّر بهذا المعنى عند أهل اللغة وقد أجمع أهل السنة ان الله تعالى خالق الصور كلها ليس بذى صورة ولا يشبه شيأ وفى ذلك خلاف لفرق من اليهود والمعتزلة والمغيرية وغلاة الروافض والهشامية (ولا جوهر محدود مقدر) والجوهر هو الجزء الذى لا ينقسم وهو أصل الشئ وهو ما يتركب منه الجسم والمحدود الذى له حد يقف عنده وغاية ينتهى اليها والمقدر الذى يدخل تحت التقدير وكل ذلك مما ينزه البارى تعالى عنه (وانه لا يماثل) أى لا يشابه (الاجرام) أى الاجساد (لا فى التقدير) والتحديد (ولا فى قبول الانقسام) كما هو شأن الاجسام والله منزه عن ذلك (وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض) لانه لو كان جوهرا أو عرضا لجاز عليه ما يجوز على الجواهر والاعراض واذا جاز ذلك لم يصح أن يكون خالقا والله خالق كل شئ فالاشياء كلها مخلوقة غير الله وصفاته وأيضا الاعراض صفات الاجسام كاللون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والاجتماع والافتراق والحركة والسكون والاختصاص بالجهات والتحيز فى المكان والعرض لا يبقى زمانين ولا يقوم بنفسه وانما يقوم بغيره وكل ذلك حادث مخلوق متغير وجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية ينقسم الى ذلك والله خالقه جل جلاله (بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود) لانه لو كان كذلك لكان مخلوقا مثل ذلك من حيث انه يماثله لان الموجودات كلها مخلوقة لله تعالى غير الله وصفاته

(و) انه (ليس كمثله ٭ والكاف زائدة أى ليس مثله شئ أو المراد بالمثل ذاته (ولا هو مثل شئ) وسيأتى البحث فيه (و) انه تعالى (لا تحده المقدار ولا تحويه) أى لا تضمه (الاقطار) جمع قطر بالضم أى الاطراف (ولا تحيط به الجهات الست) بل هو المحيط بكل شئ بعلمه وقدرته وسلطانه (ولا تكتنفه الارضون ولا السموات) يقال اكتنفه القوم كانوا منه بحنة وبسرة أى انه سبحانه لا مكان له ولا جهة قال الشافعى رحمه الله تعالى والدليل عليه هو انه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الازلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير فى ذاته ولا التبديل فى صفاته وقال امام الحرمين فى لمع الادلة والدليل على تقدسه تعالى عن الاختصاص بجهة والاتصاف بالمتحاذيات وان لا تحده الاقطار ولا تكتنفه الاقدار وبجعل عن قبول الحد والمقدار ان كل مختص بجهة شاغل لها وكل متحيز قابل الملاقاة الجواهر ومفارقتها وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق لا يخلو عنهما وما لا يخلو من الافتراق والاجتماع حادث كالجواهر فاذا ثبت تقدس البارى عن التحيز والاختصاص بالجهات فيترتب على ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان وملاقاة اجرام وأجسام فقد بان لك تنزيه ذاته سبحانه عن كل ما لا يليق بجلاله وقدوسيته (وانه) تعالى (مستو على العرش على الوجه الذى قاله) فى كتابه العزيز الرحمن على العرش استوى

وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود ومقدر وانه لا يماثل الاجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا يكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله

استوى (و بالمعنى الذى أراده) بما يليق به هو سبحانه أعلم به كما جرى عليه السلف فى المتشابه من التنزيه عما لا يليق بجلال الله تعالى مع تفويض علم معناه اليه لا كما قاله بعض من أجاز أن يكون على العرش قاعدا كما يكون الملك على سريره على شئ (بل استواء منزها عن المماسة) والمحاذاة (والاستقرار والتمكن) على شئ (والحلول) فى شئ (والانتقال) من مكان الى آخر لقيام البراهين القطعية باستحالة ذلك فى حقه تعالى فان ذلك كله من صفة استواء الاجسام بالاجسام (لا يحمله العرش) كما يقوله بعض المجسمة نظرا الى ظاهر لفظ فوق (بل العرش وحملته) وهم الملائكة الموكلون بحمله (محمولون بلطف قدرته) الباهرة (ومقهورون فى قبضته) القاهرة (وهو) تعالى (فوق العرش وفوق كل شئ الى تخوم الثرى) أى حدود الارض جمع تخم كفلوس وفلس وقال ابن الاعرابى وابن السكيت الواحد تخوم والجمع تخم كرسول ورسل (فوقية) تليق بجليل ذاته بحيث (لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الارض والثرى) قال أبو اسحق الشيرازى فلو كان فى جهة فوق لما وصف العبد بالقرب منه اذا سجد بل هو تعالى (رفيع الدرجات) والرفعة العلو يقال هو رفيع القدر أى عالى المنزلة والشرف والدرجات جمع درجة والمراد بها المرتبة المعنوية (عن العرش والسماء كما انه رفيع الدرجات عن الارض والثرى) ولم يرد رفيع فى أسمائه تعالى الا مقيدا بمضاف اليه وهو الدرجات وقال أبو منصور البغدادى تفسير رفيع الدرجات فيما يليه وهو ذو العرش لان العرش هو الدرجات الرفيعة اذ لا جسم أعلى من العرش وليس معنى رفيع الدرجات كونه على درجات مرتفعة لانه يستحيل كونه فى مكان لكن معناه انه رفيع العرش أى ان العرش الرفيع له وهو خالقه ومالكه فهو بان يكون مالكا خالقا لما دونه أولى اه ولا يخفى ما فيه من التكلف وسياق المصنف يأباه كذلك فتأمل (وهو مع ذلك قريب من كل موجود) واطلاق لفظ القريب عليه تعالى دل عليه فى القرآن قوله عز وجل واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ومعناه القرب على معنى العلم منه بعباده وبأحوالهم (وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد) عرق بين الحلقوم والعلباوين وهو ينبض أبدا وهو من الاودة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم بل هى تجارى النفس بالحركات قاله الفراء كما فى المصباح وهذا معنى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد أى أعلم منه بنفسه وقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم واسجد واقترب دليل على ان المراد به قرب المنزلة لا قرب المكان كما زعمت المجسمة انه مماس لعرشه اذ لو كان كذلك لازداد بالسجود منه بعدا لا قربا (وهو على كل شئ شهيد) أى شاهد حاضر وحفيظ عالم لا يغيب عنه شئ فعلى هذا هو من صفاته الازلية التى استحقها لاجل علمه القديم ولم يزل شهيدا (اذ لا مماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته) الشريفة (ذات الاجسام وانه) تعالى (لا يحل فى شئ) لذاته ولا صفاته أما ذاته فلان الحلول هو الحصول فى الحيز تبعا والله تعالى منزه عن التحيز ولان الحلول ينافى الوجوب الذاتى لافتقار الحال الى المحل وأما صفاته فلان الانتقال من صفات الاجسام والله تعالى منزه عن الجسمية كما مر (ولا يحل فيه شئ تعالى) وتقدس (عن ان يحويه مكان) فيشار اليه أو تعمه جهة وانما اختصت السماء برفع الايدى اليها عند الدعاء لانها جعلت قبلة الادعية كما ان الكعبة جعلت قبلة المصلى يستقبلها فى الصلاة ولا يقال ان الله تعالى فى جهة الكعبة (كما تقدس عن أن يحده زمان) لان المحدود محتو على أجزاء الماهية والله تعالى منزه عن ذلك كما تقدم (بل كان) تعالى (قبل ان خلق الزمان والمكان) والعرش والكرسى والسموات والارضين (وهو الآن على ما عليه) من صفة الازلية كما (كان) قبل خلقه الزمان والمكان وغيرهما (وانه) تعالى (بائن عن خلقه بصفاته) العلية (ليس فى ذاته سواه جل وعز ولا فى سواه ذاته) الشريفة (وانه) تعالى (مقدس) منزه (عن التغير) من حال الى حال (والانتقال) من مكان الى مكان وكذا الاتصال والانفصال فان كلا من ذلك من صفات المخلوقين

وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الارض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد اذ لا مماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال

اتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء الرابع

دار الفكر

تقدمت ولا سابقة سؤال سبقت بل أعطيتهم قبل أن تلهمهم وأعنتهم قبل أن تعلمهم انك على كل شئ قدير اه ومن ذلك دعاء أهل البيت فى خصوص هذا الموقف المذكور فى الصحيفة السجادية وهو ما أخبرنا به السيد القطب محيى الدين نور الحق بن عبد الله الحسينى والسيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسينى عن محمد طاهر الكورانى عن أبيه ابراهيم بن الحسن الكورانى عن المعمر عبد الله بن سعد الله المدنى عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد الحنفى عن أبيه عن الامام الحافظ نور الدين أبى الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسى عن السيد شرف الدين محمد المعلق الحسينى عن قطب الاقطاب السيد جلال الدين الحسينى بن أحمد بن الحسين الحسينى عن أبيه عن جده عن أبيه السيد أبى المؤيد على عن أبيه أبى الحرث جعفر عن أبيه محمد عن أبيه محمود عن أبيه عبد الله عن أبيه على الاشقر عن أبيه أبى الحرث جعفر عن أبيه على التقى عن أبيه محمد التقى عن أبيه على الرضى عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه الامام السجاد ذى التفقات زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين انه كان يقول فى يوم عرفة الحمد لله رب العالمين اللهم لك الحمد بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام رب الارباب واله كل مألوه وخالق كل مخلوق ووارث كل شئ ليس كمثله شئ ولا يعزب عنه علم شئ وهو بكل شئ محيط وهو على كل شئ رقيب أنت الله لا اله الا أنت الاحد المتوحد الفرد المتفرد وأنت الله لا اله الا أنت الكريم المتكرم العظيم المتعظم الكبير المتكبر وأنت الله لا اله الا أنت العلى المتعال الشديد المحال وأنت الله لا اله الا أنت الرحمن الرحيم العليم الحكيم وأنت الله لا اله الا أنت السميع البصير القديم الخبير وأنت الله لا اله الا أنت الكريم الاكرم الدائم الادوم وأنت الله لا اله الا أنت الاول قبل كل أحد والآخر بعد كل عدد وانت الله لا اله الا أنت الدانى فى علوه والعالى فى دنوه وأنت الله لا اله الا أنت ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد وأنت الله لا اله الا أنت الذى أنشأت الاشياء من غير شئ وصورت ما صورت من غير مثال وابتدعت المبتدعات بلا اهتداء أنت الذى قدرت كل شئ تقديرا ويسرت كل شئ تيسيرا ودبرت كل ما دونك تدبيرا أنت الذى لم يعنك على خلقك ولم يوازرك فى أمرك ولم يكن لك مشابه ولا نظير أنت الذى أردت فكان حتما ما أردت وقضيت فكان عدلا ما قضيت وحكمت فكان نصفا ما حكمت أنت الله الذى لا يحويك مكان ولم يقم لشانك سلطان ولم يعيك برهان ولا بيان أنت الذى أحصيت كل شئ عددا وجعلت وقدرت كل شئ تقديرا أنت الذى قصرت الاوهام عن ذاتيتك وعجزت الافهام عن كيفيتك ولم تدرك الابصار موضع أينيتك أنت الله الذى لا تحد فتكون محدودا ولم تمثل فتكون موجودا ولم تلد فتكون مولودا أنت الله الذى لا ضد معك فيعاندك ولا عدل فيكاثرك ولا ند لك فيعارضك أنت الذى ابتدأت واخترعت واستحدثت وابتدعت وأحسنت صنع ما صنعت سبحانك ما أجل شأنك وامتنى مكانك واصدع بالحق فرقانك سبحانك من لطيف ما ألطفك ورؤف ما أرأفك وحكيم ما أتقنك سبحانك من مليك ما أمنعك وجواد ما أوسعك ورفيع ما أرفعك ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد سبحانك بسطت بالخيرات يدك وعرفت الهداية من عندك فمن التمسك لدين أودنيا وجدك سبحانك خضع لك من جرى فى علمك وخشع لعظمتك ما دون عرشك وانقاد للتسليم لك كل خلقك سبحانك لا تحس ولا تجس ولا تمس ولا تكاد ولا تماط ولا تنازع ولا تجادل ولا تماري ولا تخادع ولا تماكر سبحانك سبيلك جدد وأمرك رشد وأنت حى صمد سبحانك قولك حكم وقضاؤك حتم وارادتك عزم سبحانك لا راد لمشيتك ولا مبدل لكلماتك سبحانك باهر الآيات فاطر السموات بارئ السموات لك الحمد حمدا يدوم بدوامك ولك الحمد حمدا لا بد لنعمتك ولك الحمد حمدا يوازى صنعك ولك الحمد حمدا يزيد على رضاك ولك الحمد حمدا مع حمد كل حامد وشكرا قصر عنه كل شاكر حمدا لا ينبغى الا لك ولا يتقرب به الا اليك حمدا يستدام به الاول ويستدعى به دوام الآخر حمدا يتضاعف

على

اتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الإملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء الثاني

دار الفكر

على حدة فيكون كل جزء موصوفا بصفات الكمال فيكون كل جزء الهافيفسد القول به كما فسد بالوجه فان لم يكن موصوفا بهذه الصفات فيكون موصوفا باضدادها من سمات الحدوث اذ كل قائم بالذات يجوز قبوله للصفات وما لا يقوم به قائما لا يقوم لقيام الضدية ولو كان موصوفا بصفات النقصان لكان محدثا ولا ناقد دللنا على أن العالم بجميع أجزائه محدث والاجسام من العالم فيكون محدثا والالم يجب أن يكون قديما أزليا فيمنع أن يكون جسما ضرورة (ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن تعتقد الالهية للشمس والقمر) كما مثل فيه الصابئة (أو لشئ آخر من أقسام الاجسام) كما مثل فيه الوثنية والسمنية (فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر) وقال لا كالاجسام يعني في لوازم الجسمية كبعض الكرامية والحنابلة حيث قالوا هو جسم بمعنى موجود أو بمعنى انه قائم بنفسه (كان ذلك غلطا في الاسم) لافي المعنى (مع الاصابة في نفي معنى الجسم) وامتناع اطلاق كل من الجسم والجوهر ظاهر على قول القائلين بالتوقيف وأما على القول بجواز اطلاق المشتق مما ثبت سمعا اتصافه بمعناه وما يشعر بالجلال ولم يوهم نقصا وان لم يرد توقيف كما ذهبت اليه المعتزلة وأبو بكر الباقلاني خطأ أيضا لانه لم يوجد في السمع ما يسوغ اطلاقه ولان شرطه بعد السمع أن لا يوهم نقصا فيكتفون حينئذ لا سمع بدلالة العقل على اتصافه تعالى بمعنى ذلك اللفظ ومن قال باطلاق الالفاظ التي هي أوصاف دون الاسماء الجارية مجرى الاعلام كالمصنف في المقصد الاسنى والامام الرازي فالشرط عنده كذلك فيما أجازه دون توقيف واسم الجسم يقتضي النقص من حيث اقتضائية الافتقار الى اجزائه التي يتركب منها وهو أعظم مقتض للحدوث فمن أطلقه عليه تعالى فهو عاص بل قد كفره الامام وكثر الاسلام فيمن أطلق عليه اسم السبب والعلة وهو أظهر فان اطلاقه اياه غير مكره عليه بعد علمه بما فيه من اقتضاء النقص استخفاف بجناب الربوبية وهو كفر اجماعا ولما ثبت انتفاء الجسمية بالمعنى المذكور ثبت انتفاء لوازمها وانتفاء الملزوم يستلزم انتفاء لازمه المساوي ولوازم الجسمية هي الاتصاف بالكيفيات المحسوسة بالحس الظاهر أو الباطن من اللون والرائحة والصورة والعوارض النفسانية من اللذة والالم والفرح والغم ونحوها ولان هذه الامور تابعة للمزاج المستلزم التركيب المنافي الوجوب الذاتي ولان البعض منها تغيرات وانتقالات وهي على الباري تعالى محال وما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الرضا والغضب والفرح ونحوها يجب التنزيه عن ظاهره على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى (الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم) وهو وصف كاشف لا مخصص (أو حال في محل) والمراد بالحلول هنا الاستقرار ومنه جلول الجوهر او الجسم في الحيز واستدل له من وجهين الاول ما تضمنه قوله (لان العرض يحل في الجسم) وفي الاقتصاد للمصنف هو ما يحتاج الى الجسم أو الجوهر في تقومه أي في قيام ذواته وتحققها (وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم أحدث الاجسام والاعراض بعده) كما ثبت بالادلة السابقة أي فيستحيل وجوده قبله ضرورة استحالة وجود ما يتوقف وجوده على شئ قبل ذلك الشئ والله تعالى قبل كل شئ وموجده وقال النسفي في شرح العمدة العرض يستحيل بقاؤه لانه لو كان باقيا فاما أن يكون البقاء قائما به وهو محال لان العرض لا يقوم بالعرض باتفاق المتكلمين والبقاء عرض لان العرض عبارة عن أمر زائد على الذات ولم يصح وجده ولم يوجد بخلاف اتصال السواد باللونية لانها ليست زائدة على ذاته بل هي داخلة في ماهيته أو قائما بغيره فيكون الباقي ذلك الغير لان العرض ويستحيل بقاؤه لا يكون قديما لان القديم واجب الوجود لذاته لما مر فيكون مستحيل العدم اه وقال السبكي صانع العالم لا يحل في شئ لانه لو حل في شئ اما عرضا أو جوهرا أو صورة والجميع محال ضرورة افتقار الحال المحل فيه ولا شئ من المفتقر بواجب الوجود وكل

ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر أو لشئ آخر من أقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم * (الاصل السادس) * العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لامحالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم أحدث الاجسام والاعراض بعده

حال

والمبرد والقراء السبعة قبلهم وكل من يصح اليوم الاحتجاج بقوله في اللغة والنحو والقراآت من أئمة الدين فانهم كلهم منتسبون الى ما انتسب اليه أهل السنة والجماعة في التوحيد واثبات صفات المدح لمعبودهم ونفي التشبيه عنه ومنهم من أجرى على معبوده أوصافا تؤدّيه الى القول بالتشبيه مع تنزيه منه في الظاهر كالمشبهة والمجسمة والحلولية على اختلاف مذاهبهم فذلك فأما الخارجون عن ملة الاسلام ففريقان أحدهما دهرية ينكرون الصانع فلا يكلمون في نفي التشبيه عنه وانما يكلمون في اثباته والفريق الثاني مقرون بالصانع ولكنهم مختلفون فمنهم من يقول باثبات صانعين هما النور والظلمة ومنهم من ينسب الافعال والحوادث الى الطبائع الاربعة ومنهم من يقر بصانع واحد قديم وهؤلاء مختلفون فيه فمنهم من يقول انه لا يشبه شيأ من العالم ويفرط في نفي الصفات عنه حتى يدخل في باب التعطيل وهم أكثر الفلاسفة ومنهم المفرط في اثبات الصفات والجوارح له تعالى حتى يدخل في باب التشبيه بينه وبين خلقه كاليهود الذين زعموا ان معبودهم على صورة الانسان في الاعضاء والجوارح والحد والنهاية تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا ومعهم على هذا القول جماعة من المنتسبين الى الاسلام مع تنزيههم من القول بالتشبيه في الظاهر خوفا من اظهار العامة على عوار مذاهبهم وهؤلاء فرق منهم أصحاب هشام ابن الحكم الرافضي والجوارية أصحاب داود الجواربي والحلولية أصحاب أبي حلمان الدمشقي والبيانية أصحاب بيان بن سمعان التميمي والتناسخية أصحاب عبد الله بن منصور بن عبد الله بن جعفر والمغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد وغيرهؤلاء ولهم مقالات يقشعر منها البدن فقد ذكرها أصحاب الملل والنحل وفيما أشرنا اليه كفاية (الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات) أي ليستذاته المقدسة في جهة من الجهات الست ولا في مكان من الامكنة (فان الجهة) وهي منتهى الاشارة ومقصد المتحرك بحركته من حيث حصوله فهي من ذوات الاوضاع المادية ومرجعها الى نفس الامكنة أو حدودها وأطرافها وهي تنقسم بحسب المشير الى ستة وأشار الى ذلك بقوله (اما فوق واما أسفل) وهو التحت (واما يمين أو شمال أو قدام أو خلف) وقد تنحصر في قسمين باعتبار وسط كرة العالم ومحوريها فما كان الى نقطة مركز العالم ووسطه فهو سفل وما كان الى محيطه ومحويه فهو جهة علو وهذا لا يكاد يختلف ومن ثم ادعى فيهما انها جهتان على الحقيقة حقيقة وطبعا كما قرر في محله (وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان) أي حادثة بأحداث الانسان ونحوه مما تمشى على رجلين (اذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس) أي معنى الفوق ما حاذى رأسه من جهة السماء (واسم الاسفل لما يلي جهة الارض) مما يحاذي رجله (حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا) لانه المحاذي لظهرها (وان كان في حقنا فوقا) أي معنى الفوق فيما تمشى على أربع أو على بطنه بالنسبة اليهما ما يحاذي ظهره من فوقه فهي كلها اضافية (وخلق للانسان اليدين واحداهما أقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى) أي اليمين ما يحاذي أقوى يديه غالبا (والشمال لما يقابله) وانما قيده بالغالب فان في الناس من يساوي أقوى من اليمين ولكنه نادر (وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه فحدث له اسم القدام) ويسمى الامام أيضا وهو ما يحاذي جهة الصدر (للجهة التي) يبصر منها و(يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف) وكذلك الوراء (لما يقابلها فالجهات) على ما ذكر (حادثة بحدوث الانسان) فقبل خلق العالم لم يكن فوق ولا تحت اذ لم يكن ثم حيوان فلم يكن ثم رأس ولا رجل ولا ظهر وهي مع ذلك اعتبارية لا حقيقية لا تتبدل (ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة) المعروفة وكذا كل حادث (بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة) أي لم توجد واحدة من هذه اذ لا رأس ولا رجل ولا يمين ولا شمال ولا ظهر ولا

*(الاصل السابع) العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما أسفل واما يمين واما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما أقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة

وجه (فكيف كان) تعالى (في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة) وهو تعالى كان موجودا في الازل ولم يكن شئ من الموجودات لان كل موجود سواه حادث (أو كيف صار بجهة بعد ان لم يكن له أبا أن خلق الانسان تحته ويتعالى عن أن يكون فوق اذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يلي جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل) فهذا طريق الاستدلال قال أبو منصور التميمي وأما حالة كونه في جهة فان ذلك كحالة كونه في مكان لان ذلك يوجب حدوث كون ومحاذاة مخصوصة فيه وذلك دليل على حدوث ما حل فيه فلذلك أحلنا اطلاق اسم الجهة على الله تعالى اه وقد نبه المصنف على طريق ثان في الاستدلال بقوله (ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز) هو كذا أي معنى من الاحياز وقد فسره بقوله (اختصاص الجواهر أو مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا) أو جسما اذ الحيز مختص بالجوهر والجسم وقد مر تنزيهه سبحانه عنهما وأما العرض فلا اختصاص له بالحيز الا بواسطة كونه حالا في الجوهر فهو تابع لاختصاص الجوهر ولما ظهر بطلان الجوهرية والجسمية (فاستحال كونه مختصا بالجهة) وقال النسفي في شرح العمدة الصور والجهات مختلفة واجتماعها عليه تعالى مستحيل لتنافيها في أنفسها وليس البعض أولى من البعض لاستواء الكل في افادة المدح والنقص وعدم دلالة المحدثات عليه فلو اختص بشئ منها لكان تخصيص مخصص وهذا من أمارات المحدث اه وقال السبكي صانع العالم لا يكون في جهة لانه لو كان في جهة لكان في مكان ضرورة انهم المكان أو المستلزمة له ولو كان في مكان لكان متحيزا ولو كان متحيزا لكان مفتقرا الى حيزه ومكانه فلا يكون واجب الوجود وثبت انه واجب الوجود وهذا خلف وأيضا فلو كان في جهة فاما في كل الجهات وهو محال وشنيع واما في البعض فيلزم الاختصاص المستلزم للافتقار الى المخصص المنافي للوجوب اه (وان أريد بالجهة غير هذين المعنيين) مما ليس فيه حلول حيز ولا جسمية (كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى) ولكن ينظر فيه أرجع ذلك المعنى الى تنزيهه سبحانه عما لا يليق بجلاله فيخطأ من أراد في مجرد التعبير عنه بالجهة لايهامه بما لا يليق ولعدم وروده في اللغة أو يرجع الى غيره فيرد قوله صونا عن الضلالة ثم نبه المصنف على طريق ثالث في الاستدلال بقوله (ولانه لو كان فوق العالم) كما يقوله بعض المجسمة (لكان محاذيا له) أي مقابلا (وكل محاذ لجسم فاما أن يكون مثله أو أصغر منه) كما يقوله هشام بن الحكم الرافضي (أو أكبر) منه (وكل ذلك) مستحيل في حقه تعالى اذ هو (تقدير يحوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر) جل سبحانه وقال المصنف في الجام العوام أعلم ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين أحدهما نسبة جسم الى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل يعني ان الاعلى من جانب رأس الاسفل وقد لا يهذا المعنى فيقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الوزير والاول يستدعي جسما حتى ينسب الى جسم والثاني لا يستدعيه فليعتقد المؤمن ان الاول غير مراد وانه على الله تعالى محال فانه من لوازم الاجسام أو لوازم اعراض الاجسام فان قيل فما بال الايدي ترفع الى السماء وهي جهة العلو فأشار المصنف الى الجواب بقوله (فاما رفع الايدي عند السؤال) والدعاء (الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء) كان البيت قبلة الصلاة يستقبل بالصدر والوجه والمعبود بالصلاة والمقصود بالدعاء منزه عن الحلول بالبيت والسماء وقد أشار النسفي أيضا فقال ورفع الايدي والوجوه عند الدعاء تعبد محض كالتوجه الى الكعبة في الصلاة فالسماء قبلة الدعاء كالبيت قبلة الصلاة (وفيه أيضا اشارة الى ما هو وصف المدعو من الجلال) والعظمة (والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء) ويدل لذلك قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده لان ذكر العبودية في وصف من الله فوقه يؤكد احتمال فوقية القهر والاستيلاء وقد ذكر المصنف في الاقتصاد سر الاشارة

فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له أبا أن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق اذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يلي جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما أن يكون مثله أو اصغر منه أو اكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه أيضا اشارة الى ما هو وصف المدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجد بالقهر والاستيلاء

لا يحتمل التأويل قطعنا بافترائه أو سهوه أو غلطه وان كان ظاهرا فظاهره غير مراد وان كان متواترا فلا يتصور ان يكون نصا لا يحتمل التأويل بل لا بد وان يكون ظاهرا وحينئذ نقول الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس مرادا منه ثم ان بقي بعد انتفائه احتمال واحد تعين انه المراد بحكم الحال وان بقي احتمالان فصاعدا فلا يخلو اما ان يدل قاطع على واحد منهما أولا فان دل حمل عليه وان لم يدل قاطع على التعيين فهل يعين بالنظر والاجتهاد دفعا للتخبط عن العقائد أو لا خشية الالحاد في الاسماء والصفات الاول مذهب الخلف والثاني مذهب السلف وستأتي أمثلة التنزيل عليهما وأما الاجوبة التفصيلية فقد أجيب عن آية الاستواء بانا نؤمن بانه تعالى استوى على العرش مع الحكم بانه ليس كاستواء الاجسام على الاجسام من التمكن والمماسة والمحاذاة لها لقيام البراهين القطعية باستحالة ذلك في حقه تعالى بل نؤمن بان الاستواء ثابت له تعالى بمعنى يليق به تعالى (وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا تتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان) وقال أيضا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وفي طه الرحمن على العرش استوى وفي الاعراف ويونس والرعد والسجدة والحديد ثم استوى على العرش وفي الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن (وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء) أي قهره على العرش واستيلاؤه وهذا جرى عليه بعض الخلف واقتصر عليه المصنف هنا وهذا يعني كون المراد انه الاستيلاء فعند الماتريدية أمر يأتي الارادة أي يجوز ان يكون مراد الآية ولا يتعين كونه المراد خلافا لما دل عليه كلام المصنف من تعيينه اذ لا دليل على ارادته عينا فالواجب عينا ما ذكر من الايمان به مع نفي التشبيه واذا خيف على العامة لقصور افهامهم عدم فهم الاستواء اذا لم يكن بمعنى الاستيلاء الا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية وان لا يقفوا تلك اللوازم فلا بأس بصرف فهمهم الى الاستيلاء صيانة لهم من المحذور فانه قد ثبت اطلاقه وارادته لغة (كما قال الشاعر) وهو البعيث كما قاله ابن عباد أو الاخطل كما قاله الجوهري في بشر بن مروان

(قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق)

كذا نسبه الصاحب اسمعيل بن عباد في كتابه نهج السبيل ثم قال فان قيل فهو مستول على كل شئ فما وجه اختصاصه العرش بالذكر قيل كما هو رب كل شئ وقال رب العرش العظيم فان قيل فما معنى قولنا عرش الله ان لم يكن عليه قيل كما تقول بيت الله وان لم يكن فيه والعرش في السماء تطوف به الملائكة كما ان الكعبة في الارض تطوف بها الناس الى هنا كلام الصاحب وهو وان كان يميل الى رأي الاعتزال غير انه وافق أهل السنة فيما قاله هنا ومثل ذلك أيضا قول الشاعر

فلما علونا واستوينا عليهم * جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقال الجاحظ في كتاب التوحيد له ما نصه تدعي أصحاب التفسير عن عبد الله بن عباس وهو صاحب التأويل والناس عليه عيال ان قوله استوى استولى وهذا القول قد رده ابن تيمية الحافظ في كتاب العرش وقال ان الجاحظ رجل سوء معتزلي لا يوثق بنقله قال التقي السبكي وكتاب العرش من أقبح كتبه ولما وقف عليه الشيخ أبو حيان ما زال يلعنه حتى مات بعد ان كان يعظمه قال فيه استوى في سبع آيات بغير لام ولو كانت بمعنى استولى لجاءت في موضع وهذا الذي قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد وحسنه ان لفظ استوى أعذب وأخصر وليس هو من الاطراد الذي يجعله بعض الاصوليين من علامة الحقيقة فان ذلك الاطراد في جميع موارد الاستعمال والذي حصل هنا اطراد استعمالها في آيات فأين أحدهما من الآخر ثم ان استوى وزنه افتعل فالسين فيه أصلية واستولى وزنه استفعل فالسين فيه زائدة ومعناه من الولاية فهما مادتان متغايرتان في اللفظ والمعنى والاستيلاء قد يكون بحق وقد يكون بباطل والاستواء لا يكون الا بحق والاستواء صفة للمستوي في نفسه بالكمال والاعتدال والاستيلاء صفة متعدية الى غيره فلا يصح ان يقال استولى

وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

على عرشه لان ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به اه ملخصا قال الحافظ وقد ألزم ممن فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من انه صار قاهرا بعد ان لم يكن فيلزم انه صار عاليا بعد ان لم يكن والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى وكان الله عليما حكيما فان أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك وبقي من معاني استوى ما نقل عن ثعلب استوى الوجه اتصل واستوى القمر امتلأ واستوى فلان وفلان تماثلا واستوى الى المكان أقبل واستوى القائم قاعدا والنائم قاعدا ويمكن رد بعض هذه المعاني الى بعض وكذا ما تقدم عن ابن بطال وقد نقل أبو اسمعيل الهروي في الفاروق بسنده الى داود بن علي بن خلف قال كنا عند أبي عبد الله بن الاعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل الرحمن على العرش استوى فقال هو على العرش كما أخبر قال يا أبا عبد الله انما معناه استولى فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء الا ان يكون له مضاد ونقل البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين ان معناه ارتفع وبنحوه قال أبو عبيدة والفراء وغيرهما اه (واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم) قال أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية فان قيل أليس الله يقول الرحمن على العرش استوى فيجب الاخذ بظاهره قلنا الله يقول أيضا وهو معكم أينما كنتم ويقول تعالى ألا انه بكل شيء محيط فينبغي أيضا ان تأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطا بالعالم محدقا به بالذات في حالة واحدة والواحد يستحيل ان يكون بذاته في حالة بكل مكان قالوا قوله تعالى وهو معكم يعني بالعلم وبكل شيء محيط احاطة العلم قلنا وقوله تعالى على العرش استوى قهر وحفظ وابقى اه (و) كذا (حمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه مسلم في صحيحه وفيه أيضا ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كقلب واحد يصرفه كيف شاء (على القدرة والقهر) مجاز بعلاقة ان اليد في الشاهد محل لظهور سلطان القدرة والقهر فحسن اطلاق اليد وارادة القدرة والقهر قصدا للمبالغة اذا المجاز أبلغ (وكذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في أرضه) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظه وروى ابن ماجه نحو امعناه من حديث أبي هريرة رفعه بلفظ من فاوض الحجر الاسود فانما يفاوض يد الرحمن (على التشريف والاكرام) والمعنى انه وضع في الارض للتقبيل والاستلام تشريفا له كما شرفت اليمين وأكرمت بوضعها للتقبيل دون اليسار في العادة فاستعير لفظ اليمين للحجر لذلك أولان من قبله أو استلمه فقد فعل ما يقتضي الاقبال عليه والرضا عنه وهما لازمان عادة لتقبيل اليمين والحاصل ان لفظ اليمين استعير للحجر المعنيين أو لاحدهما ثم أضيف اضافة تشريف واكرام (لانه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه المحال و يتأمل بعض الآيات والاخبار دون بعض على حكم التمني والتشهي ليس في الشرط والمقصود من هذه المعارضة انه يعرف ان الخصم يضطر الى التأويل فلتكن التأويلات على وفق الاصول فان قيل فهذا يشعر بكونه مغلوبا مقهورا قبل الاستواء قيل انما يشعر بما قلتم ان لو كان للعرش وجود قبل الخلق وكان قديما والعرش مخلوق وكل ما خلقه حصل مسخرا تحت خلقه فلولا خلقه اياه لما حدث ولولا ابقاؤه اياه لما بقي ونص على العرش لانه أعظم المخلوقات فيما نقل الينا واذا نص على الاعظم فقد اندرج تحته ما دونه قال ابن القشيري ولو أشعر ما قلناه توهم غلبته لا شعر قوله وهو القاهر فوق عباده بذلك أيضا حتى يقال كان مقهورا قبل خلق العباد هيهات اذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه اياهم بل لو كان الامر على ما توهمه الجهلة من انه استواء بالذات لاشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء فان الباري تعالى كان موجودا قبل العرش ومن أنصف علم ان قول من يقول العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول الرب بالعرش استوى فالرب اذا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزه عن الكون في المكان

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل الى تأويل قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في أرضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه

وعن

وعن الهاذاة ثم قال وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استرلالهم العوام بما يقرب من افهامهم ويتصور في أوهامهم لاجللت هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم يقولون نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الموهمة تشبيها والاخبار المقتضية حدا وعضوا على الظاهر ولا يجوز أن نعارق التأويل الى شئ من ذلك ويتمسكون بقول الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله وهؤلاء والذي أوراحنا بيده أضر على الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان لان ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون فأوحوا الى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالاعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات فمن أصغى الى ظاهرهم يبادر بوهمه الى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضاء فسالبه السيل وهو لا يدري اه ثم ذكر المصنف المحال الذي يلزم من تفسير الاستواء بالاستقرار والتمكن فقال هو (كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال محال)

وتحقيقه انه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكانا لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه فان كان مثل المكان فهو اذا متشكل باشكال المكان حتى اذا كان المكان مربعا كان هو مربعا أو كان مثلثا كان هو مثلثا وذلك محال وان كان أكبر من المكان فبعضه على المكان ويشعر ذلك بأنه متجزئ وله كل ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب اليه المكان بأنه ربعه أو خمسه وان كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان الا بتحديد وتتطارق اليه المساحة والتقدير وكل ما يؤدي الى جواز التقدير على الباري تعالى فتجوزه في حقه كفر من معتقده وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل الا بكون وقبيح وصف الباري بالكون ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسته جاز عليه مباينته ومن جاز عليه المباينة والمماسة لم يكن الا حادثا وهل علمنا حدوث العالم الا بجواز المماسة والمباينة على احزائه وتصاريف الجهة قولهم كيف يتصور موجود لا في محل وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يعرف غورها وقعرها الا كل غواص على بحار الحقائق وهبات طلب الكيفية حيث يستحيل محال والذي يدحض شبههم أن يقال لهم قبل أن يخلق العالم أو المكان هل كان موجودا أم لا فمن ضرورة العقل أن يقول بلى فيلزمه لو صح قوله لا يعلم موجودا الا في مكان أحد أمرين اما أن يقول المكان والعرش والعالم قديم واما أن يقول الرب تعالى محدث وهذا ما آل الجهلة والحشوية اليه ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم ونعوذ بالله من الحيرة في الدين قال ابن الهمام في المسايرة وعلى نحو ما ذكرنا في الاستواء يجري كل ما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالاصبع والقدم واليد والعين فيجب الايمان به معصوبا بالتنزيه فان كلا منها صفة لله تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به وقد يؤول كل من ذلك لاجل صرف فهم العامة عن الجسمية وهو ممكن أن يراد ولا يجزم بارادته خصوصا على رأي أصحابنا يعني الماتريدية انها من المتشابهات وحكم المتشابه انقطاع رجاء معرفة المراد منه في هذه الدار والا لكان قد علم اه قال تلميذه ابن أبي شريف وهذا بناء على القول بالوقف في الآية على قوله الا الله وهو قول الجمهور واعلم ان كلام امام الحرمين في الارشاد يميل الى طريق التأويل ولكنه في الرسالة النظامية اختار طريق التفويض حيث قال والذي نرتضيه رأيا ونديز الله به عقدا اتباع السلف فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وكأنه رجع الى اختيار التفويض لتأخر الرسالة ومال الشيخ عز الدين بن عبد السلام الى التأويل فقال في فتاويه طريقة التأويل بشرطها أقربها الى الحق ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب وتوسط ابن دقيق العيد فقال نقبل التأويل اذا كان المعنى الذي أوله به قريبا مفهوما من تخاطب العرب ونتوقف فيه اذا كان بعيدا وجرى شيخنا المصنف يعني ابن الهمام على التوسط بين أن تدعو الحاجة اليه لخلل في فهم العوام وبين أن لا تدعو الحاجة

كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال

الى ذلك اه وقال والد امام الحرمين في كفاية المعتقد أما ما ورد من ظاهر الكتاب والسنة مما يوهم بظاهرها تشبيها فالسلف فيه طريقان احداهما الاعراض فيها عن الخوض فيها وتفويض علمها الى الله تعالى وهذه طريقة ابن عباس وعامة الصحابة والبها ذهب كثير من السلف وذلك مذهب من يقف على قوله وما يعلم تأويله الا الله ولا يستبعد أن يكون لله تعالى سر في كتابه والصحيح ان الحروف المقطعة من هذا القبيل و يعلم بالدليل يقينا ان ركنا من أركان العقيدة ليس تحت ذلك السر لان الله تعالى لا يؤخر البيان المفتقر اليه عن وقت الحاجة ولا يكتم كتمانا والطريقة الثانية الكلام فيها وفي تفسيرها بأن يردها عن صفات الذات الى صفات الفعل فيحمل النزول على قرب الرحمة واليد على النعمة والاستواء على القهر والقدرة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين ومن تأمل هذا اللفظ انتفى عن قلبه ريبة التشبيه وقد قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم فكيف يكون على العرش ساعة كونه سادسهم الا أن يرد ذلك الى معنى الادراك والاحاطة لا الى معنى المكان والاستقرار والجهة والتحديد اه وقول والد امام الحرمين وذلك مذهب من يقف على قوله الخ ومثله ما مر عن ابن أبي شريف قدره الامام القشيري في التذكرة الشريفة حيث قال وأما قول الله عز وجل وما يعلم تأويله الا الله انما يريد به وقت قيام الساعة فان المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها فالمتشابه اشارة الى علم الغيب فليس يعلم عواقب الامور الا الله عز وجل ولهذا قال هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله أي هل ينظرون الا قيام الساعة وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق الى معرفته ولا يعلم تأويله الا الله أليس هذا من أعظم القدح في النبوات وان النبي صلى الله عليه وسلم ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق الى علم ما لا يعلم أليس الله يقول بلسان عربي مبين فاذا على زعمهم يجب أن يقولوا كذب حيث قال بلسان عربي مبين اذ لم يكن معلوما عندهم والا فأين هذا البيان واذا كان بلغة العرب فكيف يدعى انه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيء عربيا فما قول في مقال سماه الى تكذيب الرب سبحانه ثم كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عبادة الله تعالى فلو كان في كلامه وفيما يلقيه الى أمته شيء لا يعلم تأويله الا الله تعالى لكان للقوم أن يقولوا بين لنا أولا من تدعونا اليه وما الذي تقول فان الايمان بما لا يعلم أصله غير متأت ونسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى أنه دعا الى رب موصوف بصفات لا تعقل أمر عظيم لا يتخيله مسلم فان الجهل بالصفات يؤدي الى الجهل بالموصوف والغرض أن يستبين من له مسكة من العقل ان قول من يقول استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء الى الجهل وقد وضح الحق لذي عينين وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الانكار في كل شيء وفي كل آية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى فان امتنع من التأويل أصلا فقد أبطل الشريعة والعلوم اذ ما من آية وخبر الا ويحتاج الى تأويل وتصرف في الكلام لان ثم أشياء لا بد من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه الا الملحدة الذين قصدهم التعطيل للشرائع والاعتقاد لهذا يؤدي الى ابطال ما هو عليه من التمسك بالشرع وان قال يجوز التأويل على الجملة الا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا يصير منه الى أن ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالصانع وصفاته يجب التعامي عنه وهذا لا يرضى به مسلم وسر الامر ان هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير انهم يدلسون و يقولون له بد لا كالايدي وقدم لا كالاقدام واستواء بالذات لا كاستقرار فيما بيننا فليقل المحقق هذا كلام لا بد من استبيان قولكم تجري الامر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض ان أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ فان أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالاقرار بهذه الاعضاء فهو الكفر وان لم

يمكن

يمكنك الاخذ بها فأين الاخذ بالظاهر ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما لوهم الظاهر فكيف يكون أخذا بالظاهر وان قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلا فهو حكم بانها ملغاة وما كان في ابلاغها الينا فائدة وهي هدر وهذا محال وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق وقد قيل وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فكأنه قال والراسخون في العلم أيضا يعلمونه ويقولون آمنا به فان الايمان بالشئ انما يتصور بعد العلم اما ما لا يعلم فالايمان به غير متأت ولهذا قال ابن عباس انا من الراسخين في العلم اه قلت وهذا الذي ذهب اليه هو مختار شيخ جده ابن فورك واليه ذهب العز بن عبد السلام في رسائله منها رسالته التي أرسلها جوابا للملك الاشرف موسى وهي بطولها في طبقات ابن السبكي وهو بظاهره مخالف لمذهب السلف القائلين بامرارها على ظواهرها وقدمرت في آخر الفصل الثاني شروط للتأويل راجع النظر اليها لتعلم انه كيف يجوز ولمن يجوز ومتى يجوز ولنذكر نص امام الحرمين في الرسالة النظامية في هذه المسئلة وهي آخر مؤلفاته على مازعم ابن أبي شريف قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري قال امام الحرمين في الرسالة النظامية اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الله عز وجل والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الامة للدليل القاطع ان اجماع الامة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما فلا شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع اه قال الحافظ وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الامصار كالثوري والاوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم من الائمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة اه قلت والى هذا مال المصنف في الجام العوام فقد عقد في الكف عن التأويل والخوض فيه بابا وذكر فيه ثلاثة أمثلة مثال في الفوقية ومثال في الاستواء ومثال في النزول وقال في أوّل كلامه المذكور ان الحق الصريح الذي لا مراء فيه هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاخبار من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور التقديس والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والكف والامساك والتسليم لاهل المعرفة وقد تقدم شئ من ذلك في الفصل الثاني فراجعه وقال الحافظ ابن حجر وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب الى ستة أقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها أحدهما من يعتقد انها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة وتتفرع من قولهم عدة آراء والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لان ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها أحدهما يقول لا نؤوّل شيأ منها بل نقول الله أعلم بمراده والآخر يؤوّل فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء واليد القدرة ونحو ذلك وقولان لمن لا يجزم بانها صفة أحدهما يجوز أن يكون صفة وظاهرها غير مراد ويجوز أن لا تكون صفة والآخر يقول لا يخاض في شئ من هذا بل يجب الايمان به لانه من المتشابه الذي لا يدرك معناه اه وقال البكري في شرح الحاجبية اختلف أهل السنة في أوصاف الباري تعالى بهذه الصفات التي ظاهرها محال على ثلاثة أقوال الاوّل قول السلف انها هي صفات زائدة على السبع الله أعلم بحقائقها وهي أحد قولي الاشعري وهو قول مالك واليه يشير الامام أحمد بقوله الآيات المتشابهات خزائن مغفلة حلها تلاوتها الثاني كلها مجازات يدل بها على تلك الصفات الثمانية عقلا وسمعا وهذا قول الحذاق من الاشاعرة الثالث الوقف وهو اختيار صاحب المواقف والمقترح ثم أهل

اتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الأملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء الخامس

دار الفكر

أو كظلمات فى بحر لجى الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض وقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال الا كل النور الذى فوقه تنزل وحى الهى بعلم غريب لم يسبقه خبر ولا يعطيه نظر والذى خلفه الذى يسعى بين يديه اتباعه قال العراقى الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس اه قلت قال أبو نعيم فى المستخرج حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى يعنى ابن منده حدثنا أبو بكر يعنى حدثنا محمد بن فضيل عن حصين هو ابن عبد الرحمن عن حبيب بن أبى ثابت عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رقدت عند النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل وقراءته الآيات من آخر سورة آل عمران وفيه ثم أتاه المؤذن فخرج وهو يقول اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى لسانى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا ومن امامى نورا ومن خلفى نورا وأعظم لى نورا هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن واصل بن عبد الاعلى وأبو داود عن عثمان ابن أبى شيبة وابن خزيمة عن هرون بن اسحق ثلاثتهم عن محمد بن فضيل ووقع فى رواية مسلم من فوقى ومن تحتى بدل عن يمينى وعن يسارى كما هو عند المصنف ووقع عنده أيضا واعطنى بدل واعظم لى كما هو عند المصنف وكذا رواه أبو داود من رواية هشام عن حصين لكن قال واعظم لى نورا واختلف الرواة على على بن عبد الله وعلى سعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس فى محل هذا الدعاء هل هو عند الخروج الى الصلاة أو قبل الدخول فيها أو فى أثنائها أو عقب الفراغ منها ويجمع باعادته وقد أوضحه الحافظ فى فتح البارى (وقل اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك) وهم المتضرعون الى الله تعالى بخالص طويانهم (وبحق ممشاى هذا اليك) الممشى مصدر ميمى بمعنى المشى وهو الانتقال من مكان الى مكان بارادة والمراد بالحق فى الموضعين الجاه والحرمة كما تقدمت الاشارة اليه فى آخر كتاب العقائد اذ لا حق لمخلوق على الخالق وقوله اليك أى الى بيتك (لم أخرج) من منزلى (أشرا) محركة كفر النعمة (ولا بطرا) محركة بمعناه وقيل الاشر شدة البطر فهو أبلغ منه والبطر أبلغ من الفرح اذ الفرح وان كان مذموما غالبا فقد يحمد على قدر ما يجب وفى الموضع الذى يجب فبذلك فليفرحوا وذلك لان الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل والاشر لا يكون الا فرحا بحسب قضية الهوى (ولا رياء ولا سمعة) قد تقدم تفسيرهما قريبا (خرجت اتقاء) أى حذر (سخطك) وهو الغضب الشديد المقتضى للعقوبة والمراد هنا انزال العذاب (وابتغاء) أى طلب (مرضاتك) أى رضاك (فاسألك أن تنقذنى) أى تخلصنى (من النار) اى بمن عذابها (وان تغفر ذنوبى انه لا يغفر الذنوب الا أنت) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد حسن اه قلت رواه ابن ماجه عن محمد بن يزيد بن ابراهيم عن فضيل بن مرزوق عن عطية هو العوفى عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا الحديث كسياق المصنف ثم قال وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضى صلاته وأخرجه أحمد عن يزيد بن هرون عن فضيل ابن مرزوق وهو فى كتاب الدعاء للطبرانى عن بشر بن موسى عن عبد الله بن صالح العجلى عن فضيل بن مرزوق ورواه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد من رواية محمد بن فضيل بن غزوان ومن رواية أبى خالد الاحمر وأخرجه أبو نعيم الاصبهانى من رواية أبى نعيم الكوفى كلهم عن فضيل بن مرزوق وعطية العوفى صدوق فى نفسه حسن له الترمذى عدة أحاديث بعضها من أفراده وانما ضعف من قبل التشيع ومن قبل التدليس وقد روى نحو هذا عن بلال رضى الله عنه قال أبو بكر بن السنى حدثنا محمد بن عبد الله البغوى حدثنا الحسن ابن عرفة حدثنا على بن ثابت الجزرى عن الوازع بن نافع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن بلال رضى الله عنه مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك بحق

وقل أيضا اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب الا أنت

طبقات الشافعية الكبرى

تأليف

تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي

المتوفى سنة ٧٧١هـ

تحقيق

مصطفى عبد القادر أحمد عطا

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الجزء الرابع

المحتوى:

بقية الطبقة الخامسة - الطبقة السادسة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

والخلاف والأصول، وسمع الحديث من أبي الفتح بن شاتيل. وتوفي في رجب، سنة ثمان وعشرين وستمائة، وقد نيف على الخمسين.

١١٧٠ - عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشيخ الكبير الإمام الكبير أبو منصور، فخر الدين ابن عساكر:

شيخ الشافعية بالشام، وآخر من جمع له العلم والعمل. ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة[١]، وتفقه بدمشق على الشيخ قطب الدين النيسابوري، وزوجه بابنته، واستولدها[٢]، وسمع الحديث من عميه الإمامين الحافظ الكبير أبي القاسم، والصائن هبة الله، وجماعة.

وحدث بمكة، ودمشق، والقدس، روى عنه الحافظ زكي الدين البرزالي، وزين الدين خالد، وضياء الدين المقدسي، وآخرون، وله تصانيف في الفقه، والحديث، وغيرهما، وبه تخرج الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان إمامًا، صالحًا، قانتًا، عابدًا، ورعًا، وكثير الذكر، قيل: كان لا يخلو لسانه عن ذكر الله.

وأريد على القضاء فامتنع، طلبه الملك العادل ليلاً، وبالغ في استعطافه[٣]، وألح عليه، فقال: حتى أستخير الله، وخرج فقام ليلته في الجامع يتضرع ويبكي إلى الفجر، فلما صلى الصبح، وطلعت الشمس، أتاه جماعة من جهة السلطان، فأصر على الامتناع، وجهز أهله للسفر، وخرجت المحابر إلى ناحية حلب، فردها السلطان، ورق عليه، وأعفاه، وقال: عين غيرك، فعين له ابن الحرستاني، واتفق أهل عصره على تعظيمه في العقل والدين.

* * *

١١٧٠ - انظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٥٤/٢. الأعلام ١٠٥/٤. مرآة الجنان ٤٧/٤. البداية والنهاية ١٠١/١٣. التكملة للمنذري ١٥٢/٥. الدارس في تاريخ المدارس ٨٢/١. الذيل على الروضتين ١٣٦، ١٣٩. شذرات الذهب ٩٢/٥، ٩٣. طبقات الإسنوي ٢١٩/٢. طبقات ابن هداية الله ٨٥. العبر ٨٠/٥، ٨١. فوات الوفيات ٥٤٤/١. مرآة الزمان ٦٣٠/٢/٢، ٦٣١. النجوم الزاهرة ٢٥٦/٦. الوافي بالوفيات ٣٥/١٨. وفيات الأعيان ٣١٦/٢، ٣١٧.

(١) انظر: طبقات ابن قاضي شهبة ٥٤/٢.

(٢) انظر: طبقات ابن قاضي شهبة ٥٤/٢.

(٣) انظر: طبقات ابن قاضي شهبة ٥٤/٢.

خبر وفاته، رحمه الله

وقد كانت مصيبة عامة فى الشام، سائرة فى بلاد الإسلام، توفى فى العاشر من رجب، سنة عشرين وستمائة، وكانت جنازته مشهودة، قل أن وجد مثلها.

قال أبو شامة: أخبرنى من حضر وفاته، أنه صلى الظهر، ثم جعل يسأل عن العصر، فقيل له: لم يقرب وقتها، فتوضأ، ثم تشهد وهو جالس، ثم قال: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، لقننى الله حجتى، وأقالنى عثرتى، ورحم غربتى، ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرته الملائكة، فانقلب على قفاه ميتًا.

ذكر بقايا من ترجمته

وكان الشيخ فخر الدين ابن عساكر قد وقع بينه وبين الملك المعظم؛ لأنه أنكر عليه تضمين المكوس والخمور، فانتزع منه التقوية والصلاحية.

وكان بينه وبين الحنابلة ما يكون غالبًا بين رعاع الحنابلة والأشاعرة، فيذكر أنه كان لا يمر بالمكان الذى يكون فيه الحنابلة خشية أن يأثموا بالوقيعة فيه، وأنه ربما مر بالشيخ الموفق بن قدامة، فسلم، فلم يرد الموفق السلام، فقيل له، فقال: إنه يقول بالكلام النفسى، وأنا أرد عليه فى نفسى، فإن صحت هذه الحكاية فهى، مع ما ثبت عندنا من ورع الشيخ موفق الدين ودينه وعلمه، غريبة، فإن ذلك لا يكفيه جواب سلام، وإن كان ذلك منه؛ لأنه يرى أن الشيخ فخر الدين لا يستحق جواب السلام، فلا كيد لمن يرى هذا الرأى، ولا كرامة، ولا نظن ذلك بالشيخ الموفق، ولعل هذه الحكاية من تخليقات متأخرى الحشوية.

وجدت بخط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى، رحمه الله: رأيت بخط الشيخ شمس الدين الذهبى، رحمه الله، أنه شاهد بخط سيف الدين أحمد بن المجد المقدسى: لما دخلت بيت المقدس، والفرنج إذ ذاك فيه، وجدت مدرسة قريبة من الحرم، قلت: أظنها الصلاحية، والفرنج بها يؤذون المسلمين، ويفعلون العظائم، فقلت: سبحان الله، ترى أى شىء كان فى هذه المدرسة حتى ابتليت بهذا. حتى رجعت إلى دمشق فحكى لى أن الشيخ فخر الدين ابن عساكر كان يقرئ بها المرشدة، فقلت: بل هى المضلة. انتهى ما نقلته من خط العلائى، رحمه الله.

ونقلت من خطه أيضًا: وهذه العقيدة المرشدة، جرى قائلها على المنهاج القويم،

والعقد المستقيم، وأصاب فيما نزه به العلى العظيم. ووقفت على جواب لابن تيمية، سئل فيه عنها، ذكر فيه أنها تنسب لابن تومرت، وذلك بعيد من الصحة أو باطل؛ لأن المشهور أن ابن تومرت كان يوافق المعتزلة في أصولهم، وهذه مباينة لهم. انتهى.

وأطال العلائي في تعظيم المرشدة والإزراء بشيخنا الذهبي، وسيف الدين ابن المجد، فيما ذكراه. فأما دعواه أن ابن تومرت كان معتزليًا، فلم يصح عندنا ذلك، والأغلب أنه كان أشعريًا، صحيح العقيدة، أميرًا عادلاً، داعيًا إلى طريق الحق.

وأما قول السيف ابن المجد، إن الذي اتفق إنما هو بسبب إقراء المرشدة، فمن التعصب البارد، والجهل الفاسد، وقد فعلت الفرنج داخل المسجد الأقصى العظائم، فهلا نظر في ذلك، نعوذ بالله من الخذلان.

ونحن نرى أن نسوق هذه العقيدة المرشدة، وهي:

اعلم، أرشدنا الله وإياك، أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره العلوي والسفلي، والعرش، والكرسي، والسموات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ليس معه مدبر في الخلق، ولا شريك في الملك، حي قيوم، ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿**لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿**يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿**أحاط بكل شيء علما**﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿**وأحصى كل شيء عددا**﴾ [الجن: ٢٨]، ﴿**فعال لما يريد**﴾ [هود: ١٠٧]، قادر على ما يشاء، له الملك والغناء، وله العز والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، لا يرجو ثوابًا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون**﴾ [الأنبياء: ٢٣]، موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال: متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، ولا مكان، كون الأكوان، ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يلحقه وهم، ولا يكتنفه عقل، ولا يتخصص بالذهن، ولا يتمثل في

النفس، ولا يتصور فى الوهم، ولا يتكيف فى العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١].

هذا آخر العقيدة، وليس فيها ما ينكره سنى.

مسألة كتاب الصداق فى الحرير

كان الشيخ ابن عساكر، رحمه الله، يفتى بجواز كتابة الصداق على الحرير، وخالفه تلميذه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، فأفتى بالمنع، وبه أفتى النووى، إلا أنه عزا ذلك إلى تصريح أصحابنا، ولم أجد ذلك فى كلام واحد منهم.

١١٧١ – عبد الرحمن بن مقبل بن على بن مقبل أبو المعالى الطحان:

من أهل واسط، تفقه ببغداد على علىّ بن أبى على الفارقى. قال ابن النجار: برع فى المذهب والخلاف، وسمع الحديث من ابن كليب، وابن الجوزى، وغيرهما.

واستنابه قاضى القضاة أبو صالح الجيلى على القضاة بحريم دار الخلافة، وقلده الإمام المستنصر بالله قضاء القضاة شرقًا وغربًا، ونظر الأوقاف، وتدريس المستنصرية، وقرىء عهده بجامع مدينة السلام، واستمر على ذلك مدة، ثم عزل. ولد سنة إحدى، أو اثنتين وسبعين وخمسمائة، ومات فى ذى القعدة، سنة تسع وثلاثين وستمائة.

١١٧٢ – عبد الرحمن بن نوح بن محمد شمس الدين المقدسى:

مدرس الرواحية بدمشق، تفقه على ابن الصلاح، وسمع من ابن الزبيدى، وغيره[١]. توفى فى ربيع الآخر، سنة أربع وخمسين وستمائة[٢].

١١٧٣ – عبد الرحمن بن يحيى بن الربيع بن سليمان أبو القاسم بن الشيخ أبى على بن الربيع:

من أهل واسط. قرأ الفقه والخلاف على والده، وعلى أبى القاسم ابن فضلان.

١١٧١ – انظر ترجمته فى: شذرات الذهب ٢٠٤/٥. الوافى بالوفيات ٢٨٥/١٨. البداية والنهاية ١٥٨/١٣، ١٥٩. طبقات الإسنوى ٥٥٣/٢. العبر ١٦١/٥.

١١٧٢ – انظر ترجمته فى: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ١٠٨/٢. الوافى بالوفيات ٢٩٢/١٨. النجوم الزاهرة ٤٠/٧. العبر ٢١٨/٥. شذرات الذهب ٢٦٥/٥. ذيل مرآة الزمان ١٩/١. الدارس ٢٦٨/١. الذيل على الروضتين ١٨٩. البداية والنهاية ١٩٥/١٣.

(١) انظر: طبقات ابن قاضى شهبة ١٠٩/٢.

(٢) انظر: طبقات ابن قاضى شهبة ١٠٩/٢.

١١٧٣ – انظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ٣٠١/١٨. طبقات الإسنوى ٥٤٩/٢. التكملة للمنذرى ١٣٠/٣.

وجد وارحم وصل على الرسول محمد المؤيد بالدليل
وعترته أولى القدر الجليل وسائر صحبه السامين قدرا
وجد بالعفو يا مولى الموالى على عبد العزيز فلا يبالى
إذا أنعمت يوما بالنوال تبدل كل هذا العسر يسرا

١١٨٣ - عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمى:

شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله، علمًا وورعًا وقيامًا فى الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان. ولد سنة سبع أو سنة ثمان وسبعين وخمسمائة[1]. ٥٧٨ هـ

تفقه على الشيخ فخر الدين ابن عساكر، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدى وغيره، وسمع الحديث من الحافظ أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم ابن عساكر، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبى سعد البغدادى، وعمر بن محمد بن طبرزد، وحنبل بن عبد الله الرصافى، والقاضى عبد الصمد بن محمد الحرستانى وغيرهم، وحضر على بركات بن إبراهيم الخشوعى.

روى عنه تلامذته: شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، وهو الذى لقب الشيخ عز الدين سلطان العلماء، والإمام علاء الدين أبو الحسن الباجى، والشيخ تاج الدين ابن الفركاح، والحافظ أبو محمد الدمياطى، والحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن مسدى، والعلامة أحمد أبو العباس الدشناوى، والعلامة أبو محمد هبة الله القفطى، وغيرهم. روى لنا عنه الختنى.

١١٨٣ - انظر ترجمته فى: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ١٠٩/٢. الأعلام ١٤٤/٤. تاريخ علماء بغداد ١٠٤. مفتاح السعادة ٢١٢/٢. البداية والنهاية ٢٣٥/١٣، ٢٣٦. حسن المحاضرة ٣١٤/١، ٣١٦. مرآة الزمان ٥٠٥/١. ذيل الروضتين ٢١٦. الوافى بالوفيات ٥٢٠/١٨. النجوم الزاهرة ٣٠٨/٧. مفتاح السعادة ٣٥٣/٢، ٣٥٤. مرآة الجنان ١٥٣/٤. المختصر لأبى الفدا ٢١٥/٣. فوات الوفيات ٥٩٤/١، ٥٩٦. العبر ٢٦٠/٥. طبقات ابن هداية الله ٨٥. طبقات المفسرين ٣٠٨/١. طبقات الإسنوى ١٩٧/٢. شذرات الذهب ٣٠١/٥.

(١) انظر: طبقات ابن قاضى شهبة ١٠٩/٢.

ذكر الشيخ الإمام شرف الدين عبد اللطيف ولد الشيخ، فيما صنفه من أخبار والده فى هذه الواقعة: أن الملك الأشرف لما اتصل به ما عليه الشيخ عز الدين من القيام لله والعلم والدين، وأنه سيد أهل عصره، وحجة الله على خلقه، أحبه وصار يلهج بذكره ويؤثر الاجتماع به، والشيخ لا يجيب إلى الاجتماع، وكانت طائفة من مبتدعة الحنابلة القائلين بالحرف والصوت، ممن صحبهم السلطان فى صغره، يكرهون الشيخ عز الدين ويطعنون فيه، وقرروا فى ذهن السلطان الأشرف أن الذى هم عليه اعتقاد السلف، وأنه اعتقاد أحمد بن حنبل، رضى الله عنه، وفضلاء أصحابه، واختلط هذا بلحم السلطان ودمه، وصار يعتقد أن مخالف ذلك كافر حلال الدم.

فلما أخذ السلطان فى الميل إلى الشيخ عز الدين، دست هذه الطائفة إليه، وقالوا: إنه أشعرى العقيدة، يخطئ من يعتقد الحرف والصوت ويبدعه، ومن جملة اعتقاده أنه يقول بقول الأشعرى، أن الخبز لا يشبع، والماء لا يروى، والنار لا تحرق، فاستهال ذلك السلطان واستعظمه ونسبهم إلى التعصب عليه.

فكتبوا فتيا فى مسألة الكلام، وأوصلوها إليه مريدين أن يكتب عليها بذلك فيسقط موضوعه عند السلطان، وكان الشيخ قد اتصل به ذلك كله، فلما جاءته الفتيا، قال: هذه الفتيا كتبت امتحانا لىّ، والله لا كتبت فيها إلا ما هو الحق، فكتب العقيدة المشهورة، وقد ذكر ولده بعضها فى تصنيفه، وأنا أرى أن أذكرها كلها لتستفاد وتحفظ.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ورضى عنه وعنا به: الحمد لله ذى العزة والجلال، والقدرة والكمال، والإنعام والإفضال، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، ولا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شىء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كون المكان، ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، فكل نعمة منه فهى فضل، وكل نقمة منه فهى عدل ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون**﴾ [الأنبياء: ٢٣]، استوى على العرش المجيد على الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده، استواءً منزهًا عن المماسة والاستقرار، والتمكن والانتقال، فتعالىٰ الله الكبير المتعال، عما يقوله أهل الغى والضلال، بل لا يحمله لعرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، مقهورون فى قبضته، أحاط بل شىء علمًا، وأحصى كل شىء عددًا، مطلع على هواجس الضمائر

فهذا إجمال من اعتقاد الأشعرى رحمه الله تعالى، واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة، نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح:

يعرفه الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر

غيره:

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا

والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان: أحدهما لا يتحاشى من إظهار الخشو ﴿**ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون**﴾ [المجادلة: ١٨]، والآخر يتستر بمذهب السلف، لسحت يأكله أو حطام يأخذه:

أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا[٥]

﴿**يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم**﴾ [النساء: ٩١]، ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه، دون التجسيم والتشبيه، ولذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل:

وكل يدعون وصال ليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

وكيف يدّعى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه، أو يسكتون عند ظهور البدع، ويخالفون قوله تعالى: ﴿**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**﴾ [البقرة: ٤٢]، وقوله: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾ [آلا عمران: ١٨٧]، وقوله: ﴿**لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ [النحل: ٤٤].

والعلماء ورثة الأنبياء، فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء.

وقال تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومن أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد والتنزيه، وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع، فورب السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، لقد تشمر السلف للبدع لما ظهرت، فقمعوها أتم القمع، وردعوا أهلها أشد الردع، فردوا على القدرية والجهمية والجبرية، وغيرهم من أهل البدع، فجاهدوا في الله حق جهاده.

والجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسّيف والسنان، فليت شعرى،

(٥) انظر: العقد الفريد ٣/٢١٦.

طبقات الشافعية الكبرى

تأليف

تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي

المتوفى سنة ٧٧١هـ

تحقيق

مصطفى عبد القادر أحمد عطا

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الجزء الخامس

المحتوى:

الطبقة السابعة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الخطيب، أخبرنا على بن أيوب القمى، أخبرنا محمد بن عمران بن موسى، أخبرنى إبراهيم بن خفيف المرثدى، أخبرنى محمد بن بهنام الأصبهانى، أخبرنا يحيى بن مدرك الطائى، أخبرنا هشام بن محمد الكلبى، قال: لما حج سليمان بن عبد الملك قدم المدينة، فأرسل إلى أبى حازم فأتاه، فقال له سليمان: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟ قال: وأى جفاء رأيت منى! قال: أتانى أهل المدينة ولم تأتنى. قال: يا أمير المؤمنين، وكيف يكون إتيان بلا معرفة متقدمة، والله ما عرفتنى قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك، فاعذر. قال: فالتفت سليمان إلى الزهرى فقال: أصاب الشيخ وصدق. قال سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب. قال سليمان: صدقت يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسرورًا، وأما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه محزونًا.

أخبرنا الشيخ شهاب الدين النابلسى بقراءتى عليه، أخبرنا أحمد بن هبة الله بن عساكر سماعًا، عن إسماعيل بن عثمان القارى، أخبرنا أبو الأسعد هبة الرحمن بن الإمام أبو سعيد عبد الواحد بن الأستاذ أبى القاسم القشيرى، أخبرنا القاضى أبو الفضل محمد بن أحمد بن أبى جعفر الطبسى، أخبرنا القاضى أبو بكر الحيرى، أخبرنا حاجب الطوسى، حدثنا محمد بن حماد، حدثنا محمد بن الفضل، عن الحسن ومسلم بن أبى عمران، قالا: قال سلمان: أضحكنى ثلاث، وأبكانى ثلاث. قالوا: وما هى يا سلمان؟ قال: أبكانى فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند سكرة الموت، وموقفى بين يدى الرحمن لا أدرى أساخط على هو أم راض. قالوا: وما أضحكك يا سلمان؟ قال: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدرى ما يفعل الله به.

١٣٠٢- أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابى الحلبى الأصل:

سمع من أبى الفرج عبد الرحمن بن الزين المقدسى، وأبى الحسن بن البخارى، وعمر

١٣٠٢- انظر ترجمته فى: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢٥٥/٣، تاريخ ابن الوردى ٣٠٢/٢، مرآة الجنان ٢٨٨/٤، البداية والنهاية ١٦٣/١٤، الدرر الكامنة ٣٢٩/١، شذرات الذهب ١٠٤/٦، الدارس فى تاريخ المدارس ١٣٣/١، ذيول تذكرة الحفاظ ١٠٧، ذيول العبر ١٧٨، طبقات الأسنوى ٣٩٠/١-٣٩١.

ابن عبد المنعم بن القواس، وأحمد بن هبة الله بن عساكر، وغيرهم، ودرس وأفتى، وشغل بالعلم مدة بالقدس ودمشق، وولى تدريس البادرائية بدمشق، وحدث، وسمع منه الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي[1].

مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[2].

ووقفت له على «تصنيف» صنفه فى نفى الجهة، ردا على ابن تيمية لا بأس به وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العظيم شأنه، القوى سلطانه، القاهر ملكوته، الباهر جبروته، الغنى عن كل شىء وكل شىء مفتقر إليه، فلا معول لشىء من الكائنات إلا عليه.

أرسل محمدًا ﷺ بالمحجة البيضاء، والملة الزهراء، فأتى بأوضح البراهين، ونور محجة السالكين، ووصف ربه تعالى بصفات الجلال، ونفى عنه ما لا يليق بالكبرياء والكمال، فتعالى الله الكبير المتعال، عما يقوله أهل الغى والضلال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطيف قدرته، مقهورون فى قبضته، أحاط بكل شىء علما، وأحصى كل شىء عددًا، مطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأعز سلطانه، ﴿**يسأله من فى السموات والأرض**﴾ لافتقارهم إليه، ﴿**كل يوم هو فى شأن**﴾ [الرحمن: ٢٩] لاقتداره عليه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه، ومبلغ أنبائه، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فالذى دعا إلى تسطير هذه النبذة، ما وقع فى هذه المدة، مما علقه بعضهم فى إثبات الجهة، واغتر بها من لم يرسخ له فى التعليم قدم، ولم يبق بأذيال المعرفة ولا كبحه لجام الفهم، ولا استبصر بنور الحكمة، فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم أبين فساد ما ذكره، مع أنه لم يدع دعوى إلا نقضها، ولا أطد قاعدة إلا هدمها، ثم أستدل على عقيدة أهل السنة وما يتعلق بذلك، وها أنا أذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها فى هذا المكان، فأقول، وبالله المستعان:

---

(١) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢/٢٥٦.

(٢) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ٢/٢٥٦.

وقول المدعى إنهم أظهروا هذا، ويقول: علم النبى ﷺ كل شىء حتى الخرأة، وما علم هذا المهم، هذا بهرج لا يمشى على الصيرفى النقاد، أو ما علم أن الخرأة يحتاج إليها كل واحد، وربما تكررت الحاجة إليها فى اليوم مرات، وأى حاجة بالعوام إلى الخوض فى الصفات؟ نعم الذى يحتاجون إليه من التوحيد قد تبين فى حديث: «أمرت أن أقاتل الناس»، ثم هذا الكلام من المدعى يهدم بنيانه، ويهد أركانه، فإن النبى ﷺ علم الخرأة تصريحا، وما علم الناس أن الله تعالى فى جهة العلو، وما ورد من العرش والسماء فى الاستواء، قد بنى المدعى مبناه، وأوثق عرى دعواه، على أن المراد بهما شىء واحد، وهو جهة العلو، فما قاله هذا المدعى لم يعلمه النبى ﷺ أمته، وعلمهم الخرأة، فعند المدعى يجب تعليم العوام حديث الجهة، وما علمها رسول الله ﷺ، وأما نحن فالذى نقوله أنه لا يخاض فى مثل هذا، ويسكت عنه كما سكت رسول الله ﷺ وأصحابه، ويسعنا ما وسعهم، ولذلك لم يوجد منا أحد يأمر العوام بشىء من الخوض فى الصفات، والقوم قد جعلوا دأبهم الدخول فيها والأمر بها، فليت شعرى من الأشبه بالسلف؟.

وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة، فنقول: عقيدتنا أن الله قديم أزلى، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء ليس له جهة ولا مكان، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان، ولا يقال له أين ولا حيث، يرى لا عن مقابلة ولا على مقابلة، كان ولا مكان، كوّن المكان، ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان.

هذا مذهب أهل السنة، وعقيدة مشايخ الطريق رضى الله عنهم.

قال الجنيد رضى الله عنه: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟.

وكما قيل ليحيى بن معاذ الرازى: أخبرنا عن الله عز وجل؟ فقال: إله واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: مالك قادر. فقيل له: أين هو؟ فقال: بالمرصاد. فقال السائل: لم أسالك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه.

وكما سأل ابن شاهين الجنيد رضى الله عنهما عن معنى «مع» فقال: «مع» على معنيين؛ مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: ﴿**إننى معكما أسمع وأرى**﴾ [طه:٤٦]، ومع العالم بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ [المجادلة: ٧] فقال ابن شاهين: مثلك يصلح دالا للأمة على الله.

صيد الخاطر

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠-٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد عبد الرحمن عوض

طبعة سنة
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

تخريج

أحمد إبراهيم زهوة

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وربما كان للمرأة زوج فألحقت الحمل من هذا به وتسلسل الأمر.

فقس على هذه وانتبه للعواقب، ولا تؤثر لذة تفوت خيراً كثيراً، وصابر المشقة تحصل ربحاً وافراً.

[فصل] اللذات المعنوية

ليس في الدنيا عيش إلّا لعالم أو زاهد.

بلى، قد يقع في صفاء حالهما كدر، وهو أن العالم يشتغل بالعلم أو بالانقطاع عن الكسب، وقد يكون له عائلة، فربما تعرض بالسلطان ففسد حاله. وكذلك الزاهد.

فينبغي للعالم والعابد أن يتحركا في معاش كنسخ بأجرة أو علم الخوص، وإن فتح له بشيء اقتنع باليسير، فلا يستعبده أحد. كما كان أحمد بن حنبل له أجرة لعلها لا تبلغ ديناراً يتقوت بها.

ومتى لم يقنع أفسدت مخالطة السلاطين والعوام دينه. وفي الناس من يريد التوسع في المطاعم، ومنهم من لا يوافقه خشن العيش، وهيهات أن يصح الدين مع تحصيل اللذات.

وإذا قنع العالم والزاهد بما يكفي، لم يتبذل أحدهما للسلطان ولم يستخدم بالتردد إلى بابه، ولم يحتج الزاهد إلى تصنع. والعيش اللذيذ للمنقطع الذي لا يتبذل به ولا يحمل منه.

[فصل] قدر الأفهام

ما أكثر تفاوت الناس في الفهوم، حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير في الأصول والفروع.

فترى أقواماً يسمعون أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحس كقول قائلهم: ينزل بذاته إلى السماء وينتقل.

وهذا فهم رديء، لأن المنتقل يكون من مكان إلى مكان، ويوجب ذلك كون المكان أكثرَ* منه، ويلزم منه الحركة، وكل ذلك محال على الحق عز وجل.

وأما في الفروع فكما يروى عن داود[1] أنه في قوله ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه»[2]. فقال: إن بال غيره جاز. فما يفهم المراد من التنجيس بل يأخذ بمجرد اللفظ.

وكذلك يقول: لحم الخنزير حرام لا جلده. نعوذ بالله من سوء الفهم.

وكذلك يتفاوت الشعراء الذين شغلهم التفطن لدقائق الأحوال كقول قائلهم:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والجفنات عدد يسير فلو قال: الجفان لكان أبلغ، ولو قال: بالدجى لكان أحسن، ويقطرن دليل على القلة. وكذلك قول القائل:

همسها العطر والفراش ويعلو ها لجين مُنظّم ولآلي

وهذا قاصر، فإنه لو فعلت هذا سوداء لحسّنها. إنما المادح هو القائل:

---

(١) أي داود الظاهري. (٢) أخرجه البخاري (٢٣٩)، ومسلم (٢٨٢).

* في طبعة دار الكتب العلمية لهذا الكتاب، أي كتاب صيد الخاطر، في الصحيفة ٤٧٦ وردت هذه العبارة بلفظ: أكبر، بالباء

العقيدة وعلم الكلام

من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري

تحتوي على

نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة

للإمام الكوثري

ويليه

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني المتوفى ٤٠٣ هجرية

ويليه

دفع شبهة التشبيه

للإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى ٥٩٧ هجرية

ويليه

دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد

للإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني المتوفى ٨٢٩ هجرية

ويليه

السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل

للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى ٧٥٦ هجرية

ويليه

العالم والمتعلم والفقه الأبسط والفقه الأكبر

ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي

ووصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد

كلها تحقيق

للإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري

المتوفى ١٣٧١ هجرية

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الإنصاف

فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني

المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

تحقيق

العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري

المتوفى سنة ١٣٧١ هـ

مسألة

ويجب أن يعلم: أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالبرب تعالى يتقدس عنه.

فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، ولا القعود؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص: ٤] ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك فإن قيل أليس قد قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، وتقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان.

وقال أبو عثمان المغربي يوماً لخادمه محمد المحبوب: لو قال لك قائل: أين معبودك؟ ماذا كنت تقول له؟ فقال: أقول حيث لم يزل ولا يزول. قال: فإن قال: فأين كان في الأزل؟ ماذا تقول؟ فقال: أقول حيث هو الآن. يعني: إنه كما كان ولا مكان.

وقال أبو عثمان: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا: إني قد أسلمت جديداً.

وقد سئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: ٥] فقال: الرحمٰن لم يزل ولا يزول، والعرش محدث، والعرش بالرحمٰن استوى.

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك؛ لأنه لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً، والله يتعالى عن جميع ذلك.

وقال بعض أهل التحقيق: (ألزم الكل الحدث، لأن القدم له، فهو سبحانه لا يظله فوق، ولا يقيه تحت، ولا يقابله حدّ، ولا يزاحمه [عدّ]، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل، ولا ينهيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجده كان، ولا يفقده ليس، باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم. إن قلت متى: فقد سبق الوقت

دفع شبهة التشبيه

للإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق

الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري

المتوفى سنة ١٣٧١ هـ

الحديث الخامس عشر: روى القاضي (أبو يعلى) عن عبد الله بن عمر موقوفاً أنه قال: «خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر».

وقد أثبت به القاضي ذراعين وصدراً لله عزّ وجل. وهذا قبيح لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم! هذا أقبح مما ادعاه النصارى.

* * *

الحديث السادس عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يدنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول تعرف ذنب كذا».

قال العلماء: يدنيه من رحمته ولطفه، قال ابن الأنباري: كنفه حياطته وستره، يقال: قد كنف فلان فلاناً إذا حاطه وستره وكل شيء ستر شيئاً فقد كنفه، ويقال للترس كنيف لأن يستر صاحبه.

قال القاضي (أبو يعلى) يدنيه من ذاته. وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذي هو مسافة. وكذلك قوله: «إنه ليدنو يوم عرفة» أي يقرب بلطفه وعفوه.

* * *

الحديث السابع عشر: روى مسلم في أفراده من حديث معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنماً لي، فانطلقت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ فقلت: ألا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فقال لها: «أين الله تعالى؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «اعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار، وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جلّ جلاله عندها.

* * *

الحديث الثامن عشر: رواه أبو رزين قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء»[1].

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن جرير في تهذيب الآثار والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة (جمع الجوامع للسيوطي).

وصية الإمام أبي حنيفة
في التوحيد

تحقيق
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري
المتوفى ١٣٧١ هـ

أفعال العباد كما سيجيء البحث في ذلك وكتابته في اللوح المحفوظ والمعصية ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيئته لا بمحبته وبقضائه لا برضاه وبتقديره لا بتوفيقه وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ.

ونقر بأن الله سبحانه تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء، بالألسنة محفوظ في الصدور غير حال فيها. والحبر والكاغد والكتابة كلها مخلوقة لأنها أفعال العباد وكلام الله تعالى غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن لحاجة العباد إليها وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم. والله تعالى معبود لا يزال عما كان وكلامه مقروء ومكتوب ومحفوظ من غير مزايلة عنه.

ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين، لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢] وكل من كان أسبق فهو أفضل ويحبهم كل مؤمن تقي ويبغضهم كل منافق شقي.

ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقاً فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة وأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة لأنهم ضعفاء عاجزون والله تعالى خالقهم ورازقهم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الرُّوم: ٤٠] والكسب حلال وجمع المال من الحلال حلال وجمع المال من الحرام حرام.

والناس على ثلاثة أصناف: المؤمن المخلص في إيمانه، والكافر الجاحد في كفره، والمنافق المداهن في نفاقه، والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الإيمان وعلى المنافق الإخلاص لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] يعني يا أيها المؤمنون أطيعوا، ويا أيها الكافرون آمنوا، ويا أيها المنافقون أخلصوا.

والاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولابعد الفعل لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنياً عن الله تعالى وقت الحاجة وهذا خلاف حكم النص لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ

الفقه الأبسط

للإمام أبي حنيفة

تحقيق

الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري

المتوفى ١٣٧١ هـ

ظالمون. فإن فيهم أيضاً صالحين يعينونك عليهم، وإن كانت الجماعة باغية فاعتزلهم واخرج إلى غيرهم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] وقال أيضاً: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت المعاصي في أرض فلم تطق أن تغيرها فتحول عنها إلى غيرها فاعبد بها ربك». وقال: حدثني بعض أهل العلم(١) عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: «من تحول من أرض يخاف الفتنة فيها إلى أرض لا يخافها فيها كتب الله له أجر سبعين صدِّيقاً».

قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر(٢) وكذا من قال إنه على العرش. ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض(٣)

---

(١) فهو مجهول كما أن الصحابي مجهول فليحرر (ز).

(٢) ولم يذكر في المتن وجه كفره فبيّنه الشارح أبو الليث السمرقندي بقوله: (لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له تعالى مكان فكان مشركاً). ويدل على ذلك ما سيجيء في المتن: (قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؛ يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء يعني فلا يتصور الأينية إلا في الحادث. ومما يدل على ذلك أيضاً قول الطحاوي في كتابه: (بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله): (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زلّ ولم يصب التنزيه. فإن ربنا جلّ وعلا موصوفٌ بصفات الوحدانية. منعوتٌ بنعوت الفردانية. وليس في معناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات اهـ) وهذا جلي واضح مستغنٍ عن الإيضاح وبسط القول في ذلك في كتاب (إشارات المرام من عبارات الإمام) للعلامة كمال الدين البياضي المطبوع حديثاً. وهو من أحسن ما نُشر إلى الآن في اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أئمتنا رضي الله عنهم (ز).

(٣) وهذا لفظ نسخة العلامة البياضي. وأما لفظ نسخة أبي الليث فهو (قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ [طه: ٥] فإن قال أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في السماء أم في الأرض فقد كفر أيضاً). ولم يذكر في المتن هنا أيضاً وجه كفر هذا القائل في النسختين فبيّنه البياضي في (ص٢٠٠) من إشارات المرام، وبيّنه أبو الليث بقوله: (وهذا يرجع إلى المعنى الأول في الحقيقة لأنه إذا قال لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض فكأنه قال لا أدري أن الله في السماء أم في الأرض) فلا يكون منزهاً لله عن المكان مع وجوب تنزيهه عنه. ثم أفاض أبو الليث في الرد على الكرامية وسائر المشبهة القائلين بإثبات المكان له تعالى، وأبو الليث هذا تخرج على أبي جعفر الهنداوي عن أبي القاسم الصفار عن نصير بن يحيى البلخي راوية هذا الكتاب بسنده المعروف بين أهل العلم سلفاً وخلفاً. وأبو الليث هذا توفي =

عدل فقل: أرأيت ما كان في الدنيا عدلاً أليس في الآخرة عدلاً؟ فإن قال: نعم، فقل: أتؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير وبالقدر خيره وشره من الله تعالى؟ فإن قال: نعم، فقل له: أمؤمن أنت؟ فإن قال: لا أدري. فقل له: لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت. قلت: ومن قال: إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين. فقل له: هما شيء أو ليستا بشيء وقد قال الله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] وقال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦]. فإن قال: إنهما تفنيان. فقل له: وصف الله نعيمها بقوله: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٣] ومن قال: هما تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما فقد كفر بالله تعالى لأنه أنكر الخلود فيهما.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد حي قيوم قادر سميع بصير عالم. يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه وليست بجارحة، وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه. وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليس كنفس خلقه، وهو خالق النفوس ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] قلت: أرأيت لو قيل: أين الله تعالى؟ فقال: يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء. فإن قيل: بأي شيء شاء الشائي المشيء؟ فقل بالصفة، وهو قادر يقدر بالقدرة وعالم يعلم بالعلم ومالك يملك بالملك. فإن قيل: أشاء بالمشيئة، وقدر بالمشيئة وشاء بالعلم؟ فقل: نعم[1].

* * *

باب في الإيمان

فإن قيل: أين مستقر الإيمان؟ يقال معدنه ومستقره القلب، وفرعه في الجسد، فإن قيل: هو في أصبعك؟ فقيل: نعم. فإن قيل: فإن قطعت أين يذهب الإيمان

(١) فتكون المشيئة تابعة للعلم والعلم تابع للمعلوم فلا يكون العبد مجبوراً في فعله الاختياري (ز).

العقيدة وعلم الكلام

من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري

تحتوي على

نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة

للإمام الكوثري

ويليه

الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني المتوفى ٤٠٣ هـ

ويليه

دفع شبهة التشبيه

للإمام عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ

ويليه

دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد

للإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني المتوفى ٨٢٩ هـ

ويليه

السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل

للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى ٧٥٦ هـ

ويليه

العالم والمتعلم والفقه الأبسط والفقه الأكبر

ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي

ووصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد

كلها تحقيقه

للإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري

المتوفى ١٣٧١ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دَفْعُ شُبَهِ مَنْ شَبَّهَ وَتَمَرَّدَ
ونَسَبَ ذَلِكَ إِلَى السَّيِّدِ الجَلِيلِ الإِمَامِ أَحْمَد

لِلإِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الحِصْنِي

المتوفى ٨٢٩ هـ سنة

تحقيق

الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري

المتوفى ١٣٧١ هـ سنة

فاستخرت الله عزّ وجل في ذلك مدة مديدة ثم قلت: لا أبا لك، وتأملت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك فلم يسعني عند ذلك أن أكتم ما علمت، وإلا ألجمت بلجام من نار ومقت وها أنا أذكر الرجل وأشير باسمه الذي شاع وذاع، واتسع به الباع، وسار بل طار في أهل القرى والأمصار، وأذكر بعض ما انطوى باطنه الخبيث عليه وما عول في الإفساد بالتصريح أو الإشارة إليه ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودونه في كتبه المختصرات لطال جداً فضلاً عن المبسوطات وله مصنفات أخر لا يمكن أن يطلع عليها إلا من تحقق أنه على عقيدته الخبيثة ولو عصر هو وأتباعه بالعاصرات لما فيها من الزيغ والقبائح النحسات.

قال بعض العلماء من الحنابلة في الجامع الأموي في ملأ من الناس: لو اطلع الحصني على ما اطلعنا عليه من كلامه لأخرجه من قبره وأحرقه، وأكد هؤلاء أن أتعرض لبعض ما وقفت عليه وما أفتى به مخالفاً لجميع المذاهب وما خطىء فيه وما انتقد عليه وأذكر بعض ما اتفق له من المجالس والمناظرات وما جاءت به المراسيم العاليات وأتعرض لبعض ما سلكه من المكائد التي ظن بسببها أنه يخلص من ضرب السياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات وهيهات فأول شيء سلكه من المكر والخديعة أن انتمى إلى مذهب الإمام أحمد وشرع يطلب العلم ويتعبد فمالت إليه قلوب المشايخ فشرعوا في إكرامه والتوسعة عليه فأظهر التعفف فزادوا في الغربة فيه والوقوع عليه ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسوداته حتى ظن أنه صار له قوة في التصنيف والمناظرة وأخذ يدوّن ويذكر أنه جاءه استفتاء من بلد كذا وليس لذلك حقيقة فيكتب عليها صورة الجواب ويذكر ما لا ينتقد عليه وفي بعضها ما يمكن أن ينتقد إلا أنه يشير إليه على وجه التلبيس بحيث لا يقف على مراده إلا حاذق عالم متفنن فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلا ذلك المتفنن الفطن ثم مع ذلك شرع يتلقى الناس بالإنس وبسط الوجه ولين الكلام ويذكر أشياء تحلو للنفس لا سيما الألفاظ العذبة مع اشتمالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فطلبوا منه أن يذكر الناس ففعل فطار ذكره بالعلم والتعبد والتعفف ففزع الناس إليه بالأسئلة فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة قال له عاودني فيها فإذا جاءه قال هذه مسألة مشكلة ولكن لك عندي مخرج أقوله لك بشرط فإني أتقلدها في عنقي فيقول أنا أوفي لك فيقول إن تكتم علي فيعطيه العهود والمواثيق على ذلك فيفتيه بما فيه فرجه حتى صار له بذلك أتباع كثيرة يقومون بنصرته أن لو عرض له عارض ثم إنه علم أن ذلك لا يخلصه

فكان إذا كان في بعض المجالس قال إنا لله وإنا إليه راجعون قد انفتقت فتوق من أنواع المفاسد يبعد ارتتاقها ولو كان لي حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً وفلاناً محتسباً وفلاناً دويداراً وفلاناً أمير البلد فيسمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب فكانوا يقومون في نصرته. ثم اعلم أن مثل هؤلاء قد لا يقدرون على مقاومة العلماء إذا قاموا في نحره فجعل له مخلصاً منهم بأن ينظر إلى من الأمر إليه في ذلك المجلس فيقول له ما عقيدة إمامك فإذا قال كذا وكذا قال أشهد أنها حق وأنا مخطىء واشهدوا أني على عقيدة إمامك، وهذا كان سبب عدم إراقة دمه، فإذا انفضّ المجلس أشاع أتباعه أن الحق في جهته ومعه وأنه قطع الجميع، ألا ترون كيف خرج سالماً حتى حصل بسبب ذلك افتتان خلق كثير لا سيما من العوام، فلما تكرر ذلك منه علموا أنه إنما يفعل ذلك خديعة ومكراً فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه ولم يزل ينتقل من سجن إلى سجن حتى أهلكه الله عزّ وجل في سجن الزندقة والكفر ومن قواعده المقررة عنده وجرى عليها أتباعه التوقي بكل ممكن حقاً كان أو باطلاً ولو بالأيمان الفاجرة سواء كانت بالله عزّ وجل أو بغيره وأما الحلف بالطلاق فإنه لا يوقعه البتة ولا يعتبره سواء كان بالتصريح أو الكناية أو التعليق أو التنجيز وهذا مذهب فرقة الشيعة فإنهم لا يرونه شيئاً وإشاعته هو وأتباعه أن الطلاق الثلاث واحدة خزعبلات ومكر وإلا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أي وجه سواء كان حثاً أو منعاً أو تحقيق خبر فاعرف ذلك، وأن مسألة الثلاث إنما يذكرونها تستراً وخديعة وقد وقفت على مصنف له في ذلك[1] وكان عند شخص شريف زينبي وكان يرد الزوجة إلى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم وإنما أطلعني عليه لأنه ظن أني منهم فقلت له: يا هذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقية الأئمة بقول ابن تيمية فقال: اشهد علي أني تبت وظهر لي أنه كذب في ذلك ولكن جرى على قاعدتهم في التستر والتقية فنسأل الله العافية من المخادعة فإنها صفة أهل الدرك الأسفل[2] ثم اعلم قبل الخوض في ذكر بعض ما وقع منه وانتقد عليه أنه يذكر في بعض مصنفاته كلام رجل من أهل الحق ويدس في غضونه شيئاً من معتقده الفاسد فيجري عليه الغبي بمعرفة كلام أهل الحق فيهلك وقد هلك بسبب ذلك خلق كثير وأعمق من ذلك أنه يذكر أن ذلك

(١) هذا شيء مدهش جداً ولولا أن الذي يحكيه الإمام الحصني المعروف بشحه على دينه ما وجد ما يحكيه إلى القلوب سبيلاً، اهـ مصححه.

(٢) لا يتردد عاقل في أن ما سيحكيه الإمام الحصني بعد فعل دجاجلة لا علماء فليقرأه العاقل وليعجب كيف يكون من هذه بلاياهم أئمة في دين الله، اهـ مصححه.

وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء وليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية».

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر: «ألا إن الفتنة هنا ـ ويشير إلى المشرق ـ من حيث يطلع قرن الشيطان» وفي رواية «إن الفتنة ههنا» ثلاثاً، وفي رواية: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها فقال: «رأس الكفر ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» وهذا المبتدع من حران الشرق بلدة لا تزال يخرج منها أهل البدع كجعد وغيره.

وفي سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله وما سيماهم؟ قال: «التحليق والتسبيد فإذا رأيتموهم فأنيموهم» أي اقتلوهم، والتسبيد هو الحلق واستئصال الشعر وقيل ترك التدهن وغسل الرأس وغير ذلك، والأحاديث في ذلك كثيرة وفي واحد كفاية لمن أراد الله عزّ وجل به الرشد والهداية فقد أوضحهم سيد الناصحين ﷺ باعتبار أوصافهم وأماكنهم إيضاحاً جلياً لا خفاء فيه ولا جهالة فلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعالى إضلاله وإذا تمهد لك هذا أيها الراغب في فكاك نفسك من ربقة عقائد أهل الزيغ الضالين المضلين والاقتداء بأهل السلامة في الدين.

فاعلم أني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ: المتتبع ما تشابه في الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن

أراد الله عز وجل إهلاكه فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به[1] ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره لما فيه من تكذيب رب العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين وكذا الازدراء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم الموفقين فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين فمنه ما دُوِّن في المصنفات ومنه ما جاءت به المراسيم العليات وأجمع عليه علماء عصره ممن يرجع إليهم في الأمور الملمات والقضايا المهمات وتضمنه الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات ولم يختلف عليه أحد كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رؤوس الأشهاد في المجامع الجامعة حتى شاع وذاع واتسع به الباع حتى في الفلوات فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطاني[2] ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون رحمه الله تعالى وقرىء على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة، صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزّه عن التشبيه والنظير، وتعالى عن المثل فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزّه خالقه عن التحيز في جهة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته وأمر بالتفكر في الآيات ونهى عن التفكر في ذاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع، وشيد الله بهم من قواعد الدين الحنيفي ما شرع، وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع.

وبعد فإن القواعد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية، وأركان الإيمان العلمية، ومذاهب الدين المرضية، هي الأساس الذي يبنى عليه، والموئل الذي يرجع كل أحد إليه، والطريق التي من سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً، ولهذا يجب أن تنعقد أحكامها، ويؤكد دوامها، وتصان عقائد هذه الأمة عن

(١) ليتأمل هذا جداً فإنه عجيب، اهـ مصححه.

(٢) لفظ ناصر الدين صفة لموصوف محذوف قطعاً ليستقيم الكلام والتقدير الصادر من السلطان ناصر الدين الخ، اهـ مصححه.

الاختلاف، وتزان بالرحمة والعطف والائتلاف، وتخمد ثوائر البدع، ويفرق من فرقها ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه، ومدّ بجهله عنان كلمه، وتحدث بمسائل الذات والصفات، ونص في كلامه الفاسد على أمور منكرات، وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصره، وأعلام علماء شامه ومصره، وبث به رسائله إلى كل مكان، وسمى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ولما اتصل بنا ذلك وما سلك به هو ومريدوه، من هذه المسالك الخبيثة وأظهروه، من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه، حتى اتصل بنا أنهم صرحوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبيه والتجسيم فقمنا في نصرة الله مشفقين من هذا النبأ العظيم، وأنكرنا هذه البدعة، وعزنا[1] أن يشيع عمن تضمنه ممالكه هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠] فإنه سبحانه وتعالى تنزّه في ذاته وصفاته عن العديل والنظير ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] فتقدمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلى أبوابنا، حين ما سارت فتاويه الباطلة في شامنا ومصرنا، وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ولما وصل إلينا الجمع أولوا العقد والحل، وذوو التحقيق والنقل، وحضر قضاة الإسلام، وحكام الأنام، وعلماء المسلمين، وأئمة الدنيا والدين، وعقد له مجلس شرعي في ملأ من الأئمة وجمع، ومن له دراية في مجال النظر ودفع، فثبت عندهم جميع ما نسب إليه، بقول من يعتمد ويعول عليه، وبمقتضى خط قلمه الدال على منكر معتقده[2] وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته الخبيثة منكرون، وآخذوه بما شهد به قلمه تالين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وبلغنا أنه قد استتيب مراراً فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض لذلك، وأقدم، ثم عاد بعد منعه، ولم يدخل ذلك في سمعه،

(١) هذه الفقرة محرّفة ومعناها ليس بظاهر والذي يظهر أن أصلها وعدنا أن يشيع عمن تضمه ممالكه هذه السمعة، يستعيذ السلطان بالله أن يشيع عنه هو تلك السمعة لأن الرجل في مملكته، اهـ مصححه.

(٢) ليحفظ هذا ثم ليحفظه المغرورون، اهـ مصححه.

ولما ثبت ذلك في مجلس الحاكم المالكي حكم الشرع الشريف أن يسجن هذا المذكور، ويمنع من التصرف والظهور، ويكتب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك، وينهي عن التشبيه في اعتقاد مثل ذلك، أو يعود له في هذا القول متبعاً، أو لهذه الألفاظ مستمعاً، أو يسري في التشبيه مسراه، أو يفوه بجهة العلو بما فاه، أو يتحدث أحد بحرف أو صوت، أو يفوه بذلك إلى الموت، أو ينطق بتجسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم، أو يخرج عن رأي الأئمة، أو ينفرد به عن علماء الأمة، أو يحيز الله سبحانه وتعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمعتقد هذا إلا السيف[1]، فليقف كل واحد عند هذا الحد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل واحد من الحنابلة بالرجوع عن كل ما أنكره الأئمة من هذه العقيدة، والرجوع عن الشبهات الذائعة الشديدة، ولزوم ما أمر الله تعالى به والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضلّ سواء السبيل، ومثل هذا ليس له إلا التنكيل، والسجن الطويل مستقره ومقيله وبئس المقيل، وقد رسمنا بأن ينادي في دمشق المحروسة والبلاد الشامية، وتلك الجهات الدنية والقصبة، بالنهي الشديد، والتخويف والتهديد، لمن اتبع ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحناه، ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه، ووضعناه من عيون الأمة كما وضعناه، ومن أصر على الامتناع، وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا ولاية، ولا شهادة ولا إمامة، بل ولا مرتبة ولا إقامة، فإنا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقيدته الخبيثة التي أضلّ بها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضلّ بها من خلق وعاثوا بها في الأرض الفساد، ولتثبت المحاضر الشرعية، على الحنابلة بالرجوع عن ذلك وتسير المحاضر بعد إثباتها على قضاة المالكية، وقد أعذرنا وحذرنا، وأنصفنا حيث أنذرنا، وليقرأ مرسومنا الشريف على المنابر، ليكون أبلغ واعظ وزاجر، لكل باد وحاضر، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، وكتب ثامن[2] عشرين شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة[3].

(١) لينظر هذا كذلك، اهـ مصححه.

(٢) كذا بالأصل والمعنى ظاهر ولعل الأصل في ثامن وعشرين من شهر الخ وكذا ما يأتي يقال فيه ذلك، اهـ مصححه.

(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، اهـ مصححه.

وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب عيون التواريخ وهو ابن شاكر ويعرف بصلاح الدين الكتبي وبالتريكي وكان من أتباع ابن تيمية وضرب الضرب البليغ لكونه قال لمؤذن في مأذنة العروس وقت السحر أشركت حين قال:

ألا يـا رسـول الله أنـت وسـيلـتـي إلـى الله فـي غـفـران ذنـبـي وزلـتـي

وأرادوا ضرب عنقه ثم جددوا إسلامه وإنما أذكر ما قاله لأنه أبلغ في حق ابن تيمية في إقامة الحجة عليه مع أنه أهمل أشياء من خبثه ولؤمه لما فيها من المبالغة في إهانة قدوته والعجب أن ابن تيمية ذكرها وهو سكت عنها.

كلام ابن تيمية في الاستواء ووثوب الناس عليه

فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن علي الدمشقي في صحن الجامع الأموي عن أبيه قال: كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء ثم قال: (واستوى الله على عرشه كاستوائي هذا) قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة وأنزلوه من الكرسي وبادروا إليه ضرباً باللكم والنعال غير ذلك حتى أوصلوه إلى بعض الحكام واجتمع في ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟ فقال: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فضحكوا منه وعرفوا أنه جاهل لا يجري على قواعد العلم ثم نقلوه ليتحققوا أمره فقالوا: ما تقول في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٥]؟ فأجاب بأجوبة تحققوا أنه من الجهلة على التحقيق وأنه لا يدري ما يقول وكان قد غرّه بنفسه ثناء العوام عليه وكذا الجامدين[1] من الفقهاء العارين عن العلوم التي بها يجتمع شمل الأدلة على الوجه المرضي وقد رأيت في فتاويه ما يتعلق بمسألة الاستواء وقد أطنب فيها وذكر أموراً كلها تلبيسات وتجريات خارجة عن قواعد أهل الحق، والناظر فيها إذا لم يكن ذا علوم وفطنة وحسن رؤية ظن أنها على منوال مرضي ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله (إن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحَدِيد: ٤] فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا) هذه عبارته بحروفها، فتأمل أرشدك الله تعالى هذا التهافت وهذه الجرأة

(١) كذا بالأصل وليس يخفى أن لفظ الجامدين حقها الجامدون وكذا العارون، اهـ مصححه.

بالكذب على الله تعالى أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أنه فوق العرش ومحتجاً بلفظ الاستواء الذي هو موضوع بالاشتراك ومن قبيل المجمل وهذا وغيره مما هو كثير في كلامه يتحقق به جهله وفساد تصوره وبلادته وكان بعضهم يسميه حاطب ليل وبعضهم يسميه الدار الهدار وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه أبو الحسن علي بن إسماعيل القونوي يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول ويخبر أنه أخذ مسألة التفرقة[1] عن شيخه الذي تلقاها عن أفراخ السامرة واليهود الذين أظهروا التشرف بالإسلام وهو[2] من أعظم الناس عداوة للنبي ﷺ وقتل علي رضي الله عنه واحداً منهم تكلم في مجلسه كلمة فيها ازدراء بالنبي ﷺ وقد وقفت على المسألة أعني مسألة التفرقة التي أثارها اليهود ليزدروه بها وبحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاق وكانوا يقطعون بها الضعفاء من العلماء فتصدى لهم الجهابذة من العلماء وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشرعي والعرفي وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق ولم يبق منهم إلا الضعفاء في العلم ودامت فيهم مسألة التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه وكنت أظن أنه ابتكرها واتفق الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة خطئه وعدم إدراكه للمآخذ الدقيقة وتصورها. عرفوا ذلك منه بالمفاوضة في مجالس العلم.

ولنرجع إلى ما ذكره ابن شاكر في تاريخه ذكره في الجزء العشرين قال: وفي سنة خمس وسبعمائة في ثامن رجب عقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر الأبلق فسئل ابن تيمية عن عقيدته فأملى شيئاً منها ثم أحضرت عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس ووقعت بحوث كثيرة وبقيت مواضع أخرت إلى مجلس ثان ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر رجب وحضر المجلس صفي الدين الهندي وبحثوا ثم اتفقوا على أن كمال الدين بن الزملكاني يحاقق ابن تيمية ورضوا كلهم بذلك فأفحم كمال الدين ابن تيمية وخاف ابن تيمية على نفسه فأشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي فرضوا منه بذلك وانصرفوا ثم إن أصحاب ابن تيمية أظهروا أن الحق ظهر مع شيخهم وأن الحق معه فأحضروا إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني وأحضروا ابن تيمية وصفع ورسم بتعزيره فشفع فيه وكذلك فعل الحنفي باثنين من أصحاب ابن تيمية ثم قال: ولما كان

(١) ظاهر أنها الفوقية وكذا ما يأتي بعد كالسياق أو التفرقة بين حياة الرسول وممانه، اهـ مصححه.

(٢) ظاهر أن هذا اللفظ هم لا هو، اهـ مصححه.

سلخ رجب جمعوا القضاة والفقهاء وعقد مجلس بالميدان أيضاً وحضر نائب السلطنة أيضاً وتباحثوا في أمر العقيدة وسلك معهم المسلك الأول فلما كان بعد أيام ورد مرسوم السلطان صحبة بريدي من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وبابن تيمية وفي الكتاب (تعرفونا ما وقع في سنة ثمان وتسعين في عقيدة ابن تيمية) فطلبوا الناس وسألوهم عما جرى لابن تيمية في أيام نقل عنه فيها كلام قاله وأحضروا للقاضي جلال الدين القزويني العقيدة التي كانت أحضرت في زمن قاضي القضاة إمام الدين وتحدثوا مع ملك الأمراء في أن يكاتب في هذا الأمر فأجاب فلما كان ثاني يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر وأخبر أن الطلب على ابن تيمية كثير وأن القاضي المالكي قائم في قضيته قياماً عظيماً وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت في الديار المصرية وأن بعضهم صفع فلما سمع ملك الأمراء بذلك انحلت عزائمه عن المكاتبة وسير شمس الدين بن محمد المهمندار إلى ابن تيمية وقال له قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً وكذلك راح إلى قاضي القضاة فشرعوا في التجهيز وسافر صحبة ابن تيمية أخواه عبد الله وعبد الرحمٰن وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيمية وفي سابع شوال وصل البريدي إلى دمشق وأخبر بوصولهم إلى الديار المصرية وأنه عقد لهم مجلس بقلعة القاهر بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء، فتكلم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعي وادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة، فذكر منها فصولاً فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه وتكلم بما يقتضي الوعظ فقيل له يا شيخ إن الذي تقوله نحن نعرفه وما لنا حاجة إلى وعظك وقد ادعي عليك بدعوى شرعية فأجب، فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنوه من ذلك بل قيل له أجب فتوقف وكرر عليه القول مراراً فلم يزدهم على ذلك شيئاً وطال الأمر فعند ذلك حكم القاضي المالكي بحبسه وحبس أخويه معه فحبسوه في برج من أبراج القلعة فتردد إليه جماعة من الأمراء فسمع القاضي بذلك فاجتمع بالأمراء وقال يجب عليه التضييق إذا لم يقتل وإلا فقد وجب قتله وثبت كفره فنقلوه إلى الجب بقلعة الجبل ونقلوا أخويه معه بإهانة وفي سادس عشر ذي القعدة وصل من الديار المصرية قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وجلس يوم الجمعة في الشباك الكمالي وحضر القراء والمنشدون وأنشدت التهاني وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب السلطنة فلما كان بعد أيام عرضها عليه فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما فيها امتثالاً للمراسيم السلطانية وكانوا قد بيتوا على الحنابلة كلهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي بعد الصلاة وحضر القضاة كلهم بالمقصورة وحضر

معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلائي وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصري الذي حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم وقرىء عقيبه الكتاب الذي وصل على يديه وفيه ما يتعلق بمخالفة ابن تيمية في عقيدته وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة والوعيد الشديد عليهم والعزل من المناصب والحبس وأخذ المال والروح لخروجهم بهذه العقيدة عن الملة المحمدية ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدم وتولى قراءته شمس الدين محمد بن شهاب الدين الموقع وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذن وقرىء بعده تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مهانين بين يدي القاضي جمال الدين المالكي بحضور باقي القضاة واعترفوا أنهم يعتقدون ما يعتقده محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وفي سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الطلاق الذي يفتي بها ابن تيمية وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء وحضر ابن تيمية وسألوه عن فتاويه في مسألة الطلاق وكونهم نهوه وما انتهى ولا قبل مرسوم السلطان ولا حكم الحكام بمنعه فأنكر فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك فأنكر وصمم على الإنكار فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنه أفتى لحاماً اسمه قمر مسلماني في بستان ابن منجا فقيل لابن تيمية اكتب بخطك أنك لا تفتي بها ولا بغيرها فكتب بخطه أنه لا يفتي بها وما كتب بغيرها، فقال القاضي نجم الدين بن صصري: حكمت بحبسك واعتقالك، فقال له: حكمك باطل لأنك عدوي، فلم يقبل منه وأخذوه واعتقلوه في قلعة دمشق، وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء أفرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق وكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر ونصف وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في السادس عشر من شعبان قدم بريدي من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية فاعتقل في قلعة دمشق وكان السبب في اعتقاله وحبسه أنه قال: (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وإن زيارة قبور الأنبياء لا تشد إليها الرواحل كغيرها كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبي ﷺ) ثم إن الشاميين كتبوا فتيا أيضاً في ابن تيمية لكونه أول من أحدث هذه المسألة التي لا تصدر إلا ممن في قلبه ضغينة لسيد الأولين والآخرين فكتب عليها الإمام العلامة برهان الدين الفزاري نحو أربعين سطراً بأشياء وآخر القول إنه أفتى بتكفيره ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهبل الشافعي وكتب تحت خطه كذلك المالكي وكذلك كتب غيرهم ووقع الاتفاق على تضليله بذلك وتبديعه وزندقته ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً

ويجمع العلماء والقضاة فرأى أن الأمر يتسع فيه الكلام ولا بد من إعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى وجعلها في مطالعه وسيرها فجمع السلطان لها القضاة فلما قرئت عليهم أخذها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وكتب عليها (القائل بهذه المقالة ضال مبتدع) ووافقه على ذلك الحنفي والحنبلي فصار كفره مجمعاً عليه[1] ثم كتب كتاب إلى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة في أمره، وفي يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان إلى نائب البلد وأمره أن يقرأ على السدة في يوم الجمعة فقرىء وكان قارىء الكتاب بدر الدين بن الأعزازي الموقع والمبلغ ابن النجيبي المؤذن ومضمون الكتاب بعد البسملة أدام الله تعالى نعمه ونوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته التي جهزها بسبب ابن تيمية فوقفنا عليها وعلمنا مضمونها في أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء فذكروا جميعاً من غير خلف أن الذي أفتى به ابن تيمية في ذلك خطأ مردود عليه وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً وكتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية وقد جهزنا إلى الجناب العالي طي هذه المكاتبة فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة ويتقدم اعتقال المذكور في قلعة دمشق ويمنع من الفتوى مطلقاً ويمنع الناس من الاجتماع به والتردد إليه تضييقاً عليه لجرأته على هذه الفتوى فيحيط به علمك الكريم ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة وأفتى به العلماء في السجن للمذكور وطول سجنه فإنه في كل وقت يحدث للناس شيئاً منكراً وزندقة يشغل خواطر الناس بها ويفسد على العوام عقولهم الضعيفة وعقلياتهم وعقائدهم فيمنع ما ذلك وتسد الذريعة منه فليكن عمله على هذا الحكم ويتقدم أمره به وإذا اعتمد الجناب الرفيع العالي هذا الاعتماد الذي رسمنا به في أمر ابن تيمية فيتقدم منع من سلك مسالكه أو يفتي بهذه الفتاوى أو يعمل بها في أمر الطلاق أو هذه القضايا المستحدثة وإذا اطلع على أحد عمل بذلك أو أفتى به فيعتبر حاله فإن كان من مشايخ العلماء فيعزر تعزير مثله وإن كان من الشبان الذين يقصدون الظهور كما يقصده ابن تيمية فيؤديهم ويردعهم ردعاً بليغاً ويعتمد في أمر ما يجسم به مواد أمثاله لتستقيم أحوال الناس وتمشي على السداد ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع ويبتدع في دين الله عزّ وجل

(١) لينظر هذا المغرورون، اهـ مصححه.

من أنواع الاقتراح ما لم يسبقه أحد إليه فالجناب العالي يعتمد هذه الأمور التي عرفناه إياها الآن وسد الذرائع فيها وقد عجلنا بهذا الكتاب وبقية فصول مكاتبته تصل بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وكتب في سابع عشرين رجب سنة ست وعشرين سبعمائة صورة الفتوى من المنقول من خط القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر الفتوى:

الحمد لله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وأنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي ﷺ فضيلة وسنّة مجمع عليها وهذا المفتي المذكور ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ويمنع من الفتاوى الغريبة ويجلس[1] إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمد بن الجريري الأنصاري الحنفي: لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً.

وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي: ويبالغ في زجره حسبما تندفع به المفسدة وغيرها من المفاسد وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي ووجدوا صورة فتوى أخرى يقطع فيها بأن زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها وهذه الفتوى هي التي وقف عليها الحكام وشهد بذلك القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمٰن القزويني فلما رأوا خطه عليها تحققوا فتواه فغاروا لرسول الله ﷺ غيرة عظيمة وللمسلمين الذين ندبوا إلى زيارته وللزائرين من أقطار الأرض واتفقوا على تبديعه وتضليله وزيغه وأهانوه ووضعوه في السجن.

وذكر الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الذهبي بعض محنته وأن بعضها كان في سنة خمس وسبعمائة وكان سؤالهم عن عقيدته وعما ذكر في الواسطة وطلب وصورت عليه دعوى المالكي فسجن هو وأخواه بضعة عشر شهراً ثم أخرج ثم حبس في حبس الحاكم وكان مما ادعى عليه بمصر أن قال: (الرحمٰن استوى على العرش) حقيقة وأنه تكلم بحرف وصوت ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه[2].

(١) ظاهر أن اللفظ ويحبس لا يجلس، اهـ مصححه.

(٢) ليتأمل العاقل هذا ثم ليتأمله، اهـ مصححه.

وذكر أبو حيان النحوي الأندلسي في تفسيره المسمى بالنهر في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ما صورته: (وقد قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش (إن الله يجلس على الكرسي) وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ تحيل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق وكان من تحيله عليه أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه. ورأيت في بعض فتاويه أن الكرسي موضع القدمين وفي كتابه المسمى بالتدمرية ما هذا لفظه بحروفه بعد أن قرر ما يتعلق بالصفات المتعلقة بالخالق والمخلوق (ثم من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قادر لم يقل المسلمون أن ظاهر هذا غير مراد لأن المفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه أنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا) هذه عبارته بحروفها وهي صريحة في التشبيه المساوي كما أنه جعل الاستواء على العرش مثل قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزّخرُف: ١٣] تعالى الله وتقدّس عن ذلك.

وقال في الكلام على حديث النزول المشهور (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا إلى مرجة خضراء وفي رجليه نعالان من ذهب) هذه عبارته الزائغة الركيكة وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة في التشبيه حريصاً على ظاهرها واعتقادها وإبطال ما نزّه الله تعالى به نفسه في أشرف كتبه وأمر به عموماً وخصوصاً وذكره إخباراً عن الملأ الأعلى والكون العلوي والسفلي ومن تأمل القرآن وجده مشحوناً بذلك وهذا الخبيث لا يعرج على ما فيه التنزيه وإنما يتتبع المتشابه ويمعن الكلام فيه وذلك من أقوى الأدلة على أنه من أعظم الزائغين ومن له أدنى بصيرة لا يتوقف فيما قلته إذ القرائن لها اعتبار في الكتاب والسنة وتفيد القطع وتفيد ترتب الأحكام الشرعية لا سيما في محل الشبه.

قال بعض السلف رضي الله عنهم: الإعراض عن الحق والتسخط له علامة الركون إلى الباطل وطريق الحق دقيق وبعيد، والصبر معه شديد، والعدو لا يزال عنه يحيد، وأثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق.

وقال بعض السلف: داعي الحق داعي رشد، ليس للشيطان فيه يد، ولا للنفس فيه نصيب، وداعي الباطل من نزغات الشيطان وهوى النفس ومتبعها هالك لا محالة لأنه عاص في صورة طائع، ومبعد في صورة مقرب، وصدق ونصح رضي الله عنه فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يحصون عدًّا، ولا يمكن ضبطهم حداً.

مبحث الرد على ابن تيمية في قوله بفناء النار

واعلم: أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفنى، وأن الله تعالى يفنيها وأنه جعل لها أمداً تنتهي إليه وتفنى، ويزول عذابها وهو مطالب أين قال الله عزّ وجل وأين قال رسول الله ﷺ وصحّ عنه وقد سفّه الله تعالى في ذكره في كتابه العزيز كما سفّهه في تنزيهه لنفسه وأتى بأمور إقناعية[1] صادم بها النصوص الصريحة في دوام العذاب عليهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] تبدل في كل ساعة مائة مرة، وقال الحسن: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ [النساء: ٥٦] أي شديد النقمة على من عصاه، وقيل العزيز الشديد القادر القوي وقيل الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر وقيل الذي لا نظير له وقيل معناه المعز فيكون فعيل بمعنى مفعل كالأليم بمعنى المؤلم ونحوه.

وقال أهل المعاني وأرباب القلوب: العزيز من ظلت العقول في بحار تعظيمه وحارت الألباب دون إدراك نعته وكلّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كماله والقيام بشكر آلائه، وقوله: ﴿حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧] أي حكم على الأعداء بدوام العذاب كما حكم للأولياء بدوام النعيم فلا يعلم كنه حقيقة حكمته غيره فلا شيء من الأشياء إلا وفيه شيء من حكمته على وفقه لمناسبته ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢] وقال: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي مقيماً ملازماً فكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام والآيات في ذلك كثيرة جداً وأما السنة فطافحة بذلك وتدل على إخراج المؤمنين دون غيرهم حتى يخرج من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، وفي رواية مثقال ذرة من خير، فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود. قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ

(١) أي للعامة البله الذين لم يخالطوا المؤمنين أما من عرف دين الله عالماً ومخالطه فمعاذ الله أن يفتتن بغير كلام ربه فليعلم، اهـ مصححه.

﴿ٱلْخُلْدِ﴾ [فُصِّلَت: ٢٨] إلى غير ذلك ولأن العذاب يدوم بدوام سببه بلا شك ولا ريب وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه ولا شك أنهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمروا على كفرهم وكذلك المؤمن يستحق الخلود وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام «نية المؤمن خير من عمله» وفي معناه أقوال أخر فادعاء فناء النار بعد أمد نزعة يهودية ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البَقَرَة: ٨٠] الآية، أي قدراً مقدوراً، ثم يذهب عنا العذاب، وكانت اليهود تقول إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام وقيل أربعين يوماً الذي عبد آباؤنا العجل فيها وكانت تقول إن ربنا عتب علينا في أمر فأقسم ليعذبننا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا تحلّة القسم أربعين يوماً. فالرجل ساع خلف سلفه كما تقدم وكما يأتي.

مبحث الرد عليه في القول بقدم العالم

ومما انتقد عليه، وهو من أقبح القبائح ما ذكره في مصنفه المسمى بحوادث لا أول لها وهذه التسمية من أقوى الأدلة على جهله فإن الحادث مسبوق بالعدم[1] والأول ليس كذلك وبنى أمره فيه على اسم من أسماء الأفعال ونفى المجاز في القرآن وهو من الجهل أيضاً فإن القرآن معجز ومحشو بالمجازات والاستعارات حتى أن أول حرف فيه أحد أنواع المجاز وتضمن هذا المصنف مع صغره شيئين عظيمين تكذيب الله عزّ وجل في قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحَديد: ٣] فجعل معه قديماً وتكذيب النبي ﷺ في قوله: «كان الله ولا شيء معه» وفي البخاري من رواية عمران بن حصين رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله وليس وراء ذلك زيغ وكفر فإن الدين ما قاله عزّ وجل» وقاله رسوله ﷺ وقد قال: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء كان ولم يكن شيء موجوداً والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء ويبقى هو. والظاهر هو الغالب على كل شيء والباطن هو العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، والأقوال في ذلك كثيرة، ومنها قول أبي القاسم الجنيد نفي القدم عن كل أول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته لظاهريته وحجب الإدراك عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته. وقال أيضاً: هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران

(١) لعله (والذي لا أول له ليس كذلك)، اهـ مصححه.

النجاة وما يغني ضياء العقل مع الخذلان إنما ينفع نور العقل مؤيداً بنور التوفيق وعناية الأزل وإلا فإنه متخبط بإدراكه بعقله فإذا وعيت ما قلته ووقفت على بعض ما أذكره من الأدلة ولم تجد قلبك مؤمناً بها فاعلم أنك من أهل الخذلان ومرقوم في حزب الشيطان وتابع لأهل البدع عصاة الرحمٰن.

قال كعب الأحبار: تجد الرجل يستكثر من أنواع البر ويحتاط في[1] صائع المعروف ويكابد سهر الليل وشدة ظمأ الهواجر وهو مع ذلك لا يساوي عند الله جيفة حمار يشير إلى أهل البدع والتبري منهم بحيث لا يمكن سمعه من ذي هوى، لما صالح عمر رضي الله عنه أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح به عمر رضي الله عنه وبإسلامه.

قال له عمر: رضي الله عنه هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتنتفع بزيارته قال: نعم يا أمير المؤمنين افعل ذلك، فهذا ضريح في الندب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وشد الرحل وأعمال المطي إليه والكلام على هذا يأتي إن شاء الله تعالى.

بيان زندقة من قال إن روحه عليه الصلاة والسلام فنيت وأن جسده صار تراباً وبيان زيغ ابن تيمية وحزبه في جواب الفتوى التي زعم أنه سئل عنها:

فقال في جوابه: الحمد لله رب العالمين، من استغاث بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكربات، ويطلب منه قضاء الحاجات، فيقول: يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسبك أو في جوارك، أو يقول عند هجوم العدو عليه: يا سيدي فلان، يستوحيه أو يستغيث به، أو يقول نحو ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من حاجاته، فإن هذا ظالم ضال مشرك، وفي بعض النسخ كافر عاص لله تعالى باتفاق المسلمين فإنهم متفقون على أن الميت لا يُسأل ولا يدّعي ولا يُطلب منه شيء سواء كان نبياً أو غير ذلك ثم أكد ما قاله بقصة عمر والعباس في الاستسقاء تبعاً لشيخه الجاري خلف سلالة اليهود، وأنت أرشدك الله تعالى وبصّرك إذا تأملت ما قاله في هذا الجواب اقشعر جلدك وقضيت العجب مما فيه من الخبائث والفجور وادعاء اتفاق المسلمين وما فيه من الرمز إلى تكفير الأنبياء وتضليلهم والتلبيس على الأغبياء بقصة عمر رضي الله عنه وليت شعري من أي الدلالات أن من توجه إلى قبر سيد الأولين

(١) صائع المعروف صوابها صنائع، اهـ مصححه.

والآخرين ﷺ وتوسل به في حاجة الاستسقاء أو غيرها يصير بذلك ظالماً ضالاً مشركاً كافراً. هذا شيء تقشعر منه الأبدان ولم نسمع أحداً فاه بل ولا رمز إليه في زمن من الأزمان. ولا بلد من البلدان، قبل زنديق حران، قاتله الله عزّ وجل وقد فعل، جعل الزنديق الجاهل الجامد قصة عمر رضي الله عنه دعامة[1] للتوصل بها إلى خبث طويته في الازدراء بسيد الأولين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين وحط رتبته في حياته وأن جاهه وحرمته ورسالته وغير ذلك زال بموته وذلك منه كفر بيقين وزندقة محققة فإنه عليه الصلاة والسلام حرمته وقدره ومنزلته عند ربه ما زالت ولم تزل وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على الله عزّ وجل على الدوام، ومن تأمل القرآن العظيم وجده مشحوناً بذلك وقد ذكرت جملة من ذلك في مولده عليه الصلاة والسلام وأشير هنا إلى نبذة يسيرة من ذلك ليتحقق السامع لها خبث هذا الزنديق وما انطوى عليه باطنه من الخبث بإبداله هذه الأنواع من التعظيم بالازدراء وما فاه به من الفجور والافتراء كما ترى:

سل عن فضائله الزمان لتخبرا ... فنظير مجدك يا محمد لا يرى

ولقد جمعت مناقباً ما استجمعت ... ما استعجمت يا سيدي فتفسرا

ما بين مجدك والمحاول نيله ... إلا كما بين الثريا والثرى

فمن ذلك: أنه سبحانه وتعالى تولى عصمته بنفسه فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وحقاً عصمه عزّ وجل في ظاهره وباطنه حفظه في ظاهره من أن ينالوا ما همُّوا به ورد كيدهم في نحورهم وحفظه في باطنه من الناس من أن يكون منه إليهم التفات أو يكون له بهم اشتغال صان سره عن موارد السكون إليهم وعن نزغات الشيطان وفلتات النفس.

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النُّور: ٦٣] قيل: معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن فخّموه وعظّموه وشرّفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله مع لين وتواضع، قاله مجاهد وقتادة.

(١) قوله للتوصل بها إلى خبث طويته في الازدراء الخ والصواب أن تقدم في وتؤخر إلى ليظهر معنى الكلام، اهـ مصححه.

ويروي محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له.

وفي رواية الحافظ الآجري «فقال آدم: لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك» قال: وكان آدم عليه السلام يكنى أبا محمد.

بدا مجده من قبل نشأة آدم وأسماؤه في العرش من قبل تكتب[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] قال: لوح من ذهب فيه مكتوب عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: على باب الجنة مكتوب أني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها.

وذكر السميطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد وعلى جبينه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوب[2] عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي بعض البوادي حيوان مكتوب على شقه الأيمن لا إله إلا الله وعلى شقه الأيسر محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وهو مرئي ظاهر لكل من له بصر وذكر غير ذلك.

فسيد الأولين والآخرين عظيم عند ربه نوّه بذكره في الأزل وفي الكون العلوي والسفلي ليعلم أنه الفاضل الكامل وأنه أعظم الوسائل.

قال أبو حميد: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عزّ وجل أدّب أقواماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحُجرَات: ٢] الآية، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: ٣] الآية، وذمّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحُجرَات: ٤] وإن حرمته

(١) أي كتبت والتعبير بالمضارع بحكاية الحال الماضية، اهـ صاحب الفرعية.

(٢) يتعين نصب لفظ مكتوب لأنه وصف لمنصوب، اهـ مصححه.

ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك[1] الله عزّ وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] القصة معروفة مشهورة ذكرها غير واحد من المتقدمين والمتأخرين بأسانيد جيدة ومنهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو الشفاء المشهور بالحسن والإتقان في سائر البلدان، ومنهم الإمامة العلامة هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان) وقد اشتملت هذه القصة على تعظيمه بعد وفاته وأنه حي والتوسل به وحسن الأدب في حقه كما في حياته وأن في الآية الحث على المجيء إليه ليستغفر له، وليس في الآية تعرض لزمن حياته دون الوفاة وكذا فهم العلماء مالك وغيره كما يأتي إن شاء الله تعالى.

العموم واستحبوا لمن زار قبره المكرم أن يتلو هذه الآية ويستغفر ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه ولم نعلم أن أحداً طعن في قصة مالك إلا هذا الفاجر ابن تيمية فإنه لما كان فيها هذه الفضائل طعن فيها وقال إنها مكذوبة فإن هذا شأنه إذا وجد شيئاً لا مساس فيه لما ابتدعه قال به وقبله ولم يطعن.

وإذا وجد شيئاً على خلاف بدعته طعن فيه وإن اتفق على صحته ولا يذكر شيئاً على خلاف هواه وإن اتفق على صحته لا سيما إذا كان آية أو خبراً عن رسول الله ﷺ ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل[2] إلا أنه تعرض لتخصيصها وهي دعوى مجردة وعلى خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل عليه فمن ادعى التخصيص بغير دليل سمعي ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتهمناه واستدللنا بذلك على استنقاصه سيد الأولين والآخرين الكامل المكمل، وهو كفر بإجماع أهل التوحيد.

(١) قوله: فيشفعك الله، السياق يقضي أن يكون فيشفعك فيشفعه لأنه هو ﷺ الشافع، اهـ مصححه.

(٢) هذا المبدأ عليه أتباعه المفتونون به إلى اليوم يعرف ذلك منهم من يلتفت لحالهم أدنى التفاتة فالواجب على المسلم أن لا يعتبر تصحيحهم لحديث ولا تضعيفهم فإنهم للهوى يصححون ويضعفون وأحب أن يأخذ القارىء قول الإمام الحصني (ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل) على ظاهره دون أن يظن فيه أي مبالغة وليطرده في اتباعه كذلك، اهـ مصححه.

وذكر القرطبي في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه ثم قال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله عزّ وجل فوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر قد غفر لك وهذه القصة غير قصة العتبى وقصة العتبى مشهورة في غاية الشهرة وقد ذكرها الأئمة في كتبهم قديماً وحديثاً وكنية العتبى أبو عبد الرحمٰن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو وكان من أفصح الناس وصاحب أخبار وصاحب رواية للآثار. حدّث عن أبيه وعن ابن عيينة وقد ذكر قصته خلائق منهم ابن عساكر في تاريخه وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن) وذكرها غيرهما بالأسانيد.

وممن ذكرها الإمام العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكريا يحيى بن شرف النووي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه قال في زيارة قبره: إنها من أعظم القربات وأفضل المساعي والطلبات وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفع به إلى ربه ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له.

قال العتبي: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبى الحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له، وفي رواية غيره: الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي فخرجت فلم أجده فأفاد النووي قدس الله تعالى روحه أن أصحاب الشافعي استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يتعرض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار وزدت أنا هذين البيتين لعلي يلحقني نصيب من شفاعته وهما:

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت ... فلذ به فهو من ترعى له الذمم
وهو الذي يرتجى في كل معضلة ... وفي المعاد إذا زلّت بنا القدم

وكان أيوب السختياني يقول: من أحب أبا بكر فقد أحب إمام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله تعالى، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد فقد برىء من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف السنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً.

على هذا الاعتقاد درج السلف وبذلك اقتدى العلماء خلفاً بعد خلف ومن ذلك ما أخبر به محمد بن عبد الله بن محمد الفقيه الحنبلي قال: اجتمع جماعة في الطريق قاصدين مكة في عرض السنة وكان أحدهم كثير الصلاة والتعبد فمات فأهمهم دفنه فنظروا إلى بيت شعر في الصحراء فقصدوه فإذا في البيت عجوز وفيه قدوم فسألوها أن تدفعه إليهم فقالت: تعاهدوني بالله عزّ وجل أنكم تردونها إلي فأعطوها ما أرادت ثم أخذوا القدوم فحفروا به قبراً وواروا الرجل ونسوا القدوم في القبر فذكروا العهود فدعتهم الضرورة إلى أن ينبشوا فإذا القدوم قد صار غلاً من يد الرجل إلى عنقه فردوا عليه التراب فأخبروا العجوز الخبر فقالت: لا إله إلا الله رأيت رسول الله ﷺ في منامي فقال: «احتفظي بهذا القدوم فإنه غل لرجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما».

وأخبر العباس السني قال: قال لي أحد المشايخ المعمرين: كنت بجامع عمرو بن العاص ونحن في صلاة أراها صلاة الصبح فسمعت ضجيجاً بصحن الجامع فلما فرغنا من الصلاة اجتمع الناس فرأوا رجلاً مذبوحاً فقال رجل من الحاضرين: أنا ذبحته فإني سمعته يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فحمل إلى السلطان فسأله عن القضية فقال: أنا ذبحته، فأمر السلطان بالرجل أن يُحبس وبالمقتول أن يُدفن، فحفروا له موضعاً فوجدوا ثعباناً ثم حفروا له موضعاً آخر فوجدوا فيه ثعباناً فأخبروا السلطان بذلك فقال: احفروا له قبراً ثالثاً، فحفروا فإذا فيه ثعبان، فقال: ادفنوه، وسرح القاتل، قلت: وبلغني أنه لما دفن ابن تيمية قال شخص بعد ثلاثة أيام: قد اضطرب القول في هذا الرجل والله لأنظرن ما صنع الله به، قال: فحفر قبره فوجد على صدره ثعباناً عظيماً هاله منظره فكان الرجل يحذر الناس من اعتقاده ويعلمهم بما رأى، والله أعلم.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه (مجاني الدعوة) بسنده (أن[1] مؤذن عك) قال:

(١) هكذا وجدنا في الأصل، اهـ مستنسخه.

رضي الله عنه، وقال: يا أبا بكر أنجدهم، قال: فكأن عيني ترى أبا بكر رضي الله عنه وقد خاض البحر وأدخل يده في مقدم الحق ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فلمَ تستغيثون فأنتم سالمون، فسلّمنا، ولم نرَ بعد هذا إلا خيراً، ودخلنا البر سالمين والحمد لله رب العالمين.

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء أول سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف سنة ونصف شهر ووقع ما وقع من السبي وحمل النساء والصبيان فلما مروا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما مستغيثة بالنبي ﷺ: يا محمداه هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء، يا محمداه، فلما كان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الكوفة جدري عظيم ثم عمي منهم ألف وخمسمائة كلهم من نسل من حضر قتل الحسين رضي الله عنه. وهذا من أعجب ما سمع، واعلم أرشدك الله عزّ وجل أن مثل هذه القضايا كثيرة جداً وقد ذكر جماعة من الأئمة من ذلك أموراً عديدة عجيبة منهم البيهقي ومنهم أبو محمد عبد الحق ومنهم بعض الأئمة وذكر جملة مستكثرة في ذلك وعقد أبواباً في الاستغاثات بالنبي ﷺ ومنها باب في أصحاب العاهات وذكر منها جملة مستكثرة من ذلك على اختلاف أنواع العاهات كالعمى والصداع والزمانة ووجع البطن وغير ذلك، وأنه عليه الصلاة والسلام يضع يده الشريفة على موضع العاهة فتزول ببركة يده الشريفة وتشفي وكأنه ما به وجع قلبه[1]. ثم إنه مع ذلك قال: ولو تتبعت هذا الفن لحفيت الأقلام وجفّت المحابر وفنيت الطروس في تتبعه والدفاتر، ثم قال: ولقد سألت بعض إخواننا المجتهدين وكان بمدينة النبي ﷺ على التجريد فقلت: هل استغثت بالنبي ﷺ أو لجأت إليه في شيء قط مدة إقامتك في المدينة؟ فقال: كنت أستحي أن أسأله إذ كنت بحضرته ﷺ، ثم قال: سمعت الفقيه الإمام برهان الدين بن الطيب المالكي يقول: قال لي من أثق به وكان بمدينة النبي ﷺ وأنه أصابه الجوع فأتى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني جائع، وجلس بالقرب من حجرة النبي ﷺ فأتاه رجل من الأشراف فقال له: قم، فقال: إلى أين؟ فقال: تأكل عندي شيئاً، فقام معه إلى بيته فقدم إليه جفنة فيها ثريد ولحم ودهن فأكل حتى شبع وأراد الانصراف فقال له: كل وازداد فلما أراد الانصراف قال له: يا أخي الواحد منكم يأتي من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الأهل والأوطان ويقطع البحار ويأتي إلى زيارة النبي العظيم على ربه ﷺ

(١) الصواب قبله، اهـ مصححه.

وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخي لو طلبت الجنة أو المغفرة أو الرضى مهما طلبته منه لنلته ببركة هذا النبي الكريم ﷺ[1].

هذا وعدم السؤال يكون للأكابر لما يشاهدون في الحضرة النبوية من الإجلالات والكرامات العلوية وأنت أرشدك الله عزّ وجل إلى الحق وأزاح عنك الباطل إذا استحضرت بعض ما تقدم وعطفت على قول هذا الزائغ أن المسلمين متفقون على أن الميت لا يُسأل ولا يُدعى ولا يُطلب منه سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك قطعت بفجوره وببهتانه وأنه من أخبث الناس طوية وأنه لا اعتقاد له وهذه عادته بادعاء الاتفاق وبالإجماع المقطوع به كما سيأتي عند ذكر شد الرحال وأعمال المطي وفي غير ذلك.

وقد تقدم توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ وأن الله قبله بسبب التوسل وجعل هذا الزنديق آدم عليه السلام بتوسله بالنبي ﷺ ظالماً ضالاً مشركاً وليس وراء ذلك زندقة وكفر.

وروي عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت: امضوا إلى القبر واجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينها وبين السماء شيء ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام التفتق.

وروى البيهقي بسنده إلى الأعمش عن ابن صالح قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلك الناس

---

(١) هذا كلام جليل جداً فليتأمله القارىء ولا يستكثر على منزله ﷺ عند ربه إغاثة أي ملهوف فإنه تعالى يسمع له في الآخرة في الشفاعة العظمى التي تشمل كل خلق الله كافرهم كمؤمنهم فيحمده لذلك الأولون والآخرون من الخلق، وإذا كان تعالى يكرمه بذلك في دار الجزاء وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله. فعدم كل ما يحكى في هذه الدار من أنواع إغاثته تعالى للمستغيثين به ﷺ بالنسبة لذلك المقام المحمود. وهو تعالى يشفع في ذلك اليوم عباده الصالحين في أناس وجبت لهم النار فلا يدخلونها وفي أناس في النار فيخرجون منها، فإغاثته إذن لمن يستغيث بهم في هذه الدار في أمور دون النار بملايين المرات ليست بالأمر البديع وإنما كتبت هذا لأني أعلم أن كثيراً من الناس لا يقع منهم موقع القبول ما يحكيه هذا الإمام رغم نقله عن أئمة تخني رؤوس أكابر الفضلاء عند ذكرهم فأنا في زمن لا يعرف أهله إلا الإنكار وهم لا يعلمون أنهم إنما ينكرون إما فضل الله على أحبابه أو قدرته على ما ينسب إليه من كرامة يكرم بها محبي أحبابه فليعلم، اهـ مصححه.

استسقِ لأمتك، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «ائت عمر فاقرأه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس» قال: فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. فهذا رجل مبارك قد أتى قبره عليه الصلاة والسلام وطلب الاستسقاء منه عليه الصلاة والسلام فلو كان ذلك جهلاً وضلالاً وشركاً لمنعه عمر رضي الله عنه الذي احتج الزائغ باستسقائه بالعباس وقد تقدمت قصة عثمان بن حنيف وهي من الأمور المشهورة.

فسكوت هذا الزائغ القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود عن هذه الأمور الواضحة الجلية المشهورة والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلة على خبث طويته. ومثل هذا لا يحل لأحد تقليده فيما يقوله ولا ينظر في كلامه إلا من يكون أهلاً لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ وإلا هلك وأهلك فتنبّه لذلك وخذ حذرك وإلا هلكت من حيث ظننت السلامة.

وقوله: (ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك) قال الأئمة الأعلام النقاد أصحاب الأذهان الجيدة: هذا منه كفر لما فيه من حط رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإجماع على أن من غمط من نبي في شيء من الأشياء كفر وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى اعتقاد الشيعة[1] وهو أن النبوة عندهم تكتسب بالرياضات وتهذيب النفس وكتبهم مشحونة بهذا، وهذا من فجورهم فإن النبوة إنما هي من الله عزّ وجل فمن نبأه الله عزّ وجل فهو النبي ومن أرسله فهو الرسول ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ومن الأمور المنتقدة عليه قوله (زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها) وهذا ثابت عنه أنه قاله. وثبت ذلك على يد القاضي جلال الدين القزويني. فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها من كون ذلك معصية. ومن ادعى الإجماع وأن ذلك مقطوع به فهذا الزائغ يطالب بما ادعاه من إجماع الصحابة رضي الله عنهم وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك. وما أعتقد أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك مع أن الكتب المشهورة بل والمهجورة وعمل الناس في سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار فزيارته من

(١) هذا ليس اعتقاد الشيعة وإنما هو اعتقاد الفلاسفة هكذا رئي على حاشية خط الشيخ، اهـ صاحب الأصل.

أفضل المساعي وأنجح القرب إلى رب العالمين وهي سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها عند الموحدين ولا يطعن فيها إلا من في قلبه مرض المنافقين ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين من المشركين الذين أسرفوا في ذم سيد الأولين والآخرين.

ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على ممر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان سار في ذلك الزرافات والوحدان والعلماء والمشايخ والكهول والشبان حتى ظهر في آخر الزمان مبتدع من زنادقة حران لبس على أشباه الرجال ومن شابههم من سيىء الأذهان وزخرف لهم من القول غروراً كما صنع إمامه الشيطان فصدهم بتمويهه عن سبيل أهل الأيمان وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيات الطريق ومدرجة النيران فهم برزيته في ظلمة الخطأ يعمهون وعلى منوال بدعته يهرعون، وسأذكر لك ما تحقق به فجوره وبدعته وتضليل من مشى خلفه وهلكته وأبين ما أظهره من القول الباطل وما رمز إليه وأوضحه لكل من سمعه ووقف عليه ثم أردف ذلك بما يدل على المنهج من ذلك فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلا هالك.

قال القاضي عياض في أشهر كتبه الذي شاع ذكره في سائر البلاد وقرىء في المجامع والجوامع على رؤوس الأشهاد (فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضل من زاره وكيف يسلم عليه ويدعو): وزيارة قبره سنّة من سنن المرسلين مجمع عليها ومرغب فيها.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني في المدينة محتسباً كان في جواري وكنت له شفيعاً يوم القيامة».

وفي حديث آخر «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي» هذه ألفاظه بحروفها.

وكذا ذكره الإمام العلامة هبة الله في كتاب توثيق عرى الإيمان فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ في فجوره وعزوه إلى السلف، وأما غير هذين الإمامين ممن نقل الندب إلى زيارته فخلق لا يحصون وسأذكر بعضهم على أنه ذكر في فتوى مطولة ما يناقض ما ادعاه من الإجماع والقطع هنا وقد ذكرت المسألة في (تنبيه السالك) وذكرت صورة الفتوى وجوابه، وهذا جواب مطول وتعرضت لما فيه من الخلل وسوء الفهم وفجوره في النقل والعزو وها أنذا أذكر هنا

بعض الجواب وأبيّن ما فيه من الخطأ وعدم صحة الاحتجاج بما احتج به كحديث «لا تشد الرحال» ولا أدقق في الجواب لأن قصدي بيان جهله وأنه لا حجة له في الحديث جرياً على القواعد التي عليها مدار الاستدلال صحة وبطلاناً.

وأذكر ما ذكره في أحاديث الزيارة وما ادعاه فيها من الفجور وما رمز إليه في تكفير الأئمة الذين رووها وأنه قال قولاً مفترى لم يسبقه إليه أحد ولا رمز ولا أشار إليه وبالله التوفيق.

فمن[1] ما ذكره في الجواب بلفظ قوله وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ كقوله: «من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» رواه الدارقطني وابن ماجه.

فانظر أرشدك الله تعالى كيف جعل هذين الإمامين ممن لا يعرف الحديث وهو من أقبح البهتان، وقد احتج بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين منهم القاضي عياض وصاحب توثيق عرى الإيمان وهو أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) ذكره في الباب الذي عقده لزيارة قبر النبي ﷺ.

ومنهم ابن قدامة ذكره في كتابه المغني في فصل يستحب زيارة قبر النبي ﷺ واستدل بحديث ابن عمر من طريق الدارقطني ومن طريق سعيد بن منصور، وذكر أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه «ما من أحد سلّم عليّ عند قبري» وقوله: (وأما ما يذكره بعض الناس من قوله: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» فلم يورده أحد من العلماء) وهذا أيضاً من البهتان البيّن والجهل فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بألفاظ متقاربة منهم الحافظ أبو عبد الله بن النجار في كتابه (الدرة الثمة).

من حديث علي رضي الله عنه ومنهم الإمام الحافظ المتفق على حفظه وعلو قدره في هذا الشأن أبو سعيد عبد الملك النيسابوري خرجه في كتابه شرف المصطفى من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني» رواه ابن عساكر من طرق، وقوله: (وهو مثل «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة).

(١) توصل ما بمن، اهـ مصححه.

بالنسك فأشبها سائر المساجد، وقوله: ولو نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة لم يجب ذلك باتفاق الأئمة، وهذا أيضاً ليس بصحيح وما رأيت أجرأ منه على الفجور ولا أكذب في دعوى الاتفاق والإجماع، وقصده بذلك الترويج على الأغمار ولا عليه من غضب الجبار، وفي كلامه مسألتان:

الأولى: إذا نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه من غير المساجد الثلاث. وقد حكي الاتفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك وهو البهتان البين ففي ذلك قولان آخران أحدهما: يجب الوفاء مطلقاً، والثاني: أن نذرها في الجامع تعين وإلا فلا.

المسألة الثانية: إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة فإنها لا تجب عليه باتفاق الأئمة، ثم أردف ذلك بقوله: وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاث، فلم يوجب أحد من العلماء السفرِ إليه إذا نذره حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاث).

فانظر إلى هذه الجرأة والفجور بقوله: حتى نص العلماء، والمسألة فيها خلاف، وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكي إذا قصد مسجد قباء لزمه لأن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت راكباً وماشياً، بل قال الليث بن سعد: إذا نذر المشي إلى أي مسجد كان لزمه سواء في ذلك المساجد الثلاثة وغيرها.

وقال الإمام ابن كج من كبار أصحابنا: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه وجهاً واحداً ولو نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ ففيه قولان: أحدهما لا يلزمه، والثاني: يلزمه فعلى هذا لا بد من ضم عبادة، قيل: يلزمه صلاة وقيل اعتكاف ولو لحظة، والصحيح أنه يتخير في مسجد النبي ﷺ بين الصلاة وبين زيارة قبر النبي ﷺ، فجعل زيارة قبر النبي ﷺ طاعة وهي أخص من القربة، وجعلها تقوم مقام الصلاة التي هي أفضل عبادات البدن والمساجد موضوعة لها بالأصالة.

وقوله: (وقالوا لأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأمة).

قلت: لما وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل قال: هذا من البهت الصريح، وصدق رضي الله عنه لما أذكره وفيه أيضاً تدليس من الفجور، بيان التدليس

قوله: قالوا: فإنه يوهم أن هذا الذي قاله لم يقله من عند نفسه وإنما نقله عن أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهذا شأنه يدلس في الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك لعلم الحذّاق النقاد بسوء فهمه وكثرة خلطه مما عرفوه منه في بحثه وتدوينه إذا انفرد، فقوله: (لأن السفر إلى قبور الأنبياء) يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبي ﷺ وغيرهم، وقوله: (والصالحين) يشمل قبور الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً بل المنقول خلاف ذلك كما تراه، وقوله: (إن السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين) هذا من الفجور والإفك المبين.

ولم تزل الناس على زيارة قبر الخيل والكليم وغيرهما في سائر الأعصار من جميع الأمصار.

وهذا بلال مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر رسول الله ﷺ وممن ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر والحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه (الإكمال في ترجمة بلال) وقال فيه: ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ فيما يروى إلا مرة واحدة في قدمة قدمها إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ طلب إليه الصحابة رضي الله عنهم ذلك فأذن لهم ولم يتم الأذان وقيل إنه أذن لأبي بكر رضي الله عنه في خلافته اهـ.

وممن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة في الحديث أبو الحجاج الشهير بالمزي[1] وسبب سفر بلال رضي الله عنه لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال له: «ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني يا بلال؟» فانتبه من نومه حزيناً وجلاً خائفاً، فقعد على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره عليه الصلاة والسلام فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما ثم قالا له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن للنبي ﷺ في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف، فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة، فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها، فلما قال أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: أبُعث رسول الله ﷺ؟ فما رئي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

(١) المزي بكسر الميم وتشديد الزاي نسبة إلى قرية بالشام، اهـ مستنسخ الأصل.

فهذا بلال من سادات الصحابة رضي الله عنهم قد شدّ رحله من الشام وسافر لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فقط، وأعلم بذلك الحسن والحسين، وطار بذلك الخبر في المدينة وكان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة ولإجماع الأمة لأنكروا عليه لأنهم ينكرون أدنى شيء من المخالفات ولا سيما عمر وهو أمير المؤمنين وأشد الناس في الإنكار وأبطشهم يداً وأحدهم لساناً ووقوفاً مع الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وأيضاً فمن الشائع الذائع أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول الله ﷺ فقط، ذكر هذا غير واحد منهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو (الشفاء) وذكره الإمام هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان) وذكره الإمام العلامة ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) وذكره الإمام أبو بكر أحمد بن النبيل في مناسك له لطيفة جردها من الأسانيد والتزم فيها الثبوت ولفظه: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرىء النبي ﷺ السلام ثم يرجع، وهذا الإمام أبو بكر قديم توفي في سنة سبع وثمانين ومائتين، فهذا السيد الجليل عمر بن عبد العزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط لا لقصد آخر، وكان ذلك في زمن صدر التابعين، وكان سفر بلال في زمن صدر الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر ذلك أحد، فدلّ على أن السفر لأجل زيارة قبره ﷺ ولأجل السلام عليه مجمع عليه بين الصحابة والتابعين فأين دعوى ابن تيمية أن ذلك مخالف للسنة ولإجماع الأمة، وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار ألا تسافر لتزور قبر رسول الله ﷺ وتتمتع بزيارته، فقال: نعم يا أمير المؤمنين أفعل. وهذا أو بعضه كاف في إبطال دعوى ابن تيمية وإثبات فجوره وأتبرع بزيادة وأقتصر غاية الاقتصار.

قال بعض الأئمة: وأما زيارة قبر النبي ﷺ فلم ينكرها أحد ولم يقع في السفر إليها نزاع ولم يزل سفر الحجيج إليه في السلف والخلف، وصدق رضي الله عنه، وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرحة بذلك، وقد تقدم قول القاضي عياض: زيارة قبره ﷺ سنّة من سنن المرسلين ومجمع عليها ومرغّب فيها، واحتج بحديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم، وقد ذكر غير القاضي عياض ما ذكره. وإذا تقرر ذلك ففي ذكرى ما أتبرع به مع غاية الاقتصار تتحقق أن ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار، وقد انكشف لك ذلك كما انكشف ضوء النهار.

وقال العبدي المالكي في شرح الرسالة: إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس، وصدق وأجاد رضي الله عنه لأنه أفضل البقاع بالإجماع.

فهذه نبذة يسيرة والنقول في ذلك كثيرة جداً وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت وعمل الناس في ذلك في جميع الأعصار من جميع الأقطار، فكيف يحل لأحد أن يبدعهم بالقول الزور ويضلل أئمة أمة المختار، بل من المصائب العظيمة أن يوقع وفد الله تعالى في جريمة عظيمة وهي عصيانهم بشد رحالهم لزيارة قبره عقب ما رجوه من المغفرة وبتركهم الصلاة التي هي أحد أركان الدين لأنهم إذا لم يجز لهم القصر وقصروا فقد تركوا الصلاة عامدين، ومن تركها متعمداً قتل إما كفراً وإما حداً، ولا يصدر هذا إلا ممن هو شديد العداوة لوفد الله تعالى ولحبيبهم الذين[1] يرتجون بزيارتهم له استحقاق الشفاعة التي بها نجاتهم.

وسأذكر عقب هذا الأدلة الخاصة بالحث على زيارته وأتعرض لما قدح فيها وفي الأئمة رواتها ومنه تعلم أن هذا الخبيث لا دين له يعتمد عليه فتراه واضحاً جلياً لا تشك فيه ولا ترتاب فنسأل الله تعالى العافية مما يرتكبه هذا الزائغ الفاجر الكذاب، وأن يذيقه أشد العذاب، على ما أفسد في هذه الأمة وسيلقى أشد الحساب.

وقوله (إنما[2] ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هي موضوعة لم يروِ أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها) أعوذ بالله من مكر الله عزّ وجل.

انظر أدام الله لك الهداية وحماك من الغواية إلى فجور هذا الخبيث كيف جعل الأحاديث المروية في زيارة قبر خير البرية كلها ضعيفة، ثم أردف ذلك بقوله باتفاق أهل العلم بالحديث، ولم يجعل الأئمة الذين أذكرهم من أهل الحديث، والعجب أنه روي عنهم في مواضع عديدة من كتبه، وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعماوة قلبه من أنه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك، ثم إنه لم تخمد نار خبثه بما ذكره من الفجور حتى أردف ذلك بأن الأحاديث المروية في زيارة القبر المكرم موضوعة ـ يعني أنها كذب ـ وهذا شيء لم يرَ أحد من علماء المسلمين ولا من عوامهم فاه به ولا رمز إليه لا من في عصره ولا من قبله قاتله الله تعالى.

(١) الذي بالإفراد، اهـ مصححه.

(٢) صوابه إن ما، اهـ مصححه.

ولقد أسفرت هذه القضية عن زندقته بتجرئه على الإفك على العلماء وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور ولا يبالي بما يقول، وإن كان فيه عظائم الأمور.

وإذا عرفت هذا فينبغي أيها المؤمن الخالي من البدعة والهوى أن لا تقلده فيما ينقله ولا فيما يقوله، بل تفحص عن ذلك وتسأل غير أتباعه ممن له رتبة في العلوم وإلا هلكت كما هلك هو وأتباعه[1].

ولنذكر بعض الأحاديث الواردة في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، وأذكر من رواها وأحذف الأسانيد لأنها لا تليق بهذه الأوراق وقد رويت من طرق بلغت بها منزلة الصحيح أو قاربت أو منزلة الحسن وأذكر من صحح بعضها وأبين أنه من الأئمة الأعلام بالحديث وأنه يعتمد تصحيحه وبالله التوفيق.

فمن الأحاديث في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» رواه غير واحد من أئمة الحديث منهم الدارقطني والبيهقي وغيرهما والحديث مروي بهذا اللفظ في عدة نسخ معتمدة وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وخرجه أبو اليمن في كتابه إيجاف[2] الزائر، وأطراف المغنم للسائر، في زيارة سيدنا رسول الله ﷺ، وخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كان كمن زاره في حياته، وخرجه العقيلي وغيره فلا نطول بذكر من رواه من أئمة الحديث المعتبرين وهو مروي من طرق تبلغ الحسن.

قال أئمة الحديث: والحديث أو الأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها فمجموعها يقوي بعضها بعضاً ويعتبر الحديث حديثاً حسناً ويحتج به وممن ذكر ذلك أبو زكريا النووي ذكره في شرح المهذب في كتاب الحج وهي فائدة جليلة ينبغي معرفتها ليعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ في فجوره.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «وجبت له شفاعتي» معناه: حقت، ولا بد منها بوعده الصادق. وفي ذلك بشارة عظيمة لزوار قبره الشريف وهي أن من زاره محتسباً مات على التوحيد، وهذه البشارة العظيمة من ثمرة زيارة قبره المكرم.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «وجبت له شفاعتي» تحقيق لما قلته لأجل إضافة الشفاعة إليه ولأنه عليه الصلاة والسلام مشفع لا تُرد شفاعته لا في حياته ولا بعد وفاته ولا في عرصات القيامة.

---

(١) لعلك في دهشة مما مر مفصلاً من تعمد كذب هذا الرجل في نقوله وأحكامه حتى تعدى كذبه الخلق إلى رسول الله ﷺ، اهـ مصححه.

(٢) لا أدري أهو إيجاف كما ذكره أم إتحاف، اهـ مصححه.

فانظر أرشدك الله تعالى هذا الاتفاق من هذا الإمام والحرص على تحقيق ما وضعه في كتابه لم يقنع بوضع البخاري ومسلم وغيرهما مع جلالتهم بل تتبع ما وضعوه حتى وضع في كتابه وهذا شأن الأئمة الخائفين من الله عزّ وجل من أن يقع منهم زلل في الإخبار عن رسول الله ﷺ، ثم إنه رضي الله تعالى عنه ذكر في هذا الكتاب في كتاب الحج في باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لم ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» ولم يذكر في هذا الباب غير هذا الحديث.

وهذا حكم منه بأن هذا الحديث مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة وهو رضي الله عنه إمام جليل حافظ متقن كثير الحديث واسع الرحلة سمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر وسمع بالشام ومصر وسمع من خلائق من أئمة الحديث والأجلاء أهل الدين وهو من القدماء، أصله بغدادي، وسكن مصر ومات بها في نصف المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله، وإذا كان هذا حديث صحيح[1] فكيف يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً فضلاً عن أن يجعله كذباً وأقل درجات الثقة الخائف أن يقول صححه فلان، وأما القول بوضعه وبتكذيب هذا الإمام وأمثاله فلا يصدر إلا من زنديق محقق الزندقة بهذه القرينة وغيرها عائذاً بالله عزّ وجل من ذلك.

وإذا تقرر لك ذلك فانظر أرشدك الله تعالى وعافاك هذا الخبيث الطوية كيف طعن في هذه الأئمة الأعلام في علوم الحديث الذين بهم يُقتدى وعليهم يُعوّل وعند ذكرهم تتنزل الرحمة، ورماهم بالوضع على رسول الله ﷺ وطعن في هذه الأخبار المروية عن هذه الأئمة. وهذا شأنه قاتله الله تعالى كلما جاء إلى شيء لا غرض له فيه طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولاً به بين الأئمة ولا عليه لا من الله عزّ وجل ولا من رسوله ﷺ ولا من الناس وتنبه لشيء عظيم رمى به هذه الأئمة وهو أن من قاعدته أن من كذب على النبي ﷺ متعمداً كفر فعليه من الله عزّ وجل ما يستحقه، وهذا وغيره يدل على أن عنده ضغينة للنبي ﷺ ولصاحبيه وكذا لأمته ليفوت عليهم هذا الخير الذي رتبه على زيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام فاحذروه واحذروا تزويق مقالته المطوي تحتها أخبث الخبائث فإنها لا تجوز إلا على عامي أو بليد الذهن كالحمار يحمل أسفاراً أو خال من العلوم وأخبار الناس وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم.

(١) يكتب حديثاً صحيحاً لأنه خبر كان، اهـ مصححه.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن بين يدي الساعة دجاجلة[1] فاحذروهم» رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

وقوله: وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا» قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرزوا قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً ويتخذ قبره وثناً، الخ.

تأمّل بصّرك الله تعالى وفهّمك كيف بعد تضليل هذه الأئمة وفجوره بادعاء أن هذه الأحاديث المتعلقة بالزيارة كذب كيف أردف ذلك بهذا الحديث محتجاً به على منع زيارة القبر الشريف وفيه من أقوى الأدلة على تدليسه وسوء فهمه، إذ الحديث ليس فيه تعرض للزيارة البتة وإنما فيه منع اتخاذ القبور مساجد، ونحن لم نتخذ قبره المكرّم المعظّم مسجداً ولا نصلي فيه ولا إليه بل نزوره وندعوا مع الأدب والخشوع والسكينة ورؤية العظمة لعلمنا بأنه يسمعنا ويجيبنا، وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين.

قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه قد افتتح الصلاة فسلّم على النبي ﷺ ثم انصرف، وقوله: فهم دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً.

هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته، وما قاله باطل يموه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس، وإنما دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها لما روي لهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون حيث يقبضون وكان ذلك بعد اختلافهم أين يُدفن فقال بعضهم: يُدفن في مسجده، وقال بعضهم: مع إخوانه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: عندي من ذلك علم، فذكر لهم أن النبي يُدفن موضع يُقبض، فلما روي لهم الحديث دفنوه موضع قبضه، وهذا من القضايا المشهورة في غاية الشهرة، ولا نعلم أن أحداً قال إنهم دفنوه موضع قبضه للمعنى الذي ذكره وهذا شأنه إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويته ذكره ووسع الكلام فيه وزخرفه وإن وجد شيئاً عليه أهمله أو حمله على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمله في بعض المواضع يعرف من غير تأمل.

(١) هذا إخبار من المصنف إلى أن هذا الرجل دجال وهو يؤيد ما سبق لنا من أن أفعاله أفعال دجاجلة، اهـ مصححه.

وقوله: وكانت الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا يدخل للصلاة هناك ولا يتمتع بالقبر ولا دعاء هناك، هذا أيضاً من الجسارة التي يزخرف بها على العوام وأشباههم من سيئي الأفهام من الطلبة، فإن هذا لا يدل على مراده من منع الزيارة بل كلامه يدل على الزيارة بلا هذه الأفعال إلا الدعاء، فليس كما قال، وسيأتي إن شاء الله تعالى، ومع ذلك ليس مجمعاً عليه كما زعمه وأوهمه كلامه فإن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه زار والتزم القبر فأنكر عليه مروان بن الحكم فوبخه أبو أيوب.

وقال في كلامه ما معناه ابكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله[1] ذكر ذلك أبو الحسين في كتابه أخبار المدينة.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه وضع يده على موضع مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه[2] وكان رضي الله عنه يتردد إلى الأماكن التي كان يتردد إليها رسول الله ﷺ وبراحلته لأجل التبرك، وقد تقدمت قصة بلال رضي الله عنه لما شدّ رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فلما وصل الضريح المكرم جعل يمرغ وجهه عليه ويبكي[3]. وقوله: ولا دعاء هناك، قضية سياقه أن الإجماع على أنه لا يدعو عند القبر وهي دعوى عريضة، ثم أكد ذلك بقوله: إنما يفعلونه في المسجد، ثم أردف ذلك بقوله: وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلّموا عليه وأرادوا

(١) في ذلك جواز ضم قبور الصالحين وأبو أيوب الأنصاري الذي ضم ضريح سيد الوجود ﷺ هو أبو أيوب وكفى، اهـ مصححه.

(٢) في ذلك جواز التبرك بآثار الصالحين أياً كانت حتى الخشب الذي كانوا يجلسون عليه وابن عمر هو ابن عمر، اهـ مصححه.

(٣) انظر تمريغ سيدنا بلال وجهه على ضريح خير الخلق وبلال هو بلال تجده صورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات للصالحين من أهل البيت وغيرهم ويقوم ويقعد كثير من المتنطعين لذلك ولا يرضون لفاعله غير الشرك بالله ليحكموا بذلك على بلال الذي يعد من أجلاء الصحابة وهو مؤذن رسول الله ﷺ ليعلم أولئك المتنطعون أن ذلك أثر وجد في النفوس لا يشعرون هم به يحمل أهله على التبرك بما يجاور حبيب ربهم وهو من باب قول القائل:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

هذا قصد أولئك المؤمنين في لمسهم ضريح الصالح من العباد لا العبادة كما يتوهم مظلمو القلوب مسيئو الظن بالمؤمنين فليعلم، اهـ مصححه.

الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر، ثم قال: وأما وقت السلام فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر.

وقال أكثر الأئمة: يستقبل القبر عند السلام خاصة ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلا في حكاية مكذوبة عن مالك ومذهبه بخلافها ثم أردف هذا بأمور يجسر بها على الأغمار يتخيل الواقف عليها من العوام حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام.

والحاصل من كلامه أنه لا يدّعي عند القبر بالاتفاق ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع، وأن الحكاية التي وقعت بين مالك وأبي جعفر المنصور كذب، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهذا من الفجور الذي لا أعلم أحداً فاه به ولا رمز إليه لا من العلماء ولا من غيرهم.

أما قضية مالك مع المنصور فقد ذكرتها في الكلام على التوسل فإنها صحيحة بلا نزاع، وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق ومنهم الإمام مالك، وقد نصّ على أنه يقف عند القبر ويقف كما يقف الحاج عند البيت للوداع ويدعو وفيه المبالغة في طول الوقوف والدعاء.

وقد ذكره ابن المواز في الموازية فأفاد ذلك أن إتيان قبر النبي ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك وأن عمل الناس على ذلك قبله وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلاً عن أن يفتي به أو يقره عليه.

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلّم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلّم ولا يمس القبر بيده، نعم في المبسوطة لا أرى أنه يقف عنده ويدعو ولكن يسلّم ويمضي.

وإنما ذكرت كلام المبسوطة لأن من حق العالم الذي يؤخذ بكلامه أن يذكر ما له وما عليه لأن ذلك من الدين.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري في كتاب المستوعب في باب زيارة قبر النبي ﷺ: وإذا قدم مدينة رسول الله ﷺ استحب له أن يغتسل لدخوله ثم يأتي مسجد رسول الله ﷺ ويقدم رجله اليمنى في الدخول ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره.

ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، وإني قد أتيتك مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته اللهم إني أتوجه إليك بنبيك» وذكر دعاءً طويلاً ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودّع، وهذا أبو عبد الله من أئمة الحنابلة، وساق هذا الكلام سياق المتفق عليه.

ومن جملة ما أفاد أنه يتوسل بالنبي ﷺ ويتوجه به بعد وفاته كما في حياته وأن الآية عامة وشاملة للحياة وبعد الوفاة فتنبّه لذلك. وكذلك ذكره أبو منصور الكرماني من الحنفية أنه يدعو ويطيل الدعاء عند القبر المكرم.

وقال الإمام أبو زكريا النووي في مناسكه وغيره فصل في زيارة قبر النبي ﷺ: وذكر كلاماً مطولاً ثم قال: «فإذا صلّى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلّم مقتصداً لا يرفع صوته» وذكر كيفية السلام ثم قال: «ويجتهد في إكثار الدعاء ويغتنم هذا الموقف الشريف» الخ.

فهذه نقول الأئمة بتطويل الدعاء عند القبر المكرّم وقد خاب من افترى، وكل أحد تلحقه الخيبة على قدره.

وقوله: وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] وقد أضلُّوا كثيراً.

قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا اعتكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها، وقد ذكر ذلك المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره عن غير واحد من السلف، الخ.

وأنت أيها اللبيب أرشدك الله عزّ وجل وزادك بصيرة وفهماً إذا تأملت هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه في خبطه وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة، ومن نفس الدليل تعلم ذلك، فإنه تخيل بذهنه الجامد وخياله الفاسد أن منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد، وأن الزيارة تؤدي إلى الشرك وعبادة الأوثان، وهذا خيال فاسد لأن اتخاذ الصور مساجد وعيداً، والعكوف وتصوير الموتى فيها هو المحذور والمؤدي إلى الشرك عند تطاول الزمان، وهذا هو الممنوع منه كما

هو مصرّح به في الأحاديث الصحيحة في قوله عليه الصلاة والسلام: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، وفي قوله عليه الصلاة والسلام لما أخبر بكنيسة بأرض الحبشة قال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عزّ وجل» فهذا هو الذي حذّر منه رسول الله ﷺ.

وأما الزيارة والسلام على الميت والدعاء له وعنده فلم يؤدِّ إلى ذلك ولا له تعلق بتلك الأمور، ومن تخيل ذلك فهو من سوء فهمه في هذا الأمر الواضح ولو كان يؤدي إلى ذلك لما شرعه رسول الله ﷺ وأبلغ من ذلك لما أمره الله عزّ وجل بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة حين نزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بأمر الله تعالى بالخروج إلى بقيع الغرقد بل كان نهاه أن لو أراد الخروج، وأيضاً فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «زوروا القبور» كما رواه مسلم وغيره بزيادة إلى غير ذلك مما علمهم عليه الصلاة والسلام كيفية الزيارة كما جاء في الأحاديث في زيارتها قولاً وفعلاً.

وتواتر ذلك وأجمع عليه المسلمون حتى أن منهم من أوجب زيارتها لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: «زوروا القبور» فلو كانت الزيارة من الأمور التي تؤدي إلى الشرك كاتخاذها مساجد وعيداً والتصوير ونحو ذلك لم يشرعه الله عزّ وجل لنبيه ﷺ ولا شرعها رسول الله ﷺ بقوله وبفعله، وقد أطلعه الله عزّ وجل على ما أراد من غيبه وبعثه بدينه القويم وهو الصراط المستقيم، ولا فعلها الصحابة رضي الله عنهم الذين هم من أصفياء الله تعالى، بل كانوا أحرص الناس على ذلك خوفاً من إعادة ما جاء رسول الله ﷺ بإماتته ودفنه واندراس أثره، والله أعلم.

وأنت أيها العاقل الفطن إذا تصورت ما نقلته لك وتعقلته بذهنك الصحيح علمت وتحققت أنه ليس لأحد أن يحرم إلا ما حرم الله تعالى ورسوله وأنه لا يحل له التهجم على موارد الشرع ومصادره بخيالاته الفاسدة وأنه بذهنه الجامد أدرك ما لم يدركه الصحابة رضي الله عنهم ولو فتحنا هذا الباب وتتبعنا هذه الخيالات الفاسدة لهدمنا أموراً كثيرة من الدين ولانحلت عراه عروة عروةً وتبدلت بعد الجهالة ولمات الدين، وذلك من الخسران المبين، شعر:

فالقول ما قال النبي وصحبه ... فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

وهو الشفيع الذي تنجى شفاعته ... كل الأنام إذا ما مسها العطب
محمد خير خلق الله قاطبة ... وهو الذي لفخار المجد يكتسب
نوّه به يا منادي الحي إن به ... تزول عن قلبي الآلام والكرب
عان له مقلة تشتاق تنظره ... ومهجة بلهيب الشوق تلتهب

وكيف لا تلتهب وقد شاهدت ما شاهدت مما لا يمكن النطق به ولا أفوه، وكيف كيف أسلوه.

رعى الله بالبطحاء أيامنا التي ... مضت كوميض البرق ثم تولت
وحيا قباباً بين سلع إلى قبا ... لعزتها يحلو خضوعي وذلتي
نعمت بها لكن كأحلام نائم ... كأن لم تزرها العيس حتى تولت
فهل لي إلى تلك العوالم عودة ... ولو دونها بيض الصوارم سلت
وألثم إجلالاً ثراها وأجتلي ... شموسي في أرجائها وأهلتي
سقى الله ذات الظل من دارة الحمى ... حتى نهلت منه رباها وعلت
وسحت على أعلام سلع مديمة ... غمائم بالنوء الروى استهلت
فتلك لعمر الله دار أحبتي ... وسكانها كل المراد وبغيتي
ألا ليت شعري هل أزور قبابها ... فتحمد فيها العيس شدي ورحلتي
وأنشد في أكنافها مترنماً ... لمن نظم مدحي فيه بيت قصيدتي
ألا يا رسول الله أنت وسيلتي ... إلى الله إذ ضاقت بما رمت حيلتي
وإن شئت قلت ... إلى الله في غفران ذنبي وزلتي

فالتوسل به عليه الصلاة والسلام لم يزل منذ آدم عليه السلام لا يتوقف فيه أحد ولا يطعن إلى أن ظهر بعض زنادقة اليهود وغلاتهم في بغضه عليه الصلاة والسلام، قال: وإنه بموته بطلت حرمته وجاهه فلا يتوسل به ولا يقال يا جاه محمد، وتم ذلك بتوارث سلالتهم معتقدين ذلك مصرّين عليه.

ثم زاد هذا الخبيث أن التوسل به شرك وقرره بتقرير ألحقه بقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] وذلك يدل على أن من أجهل الجهلة، فإن التوسل به عليه الصلاة والسلام معناه: أسأل الله عزّ وجل برسوله وأتشفّع إليه به فهو سائل لله عزّ وجل لا لغيره ولا يلزم من التوسل به أو بشخص والتشفع إليه به أن يكون عبده ولا اتخذه إلهاً ورباً من دون الله ولا جعله شريكاً في الإلهية، ومن جعل

التوسل بشخص مثل هؤلاء[1] فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقله ما يقول، ومثل هذا لا يحل لأحد أن يقلده ولا ينظر في كلامه إلا من له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا أن حياتك خير لنا فكيف وفاتك خير لنا؟ قال: «أما حياتي فإنكم كلما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم المخرج منه بي فإذا متُّ فلا أزال أنادي من قبري ربي أمتي حتى ينفخ في الصور ثم لا أزال أُجاب أربعين سنة حتى ينفخ الأخرى وتعرض علي أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من سيىء دعوت الله أن يغفره» رواه الإمام العلامة هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان، ورواه غيره.

فهو عليه الصلاة والسلام رحمة لنا في حياته وبعد وفاته فكيف لا يتوسل به إليه ولا نعمل البزل القناعيس نحوه وإليه، وذلك مما أجمع أهل التوحيد عليه، وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك. صرح به أئمة الأمة وأولهم مالك.

وكان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتي بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي ﷺ، وجاء بريدي من مصر باعتقاله على ذلك فاعتُقل وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل بن كثير الشركويني فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ، وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة وقال: ها أنا راجع ولا أزور الخليل، ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ، وذكر المسألة بعينها حتى قال: فلا يزور قبر النبي ﷺ، فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية.

ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان جلس القاضي جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية وأحضر جماعة من جماعة ابن تيمية كانوا معتقلين في سجن

(١) هنا محذوف هو المفعول الثاني لجعل تقديره شركاً ليستقيم الكلام، اهـ مصححه.

الشرع فادعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنه قال: إن التوراة والإنجيل ما بدلا وإنهما بحالهما كما أنزلا وشهدوا عليه بذلك وثبت في وجهه فعزر في المجلس بالدرة وأخرج وطيف به ونودي عليه بما قاله ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله في القدس الشرف وفي نابلس فأنكر فقامت عليه البينة بما قاله فأدب وحمل على جمل، ثم أعيدوا في السجن، ولما كان يوم الأربعاء أحضر ابن قيم الجوزية إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه[1] فما كان جوابه إلا أن قال: إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي، فأُعيد إلى الحبس إلى أن أُحضِر الحنبلي فأُخبر بما قاله فأُحضر وعُذر وضُرب بالدرة وأُركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس ولم يزل هذا في أتباعه.

وحضر شخص إلى دمشق يقال له أحمد الظاهري وكان قد حفظ آيات المتشابه وأحاديثه فكان يسردها على العوام وآحاد الناس من الفقهاء فعظّمه أتباع ابن تيمية وأكرموه. ثم إنه توجه إلى القاهرة فشرع يسرد الإياب والأحاديث لعلم به الإمام العلامة الشيخ سراج الدين البلقيني فطلبه وأعلم به برقوق فأخذوه وقيّدوه وكانوا يضربونه بالسياط أول النهار ثم يستعملونه في العمارة، فإذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب، ثم بلغني أن آخر الأمر أن ضربوا عنقه.

وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس: معذور السبكي - يعني في تكفيره - والحاصل أنه وأتباعه من الغلاة في التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ وبغيض الشيخين وبإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء ولهم دواهي أخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظة واحدة، فنسأل الله تعالى العافية ودوامها إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

(وجرسوا) ابن القيم وابن كثير وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم في مسألة الطلاق، والله أعلم.

واعلم أني اقتصرت على الكلام على هذه الفتوى لإشاعتها بين العوام وفيها

(١) هذه قيمة ابن قيمة يراها القارىء مجسمة أمامه في هذا السياق فليعرفها ولا يغتر، اهـ مصححه.

التعرض لمنع الوسيلة ومنع شد الرحال إلى قبر سيدنا رسول الله ﷺ واستدلاله لما قاله بالتجسير والتمويهات التي بيّنّا بطلانها وفسادها، وأن ذلك من أظهر الأمور على فجوره في النقل والإغراء، وأن لا يحل أن يقلده ولا يأخذ عنه ولا ينظر في كلامه ولا يسمعه إلا من يكون له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر[1].

ثم من الأمور المهمة المقرّبة إلى الله عزّ وجل وإلى رسوله وإلى وزيريه رضي الله عنهما بسط الألسن والأيدي فيهم جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث، وأن يعلن بالتوسل بسيد الأولين والآخرين، وأن يعتني بإظهار شد الرحال وإعمال المصلى والأقدام إلى خير خلقه وحبيب القلوب، ومن بذكره تنجلي الكروب، ويهتز الطروب، وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب، التي بسببها حصل الإبعاد عن المزار وبعد الدار.

روى زيد بن أسلم أن عمر خرج ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلّى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوّاماً بكّاءً في الأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيب[2] الدار

تعني رسول الله ﷺ.

قال: فجلس عمر رضي الله عنه يبكي شوقاً إلى حبيبه رسول الله ﷺ وتتصعد أنفاسه من نار الشوق لولا دموع المحبين تطفىء نار الشوق لاحترقت أكبادهم بأنفاسهم.

---

(١) هذا حكم من هذا الإمام الكبير على كل من يتبع ابن تيمية بأنه هالك في دينه وانظر معنى الهلاك في مثل هذا المقام ومن هنا نحن نرثي لإخواننا الموجودين والغابرين الذين اغتروا بهذا الرجل المسكين ووراءه ساروا وكان بودنا أن يرى إخواننا الموجودون هذا الكتاب ليعرفوا منه قيمة هذا الرجل ثم بعد ذلك ينظروا لأنفسهم والحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به كثيراً من خلقه، اهـ مصححه.

(٢) وحبيبي، اهـ مصححه.

إحياء علوم الدين

تأليف

الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

المتوفى سنة ٥٠٥هـ

وبذيله كتاب

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار

في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

للإمام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى سنة ٨٠٦هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

وتماماً للنفع ألحقنا بالكتاب مجاناً خامساً

يحتوي على ثلاثة كتب:

الأول: كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء
للعلامة عبد القادر بن شيخ العيدروس

الثاني: كتاب الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام العراقي

الثالث: كتاب عوارف المعارف للشيخ السهروردي

الجزء الأول

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

فنقول وبالله التوفيق: الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضدّ له منفرد لا ندّ له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل ﴿هُو الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وهُو بِكُلِّ شيءٍ عليمٌ﴾[1].

التنزيه: وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾[2] ولا هو مثل شيء. وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات. وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزّهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال. لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته. وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى. وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿وهُو على كُلِّ شيءٍ شَهِيدٌ﴾[3] إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء. تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان. وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وأنه مقدّس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال. وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإتماماً منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

الحياة والقدرة: وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر، والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته. وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع. خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته.

العلم: وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذرّ في جو الهواء ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.

الإرادة: وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته. ولا قوّة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك. وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدّرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدّم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدّل ولا تغير. دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

السمع والبصر: وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع

الأصل السادس: العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم، فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله. فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق ـ كما سيأتي بيانه ـ وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته. وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض. وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فإذاً لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وأنّى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدّره والمصوّر مصوّره. والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته.

الأصل السابع: العلم بأنّ الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدّام أو خلف، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رِجلاً، والآخر يقابله ويسمى رأساً. فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل، حتى أنّ النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتاً وإن كان في حقنا فوقاً. وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب، فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يميناً والأخرى شمالاً، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرّك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة. فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة؟ وكيف صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن له؟ أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته، فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل؛ وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً فاستحال كونه مختصاً بالجهة؛ وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدّر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر، فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء. وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء.

الأصل الثامن: العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى

السُّحُبُ الوابلة

عَلَى ضَرَائِحِ الحَنَابِلَة

لِلإمَامِ العَلَّامَةِ الشَّيخ مُحَمَّد بن عَبدِ اللهِ ابن حُمَيد النَّجدِيّ الحَنبَلِيّ

مُفتِي الحَنَابِلَةِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة

المتوفى سنة ١٢٩٥هـ

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

مَكتَبَة الإمَام أحمَد

ابن ناصر/الدين وابن الطحان وابنة ابن الشرايحي وابن بردس والبرهان الحلبي [٣٤٠ ب] وشيخنا وما أظنه حدث/ مات في ربيع الأول سنة ٨٤٥ ودفن بتربة المعتمد [٢٦٣ أ] بالصالحية.

٤١٥ ـ عبدالوهاب بن سليمان بن علي[١] بن مشرف بوزن محمد التميمي النجدي.

قرأ في الفقه على أبيه صاحب المنسك المشهور وعلى غيره وحصل وتفقه ودرّس وكتب على بعض المسائل الفقهية كتابة حسنة توفي سنة ١١٥٣ وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق لكن بينهما تباين مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عن من عاصر الشيخ عبدالوهاب هذا أنه كان غضباناً على ولده[٢] محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر فكان يقول للناس ياما ترون من محمد [من الشر][٣] فقدر الله أن صار ما صار وكذلك ابنه سليمان أخو الشيخ محمد كان منافياً له في دعوته ورد عليه رداً جيداً بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم [متقدماً أو متأخراً][٤] كائناً من كان غير الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه يرى كلامهما نصاً لا يقبل التأويل ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم وسمى الشيخ سليمان رده على أخيه فصل الخطاب في الرد على محمد بن

---

(١) بهامش (أ) ما نصه [قال أبو الفيض: وجدت في بعض الأوراق عندي بخط ابن ابنه عبدالله ما نصه: محمد بن عبدالوهاب بن علي بن محمد بن أحمد بن بُريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن إدريس بن علي بن محمد بن علوي بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيع بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيع بن ملكان بن عدي بن مناه بن تميم. اهـ].

(٢) قال الشيخ العلامة حسين بن غنام المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ في تاريخه (وكتب والده إلى بعض إخوانه نوّه فيها بشأن ابنه محمد، وأثنى فيها عليه وعلى حفظه وفهمه وإتقانه) انتهى ص ٧٥ فالشيخ ابن غنام من تلاميذ الشيخ محمد وهو أعلم برأي الشيخ عبدالوهاب بابنه محمد من صاحب السحب.

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (أ): متقدم ومتأخر.

٣٤ ب] عبدالوهاب وسلمه الله من شره ومكره/ مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد فإنه كان إذا باينه أحداً ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله وقيل أن
٢٦٤ أ] مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح فأمر/ محمد أن يعطى سيفاً ويدخل على أخيه[1] الشيخ سليمان وهو في المسجد وحده فأدخل عليه فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين ويكررها مراراً ولا شك أن هذه من الكرامات وخلف سليمان المذكور عبدالعزيز من الفضلاء الأتقياء النجباء وأهل الورع البالغ في زمنه إلى الغاية بحيث صار يطلق عليه أنه أورع أهل العصر وأخبرني عمي عثمان وهو من طلبة العلم وله اعتقاد عظيم في الشيخ المذكور لعبادته وزهده وصلاحه وورعه وتقواه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم كأنه في مسجد الجوز غربي عنيزة وكان الشيخ عبدالعزيز المذكور يصلي قدامه فجئت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه وجلست عنده [وقال][2] هذا وأشار إلى عبدالعزيز أورع أهل وقته أو من أورع أهل وقته الشك من عمي ـ فقلت يا رسول الله كابن عمر في زمانه. قال: نعم.

فكتبت للشيخ أبشره بذلك فكتب إلي ما معناه أني لست من أهل هذا
٣٤ ب] القبيل ولكن حسن ظنك في الفقير أراك/ هذا وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقاً فالرؤيا تسر المؤمن ولا تغره ونحواً من هذا الكلام وقد رأيت مكتوبه هذا عند عمي وخطه في غاية الحسن والنورانية وأصيب بولده النجيب الأديب الأريب الفاضل الذكي الشيخ محمد وكان قد قرأ وفهم وتميز وفاق أهل عصره بالحفظ فمن محفوظاته مختصر المقنع وألفية الآداب وأظن وألفية المفردات والشذور. وألفية ابن مالك ومنظومة حروف المعاني للبيتوشي وجمع الجوامع النحوي وغير ذلك ولا أعرف مقاربة في كثرة المحفوظات وتوفي سنة ١٢٦٣ في الإحساء وعمره نحو سبع وعشرين

---

(١) في هذا المكان من (ب): حفظ [محمد] وهو والله أعلم زائد.
(٢) في (أ): فقال.

تفسير القرآن العظيم

للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٦م

طبعة جديدة منقحة مصححة ومضبوطة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

السابع، ومنه سمي السبت وهو القطع، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال: حدّثنا حجاج حدّثنا ابن جريج أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ آخِرَ الخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ» فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمّد الأعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال: في ستة أيام، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً والله أعلم.

وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: من شبّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى، وقوله تعالى ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾ أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي: سريعاً لا يتأخر عنه، بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فقوله: ﴿وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي: لا يفوته بوقت يتأخر عنه، بل هو في أثره بلا واسطة بينهما، ولهذا قال ﴿يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى، أي: الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيته، ولهذا قال منبهاً ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ أي: له الملك والتصرف ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ كقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الآية، قال ابن جرير: حدّثني المثنى حدّثنا إسحاق حدّثنا هشام أبو عبد الرّحمن حدّثنا بقية بن الوليد حدّثنا عبد الغفّار بن عبد العزيز الأنصاري عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ عَلَى مَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَحَمِدَ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ وَحَبِطَ عَمَلُهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْعِبَادِ مِنَ الأَمْرِ شَيْئاً فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ» لقوله ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء وروي مرفوعاً: «اللَّهُمَّ لَكَ المُلْكُ كُلُّهُ وَلَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ».

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم فقال ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ قيل: معناه تذللاً واستكانة وخيفة، كقوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ الآية، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» الحديث، وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عبّاس في قوله ﴿تضرعاً وخفية﴾ قال: السر، وقال ابن جرير ﴿تضرعاً﴾ تذللاً واستكانة لطاعة ﴿وخفية﴾ يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهاراً مراءاة، وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن: قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلاّ همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ وقال ابن

تفسير القرآن العظيم

للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثالث

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٦م

طبعة جديدة منقحة ومصححة ومضبوطة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه فيما يوحي خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه: «يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ هَذَا» فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسى عِنْدَ الخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال: «يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا» فقال الجبار تبارك وتعالى: يا محمد قال: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ» قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك. فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: «خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا» قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: «يَا مُوسَى قَدْ واللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ» قال: فاهبط باسم الله. قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام.

هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد، ورواه في صفة النبي ﷺ عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال. ورواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال: فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم، فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الأحاديث الأخرى، ومنهم من يجعل هذا متاماً توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل، يعني قوله: ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. قال: وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح، وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال: يا رسول هل رأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» وفي رواية «رَأَيْتُ نُوراً» أخرجه مسلم. وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير الآية بهذا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَرُكِبْتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، قَالَ: ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الخَالَةِ يَحْيَى وَعِيسَى فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ،

المعجم الصغير للطبراني

للحافظ

أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب

اللخمي الطبراني المتـــوفى سنة ٣٦٠ هـ

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٧م

صححه
وراجع أصوله
عبد الرحمن محمد عثمان

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

« أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » لم يروه عن المقبرى إلا عثمان البرسى .

حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقرى المصرى التميمى حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكى عن روح بن القاسم عن أبى جعفر الخطمى المدنى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان ابن حنيف « أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك [ربى] جل وعز فيقضى لى حاجتى ، وتذكر حاجتك. ورح إلىّ حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان فأجلسه معه على الطِّنفِسة(١) وقال حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال ما كانت لك من حاجة فأتنا ثم أن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىّ حتى كلمته فىّ. فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم أفتصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لى قائد وقد شق علىّ . فقال له النبى صلى الله عليه وآله

(١) قوله الطنفسة بكسر طاء وفاء وضمهما . وبكسر ففتح بساط له خمل رقيق جمعه طناقس « بجمع البحار »

وسلم : أيت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط » لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكى وهو ثقة وهو الذى يحدث عنه أحمد [ابن أحمد] بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلى وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبى جعفر الخطمى واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة . والحديث صحيح وروى هذا الحديث عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه وهم فيه عون بن عمارة والصواب حديث شبيب بن سعيد .

حدثنا طاهر بن على الطبرانى حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الطبرانى حدثنى أبى حدثنا النضر بن محمد عن محمد بن المنكدر عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن للقلوب صدأ[1] كصدإ الحديد وجلاؤها الاستغفار » لم يروه عن محمد بن المنكدر إلا النضر بن محمد تفرد به إبراهيم .

من اسمه طى

حدثنا طى بن إسماعيل بن الحسن بن قحطبة بن خالد بن معدان الطائى ببغداد حدثنا عبدالرحمن بن صالح الأزدى حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمى عن يونس ابن خباب[2] عن مجاهد قال « جاء رجل إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما فسألهما فقالا إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لحاجة مجحفة أو لحالة مثقلة ، أو دين فادح[3]

---

(١) قوله صدأ بفتح السين [الصاد] وإسكان الدال المهملتين ويحرك وآخره همزة أى الجرب والرين .

(٢) بمعجمة وموحدتين « تقريب »

(٣) قال فى المجمع فدحه الدين أى اثقله انتهى .

المعجم الصغير

للحافظ

أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

تقديم وضبط

كمال يوسف الحوت

مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

[٤٩٧] **حدّثنا** طاهر بن عبد الرحمن بن إسحاق القاضي البغدادي حدثنا علي بن المديني حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثني أبي عن محمد بن إسحاق عن حمزة بن موسى بن أنس بن مالك عن ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب في الجنة ».

لم يروه عن ثمامة إلا حمزة بن موسى. تفرد به محمد بن إسحاق.

[٤٩٨] **حدّثنا** طاهر بن عبد الله البابستري حدثنا علي بن موسى بن مروان الرازي حدثنا عبد الله بن عاصم الحماني حدثنا عثمان بن مقسم البرسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه ».

لم يروه عن المقبري إلا عثمان البرسي.

[٤٩٩] **حدّثنا** طاهر بن عيسى بن قيرس المقري المصري التميمي حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: « أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي عز وجل ليقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليَّ حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال عثمان له ثم أتى عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطِّنفِسة وقال ما حاجتك ؟

[٤٩٩] رواه في الكبير ٩/ ١٧ .

فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال له ما كان لك من حاجةفأتنا ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت حتى كلمته فيّ. فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره ؟ فقال له النبي ﷺ أوتصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ. فقال له النبي ﷺ : إيت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط ».

لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة وهو الذي يحدث عنه ابنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة.

والحديث صحيح وروى هذا الحديث عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر وهم فيه عون بن عمارة والصواب حديث شبيب بن سعيد.

[٥٠٠] **حدّثنا** طاهر بن علي الطبراني حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الطبراني حدثنا أبي حدثنا النضر بن محمد عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤ ها الاستغفار ».

لم يروه عن محمد بن المنكدر إلا النضر بن محمد تفرد به إبراهيم بن الوليد.

من اسمه طيّ

[٥٠١] **حدّثنا** طي بن إسماعيل بن الحسن بن قحطبة بن خالد بن معدان الطائي ببغداد حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن مجاهد قال: « جاء رجل إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما

شفاء السقام
في
زيارة خير الأنام

او

شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة

تأليف

الإمام تقي الدين السبكي

دار الجيل
بيروت

الباب الثامن

في التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي

صلى الله عليه وسلم

اعلم أنه يجوز، ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار، ولهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك، فإن فيها قول مالك للمنصور: «استشفع به»، ونحن قد بينا صحتها، ولذلك أدخلنا الاستغاثة في هذا الكتاب لما يعرض إليها مع الزيارة، وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله، وصار به بين أهل الإسلام مُثْلَةً، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك، رأيت من الرأى القويم أن أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا أتتبعه بالنقض والإبطال. فإن دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين تقريب المعنى إلى أفهامهم، وتحقيق مرادهم وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالضد من ذلك، فالوجه الإضراب عنه.

وأقول: إن التوسل بالنبي ﷺ جائز في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته، في مدة البرزخ وبعد البعث، في عرصات القيامة والجنة، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتوسل به، بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، وبجاهه، أو ببركته، فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح، أما الحالة الأولى قبل خلقه فيدل لذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته، وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البيع في المستدرك على الصحيحين، أو أحدهما، قال حدثنا أبو سعيد عمرو بن منصور العدل، حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا أبو الحرث عبد الله بن مسلم الفهري، حدثنا إسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة، قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك: فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب، ورواه البيهقي أيضاً في دلائل النبوة، وقال: تفرد به عبد الرحمن، وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك».

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضاً عن علي بن حماد العدل، حدثنا هرون بن العباس الهاشمي، حدثنا جندل بن والق، حدثنا عمرو بن أوس الأنصاري حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد، وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولاه ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله فسكن، قال الحاكم: هذا حديثٍ حسن صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. انتهى ما قاله الحاكم.

والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الإسناد، ولا بلغه أن الحاكم صححه، فإنه قال ـ أعني ابن تيمية ـ أما ما ذكره في قصة آدم من توسله، فليس له أصل، ولا نقله أحد عن النبي ﷺ بإسناد يصلح للاعتماد عليه، ولا الاعتبار، ولا الاستشهاد، ثم ادعى ابن تيمية أنه كذب، وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته، بالوهم والتخرص، ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك أو لتعرض للجواب عنه، وكأنى به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث، ونحن نقول قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضاً عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف الى الحد الذي ادعاه، وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع، وقد ورد فيه هذا الحديث، وسنزيد هذا المعنى صحة وتثبيتاً بعد استيفاء الأقسام، وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء، فذكره المفسرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له، ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التجوه[1]؛ والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسل بالنبي ﷺ. لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه؛ ومستغيث به. والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده، فالباء ههنا للسببية، وقد ترد للتعدية، كما تقول من استغاث بك فأغثه، ومستشفع به، ومتجوه به، ومتوجه، فإن التجوه والتوجه راجعان الى معنى واحد.

فإن قلت: المتشفع بالشخص: من جاء به ليشفع له، فكيف يصح أن يقال: يتشفع به، قلت ليس الكلام في العبارة، وإنما الكلام في المعنى، وهو سؤال الله بالنبي ﷺ، كما ورد عن آدم، وكما يفهم الناس من ذلك، وإنما يفهمون من التشفع والتوسل والاستغاثة والتجوه ذلك، ولا مانع من اطلاق اللغة هذه الألفاظ على هذا المعنى، والمقصود جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً ومرتبة، ولا شك أن النبي ﷺ له عند الله قدر علي ومرتبة رفيعة وجاه عظيم، وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر

(١) التجوه قول القائل: بجاه النبي ﷺ.

البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض — الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الستار

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ-٢٠٠١م

الجزء الثامن

المحتوى:

السنوات ٤٠-٧٢ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قَالُوا لِي هَنِيئاً لا تَسَلْ
حِينَ حَكَّتْ بِفِنَاءٍ بَرْكَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الأَسَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرَافِكُمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

قال مجاهد: نافق فيها، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه أي ذمه وعابه.

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا، على قولين، الأظهر منهما أنه سيّره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم. وقال أبو مخنف عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الله اليماني عن القاسم بن بخيت، قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكت بقضيب كان في يده في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المري [الطويل]:

يُفَلِّقْنَ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

فقال له أبو برزة الأسلمي: أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذاً لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشفه، ثم قال ألا إن هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعه محمد ﷺ، وتجيء وشفيعك ابن زياد. ثم قام فولّى. وقد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الوليد عن خالد بن يزيد بن أسد عن عمار الدهني عن جعفر. قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة وجعل ينكت بالقضيب فقال له: «ارْفَعْ قَضِيبَكَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَلْثُمُهُ». قال ابن أبي الدنيا: وحدّثني مسلمة بن شبيب عن الحميدي عن سفيان سمعت سالم بن أبي حفصة قال قال الحسن: لما جيء برأس الحسين جعل يزيد يطعن بالقضيب، قال سفيان وأخبرت أن الحصين كان ينشد على إثر هذا:

سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبِنْتُ رَسُولِ الله لَيْسَ لَهَا نَسْلُ

وأما بقية أهله ونسائه فإن عمر بن سعد وكّل بهم من يحرسهم ويكلؤهم[1]، ثم أركبوهم على الرواحل في الهوادج، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هنالك بكته النساء، وصرخن، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها، فقالت وهي تبكي:

يا محمداه. يا محمداه. صلّى عليك الله وملكُ السماء. هذا حسين بالعراء. مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء يا محمداه. وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفي عليها الصَّبا، قال فأبكت والله كل عدوٍّ وصديق.

قال قرة بن قيس لما مرّت النسوة بالقتلى صحن ولطمن خدودهن، قال: فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظر رأيته منهن ذلك اليوم، والله إنهن لأحسن من مها بيرين. وذكر الحديث كما تقدم. ثم قال: ثم ساروا [بهم في الهوداج][2] من كربلاء حتى دخلوا الكوفة فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى [والصلات ثم سيرهم فردهم عبيد

(١) يكلؤهم: يرعاهم.
(٢) سقط في ط.

البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض — الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الستار

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ-٢٠٠١م

الجزء السادس

المحتوى:

السنتان ١١ و١٢ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البزار، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين ـ وكان شعارهم يومئذ يا محمداه ـ وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رحى المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئاً، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاؤوا، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة ـ وهو حكم بن الطفيل لعنه الله ـ بدخولها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند، ولا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم ـ قاتل حمزة ـ فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفاً، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة والله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وأعيان الناس من يذكر بعد، وخرج خالد وتبعه مجاعة بن مرارة يرسف في قيوده، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرجال بن عنفوة قال له خالد: أهذ هو؟ قال: لا، والله هذا خير منه، هذا الرجال بن عنفوة، قال سيف بن عمر: ثم مروا برجل أصفر أخنس، فقال: هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا، ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالاً مماثلة فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجاعة فأمر النساء أن يلبس الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس، فظنهم كما قال مجاعة فانتظر الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام

البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض — الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الستار

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ-٢٠٠١م

الجزء السابع

المحتوى:

السنوات ١٢-٤٠ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يحتجب النساء، وكان طليق الوجه، وكان يجيز على الشعر بألوف، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل:

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غيرِ سيفٍ ودمٍ مهراقِ[1]

وليس فيه دليل، فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة، وقد كان الأخطل نصرانياً، وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في عضده فقبل له يقطعها من المفصل فجزع فما أحس حتى خالطت الكتف، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ولما احتضر جعل يبكي ويقول: والله لوددت أني كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أل ما وليت، فذكر قوله لأبي حازم ـ أو لسعيد بن المسيب ـ، فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم، إنا لنرى فيهم عبراً، وقال الحسن: دخلت عليه فإذا هو يتململ على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار، والأطباء حوله. مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ففيها غزا محمد بن مروان ـ أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار ـ صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش، وفيها ولّي عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن الحكم [بن][2] أبي العاص، وهو عمه، وعزل عنها الحجاج. وفيها ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار، وذلك بعد موت أخيه [بشر بن مروان][3]، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقسوته وشهامته، فكتب إليه وهو بالمدينة بولاية العراق، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم النجائب[4]، فنزل قريب الكوفة فاغتسل واختضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه، ثم سار فنزل دار الإمارة، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة، فخرج عليهم وهم لا يعلمون، فصعد المنبر وجلس عليه وسكت طويلاً، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا[5] على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها، وقد كانوا حصبوا عاملاً قبله، فلما سكت أبهتهم وأحبوا أن يسمعوا كلامه، فكان أول ما تكلم به أنه قال: يا أهل العراق يا أهل الشقاق ويا أهل النفاق، ومساوىء الأخلاق، والله إن كان أمركم

(١) دم مهراق: مصبوب.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) النجائب: النوق الجيدة السريعة.
(٥) جثوا: جلسوا على ركبهم.

قلت كان في عام الرمادة جدب عم أرض الحجاز، وجاع الناس جوعاً شديداً. وقد بسطنا القول في ذلك في سيرة عمر.

وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد. وقيل: لأنها تسفي[١] الريح تراباً كالرماد. ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم. وقد أجدبت الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت[٢] الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجؤوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يلتّ له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرّمادة يلتّ له بالزيت والخل، وكان يستمرىء الزيت. وكان لا يشبع مع ذلك. فاسود لون عمر رضي الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف. واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر، ثم تحول الحال إلى الخصب والدّعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم.

قال الشافعي بلغني أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة لقد انجلت عنك ولأنك لابن حرة. أي واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم. وقد روينا أن عمر عس[٣] المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر[٤] وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة. وهذا الأثر جيد الإسناد، لكن ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة مشكل، فإن مصر لم تكن فتحت في سنة ثماني عشرة فإما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثماني عشرة أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم والله أعلم.

وذكر سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها فلح عليه عمر حتى قبلها.

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على

(١) تسفي الريح التراب: تجعله يتطاير. (٢) جفلت: أسرعت.
(٣) عسّ المدينة: طاف فيها ليلاً متفقداً الناس. (٤) البُرّ: القمح.

عمر فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: «لَقَدْ عَهِدْتُكَ كَيِّساً، وَمَا زِلْتَ عَلَى ذَلِكَ فَمَا شَأْنُكَ» قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة. فخرج فنادى في الناس الصلاة جامعة، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني أمراً غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذبة وذبة. قالوا: صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين. فبعث إليهم ــ وكان عمر عن ذلك محصوراً ــ فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف. ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء. وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغيثوا أهل المدينة ومن حولها، فإنه قد بلغ جهدهم. وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشياً، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا. ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران.

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلاً من مُزَيْنَة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء. فألحوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر فقال يا محمداه. فلما أمسى أري في المنام أن رسول الله ﷺ يقول له: «أَبْشِرْ بِالْحَيَاةِ، ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِهِ مِنِّي السَّلام وَقُلْ لَهُ إِنَّ عَهْدِي بِكَ وَفِيُّ الْعَهْدِ شَدِيدَ الْعَقْدِ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا عُمَرُ»، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول لرسول الله ﷺ. فأتى عمر فأخبره ففزع ثم صعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئاً تكرهونه؟ فقالوا: اللهم لا، وعم ذاك؟ فأخبرهم بقول المزني ــ وهو بلال بن الحارث ــ فقطنوا ولم يفطن. فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا. فنادى في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اسقنا وأحي العباد والبلاد.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فأقره مني السلام وأخبرهم أنهم مسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. وهذا إسناد صحيح.

وقال الطبراني: حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا أبو محمد الأنصاري ثنا أبي عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي يقول: اللهمّ إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا تَوَسَّلنا إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا ﷺ. وقد رواه البخاري عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله به ولفظه «عن أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستسقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا

الكامل في التاريخ

تأليف

عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري

المتوفى سنة ٦٣٠هـ

من سنة ١ لغاية سنة ٢٩ للهجرة

الطبعة الرابعة
١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

حققه
أبو الفداء عبد الله القاضي

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

واشتد القتال ولم يلق المسلمون حرباً مثلها قط، وآنهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا [الفسطاط] إلى مجاعة وهو عند أمرأة خالد وكان سلمه إليها فأرادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال: أنا لها جار [فنعمتْ الحرة] فتركوها، وقال لهم: عليكم بالرجال فقطعوا الفسطاط ثم إن المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس: بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني أهل اليمامة ـ وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قتل، وقال زيد بن الخطاب: لا نحور بعد الرجال والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل، فأُكَلِّمُهُ بحجتي، غضوا أبصاركم، وعضوا على أضراسكم أيها الناس، وآضربوا في عدوكم، وامضوا قدماً. [ففعلوا فردوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عساكرهم]، وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زيِّنوا القرآن بالفعال؛ وحمل خالد في الناس حتى ردوهم إلى أبعد مما كانوا، واشتد القتال وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالاً شديداً، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين، وتارة للكافرين، وقتل سالم، وأبو حذيفة، وزيد بن الخطاب وغيرهم من أولي البصائر.

فلما رأى خالد ما الناس فيه قال: « امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي، ولنعلم من أين نؤتى ». فامتازوا، وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والأنصار وجنبهم المهاجرون والأنصار، فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يستحي من الفرار فما رؤي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم، ولم يُدْرَ أي الفريقين كان أعظم نكاية غير أنّ القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منهم في أهل البوادي، وثَبَتَ مسيلمة فدارتْ رحاهم عليه، فعرف خالد أنها لا تركد إلا بقتل مسيلمة، ولم تحفل بنو حنيفة بمن قتل منهم، ثم برز خالد، ودعا إلى البراز ونادى بشعارهم وكان شعارهم: « يا محمداه »، فلم يبرز إليه أحد إلا قتله. ودارت رحى المسلمين [وطحنت]، ودعا خالد مسيلمة فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، فكان إذا هَمَّ بجوابه أعرض بوجهه ليستشير شيطانه. فينهاه أن يقبل. فأعرض بوجهه مرة، وركبه خالد وأرهقه فأدبر وزال أصحابه، وصَاح خالد في الناس [وقال: دونكم لا تقيلوهم]، فركبوهم فكانت هزيمتهم.

الكامل في التاريخ

تأليف

عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري

المتوفى سنة ٦٣٠هـ

من سنة ٣٠ لغاية سنة ٦٤ للهجرة

حققه

أبو الفداء عبد الله القاضي

الطبعة الرابعة

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوىٰ الجرحىٰ ، فصلى عليهم عمر ودفنهم .

ولما قُتل الحسين أرسل رأسَه ورؤوس أصحابه إلىٰ ابن زياد مع خوليّ بن يزيد ، وحميد بن مسلم الأزديّ فوجد خوليّ القصر مغلقاً فأتىٰ منزله فوضع الرأس تحت إجانة في منزله ودخل فراشه وقال لامرأته النوار: «جئتك بغنىٰ الدهر. هـذا رأس الحسين معك في الدار» فقالت: «**ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ برأس ابن رسول الله ﷺ! والله لا يجمع رأسي ورأسك بيتٌ أبداً**». وقامتْ من الفراش فخرجتْ إلى الدار قالت: فما زلت أنظرُ إلىٰ نور يسطع مثل العمود من السماء إلىٰ الإجانة ورأيتُ طيراً ابيض يرفرف حولها فلما أصبح غدا بالرأس إلىٰ ابن زياد.

وقيل : بل الذي حمل الرؤوس كان شمر ، وقيس بن الأشعث ، وعمرو بن الحجاج ، وعروة بن قيس ـ فجلس ابن زياد وأذِن للناس فأحضرتْ الرؤوس بين يديه وهو ينكتَ بقضيب بين ثنيتيه ساعةً فلما رآه زيد بن الأرقم لا يرفع قضيبه قال : **أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شفتي رسول الله ﷺ علىٰ هاتين الشفتين يقبّلهما ثم بكى فقال** له ابن زياد :ابكىٰ الله عينيك فوالله لولا أنّك شيخٌ قد خرفت وذهبَ عَقْلُك لضربتُ عنقكَ فخرج وهو يقول :

أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن يرضىٰ بالذل .

فأقام عمر بعد قتله يومين ، ثم ارتحل إلىٰ الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعليّ بن الحسين مريض فاجتازوا بهم علىٰ الحسين وأصحابه صرعىٰ فصاح النساءُ ولطمن خدودهن ، وصاحتْ زينب أخته ؟

يا محمداه صلىٰ عليك ملائكة السماء ، هـذا الحسين بالعراء . مُزَمَّلٌ بالدماء . مقطعُ الأعضاء وبناتُك سبايا . وذريتك مُقَتَّلة . تسفى عليها الصبا . فأبكت كل عدو وصديق .

فلما أدخلوهم علىٰ ابن زياد لبستْ زينب أرذَل ثيابهَا وتنكّرت وحفّت بها إماؤها فقال عبيدالله : مَنْ هذه الجالسة ؟ فلم تكلّمْه ، فقال ذلك ثلاثاً وهي لا تكلمه فقال

الحاوي للفتاوي

في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون

للإمام

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١ هـ

طبعة سنة
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

صححه ودققه

بإشراف هيئة مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر

الجزء الأول

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

والنظائر وإنما اقتصروا على الصورة التي فيها نفي الوطء لأنها المقصودة بالاستثناء الذي هو موضوع كتبهم.

باب الوليمة

مسألة: تقبيل الخبز هل هو بدعة أم لا؟ وإذا كان بدعة هل يكون حراماً أم لا؟ وقد قال ابن النحاس في تنبيه الغافلين ومنها ـ أي من البدع ـ تقبيل الخبز وهو بدعة لا تجوز، وقد أفتى جماعة أنه يجوز دوسه ولا يجوز بوسه لكن دوسه خلاف الأولى وربما كرهه بعضهم، واما بوسه فهو بدعة وارتكاب البدع لا يجوز، وانظر إلى قول عمر رضي الله عنه في الحجر الأسود: إني لأعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، هذا وهو الحجر الأسود الذي هو من ياقوت الجنة وهو يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما ورد في الحديث فكيف يجوز تقبيل الخبز؟ لكن يستحب إكرامه ورفعه من تحت الأقدام من غير تقبيل، وقد ورد في إكرام الخبز أحاديث لا أعلم فيها شيئاً صحيحاً ولا حسناً ـ هذا نصه بحروفه فهل ماقاله هو الصحيح المعتمد أم لا؟.

الجواب: أما كون تقبيل الخبز بدعة فصحيح، ولكن البدعة لا تنحصر في الحرام بل تنقسم إلى الأحكام الخمسة ولا شك أنه لا يمكن الحكم على هذا بالتحريم لأنه لا دليل على تحريمه ولا بالكراهة ؛ لأن المكروه ما ورد فيه نهي خاص ولم يرد في ذلك نهي، والذي يظهر أن هذا من البدع المباحة فإن قصد بذلك إكرامه لأجل الأحاديث الواردة في إكرامه فحسن، ودوسه مكروه كراهة شديدة بل مجرد إلقائه في الأرض من غير دوس مكروه لحديث ورد في ذلك.

حسن المقصد في عمل المولد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع؟ وهل هو محمود أو مذموم؟ وهل يثاب فاعله أو لا؟.

والجواب: عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم

يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لمافيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، وأول من أحدث فعل ذلك صاحب اربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي ابن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثار حسنة، وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون، قال ابن كثير في تاريخه: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه، قال: وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلداً في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير النذير فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

وقال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد أنه عد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى، قال: وكان ينحصر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلثمائة ألف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة، فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار، وكان يستفك من الفرنج في كل سنة أسارى بمائتي ألف دينار، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار، هذا كله سوى صدقات السر، وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن قميصه كان من كرباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم قالت: فعاتبته في ذلك فقال: لبسي ثوباً بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمناً وأدع الفقير والمسكين.

وقال ابن خلكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية: كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء. قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز باربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين تعتني بالمولد النبوي فعمل له كتاب التنوير في مولد البشير النذير وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار قال: وقد سمعناه على السلطان في ستة مجالس في سنة خمس وعشرين وستمائة انتهى.

سنن النسائي

بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي
وحاشية الإمام السندي

الجزء الثاني

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا لَمْ تَتِمَّ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَيَمْسَحَ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثُمَّ يُكَبِّرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْمَدَهُ وَيُمَجِّدَهُ قَالَ هَمَّامٌ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَيَحْمَدَ اللَّهَ وَيُمَجِّدَهُ وَيُكَبِّرَهُ قَالَ فَكِلَاهُمَا قَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ وَيَقْرَأَ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُكَبِّرَ وَيَرْكَعَ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِيَ ثُمَّ يَقُولَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ يَسْتَوِيَ قَائِمًا حَتَّى يُقِيمَ صُلْبَهُ ثُمَّ يُكَبِّرَ وَيَسْجُدَ حَتَّى يُمَكِّنَ وَجْهَهُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ جَبْهَتَهُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِيَ وَيُكَبِّرَ فَيَرْفَعَ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا عَلَى مَقْعَدَتِهِ وَيُقِيمَ صُلْبَهُ ثُمَّ يُكَبِّرَ فَيَسْجُدَ حَتَّى يُمَكِّنَ وَجْهَهُ وَيَسْتَرْخِيَ فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ هَكَذَا لَمْ تَتِمَّ صَلَاتُهُ

أقرب مايكون العبد من الله عز وجل

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ الْحَرِثِ عَنْ عُمَارَةَ ابْنِ غَزِيَّةَ عَنْ سُمَيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ

﴿أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد﴾ قال القرطبي هذا أقرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة

على صيغة الخطاب وما استفهامية ﴿انها لم تتم الخ﴾ الضمير للقصة ﴿يسبغ﴾ من الاسباغ أى يكمل ويقرأ ما تيسر ظاهره أن الفرض مطلق القرآن كما هو قول أبى حنيفة رحمه الله تعالى لا خصوص الفاتحة كما هو قول الجمهور الا أن يحمل على الفاتحة لكونها المتيسرة عادة أو يقال ان الأعرابى لكونه جاهلا عادة اكتفى عنه بما تيسر مطلقا والله تعالى أعلم. قوله ﴿أقرب مايكون العبد من ربه عز وجل﴾ الظاهر

فضـــل السجود

أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ هَقْلِ بْنِ زِيَادٍ الدِّمَشْقِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قَالَ حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ كُنْتُ آتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضُوئِهِ وَبِحَاجَتِهِ فَقَالَ سَلْنِي فَقُلْتُ مُرَافَقَتَكَ فِي

لأنه منزه عن المكان والمساحة والزمان وقال البدر ابن الصاحب في تذكرته في الحديث إشارة الى نفي الجهة عن الله تعالى وأن العبد في انخفاضه غاية الانخفاض يكون أقرب ما يكون الى الله تعالى

أن ما مصدرية، كان تامة والجار متعلق بأقرب وليست من تفضيلية والمعنى شاهد كذلك فلا يرد أن اسم التفضيل لا يستعمل الا بأحد أمور ثلاثة لا بأمرين كالاضافة ومن فكيف استعمل ههنا بأمرين فافهم وخبر أقرب محذوف أي حاصل له وجملة وهو ساجد حال من ضمير حاصل أو من ضمير له والمعنى أقرب أكوان العبد من ربه تبارك وتعالى حاصل له حين كونه ساجدا ولا يرد على الأول أن الحال لابد أن يرتبط بصاحبه ولا ارتباط ههنا لأن ضمير هو ساجد للعبد لا لأقرب لأنا نقول يكفي في الارتباط وجود الواو من غير حاجة الى الضمير مثل جاء زيد والشمس طالعة ﴿فأكثروا الدعاء﴾ أي في السجود قيل وجه الاقربية أن العبد في السجود داع لأنه أمر به والله تعالى قريب من السائلين لقوله تعالى واذا سألك عبادي عني الخ ولأن السجود غاية في الذل والانكسار وتعفير الوجه وهذه الحالة أحب أحوال العبد كما رواه الطبراني في الكبير بسند حسن عن ابن مسعود ولأن السجود أول عبادة أمر الله تعالى بها بعد خلق آدم فالمتقرب بها أقرب ولأن فيه مخالفة لابليس في أول ذنب عصى الله به قال القرطبي هذا أقرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة والمساحة لأنه تعالى منزه عن المكان والزمان وقال البدر بن الصاحب في تذكرته في الحديث اشارة الى نفي الجهة عن الله تعالى وأن العبد في انخفاضه غاية الانخفاض يكون أقرب الى الله تعالى قلت بنى ذلك على أن الجهة المتوهم ثبوتها له تعالى جل وعلا جهة العلو والحديث يدل على نفيها والا فالجهة السفلى لا ينافيها هذا الحديث بل يوهم ثبوتها بل قد يبحث في نفي الجهة العليا بأن القرب الى العالي يمكن حالة الانخفاض بنزول العالي الى المنخفض كما جاء نزوله تعالى كل ليلة الى السماء على أن المراد القرب مكانة ورتبة وكرامة لا مكانا فلا تتم الدلالة أصلا ثم الكلام في دلالة الحديث على نفي الجهة والا فكونه تعالى منزها عن الجهة معلوم بأدلته والله تعالى أعلم. قوله ﴿بوضوئه﴾ بفتح الواو أي ماء الوضوء ﴿مرافقتك﴾

سنن النسائي

بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي
وحاشية الإمام السندي

الجزء الثالث

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ حسن محمد المسعودي
المدرس بالقسم العالي بالأزهر

دار
إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَعَظَّمَ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ ٱدْعُهَا فَقَالَ لَهَـا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَالَتْ فِى السَّمَاءِ قَالَ فَمَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ فَأَعْتِقْهَا . أَخْبَرَنَا إِسْمٰعِيلُ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمٰعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنِى الْحَرِثُ بْنُ شُبَيْلٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِىِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ كَانَ الرَّجُلُ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ فِى الصَّلَاةِ بِالْحَاجَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلّٰهِ قَانِتِينَ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ . أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا

أى لطمتها ﴿فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله قالت فى السماء﴾ قال النووى هذا من أحاديث الصفات وفيها مذهبان أحدهما الايمان من غير خوض فى معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شئ وتنزيهه عن سمات المخلوقين والثانى تأويله بما يليق به فمن قال بهذا قال كان المراد بهذا امتحانها هل هى موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده وهو الذى اذا دعاه الداعى استقبل السماء كما اذا صلى له المصلى استقبل الكعبة وليس ذلك لأنه منحصر فى السماء كما أنه ليس منحصرا فى جهة الكعبة بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين قال القاضى عياض لاخلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر المتواردة بذكر الله فى السماء كقوله تعالى أأمنتم من فى السماء ونحوه ليست على ظاهرها بل هى متأولة عند جميعهم فمن قال باثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول فى السماء على السماء ومن قال بنفى الحد واستحالة الجهة فى حقه سبحانه

السين أى أغضب ﴿فصككتها﴾ أى لطمتها ﴿فعظم﴾ من التعظيم ﴿على﴾ بالتشديد ﴿أفلا أعتقها﴾ أى عن بعض الكفارات التى شرط فيه الاسلام ﴿أين الله﴾ قيل معناه فى أى جهة يتوجه المتوجهون الى الله تعالى وقولها ﴿فى السماء﴾ أى فى جهة السماء يتوجهون والمطلوب معرفة أن تعترف بوجوده تعالى

ابْنُ أَبِي غَنِيَّةَ وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْقَاسِمُ بْنُ يَزِيدَ الْجَرْمِيُّ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ كُلْثُومٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهَذَا حَدِيثُ الْقَاسِمِ قَالَ كُنْتُ آتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيَرُدُّ عَلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَلَمَّا سَلَّمَ أَشَارَ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْنِي أَحْدَثَ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ . أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا السَّلَامَ حَتَّى قَدِمْنَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَأَخَذَنِي مَا قَرُبَ وَمَا بَعُدَ فَجَلَسْتُ حَتَّى إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ لَا يُتَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ

ما يفعل من قام من اثنتين ناسيا ولم يتشهد

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ بُحَيْنَةَ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَنَظَرْنَا تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ التَّسْلِيمِ ثُمَّ

لاانبات الجهة وقيل التفويض أسلم . قوله ﴿فيرد علي﴾ أى بالقول حين كان الكلام مباحا فى الصلاة ﴿وأن تقوموا لله قانتين﴾ أى ساكتين عما لاينبغى من الكلام فهذا الحديث تفسير لقوله تعالى وقوموا قانتين . قوله ﴿فأمرنا بالسكوت﴾ أى عن ذلك الكلام الذى كنا عليه لا عن مطلق الكلام فلا اشكال بالاذكار والقراءة ﴿ماقرب وما بعد﴾ أى تفكرت فيما يصلح للمنع من الوجوه القريبة أو البعيدة أيها

سَلَّمَ . أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ هُرْمُزَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُحَيْنَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَامَ فِى الصَّلَاةِ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ التَّسْلِيمِ

ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيا وتكلم

أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ وَهُوَ ابْنُ زُرَيْعٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ صَلَّى بِنَا النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى صَلَاتَىِ الْعَشِىِّ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلٰكِنِّى نَسِيتُ قَالَ فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَانْطَلَقَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ بِيَدِهِ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ وَخَرَجَتِ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا قُصِرَتِ الصَّلَاةُ

تأولها تأويلات بحسب مقتضاها وذكر نحو ماسبق ﴿إحدى صلاتى العشى﴾ بفتح العين وكسر الشين وتشديد الياء قال الأزهرى العشى عند العرب مابين زوال الشمس وغروبها ﴿وخرجت السرعان﴾ قال النووى هو بفتح السين والراء هذا هو الصواب الذى قاله الجمهور من أهل الحديث واللغة وهكذا ذكره المتقنون وهم المسرعون الى الخروج ونقل القاضى عياض عن بعضهم إسكان الراء قال وضبطه الأصيلى فى البخارى بضم السين وإسكان الراء جمع سريع كقفيز وقفزان اه وفى النهاية السرعان أوائل الناس الذين يتنازعون الى الشىء ويقبلون عليه بسرعة ﴿قصرت الصلاة﴾ قال النووى بضم القاف وكسر الصاد وروى بفتح القاف وضم

كانت سببا لترك رد السلام . قوله ﴿احدى صلاتى العشى﴾ بفتح العين وكسر معجمة وتشديد ياء أى آخر النهار مابين زوال الشمس وغروبها ﴿وخرجت السرعان﴾ بفتحتين وجوز سكون الراء المسرعون الى الخروج وضبط بضم أو كسر فسكون جمع سريع ﴿قصرت الصلاة﴾ بضم الصاد أو على بناء المفعول

تفسير الخازن

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن

المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وبهامشه

تفسير البغوي

المعروف بمعالم التنزيل

لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء الثاني

دار الفكر

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ذل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب فى كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى الله عن ذلك ولا مس كما قال قوم أنه الفلك الاعلى والكرسى فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات برواية كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال أما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم فى أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فأخرج الرجل وفى رواية يحيى ابن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فأطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج وروى البيهقى سنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقى والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وإليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلى ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى قال البغوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذى سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثورى والأوزاعى والليث بن سعد وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهة اقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية أنه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الأول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى وهو الذى قررنا فى تفسير قوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذى نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثانى أنا نخوض فى تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الأول ما ذكره القفال فقال العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه أى انتقض ملكه وإذا استقام له ملكه وأطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذى قاله القفال حق وصواب ثم قال الله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذى ألفوه من ملوكهم واستقر فى قلوبهم تنبيها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفى التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله فى سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر فقوله يدبر الأمر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على

العرش

الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج وروى عن سفيان الثورى والأوزاعى والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهات أمروها كما جاءت بلا كيف والعرش فى اللغة هو السرير وقيل هو ما علا فأظل ومنه عرش الكروم وقيل العرش الملك

تفسير الخازن

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن

المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وبهامشه

تفسير البغوي

المعروف بمعالم التنزيل

لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء الثالث

دار الفكر

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

(وألحقني بالصالحين) يريد بآبائي النبيين قال قتادة لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف ، وفي القصة لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه عز وجل فقال هذه المقالة قال الحسن عاش بعد هذا سنين كثيرة وقال غيره لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفي واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه فقال الكلبي اثنتان وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وقال الحسن ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وفي التوراة مات وهو ابن مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد أفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب المبتلى عليه السلام وقيل عاش يوسف بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر واختلفت الأقاويل فيه وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه في النيل في صندوق من رخام وذلك أنه لما مات تشاح الناس فيه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفنوه في النيل حيث يتفرق الماء عصر ليجري الماء عليه وتصل بركته إلى جميعهم وقال عكرمة دفن في الجانب الأيمن من النيل فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الأيسر فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان جميعا إلى أن أخرجه موسى فدفنه بقرب آبائه بالشام (ذلك) الذي ذكرت (من أنباء الغيب نوحيه إليه وما كنت لديهم) أي ما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (إذ أجمعوا أمرهم) أي عزموا على إلقاء يوسف في الجب (وهم يمكرون) بيوسف (وما أكثر الناس) يا محمد (ولو حرصت بمؤمنين) على إيمانهم وروى أن اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبي ﷺ

للأمرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه أن الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وأن نعيم الآخرة باق دائم لا نفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم «لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به» فان تمني الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكروه والصبر عليه أولى وقوله (وألحقني بالصالحين) أراد به بدرجة آبائه وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد أفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر . ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك أنه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا أن يقتتلوا ثم رأوا أن يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته إلى جميعهم وقال عكرمة إنه دفن في الجانب الأيمن من النيل فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الأيسر فأخصب وأجدب الجانب الأيمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فأخصب الجانبان فبقي إلى أن أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آبائه بالشام في الأرض المقدسة . قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع إخوته ، ثم إنه صار إلى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه إليك) يعني الذي أخبرناك به من أخبار يوسف وحي أوحيناه إليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذي أنشأ فيه ﷺ وأنه نشأ بين أمة أمية مثله ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فعلم بذلك أن الذي أتي به هو وحي إلهي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قائمة إلى آخر الدهر . وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (إذ أجمعوا أمرهم) يعني حين عزموا على إلقاء يوسف صلى الله عليه وسلم في الجب (وهم يمكرون) يعني بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى

لسان العرب

تأليف

الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم
ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري
المتوفى سنة ٧١١ هـ

حققه وعلق عليه ووضع حواشيه
عامر أحمد حيدر

راجعه
عبد المنعم خليل إبراهيم

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

الجزء الأول

المحتوى:
أ - ب

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وأيام السُّرور والعافية قَصيرة؛ وقيل: هو كناية عن قِصَر الأَعْمار وقلة البركة.

ويقال قد حَيَّا وقَرَّب إذا قال: حَيَّاكَ الله، وقَرَّبَ دارَك. وفي الحديث: مَنْ تَقَرَّب إليّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إليه ذِراعاً؛ المرادُ بقُرْبِ العَبْدِ منَ الله، عز وجل، القُرْبُ بالذِّكْر والعمل الصالح، لا قُرْبُ الذاتِ والمكان، لأَن ذلك من صفات الأَجسام، والله يَتعالى عن ذلك ويَتَقَدَّسُ. والمراد بقُرْبِ الله تعالى من العبد، قُرْبُ نعَمِه وأَلطافه منه، وبرِّه وإِحسانُه إليه، وتَرادُف مِنَنِه عنده، وفَيْضُ مواهبه عليه.

وقِرابُ الشيءِ وقُرابُه وقُرابَتُه: ما قارَبَ قَدْرَه. وفي الحديث: إن لَقِيتَني بقُراب الأَرضِ خطيئةً أَي بما يقارِبُ مِلأَها، وهو مصدرُ قارَبَ يُقارِبُ. والقِرابُ: مُقاربة الأَمر؛ قال عُوَيْفٌ القَوافي يصف نُوقاً: [الوافر] [ش٣/ ٥٤٧]

هو ابنُ مُنَضَّجاتٍ، كُنَّ قِدْماً
يَزِدْنَ على العَديد قِرابَ شَهْرِ[1]

وهذا البيت أَورده الجوهري: يَزِدْنَ على الغَديرِ قِرابَ شهر. قال ابن بري: صواب إِنشاده يَزِدْنَ على العَديد، مِنْ معنى الزيادة على العِدَّة، لا مِنْ معنى الوِرْدِ على الغَدير. والمُنَضَّجةُ: التي تأَخرت ولادتها عن حين الولادة شهراً، وهو أَقوى للولد.

قال: والقِرابُ أَيضاً إِذا قارب أَن يمتلىءَ الدلوُ؛ وقال العَنْبَرُ بن تميم، وكان مجاوراً في بَهْراءَ: [الرجز] [ش٩/ ٨٩]

قد رابني مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرابُها،
والنَّأْيُ مِن بَهْراءَ واغْتِرابُها،
إِلاَّ تَجِي مَلأَى يَجِي قِرابُها[1]

ذكر أَنه لما تزوَّجَ عمرو بن تميم أُمَّ خارجةَ، نقَلَها إِلى بلده؛ وزعم الرواةُ أَنها جاءَت بالعَنْبر معها صغيراً فأَولدها عَمرو بن تميم أُسَيْداً، والهُجَيْم، والقُلَيْبَ، فخرجوا ذاتَ يوم يَسْتَقُون، فَقَلَّ عليهم الماءُ، فأَنزلوا مائحاً من تميم، فجعل المائح يملأُ دَلْوَ الهُجَيْم وأُسَيْد والقُلَيْب، فإِذا وَرَدَتْ دلو العَنْبر تركها تَضْطربُ، فقال العَنْبَر هذه الأَبيات.

وقال الليث: والقُرابُ والقِرابُ مُقارَبة الشيءِ. تقول: معه أَلفُ درهم أَو قُرابه؛ ومعه مِلْءُ قَدَح ماءٍ أَو قُرابُه. وتقول: أَتيتُه قُرابَ العَشِيّ، وقُرابَ الليلِ.

وإِناءٌ قَرْبانُ: قارَبَ الامتِلاءَ، وجُمجُمةٌ قَرْبَى: كذلك. وقد أَقْرَبه؛ وفيه قَرْبُه وقِرابُه. قال سيبويه: الفعل من قَرْبانَ قارَبَ. قال: ولم يقولوا قَرُبَ استغناء بذلك. وأَقْرَبْتُ القَدَحَ، مِنْ قولهم: قَدَح قَرْبانُ إِذا قارَبَ أَن يمتلىءَ؛ وقَدَحانِ قَرْبانانِ والجمع قِرابٌ، مثل عَجْلانَ وعِجالٍ؛ تقول: هذا قَدَحٌ قَرْبانُ ماءٍ، وهو الذي قد قارَبَ الامتِلاءَ.

ويقال: لو أَن لي قُرابَ هذا ذَهَباً أَي ما يُقارِبُ مِلأَه.

والقُرْبانُ، بالضم: ما قُرِّب إِلى الله، عز وجل.

وتَقَرَّبْتَ به، تقول منه: قَرَّبْتُ لله قُرْباناً.

(١) البيت لعويف القوافي في ديوانه ص١٩٥، واللسان (نضج)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٢٧، ٢٢٠.

(١) الرجز للعنبر بن تميم في التنبيه والإيضاح ١/ ١٢٧، وتاج العروس ٤/ ١٥(قرب).

حاشية

العارف بالله تعالى العفور له

أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّي والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيل

بيروت

ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم (قوله إنما يدعوا حزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته (قوله هذا) أى قوله الذين كفروا إلى آخره ، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان إلى آخره فله المغفرة والأجر الكبير (قوله ونزل فى أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والأسود ابن المطلب وعقبة بن أبى معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها - ليس عليك هداهم - ومنها - ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - ومنها - فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وغير ذلك ، ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه ، وقيل هذه الآية نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز يحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون - نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم، وقيل نزلت فى اليهود والنصارى، وقيل نزلت فى الشيطان حيث زين له أنه العابد التقى وآدم العاصى خالف ربه لاعتقاده أنه على شىء (قوله أفمن زين له (٢٨٨) سوء عمله) أى زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السىء فهو من إضافة الصفة للموصوف (قوله بالتمويه) أى التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا ، وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله دل عليه) أى على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفى هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء يعلمه والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاط أسباب ذلك وقرىء شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم إيمانهم (قوله حسرات) مفعول لأجله جمع حسرة وهى شدة التلهف على الشىء الفائت (قوله فيجازيهم عليه) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أى استحضارا لتلك الصورة العجيبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزعجه) أى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى الكائنة فى قوله: والله الذى أرسل (قوله إلى بلد ميت) البلد يذكر ويؤنث يطلق على القطعة من الأرض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا نبات بها) أى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أى مثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قابلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق إليها المياه فتحييها والأجساد تساق إليها الأرواح فتحييها (قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطلبها ، وقوله فلله العزة تعليل للجواب ، واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هى فقل له لله العزة جميعا ، وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره

(إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه فى الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان ما لموافق الشيطان وما لمخالفه . ونزل فى أبى جهل وغيره (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَآهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا ، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على المزين لهم (حَسَرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفى قراءة الريح (فَتُثِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أى تزعجه (فَسُقْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لانبات بها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أى أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) أى البعث والإحياء (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) أى فى الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطلبه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ،

الرسالة القشيرية

تأليف

الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن
ابن عبد الملك ابن أبي طالب القشيري
النيسابوري القرشي
(٤٥٦هـ)

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

وبهامشه

منتخبات من شرح شيخ الإسلام
أبي يحي ذكريا الأنصاري الشافعي

طبعة جديدة مصححة ومنقحة

مؤسسة الكتب الثقافية

بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بأنه مؤمن حقاً غير صحيح.

[١٤] سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبري يقول سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول ينظر إليه تعالى المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية، وقال أبو الحسن النوري شاهد الحق القلوب فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب محمد ﷺ فأكرمه بالمعراج تعجيلاً للرؤية والمكالمة.

[١٥] سمعت الإمام أبا بكر محمد ابن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت محمد بن المحبوب خادم أبي عثمان المغربي يقول قال لي أبو عثمان المغربي يوماً يا محمد لو قال لك أحد أين معبودك إيش تقول قال قلت أقول حيث لم يزل قال فإن قال أين كان في الأزل إيش تقول قال قلت أقول حيث هو الآن يعني أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان[١] قال فارتضى مني ذلك ونزع قميصه وأعطانيه.

[١٦] وسمعت الإمام أبا بكر ابن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا بمكة إني أسلمت الآن إسلاماً جديداً.

[١٧] سمعت محمد بن الحسين السلمي رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول وقد سئل عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة[٢].

[١٨] وقال الواسطي لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله وظهرتا به لا بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح صرح بهذا الكلام أن[٣] أكساب العباد مخلوقة لله تعالى وكما أنه لا خالق للجواهر إلا الله تعالى فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى[٤].

[١٩] سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول من ظن أنه

---

(١) أي فلا حيث أي مكان له كما لا زمان له لأنه الخالق لكل مكان وزمان.

(٢) أي القديمة وهي صفة تؤثر في الشيء عند تعلقها به فهم وأفعالهم كلها مخلوقة لله تعالى خلافا للقدرية ولا حاجة لقوله فقال.

(٣) أي ليفيد أن.. إلخ.

(٤) فجميع الجواهر والأعراض حادثة لأنها أقسام للعالم إذ هو إما قائم بنفسه أو بغيره والثاني العرض والأول ويسمى بالعين وهو محل الثاني المقوم له إما مركب وهو الجسم أو غير مركب وهو الجوهر الفرد.

وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾[1] ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾[2] فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله.

[٣٣] وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[3] فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمة كما شاء سبحانه.

[٣٤] وسئل الشبلي عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[4] فقال الرحمٰن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمٰن استوى.

[٣٥] وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[5] فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء.

[٣٦] وقال جعفر الصادق من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان في شيء لكان محصوراً ولو كان من شيء لكان محدثاً.

[٣٧] وقال جعفر الصادق أيضاً في قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[6] من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة إنما التداني أنه كلما قرب منه بعده عن أنواع المعارف إذ لا دبر ولا بعد.

[٣٨] ورأيت بخط الأستاذ أبي علي أنه قيل لصوفي أين الله؟ فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين.

[٣٩] أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمٰن السلمي قال سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول سمعت أبا القاسم ابن [أبي][7] موسى يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت الأنصاري يقول سمعت الخراز يقول: حقيقة القرب فقد حسّ الأشياء من القلب وهدوّ الضمير إلى الله تعالى.

---

(١) سورة طه: الآية (٤٦).
(٢) سورة المجادلة: الآية (٧).
(٣) سورة طه: الآية (٥).
(٤) سورة طه: الآية (٥).
(٥) سورة طه: الآية (٥).
(٦) سورة النجم: الآية (٨).
(٧) سقط من الأصل.

أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه.

[٦٤] وقال الفضيل: لو حلفت أني مراء أحبّ إليّ من أن أحلف أني لست بمراء.

[٦٥] وقال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء والعمل لأجل الناس هو الشرك.

[٦٦] وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه عليّ، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله أحبّ أمراً فأحببت ذلك.

[٦٧] وقال الفضيل: إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي.

(ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي) كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب وهو من موالي عليّ بن موسى الرضا رضي الله عنه مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين وكان أستاذ السرى السقطي وقد قال له يوماً: إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي، سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله تعالى يقول: كان معروف الكرخي أبواه نصرانيان فسلموا معروفاً إلى مؤدبهم وهو صبيّ فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو واحد فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً فهرب معروف فكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيّ دين يشاء فنوافقه عليه ثم إنه أسلم على يدي عليّ بن موسى الرضا ورجع إلى منزله ودقّ الباب فقيل من بالباب؟ فقال معروف، فقالوا على أيّ دين جئت؟ فقال على الدين الحنيفي فأسلم أبواه.

[٦٨] سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا بكر الحربي يقول سمعت سريا السقطي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش فيقول الله عزّوجلّ لملائكته من هذا فيقولون أنت أعلم يا رب فيقول هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي.

[٦٩] وقال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقرّبك إلى رضا مولاك، فقلت وما ذلك العمل؟ فقال دوام طاعة ربك وخدمة المسلمين والنصيحة لهم.

[٧٠] سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت عليّ بن محمد الدلال يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بقبولي موعظة ابن السماك ولزوم الفقر ومحبتي للفقراء.

[٧١] وموعظة ابن السماك ما قاله معروف كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال

صفة الصفوة

للإمام العالم
جمال الدين أبي الفرج
ابن الجوزي
٥١٠ - ٥٩٧ هجرية

ضبطها وكتب هوامشها
إبراهيم رمضان و سعيد اللحام

المجلد الأول

الجزء الأول

طبعة سنة
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم فقال النبي ﷺ : «كم من عذقٍ رَداحٍ في الجنة لأبي الدحداح».

وعن أنس أن رجلاً أتي النبي ﷺ فقال: يا رسول إن لفلان نخلة، وإن قِوامَ حائطي بها فأمُرْه أن يعطيني إياها حتى أقيم بها حائطي. فقال النبي ﷺ : أعطها إياه بنخلة في الجنة. فأبى فأتي أبو الدحداح الرجلَ فقال: بِعني نخلتك بحائطي. ففعل. فأتي أبو الدحداح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها. فقال النبي ﷺ : «كم من عذقٍ ردَاح لأبي الدحداح في الجنة». قالها مراراً. فأتي أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح، أخرجي من الحائط فقد بعتـه بنخلة في الجنة. فقـالت: رَبحَ البيعُ، ربح البيـع. أو كلمةً تشبهها.

٧٢ ـ خبيب بن عدي بن مالك

شهد أُحداً مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بني لَحيان فأسروه هو وزيد بن دَثِنَة، فباعوهما من قريش فقتلوهما وصلبوهما بمكة بالتنعيم(١).

وروى البخاري من حديث أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ عشرةً عيْناً(٢) فأمّر عليهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانوا بالهدة بين عُسْفان ومكة ذُكروا لحيٍّ من هذيل، يقال لهم بنو لِحْيان، فنفروا إليهم بقريبٍ من مائة رجل رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزلٍ نزلوه فقالوا: تمرُ يثرب. فاتبعوا آثارهم. فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فرمَوهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة ونزل إليهم نفر على العهد والميثاق: منهم خُبيب، وزيد بن الدَّثِنَة، ورجل آخر.

(١) هو موضع على بعد ثلاثة أميال أو أربعة من مكة.
(٢) أي العيون التي تبث لتأتي بالأخبار، وتكون كذلك بين صفوف الأعداء.

فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر فوالله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة، يريد القتلى. فجرّروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر. فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيباً، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته. فدرج بُنيّ لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مُجلِسَه على فخذه والموس بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خُبيب فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطْفاً من عِنب في يده وإنه لموثَق بالحديد وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزقٌ رزقه الله خبيباً. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدتُ. اللهم أحْصهم عدداً واقتُلهم بِدَداً ولا تُبقِ منهم أحداً. وقال:

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنبٍ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارِكْ على أوصال شِلْوٍ ممزع

ثم قام إليه أبو سَرْوَعة عقبة بن الحارث فقتله. وكان خبيب هو سَنَّ، لكل مسلمٍ قُتل صبراً، الصلاةَ.

وأبو سَرْوَعة أسلم وروى الحديث عن رسول الله ﷺ، وأخرج له البخاري في الصحيح ثلاثة أحاديث.

وقال سعيد بن عامر بن حذيم: شهدت مصرع خبيب وقد بضعَت قريش لحمه، ثم حملوه على جِذْعِة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً شِيكَ بشوكة. ثم نادى: يا محمد.

عن إبراهيم بن إسماعيل قال: أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش. قال: فجئت إلى خشبة خبيب وأنا

صحيح مسلم

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
المتوفى سنة ٢٦١ هـ

بشرح النووي

الإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي
المتوفى سنة ٦٧٧ هـ

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

ضبط نصه وصححه ورقمت كتبه وأبوابه وأحاديثه
على الطبعة التي حققها
محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

٢٩٧ ـ (١٨١) حدّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ. قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مَهْدِيٍّ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»**.

وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا. وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقط قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما وقوعها والثاني لا تقع ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم.

قوله في الإسناد: (الجهضمي وأبو غسان المسمعي). أما الجهضمي فبفتح الجيم والضاد المعجمة واسكان الهاء بينهما وقد تقدم بيانه في أول شرح المقدمة وكذلك تقدم بيان أبي غسان وأنه يجوز صرفه وترك صرفه وأن اسمه مالك بن عبد الواحد وأن المسمعي بكسر الميم الأولى وفتح الثانية منسوب إلى مسمع ابن ربيعة جد القبيلة وهذا كله وإن كان ظاهراً وقد تقدم إلا أني أعيده لطول العهد بموضعه والله أعلم.

قوله: (عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس) هو أبو بكر بن أبي موسى الأشعري واسم أبي بكر عمرو وقيل عامر.

قوله ﷺ (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر في جنة عدن). قال العلماء كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه ويقرب الكلام إلى أفهامهم ويستعمل الإستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها فعبر ﷺ عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء.

قوله ﷺ: (في جنة عدن). أي الناظرون في جنة عدن فهي ظرف للناظر.

قوله: (حدثنا عبد الله بن عمر بن ميسرة حدثني عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ قال إذا دخل

فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا! فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بْنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا! فَاسْقِنَا. قَالَ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً) حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ[1]. فَلاَ يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ

التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم وهذا كما جرى للصحابة المهاجرين وغيرهم ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان فإنهم يقاطعون من حاد الله ورسوله ﷺ مع حاجتهم في معايشهم إلى الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم فآثروا رضي الله تعالى على ذلك وهذا معنى ظاهر في هذا الحديث لا شك في حسنه وقد أنكر القاضي عياض رحمه الله هذا الكلام الواقع في صحيح مسلم وادعى أنه مغير وليس كما قال بل الصواب ما ذكرناه.

قوله ﷺ: (حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب). هكذا هو في الأصول ليكاد أن ينقلب بإثبات أن وإثباتها مع كاد لغة كما أن حذفها مع عسى لغة وينقلب بياء مثناة من تحت ثم نون ثم قاف ثم لام ثم باء موحدة. ومعناه والله أعلم ينقلب عن الصواب ويرجع عنه للامتحان الشديد الذي جرى والله أعلم.

قوله ﷺ: (فيكشف عن ساق) ضبط يكشف بفتح الياء وضمها وهما صحيحان وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة أي يكشف عن شدة وأمر مهول وهذا مثل تضربه العرب الأمر ولهذا يقولون قامت الحرب على ساق وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به. قال القاضي عياض رحمه

(١) (فيكشف عن ساق) ضبط يكشف بفتح الياء وضمها. وهما صحيحان. وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة. أي يكشف عن شدة وأمر مهول.

صحيح مسلم

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
المتوفى سنة ٢٦١ هـ

بشرح النووي

الإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي
المتوفى سنة ٦٧٧ هـ

ضبط نصه وصححه وخرج كتبه وأبوابه وأحاديثه
على الطبعة التي حققها
محمد فؤاد عبد الباقي

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

الجزء الخامس

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذٰلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا. فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا. فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

(...) **حَدَّثَنَا** إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ. حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، بِهٰذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٣٤ ـ (٥٣٨) **حَدَّثَنَا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ (وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ) قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ

قوله ﷺ: (أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فإنها مؤمنة) هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيها مذهبان تقدم ذكرهما مرات في كتاب الإيمان:

أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات المخلوقات.

والثاني: تأويله بما يليق به، فمن قال بهذا قال كان المراد امتحانها هل هي موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء كما إذا صلى المصلي استقبل الكعبة وليس ذلك لأنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصراً في جهة الكعبة بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين. أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم فلما قالت في السماء علم أنها موحدة وليست عابدة للأوثان. قال القاضي عياض لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم فمن قال بإثبات جهة فوق من غير تحديد ولا تكييف من المحدثين والفقهاء والمتكلمين تأول في السماء أي على السماء. ومن قال من دهماء النظار والمتكلمين وأصحاب التنزيه بنفي الحد وإستحالة الجهة في حقه سبحانه وتعالى تأولوها تأويلات بحسب مقتضاها، وذكر نحو ما سبق. قال: ويا ليت شعري ما الذي جمع أهل السنة والحق كلهم على وجوب الإمساك عن الفكر في الذات كما أمروا وسكتوا لحيرة العقل واتفقوا على تحريم التكييف والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شاك في الوجود وغير قادح في التوحيد بل هو حقيقته ثم تسامح بعضهم بإثبات الجهة خاشياً من مثل هذا التسامح وهل بين التكييف وإثبات الجهات فرق لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش مع التمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في المعقول غيره وهو قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ عصمة لمن وفقه الله تعالى وهذا كلام القاضي رحمه الله تعالى. وفي هذا الحديث أن

صحيح مسلم

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
المتوفى سنة ٢٦١ هـ

بشرح النووي

الإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي
المتوفى سنة ٦٧٧ هـ

ضبط نصه الصحيح ورقمت كتبه وأبوابه وأحاديثه
على الطبعة التي حققها
محمد فؤاد عبد الباقي

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

الجزء السابع

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

(. . .) **وحدّثنا** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. قَالاَ جَمِيعاً: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ الْمُنْذِرَ بْنَ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَدْرَ النَّهَارِ. بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مُعَاذٍ مِنَ الزِّيَادَةِ قَالَ: ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ خَطَبَ.

٧٠ ـ (. . .) **حدّثني** عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الأُمَوِيُّ. قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. فَأَتَاهُ قَوْمٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ. وَسَاقُوا الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ. وَفِيهِ: فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ صَعِدَ مِنْبَراً صَغِيراً. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ الآيَةَ».

٧١ ـ (. . .) **وحدّثني** زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ وَأَبِي الضُّحَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلاَلٍ الْعَبْسِيِّ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. عَلَيْهِمُ الصُّوفُ. فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ. قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ. فَذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِهِمْ.

أحدهما: معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه.

والثاني: شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوطاً مذهبة يرى بعضها أثر بعض، وأما سبب سروره ﷺ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لما ذكرناه.

قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها) إلى آخره، فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله: فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفاتح لباب هذا الإحسان، وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة، وقد سبق بيان هذا في كتاب صلاة الجمعة، وذكرنا هناك أن البدع خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة.

قوله: (عن عبد الرحمن بن هلال العبسي) هو بالباء الموحدة.

كتاب الإرشاد

إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد

تأليف

إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي
المتوفى سنة ٤٧٨ هـ

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

علق عليه وخرج آياته وأحاديثه
الشيخ زكريا عميرات

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فإذا تبين ذلك في معنى الوقت، فليس من شرط وجود الشيء أن يقارنه موجود آخر، إذا لم يتعلق أحدهما بالثاني في قضية عقلية، ولو افتقر كل موجود إلى وقت، وقدرت الأوقات موجودة، لافتقرت إلى أوقات، وذلك يجر إلى جهالات لا ينتحلها عاقل، والباري سبحانه قبل حدوث الحوادث منفرد بوجوده وصفاته، لا يقارنه حادث.

فصـــل

الباري سبحانه وتعالى قائم بنفسه، متعالٍ عن الافتقار إلى محل يحله أو مكان يُقله. واختلفت عبارات الأئمة رحمهم الله تعالى، في معنى القائم بالنفس؛ فمنهم من قال: هو الموجود المستغني عن المحل، والجوهر على ذلك قائم بنفسه؛ وقال الأستاذ الإمام أبو إسحاق رحمه الله[1]: القائم بالنفس هو الموجود المستغني عن المحل والمخصص؛ وذلك يختص عنده بالباري تعالى، إذ الجوهر، وإن لم يفتقر إلى محل يحله، فقد افتقر وجوده ابتداء إلى مخصص قادر.

والغرض المعنيّ من هذا الفصل، هو إقامة الدليل على تقدس الرب تبارك وتعالى عن الحاجة إلى محل. والدليل عليه أنه لو حل محلاً، وافتقر وجوده إليه، لكان المحل قديماً ولكان هو صفة له، إذ كل محل موصوف بما قام به، والصفة يستحيل أن تتصف بالأحكام التي توجبها المعاني. ومنبين وجوب اتصاف الباري بكونه حياً عالماً قادراً.

فصـــل

من صفات نفس القديم تعالى مخالفته للحوادث، فالرب تعالى لا يشبه شيئاً من الحوادث، ولا يشبهه شيء منها.

ولا بد في صدر هذا الفصل من التنبيه على حقيقة المثلين والخلافين. فالمثلان كل موجودين سدّ أحدهما مسدّ الآخر، وربما قيل في أحدهما: هما الموجودان اللذان يستويان فيما يجب ويجوز ويستحيل، والأولى العبارة الأولى. والمختلفان كل موجودين ثبت لأحدهما من صفات النفس ما لم يثبت للثاني.

وذهب ابن الجبائي[2] ومتأخرو المعتزلة إلى أن المثلين هما الشيئان المشتركان في أخص الصفات. ثم قالوا: الاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك فيما عداه من الصفات غير المعللة؛

(١) هو الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني الملقب بركن الدين، له كتاب جليل وقيم هو «جامع الحاوي في أصول الدين والرد على الملحدين» توفي عام ٤١٨. انظر ابن خلكان.

(٢) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي وأتباعه البهشميون مات ببغداد عام ٣٢١. انظر طبقات المعتزلة ص ٩٤ ـ ٩٦.

ذاتاً، لكان ذلك تشبيهاً منهم له بالحوادث، إذ هي ذوات موجودات. وسلكوا مسلك النفي فيما يسألون عنه من صفات الإثبات. فإذا قيل لهم الصانع موجود، أبوا ذلك، وقالوا: إنه ليس بمعدوم.

وهذا الذي قالوه لا تحقيق له. فإنا نقول: باضطراد نعلم أنه ليس بين الانتفاء والثبوت درجة؛ وهؤلاء إن نفوا الصانع أقيمت عليهم الدلائل في إثبات العلم به، وإن أثبتوه لزمهم من إثباته ما حاذروه، إذا الحوادث ثابتة تتضمن إثباته. فإن زعموا أن الصانع ثابت ولكن لا نسميه ثابتاً، لم يغنهم ذلك؛ فإن التماثل والاختلاف يتعلقان بما يثبت عقلاً، دون ما يطلق في اللغات والتسميات ثم يلزمهم أن يصفوا الرب تعالى بالوجود، ويمتنعوا من وصف الحوادث به، ففي ذلك حصول غرضهم؛ فبطل ما قالوه من كل وجه.

فإن قيل: فهل تطلقون القول بأن الله تعالى يماثل الحوادث في الوجود، أم تأبون ذلك؟ قلنا: هذا ما لا سبيل إلى إطلاقه؛ فإن القائل إذا قال الرب تعالى يماثل الحوادث، فقد وصف ذاته بالمماثلة، وإنما يشارك القديم الحادث في حكم واحد، فلا وجه لإطلاق التشبيه والتمثيل عموماً، ثم رده إلى خصوص، بل الوجه أن يقال: حقيقة الوجود تثبت على وجه واحد شاهداً وغائباً، فيقع التعرض لما فيه الاشتراك دون ما عداه.

فإن قيل: ألستم تطلقون كونه مخالفاً لخلقه، وإن كان مشاركاً للحوادث في الوجود؟ قلنا: المخالفة بين الخلافين لا تجري مجرى المماثلة؛ فإن المماثلة من حقيقتها تساوي المثلين الموصوفين بها في جميع صفات النفس، والمخالفة لا تقتضي الاختلاف في جميع الصفات؛ إذ لا تتحقق المخالفة إلا بين موجودين، فمن ضرورة إطلاق المخالفة التعرض لاشتراك المختلفين في الوجود. فلما اقتضت المماثلة تعميم الاشتراك في صفات النفس لم نطلقها، والاختلاف ليس من موضوعه التباين في كل الصفات.

فصـــل

فإن قال قائل: قد ذكرتم أنه لا يمتنع اشتراك القديم والحادث في بعض صفات الإثبات، ففصِّلوا ما يختص بالحوادث من الصفات، وهي تستحيل في حكم الإله. قلنا: نذكر أولاً ما يختص الجواهر به. فمما تختص الجواهر به التحيز، ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات.

وذهبت الكَرّامية[1] وبعض الحشوية[2] إلى أن الباري، تعالى عن قولهم، متحيز مختص بجهة

(١) شيخهم هو أبو عبد الله محمد بن كَرّام السجستاني. دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وكان يقول بأن الله مماسٌ لعرشه وأن العرش مكان له تعالى الله عما يقول. انظر الفرق بين الفرق.

(٢) أيضاً دعوا إلى التجسيم حتى قالوا: إن لله تعالى جسماً.

فوق، تعالى الله عن قولهم. ومن الدليل على فساد ما انتحلوه أن المختص بالجهات يجوز عليه المحازاة مع الأجسام، وكل ما حازى الأجسام لم يخل من أن يكون مساوياً لأقدارها، أو لأقدار بعضها، أو يحازيها منه بعضه، وكل أصل قاد إلى تقدير الإله أو تبعيضه فهو كفر صراح. ثم ما يحازي الأجرام يجوز أن يماسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها كان حادثاً، إذ سبيل الدليل على حدث الجواهر قبولها للمماسة والمباينة على ما سبق. فإن طردوا دليل حدث الجواهر، لزم القضاء بحدث ما أثبتوا متحيزاً؛ وإن نقضوا الدليل فيما ألزموه، انحسم الطريق إلى إثبات حدث الجواهر.

فإن استدلوا بظاهر قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [سورة طه: ٥]، فالوجه معارضتهم بآي يساعدوننا على تأويلها، منها قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [سورة الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [سورة الرعد: ٣٣]. فنسائلهم عن معنى ذلك؛ فإن حملوه على كونه معنى بالإحاطة والعلم، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب. وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن البرية، فنص تعالى عليه تنبيهاً بذكره على ما دونه.

فإن قيل: الاستواء بمعنى الغلبة ينبىء عن سبق مكافحة ومحاولة، قلنا: هذا باطل، إذ لو أنبأ الاستواء عن ذلك لأنبأ عنه القهر. ثم الاستواء بمعنى الاستقرار بالذات ينبىء عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كفر. ولا يبعد حمل الاستواء على قصد الإله إلى أمر في العرش، وهذا تأويل سفيان الثَّوْري رحمه الله واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [سورة فصلت: ١١]، معناه قصد إليها.

فإن قيل: هلا أجريتم الآية على ظاهرها من غير تعرض للتأويل، مصيراً إلى أنها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، قلنا: إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبىء عنه في ظاهر اللسان، وهو الاستقرار، فهو التزام للتجسيم؛ وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم، وإن قطع باستحالة الاستقرار، فقد زال الظاهر، والذي دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له، وإذا أزيل الظاهر قطعاً فلا بد بعده في حمل الآية على محمل مستقيم في العقول مستقر في موجب الشرع. والإعراض عن التأويل حذاراً من مواقعة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون. والمعنيّ بقوله تعالى: ﴿وأُخر متشابهات﴾ [سورة آل عمران: ٧] الآية. مراجعة منكري البعث لرسول الله ﷺ في استعجال الساعة، والسؤال عن منتهاها وموقعها ومرساها. والمراد بقوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [سورة آل عمران: ٧]، أي وما يعلم مآله إلا الله، ويشهد

ومما يسأل عنه قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفا﴾ [سورة الفجر: ٢٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]؛ وليس المعنيّ بالمجيء الانتقال والزوال، تعالى الله عن ذلك؛ بل المعنيّ بقوله: «وجاء ربك»، أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل.

ومن شائع الكلام التعبير عن الأمر بذي الأمر في إرادة التعظيم؛ إذ يقال: إذا جاء الأمير بطل من سواه، وليس الغرض انتقاله، بل المراد اتصال نوافذ أوامره وزواجره. وإذا كان للتأويل مجالٌ رحب، وللإمكان مَجْرَى سَهْب، فلا معنى لحمل الآية على ما يقتضي تثبيت دلالات الحدث.

ومما يجب الاعتناء به معارضة الحشوية بآيات يوافقون على تأويلها، حتى إذا سلكوا مسلك التأويل، عورضوا بذلك السبيل فيما فيه التنازع؛ فمما يعارضون به قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [سورة الحديد: ٤] فإن راموا إجراء ذلك على الظاهر، حلوا عقد إصرارهم في حمل الاستواء على العرش على الكون عليه، والتزعوا فضائح لا يبوء بها عاقل. وإن حملوا قوله: «هو معكم أينما كنتم»، وقوله: ﴿وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ [سورة المجادلة: ٧]، على الإحاطة بالخفيات، فقد تسوغوا التأويل، وهذا القدر في ظواهر القرآن كاف.

وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً، لكنا نومىء إلى تأويل ما دون منها في الصحاح. فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له؟»[1] الحديث. ولا وجه لحمل النزول على التحول، وتفريغ مكان وشغل غيره، فإن ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام. وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام.

والوجه حمل النزول، وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين، وذلك سائغ غير بعيد. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ [سورة المائدة: ٣٣]، معناه إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تخصيصاً.

ومما يتجه في تأويل الحديث أن يحمل النزول على إسباغ الله نعماءه على عباده مع تماديهم في العدوان وإصرارهم على العصيان، وذهولهم في الليالي عن تدبر آيات الله تعالى، وتذكر ما هم بصدده من أمر الآخرة. وقد يطلق النزول في حق الواحد منا على إرادة التواضع؛ فيقال: نزل الملك عن كبريائه إلى الدرجة الدنيا، إذا حُلم على رعيته، وانحط عن سطوته، مع تمكنه من تشديد الوطأة عليهم.

ومن الدليل على أن النزول ليس من شرطه الانتقال، إطلاق النزول مضافاً إلى القرآن، مع العلم باستحالة انتقال الكلام كما سبق.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٤، ٤٣، ٩٤).

الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

للعالم العلامة المحقق

القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي

المتوفى سنة ٥٤٤ هـ

وقد ذيّلناه بالحاشية اللطيفة المسمّاة

مُزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء

للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

حققه وأشرف على طباعته

عبد السلام محمد أمين

الجزءان

الأول والثاني

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

خَمْسِينَ صَلاَةً». وَذَكَرَ حَدِيثَ الإِسْرَاءِ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ هُوَ مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ. وَقَالَ جَعْفَرُ بْن مُحَمَّدٍ: أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ كقاب قوسين. وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمدٍ: وَالدُّنُوُّ مِنَ الله لاَ حَدَّ لَهُ وَمَنِ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ. وَقَالَ أَيْضاً: انْقَطَعَتِ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُوِّ، أَلاَ تَرَى كَيْف حَجَبَ جِبْرِيلَ عَنْ دُنُوِّهِ وَدَنَا مُحَمَّدٌ إِلَى مَا أُودِعَ قَلْبُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالإِيمَانِ فَتَدَلَّى بِسُكُونِ قَلْبِهِ إِلَى مَا أَدْنَاهُ وَزَالَ عَنْ قَلْبِهِ الشَّكُّ وَالارْتِيَابُ؟.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَفَّقَهُ الله: اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ هُنَا مِنَ الله أَوْ إِلَى الله فَلَيْسَ بِدُنُوِّ مَكَانٍ وَلاَ قُرْبِ مَدًى[1] بَلْ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ لَيْسَ بِدُنُوِّ حَدٍّ وَإِنَّمَا دُنُوُّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رَبِّهِ وَقُرْبُهُ مِنْهُ إِبَانَةُ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ وَإِشْرَاقُ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ وَمُشَاهَدَةُ أَسْرَارِ غَيْبِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمِنَ الله تَعَالَى لَهُ مَبَرَّةٌ[2] وَتَأْنِيسٌ وَبَسْطٌ وَإِكْرَامٌ وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ نُزُولُ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ قَالَ الْوَاسِطِيُّ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ جَعَلَ ثَمَّ مَسَافَةً بَلْ كُلُّ مَا دَنَا بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بُعْداً يَعْنِي عَنْ دَرْكِ حَقِيقَتِهِ إِذْ لاَ دُنُوَّ لِلْحَقِّ وَلاَ بُعْدَ، وَقَوْلُهُ: قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ غَائِداً إِلَى الله تَعَالَى لاَ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَى هَذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نِهَايَةِ الْقُرْبِ وَلُطْفِ الْمَحَلِّ وَإِيضَاحِ الْمَعْرِفَةِ وَالإِشْرَافِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وعِبَارَةً عَنْ إِجَابَةِ الرَّغْبَةِ وَقَضَاءِ الْمَطَالِبِ وَإِظْهَارِ التَّحَفِّي[3] وَإِنَافَةِ[4] الْمَنْزِلَةِ وَالْمَرْتَبَةِ مِنَ الله لَهُ وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: «**مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» قُرْبٌ بِالإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ، وإِتْيَانٌ بِالإِحْسَانِ وَتَعْجِيلِ الْمَأْمُولِ.

فـــصل في ذكر تفضيله ﷺ في القيامة بخصوص الكرامة

حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ وَأَبُو الْحُسَيْنِ[5] قَالاَ أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيد الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ حَرْبٍ عَنْ لَيْثٍ[6] عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

---

(١) **قوله: (مدى)** بفتح الميم وتخفيف المهملة والتنوين أي غاية.

(٢) **قوله: (مبرة)** أي برّاً.

(٣) **قوله: (التحفي)** بالمثناة الفوقية والحاء المهملة المفتوحة والفاء المشددة المكسورة أي المبالغة في الإلطاف والإكرام.

(٤) **قوله: (وإنافة)** بكسر الهمزة وتخفيف النون أي زيادة.

(٥) **قوله: (وأبو الحسين)** هو المبارك بن عبد الجبار، وفي بعض النسخ الحسن غير مصغر وليس بالحسين.

(٦) **قوله: (عن ليث)** هو ابن أبي سليم بضم السين وفتح اللام أبو بكر القرشي مولاهم الكوفي أحد العلماء، يروي عن مجاهد وطبقته.

نهاية الإقدام
في
علم الكلام

تأليف

الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

ويليه

لباب المحصل
في أصول الدين

للعلامة القاضي عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

كلاهما تحقيق

أحمد فريد المزيدي

ويليهما

الإشارة إلى مذهب أهل الحق

للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي

المتوفى سنة ٤٧٦ هـ

تحقيق

محمد حسن محمد حسن إسماعيل

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

القاعدة الرابعة

في إبطال التشبيه[1]

وفيها الرد على أصحاب الصور، وأصحاب الجهة والكرامية في قولهم إن الرب تعالى محل للحوادث.

فمذهب أهل الحق أن الله سبحانه لا يشبه شيئًا من المخلوقات ولا يُشبِهُهُ شيء منها بوجه من وجوه المشابهة والمماثلة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فليس الباري سبحانه بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا في مكان ولا في زمان ولا قابل للأعراض ولا محل للحوادث[2].

وصارت الغالبية من الشيعة إلى نوعي تشبيه أحدهما تشبيه الخالق بالخلق فقالت المغيرية والبيانية والهاشمية ومن تابعهم إنه الإله ذو صورة مثل صور الإنسان ونسج على منوالهم جماعة من مشبهة الصفاتية متمسكين بقوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورة الرحمن وفي رواية على صورته**»[3] والنوع الثاني تشبيه المخلوق بالخالق.

فقالت هؤلاء من الغالبية وجماعة أخرى: إن شخصًا من الأشخاص إله أو فيه جزء من الإله سبحانه وتعالى عن قولهم متشخص به نسجًا على منوال النصارى والحلولية في كل أمة، ومن الكرامية من صار إلى أنه جوهر وجسم.

وأطبقوا على أنه بجهة فوق وأنه محل الحوادث قالوا: إذا خلق الله سبحانه

---

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص١٥٧).

(٢) انظر: غاية المرام (ص١٨٠)، الفرق بين الفرق (ص٢٠٤، ٢١٧)، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص٣٣).

(٣) حديث صحيح: رواه مسلم (٢٠١٧/٤، ٢١٨٣)، والبخاري (٢٢٩٩/٥)، وابن حبان (١٨/١٣) (٣٣/١٤)، وأبو عوانة في مسنده (١٦٠/١)، والربيع في مسنده (٣١٤/١، ٣١٨، ٣١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٤٤/٩، ٤٤٥)، وأحمد في المسند (٢٤٤/٢، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣)، والحميدي في مسنده (٤٧٦/٢)، وعبد بن حميد في المنتخب (ص٢٨٣، ٤١٧)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤٢٢/٣، ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٩/١، ٢٣٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢٦٨/١، ٢٧٧).

تبيين كذب المفتري

فيما

نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري

تأليف

ابن عساكر *

تحقيق

الدكتور أحمد حجازي السقا

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

دار الجيل
بيروت

* هو الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكر الدمشقي، توفي سنة 571 هـ.

يقول الحافظ ابن عساكر في بيان عقيدته التي هي عقيدة أبي الحسن الأشعري نقلا عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك ما نصه :

كتب إليّ الشيخ أبو القاسم نصر بن نصر الواعظ يخبرني عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك وذكر أبا الحسن الأشعري. فقال : نضر الله وجهه، وقدس روحه، فإنه نظر في كتب المعتزلة، والجهمية، والرافضة، وإنهم عطلوا وأبطلوا. فقالوا : لا علم لله، ولا قدرة، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، ولا بقاء، ولا إرادة. وقالت الحشوية والمجسّمة والمكيّفة المحددة : إن لله علماً كالعلوم، وقدرة كالقدر، وسمعاً كالأسماع، وبصراً كالأبصار فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما. فقال : إن لله سبحانه وتعالى علماً لا كالعلوم، وقدرة لا كالقدر، وسمعاً لا كالأسماع، وبصرا لا كالأبصار. وكذلك قال جهم بن صفوان : العبد لا يقدر على إحداث شيء. ولا على كسب شيء. وقالت المعتزلة : هو قادر على الإحداث والكسب معا. فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما. فقال : العبد لا يقدر على الإحداث ويقدر على الكسب. ونفى قدرة الإحداث. وأثبت قدرة الكسب.

وكذلك قالت الحشوية المشبهة : إن الله سبحانه وتعالى يرى مكيفاً محدودا كسائر المرئيات. وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية : إنه سبحانه لا يُرَى بحال من الأحوال. فسلك رضي الله عنه طريقة بينهما. فقال يُرَى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف كما يرانا هو سبحانه وتعالى، وهو غير محدود ولا مكيف. فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيف.

وكذلك قالت النجارية : إن الباري سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة. وقالت الحشوية والمجسمة : إنه سبحانه حال في العرش وإن العرش مكان له، وهو جالس عليه. فسلك طريقة بينهما. فقال : كان ولا مكان. فخلق العرش والكرسي. ولم يحتج إلى مكان. وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه.

وقالت المعتزلة : له يد. يده : قدرة ونعمة. ووجهه : وجه وجود.

الشامل
في أصول الدين

تأليف

إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
الجويني الشافعي
المتوفى سنة ٤٧٨هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

وضع حواشيه
عبد الله محمود محمد عمر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بتسميته جسماً وجوده، وقد قدمنا في ذلك ما فيه مقنع.

وللنصارى مسلك في تسمية القديم جوهراً تعالى الله عن قولهم، وسنعقد عليهم باباً بعد الفراغ من الكلام على المنتمين إلى الإسلام.

فأما من قال: لله تعالى خصائص الجواهر وأحكامها، فالقول يتشعب على هؤلاء ويفضي إلى مسائل منها: التحيز، والاختصاص ببعض الجهات، ومنها قبول الحوادث والأعراض. ونحن الآن نوضح مقصدنا في نفي الجهات، ثم نتعطف على تبيين انتفاء خصائص الجواهر عن القديم من سائر الوجوه.

واعلموا أن مذهب أهل الحق: أن الرب سبحانه وتعالى يتقدس عن شغل حيز، وينتزه عن الاختصاص بجهة.

وذهبت المشبهة إلى أنه ـ تعالى عن قولهم ـ مختص بجهة فوق. ثم افترقت آراؤهم بعد الاتفاق منهم على إثبات الجهة. فصار غلاة المشبهة إلى أن الرب تعالى مماس للصفحة العليا من العرش، وهو مماسّة. وجوزوا عليه التحول والانتقال، وتبدل الجهات، والحركات والسكنات. وقد حكينا جملاً من فضائح مذهبهم فيما تقدم.

وصار أوائل الكرامية إلى ذلك، ثم تبرأ منهم المتأخرون منهم، ومنعوا مماسّة الرب شيئاً من الأجسام. وافترقوا في تفصيل قولهم. فذهب هيصم وأتباعه إلى أن الرب تعالى مختص بجهة فوق، وإذا رؤي وأدرك، أدرك منها، وبين ذاته وبين أعلى جزء من العالم من الخلاء ما لو قدّر مشغولاً بالجواهر لاتصلت بذاته. وليس الخلاء الذي ذكرناه موجوداً، ولكن سميناه لضيق العبارة للتوصل إلى الأفهام.

وصار طائفة من الكرامية يعرفون بالثونية إلى أن القديم في جهة فوق، ولو قدر فوق الطبقة العليا من العالم من تراكم الجواهر ما يزيد على أضعاف الدنيا. لما بلغت ذات القديم سبحانه.

ومما يتعين الانفصام به في هذه المسألة إفراد طائفة عن أحزاب أهل الحق مع انتمائهم إليهم، وذلك أن بعض من يعزي إلى علم التوحيد، ويتعلى بزعمه عن رذيلة التقليد، صار إلى أن القديم مستو على عرشه، ويأبى من تأويل الاستواء وحمله على بعض المحامل المشهورة في الاستواء.

وسبيل الكلام مع هؤلاء أن نقول: هل تعتقدون اختصاص القديم بجهة من الجهات، أم تأبون ذلك؟

الفتاوى الحديثية

تأليف

خاتمة الفقهاء والمحدثين

شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكّي المصري

الشافعي السعدي الأنصاري شهاب الدين، أبي العباس

(ت ٩٧٤ هـ)

طبعة جديدة مدققة ومصححة

قدم لها

محمد عبد الرحمن المرعشلي

اعتنى بها

مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي

دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

فَتْحَ مِثْلِ هذا الباب للعوام وسلوك طريق التأويل فيه إفساد لاعتقادهم، وإلقاء تشكيكات عظيمة في دينهم وتهييج لفتنتهم، وأرى هذا مثل الرجل الذي سأل مالكاً عن معنى قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقال مالك: الاستواء معلوم أو معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن هذا بدعة وأراك رجل سوء أخرجوه عني، وزاد بعضهم في الحكاية: فأدبر الرجل وهو يقول: يا أبا عبد الله لقد سألتُ عنها أهل العراق وأهل الشام فما وقف أحد فيها توقيفك، وأنت ترى مالكاً كيف أدب هذا الرجل وزجره الزجر التام وهو لم يصدر منه إلا السؤال عن بعض المتشابه فما ظنك بمن صرح بما صرح به.

وقضية عمر رضي الله عنه مع صُبيغ وضربه إياه المرّة بعد المرّة لسؤاله عن المتشابهه مشهورة حتى قال له: إن كنت تريد قتلي فاقتلني وإلا فقد أخذت أربي.

واختلف في تأويل قول مالك المذكور فصرفه ابن عبد البرّ إلى مذهبه، وظاهر حكاية غيره أنه وقف عن الكلام فيها كمذهب الواقفية، ومنهم من نحا به مذهب المتكلمين، وأشار ابن التلمساني في **«شرح المعالم»** فقال: يعني أن محامل الاستواء في اللغة معلومة بعد القطع بأن الاستقرار غير مراد، بل المراد به القهر والاستيلاء أو القصد إلى التناهي في صفات الكمال، وقوله والكيف مجهول: يعني أن تعيين محمل من المحامل اللائقة مجهول لنا، وقوله والإيمان به واجب: أي التصديق بأن له محملاً يصحّ واجب، وقوله والسؤال عنه بدعة أي تعيينه بالطرق الظنية فإنه تصرف في أسماء الله تعالى وصفاته بزعم الظنون وما لم يعهد زمن الصحابة رضي الله عنهم فهو بدعة انتهى، وهو يشير إلى ما قدمناه من الخلاف فيما ورد من مثل هذه الظواهر هل يتكلم فيها أم لا؟

واختلف تأويل حديث السوداء المذكور في السؤال، فقال المازري: أراد ﷺ أن يطلب دليلاً على أنها مُوَحِّدة فخاطبها بما يفهم من قصدها لأن علامة الموحدين التوجه إلى السماء عند الدعاء وطلب الحوائج، فإن من كان يعبد الأصنام يطلب حوائجه منها ومن يعبد النار يطلب حوائجه منها أيضاً، فأراد ﷺ الكشف عن معتقدها أهي مؤمنة أم لا؟ فأشارت إلى الجهة التي يقصدها الموحدون وقيل وقع السؤال لها بأين لأجل أنه أراد السؤال عما تعتقده من جلالة الباري وعظمته جل وعلا، فأشارت إلى السماء إخباراً عن جلالته سبحانه في نفسها لأنها قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين، وكذلك اختلف في تأويل ما ذكره ابن أبي زيد في **«رسالته»** وقد مر آنفاً على أنه ذكره في **«المختصر»** على وجه لا يشكل، والله أعلم.

[مطلب: هل استحضار الذكر تفصيلاً أولى أو الإجمال أولى للذاكر؟]

٦٧ ـ **وسئل رضي الله عنه:** هل الأولى للذاكر استحضار معاني ذكره التفصيلية، كأن

المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما كما يأتي.

والحاصل أنْ لا يقام لكلامه وزن بل يُرْمَى في كلّ وَغْر وحَزَن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالّ ومُضِلّ جاهل غال عامله الله بعدله، وأجازنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين.

وحاصل ما أشير إليه في السؤال أنه قال في بعض كلامه: إن في كتب الصوفية ما هو مبني على أصول الفلاسفة المخالفين لدين المسلمين فيتلقى ذلك بالقبول مَنْ يطالع فيها من غير أنْ يعرف حقيقتها، كدعوى أحدهم أنه مُطَّلع على اللوح المحفوظ، فإنه عند الفلاسفة كابن سينا وأتباعه النفس الفلكية، ويزعم أن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية، أو بالعقل الفعّال يقظة أو مناماً، وهم يدّعون أن ما يحصل من المكاشفة يقظة أو مناماً هو بسبب اتصالها بالنفس الفلكية عندهم، وهي سبب حدوث الحوادث في العالم فإذا اتصلت بها نفس البشر استنقش فيها ما كان في النفس الفلكية، وهذه الأمور لم يذكرها قدماء الفلاسفة وإنما ذكرها ابن سينا، ومن يتلقى عنه، ويوجد من ذلك في بعض كلام أبي حامد، وكلام ابن عربي، وابن سبعين وأمثال هؤلاء تكلموا في التصوف، والحقيقة على قاعدة الفلاسفة لا على أصول المسلمين، ولقد خرجوا بذلك إلى الإلحاد كإلحاد الشيعة، والإسماعيلية، والقرامطة، والباطنية، بخلاف عُبَّاد أهل السنة والحديث ومتصوفتهم، كالفُضَيلْ وسائر رجال الرسالة، وهؤلاء أعظم الناس إنكاراً لطرق مَنْ هم خيرٌ من الفلاسفة كالمعتزلة والكرامية فكيف بالفلاسفة، وأهل التصوف ثلاثة أصناف: قوم على مذهب أهل الحديث والسنة كهؤلاء المذكورين، وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكرامية وغيرهم، وقوم خرجوا إلى طريق الفلسفة مثل مَسْلك من سَلَك رسائل إخوان الصفا، وقطعة توجد في كلام أبي حيان التوحيدي، وأما ابن عربي وابن سبعين ونحوهما فجاءوا بقطع فلسفية غيروا عبارتها وأخرجوها في قالب التصوف، وابن سينا تكلم في آخر الإرشادات على مقام العارفين بحسب ما يليق بحاله، وكذا معظم من لم يعرف الحقائق الإيمانية.

[مطلب: على أن أبا بكر بن العربي من أصحاب الغزالي وفيما جرى من ابن تيمية إلخ]

والغزالي ذكر شيئاً من ذلك في بعض كتبه لا سيما في الكتاب المضنُون به على غير أهله، ومشكاة الأنوار ونحو ذلك، حتى ادعى صاحبه أبو بكر بن العربي فقال: شيخنا دخل في نظر الفلاسفة، وأراد أن يخرج منهم فما قدر، لكن أبو حامد يكفِّر الفلاسفة في غير موضع ويبيِّن فساد طريقتهم، وأنها لا تحصِّل المقصود واشتغل في آخر عمره بالبخاري ومات

على ذلك، وقيل إنه رجع عن تلك الكتب، ومنهم مَنْ يقول إنها مكذوبة عليه، وكثر كلام الناس فيها لأجلها كالمازري والطرطوشي وابن الجوزي وابن عقيل وغيرهم انتهى حاصل كلام ابن تيمية.

وهو يناسب ما كان عليه من سوء الاعتقاد حتى في أكابر الصحابة ومنْ بعدهم إلى أهل عصره وربما أداه اعتقاده ذلك إلى تَبْديع كثير منهم.

ومن جملة مَنْ تتبَّعه الولي القطب العارف أبو الحسن الشاذلي نفعنا الله بعلومه ومعارفه في حزبه الكبير وحزب البحر وقطعة من كلامه، كما تتبَّع ابنَ عربي وابنَ الفارض وابنَ سبعين، وتتبع أيضاً الحلاَّج الحسين بن منصور، ولا زال يتتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه، وبدَّعوه بل كفَّره كثير منهم، وقد كتب إليه بعض أجلاء أهل عصره علماً ومعرفة سنة خمس وسبعمائة مِنْ فلان إلى الشيخ الكبير العالم إمام أهل عصره بزعمه، أما بعد فإنا أحببناك في الله زماناً، وأعرضنا عما يقال فيك إعراض الفَضْل إحساناً، إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه العقل والحس، وهل يَشُكُّ في الليل عاقل إذا غربت الشمس، وأنك أظهرتَ أنك قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله أعلم بقصدك ونيتك، ولكنَّ الإخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول، وما رأينا آل أمرك إلا إلى هتك الأستار والأغراض، باتباع من لا يوثق بقوله مِنْ أهل الأهواء والأغراض، فهو سائر زمانه يَسُبُّ الأوصاف والذوات، ولم يقنع بِسَبِّ الأحياء، حتى حكم بتكفير الأموات ولم يكْفِه التعرض على من تأخر من صالحي السلف، حتى تعدى إلى الصدر الأول، ومن له أعلى المراتب في الفضل فيا وَيْحَ مَنْ هؤلاء خُصماؤه يوم القيامة، وهيهات أنْ لا يناله غضب، وأنَّى له بالسلامة،وكنتُ ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

إن عمر له غلطات وبَلِيَّات وأيُّ بليات. وأخبر عنه بعض السلف أنه ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مجلس آخر فقال: إن علياً أخطأ في أكثر من ثلاثمائة مكان، فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب؟ إذا أخطأ عليّ بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه والأمر إلى مقتضاه، ولاينفعني إلا القيام في أمرك ودفع شرك، لأنك قد أفرَطْتَ في الغي ووصل أذاك إلى كل ميت وحي، وتلزمني الغيرة شرعاً لله ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء، وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذين بهم الوصْل والقطع، إلى أن يحصل منك الكَفُّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين اهـ.

واعْلم أنه خالف الناس في مسائل نبه عليها التاج السبكي وغيره.

فمما خرق فيه الإجماع قوله في: عليَّ الطلاق أنَّه لا يقع عليه بل عليه كفارة يمين،

ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله، وأن طلاق الحائض لا يقع، وكذا الطلاق في طُهْر جامع فيه، وأن الصلاة إذا تركت عمداً لا يجب قضاؤها، وأن الحائض يباح لها بالطواف بالبيت ولا كفارة عليها، وأن الطلاق الثلاث يُردُّ إلى واحدة، وكان هو قبل ادّعائه ذلك نقل إجماع المسلمين على خلافه، وأن المكوس حلال لمن أقطعها، وأنها إذا أخذت من التجّار أجزأتهم عن الزكاة وإن لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها، وأن المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة، وأن الجنب يُصَلِّي تطوّعه بالليل ولا يؤخره إلى أن يغتسل قبل الفجر، وإنْ كان بالبلد، وأن شرط الواقف غير مُعْتبَر، بل لو وقف على الشافعية صرف إلى الحنفية وبالعكس، وعلى القضاة صُرِف إلى الصوفية، في أمثال ذلك من مسائل الأصول مسألة الحسن والقُبْح التزم كل ما يرد عليها، وإن مخالف الإجماع لا يكفر ولا يفسق، وأن ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً مَحلُّ الحوادث تعالى الله عن ذلك وتقدس، وأنه مُرَكَّبٌ تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء تعالى الله عن ذلك وتقدس، وأن القرآن محدث في ذات الله تعالى الله عن ذلك، وأن العالم قديم بالنوع، ولم يزل مع الله مخلوقاً دائماً فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار تعالى الله عن ذلك، وقوله بالجِسْميّة والجهة والانتقال، وأنه بقَدْر العرش لا أصْغَرَ ولا أكبر تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح، والكفر البراح الصريح، وخذل مُتَّبِعيه وشتت شَمْل معتقديه، وقال: إن النار تفنى، وأن الأنبياء غير معصومين، وأن رسول الله ﷺ لا جاه له ولا يتوسل به، وأنَّ إنشاء السفر إليه بسبب الزيارة معصية لا تُقصر الصلاة فيه، وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسّة إلى شفاعته، وأن التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظهما وإنما بدلت معانيهما اهـ.

وقال بعضهم: ومن نظر إلى كتبه لم ينسب إليه أكثر هذه المسائل غير أنه قائل بالجهة وله في إثباتها «جزء»[1]، ويلزم أهل هذا المذهب الجسمية والمحاذاة والاستقرار: أي فلعله في بعض الأحيان كان يصرح بتلك اللوازم فنسبت إليه ذلك من أئمة الإسلام المتفق على جلالته، وإمامته، وديانته، وأنه الثقة العدل المرتضى المحقق المدقق، فلا يقول شيئاً إلا عنْ تثبُّت وتحقق ومزيد احتياط وتحرٍّ سيما إنْ نَسَبَ إلى مسلم ما يقتضي كُفْره وردّته وضلاله وإهدار دمه، فإن صحّ عنه مُكفِّر أو مبدع يعامله الله بعدله وإلا يغفر لنا وله.

[مطلب: ما حكم علم الرمل؟]

٧٠ ـ **وسئل نفع الله به بما لفظه:** ما حكم علم الرمل وفعله؟ وهل يصح أخذ الأجرة عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل النبي ﷺ عن الخط فقال: «كان نبيّ من الأنبياء يَخطُّ فمن وافق خَطَّه علم»، وفي رواية: «فمن وافق فهو الخط» ويقال إن

(١) وأين هو؟ اهـ. مصححه.

البحر الرائق

شرح

كنز الدقائق

(في فروع الحنفية)

للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود المعروف بحافظ الدين النسفي

المتوفى سنة ٧١٠هـ

والشرح «البحر الرائق»

للإمام العلامة الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي

المتوفى سنة ٩٧٠هـ

ومعه الحواشي المسماة

منحة الخالق على البحر الرائق

للعلامة الشيخ محمد أمين عابدين بن عمر عابدين بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين الدمشقي الحنفي

المتوفى سنة ١٢٥٢هـ

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

ضبطه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ زكريا عميرات

تنبيه

وضعنا متن كنز الدقائق في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفله مباشرة متن «البحر الرائق»

ووضعنا في أسفل الصفحات حواشي الشيخ ابن عابدين

الجزء الخامس

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

المجنون ولا الصبي الذي لا يعقل، وأما من جنونه متقطع فإن ارتد حال الجنون لم يصح، وإن ارتد حال إفاقته صحت، وكذا لا تصح ردة السكران الذاهب العقل. والبلوغ ليس بشرط لصحتها من الصبي عندهما خلافاً لأبي يوسف، وكذا المذكورة ليست شرطاً ومنها الطوع فلا تصح ردة المكره عليها اهـ. والإيمان التصديق بجميع ما جاء به محمد ﷺ عن الله تبارك وتعالى مما علم مجيئه به ضرورة. وهل هو فقط أو هو مع الإقرار؟ قولان فأكثر الحنفية على الثاني والمحققون على الأول. والإقرار شرط إجراء أحكام الدنيا بعد الاتفاق على أنه يعتقد متى طولب به أتى به، فإن طولب به فلم يقر فهو كفر عناد. والكفر لغة الستر وشرعاً تكذيب محمد ﷺ في شيء مما يثبت عنه ادعاؤه ضرورة. وفي المسايرة: ولاعتبار التعظيم المنافي للاستخفاف كفر الحنفية بألفاظ كثيرة وأفعال تصدر من المتهتكين لدلالتها على الاستخفاف بالدين كالصلاة بلا وضوء عمداً بل بالمواظبة على ترك سنة استخفافاً بها بسبب أنه إنما فعلها النبي ﷺ وزيادة أو استقباحها كمن استقبح من آخر جعل بعض العمامة تحت حلقه أو إحفاء شاربه اهـ. وفي فتح القدير: ومن هزل بلفظ كفر ارتد وإن لم يعتقده للاستخفاف فهو ككفر العناد والألفاظ التي يكفر بها تعرف في الفتاوى اهـ. فهذا وما قبله صريح في أن ألفاظ التكفير المعروفة في الفتاوى موجبة للردة عن الإسلام حقيقة. وفي البزازية: ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أنه يكفر بكذا وكذا فذاك للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر وهذا كلام باطل إلى آخره. والحق أن ما صح عن المجتهد فهو على حقيقته، وأما ما ثبت عن غيره فلا يفتي به في مثل التكفير ولذا قال في فتح القدير من باب البغاة: إن الذي صح عن المجتهدين في الخوارج عدم تكفيرهم ويقع في كلام أهل المذهب تكفير كثير لكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء اهـ.

فيكفر إذا وصف الله تعالى بما لا يليق به أو سخر باسم من أسمائه أو بأمر من أوامره أو أنكر وعده أو وعيده أو جعل له شريكاً أو ولداً أو زوجة أو نسبه إلى الجهل أو العجز أو النقص. واختلفوا في قوله فلان في عيني كاليهودي في عين الله فكفره الجمهور، وقيل لا إن عنى به استقباح فعله، وقيل يكفر إن عنى الجارحة لا القدرة، والأصح مذهب المتقدمين في المتشابه كاليد، واختلفوا في جواز أن يقال بين يدي الله. ويكفر بقوله يجوز أن يفعل الله فعلاً لا حكمة فيه وبإثبات المكان لله تعالى فإن قال الله في السماء فإن قصد حكاية ما جاء في

اللفظة، وقيل تجوز فإنه قد جاء في الحديث أنه يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط. قال شمس الأئمة الحلواني رحمه الله: هذا اللفظ موسع بالعربية والفارسية يطلق على الله تعالى وإن كان تعالى منزهاً عن الجهة، وجوزه السرخسي أيضاً ومن يتحرز عن إطلاقه بالفارسية فإنما ذلك مخافة فتنة

ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر، وإن لم يكن له نية كفر عند الأكثر وهو الأصح وعليه الفتوى. ويكفر إن اعتقد أن الله تعالى يرضى بالكفر، وبقوله لو أنصفني الله تعالى يوم القيامة انتصفت منك، أو إن قضى الله يوم القيامة أو إذا أنصف الله، وبقوله بارك الله في كذبك، وبقوله الله جلس للإنصاف أو قام له، وبقوله هذا لا يمرض هذا ممن نسبه الله أو منسي الله على الأصح، وبوصفه تعالى بالفوق أو بالتحت، وبظنه أن الجنة وما فيها للفناء عند البعض، وبقوله لامرأته أنت أحب إلي من الله وقيل لا، وبقوله لا أخاف الله أو لا أخشاه عند البعض ومحل الاختلاف عند عدم قصد الاستهزاء، وبقولها لا جواباً لقوله أما تعرفين الله على الظاهر، وبقوله لا أريد اليمين بالله وإنما أريد اليمين بالطلاق أو بالعتاق عند البعض خلافاً للعامة وهو الأصح وبقوله رأيت الله في المنام، وبقوله المعدوم ليس بمعلوم الله تعالى، وبقول الظالم أنا أفعل بغير تقدير الله تعالى، وبإدخاله الكاف في آخر الله عند ندائه من اسمه عبد الله وإن كان عالماً على الأصح، وبتصغير الخالق عمداً عالماً، وبقوله ليتني لم أسلم إلى هذا الوقت حتى أرث أبي، وبقوله إن كنت فعلت كذا أمس فهو كافر وهو يعلم أنه قد فعله إذا كان عنده أنه يكفر به وعليه الفتوى، وبقوله الله يعلم أني فعلت كذا وهو يعلم أنه ما فعل عند العامة إن كان اختياراً لا مخافة، وبقوله إن كنت قلته فأنا كافر وهو يعلم أنه قاله، وبقوله أنا بريء من الله لولا ولم يتم تعليقه خلافاً للبعض قياساً على أنت طالق ثلاثاً لولا لم يقع، وبقولها نعم جواباً لقوله أتعلمين الغيب، وبتزوجه بشهادة الله ورسوله، وبقوله فلان يموت بهذا المرض عند البعض، وبقوله عند رقاء الهامة يموت أحد عند البعض والأصح عدمه، وبقوله عند رؤية الدائرة التي تكون حول القمر يكون مطر مدعياً علم الغيب، وبرجوعه من سفره عند سماع صياح العقعق عند البعض، وبإتيان الكاهن وتصديقه، وبقوله أنا أعلم المسروقات، وبقوله أنا أخبر عن أخبار الجن إياي، وبعدم الإقرار ببعض الأنبياء عليهم السلام أو عيبه نبياً بشيء أو عدم الرضا بسنة من سنن المرسلين، وبقوله لا أعلم أن آدم عليه السلام نبي أولا، ولو قال آمنت بجميع الأنبياء عليهم السلام وبعدم معرفة أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء عند البعض وبنسبته نبياً إلى الفواحش كعزمه على الزنا وقيل لا، وبقوله إن الأنبياء عصو وإن كان معصية كفر، وبقوله لم تعص الأنبياء حال النبوة وقبلها لرده النصوص لا بقوله لا أقبل شفاعة النبي ﷺ في الإمهال فكيف أقبلها منك، ولا بأنكاره نبوة الخضر وذي الكفل عليهما السلام لعدم الإجماع على نبوتهما، ويكفر من أراد بغض النبي ﷺ بقلبه وبقوله لو كان فلان نبياً لا أؤمن به لا بقوله لو كان صهري رسول الله لا أئتمر بأمره، ويكفر بقوله إن كان ما قال الأنبياء حقاً أو صدقاً، وبقوله أنا رسول الله وبطلبه المعجزة حين ادعى

الجهال فأما من حيث الدين فلا بأس به. قوله: **(وبقوله أنا أخبر عن إخبار الجن إياي)** قال في

إشارات المرام
من
عبارات الإمام
أبي حنيفة النعمان
في أصول الدين

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

تأليف
الشيخ كمال الدين أحمد بن حسين بن سنان الدين
البياضي زاده الرومي الحنفي البسنوي
المتوفى ١٠٩٧ هـ

خرج أحاديثه ووضع حواشيه
أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

كذلك، فعلى هذا التقدير يلزم أن تكون ذاته تعالى قابلة للحركة والسكون، وكل ما كان كذلك وجب القول بكونه محدثًا لما مرَّ في مسألة حدوث العالم؛ وحدوثه محالٌ؛ لأنه المحدث للحوادث، فكونه مشابهًا للأجسام أو جسمًا محال، كما في التقديس، وإليه أشار بأن يده ليست كأيدي خلقه، وهو خالق الأيدي، وأن وجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه.

الثانية: الاستدلال بأنه لو كان جسمًا كان متألف الأجزاء، وتلك الأجزاء قد تكون مماثلة لأجزاء سائر الأجسام، ووجب أن يصح على تلك الأجزاء ما يصح عليها؛ لأن من حكم المتماثلين الاستواء في جميع اللوازم، وعلى هذا التقدير لا بدَّ له من مركِّبٍ ومؤلِّفٍ، وذلك على الخالق تعالى شأنه محال.

وإليه أشار بقوله: ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالقُ كل النفوس.

الثالثة: الاستدلال عليه بالآية، حيث نفى المماثلة للأشياء على طريق البرهان؛ لأن ثبوت مثله تعالى يستلزم ثبوت مثل مثله، فنفى اللازم وجعل دليلاً على انتفاء الملزوم، ودلَّ على أنه لا يماثل الأشياء ولا يصح عليه ما يصح عليها، فلا يصح عليه أن يكون جسمًا أو جوهرًا، وإلا وجب أن يصح عليه كل ما يصح على غيره، وذلك يقتضي جواز التغير عليه، وكل متغيرٍ حادث، ووقوع الكثرة والتركيب في ذاته المخصوصة، وكل مركب ممكن لا واجب، كما في كتاب التقديس، وإليه أشار باقتباس الآية.

(ص): (**وقال في الوصية: وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياجٍ، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان في مكانٍ محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله؟**).

(ش): الثالث: ما أشار إليه (**وقال في الوصية: وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياجٍ**)، ولو كان في مكانٍ لكان محتاجًا إليه بالضرورة، ولم يكن حافظًا له؛ لأن المتمكن محتاج إلى مكانه بحيث يستحيل وجوده بدونه، (**فلو كان محتاجًا**) إليه للقرار (**لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره**) وحفظه؛ لأن المحتاج عاجزٌ في نفسه فكيف يقدر على تدبير غيره، (**كالمخلوقين**)، مع أن المكان مستغنٍ عن المتمكن؛ لجواز الخلاء، والمستغني عن الواجب مستغنٍ عمَّا سِوَاه بالطريق الأولى، فيكون واجبًا مع كونه محتاجًا إلى الواجب تعالى في الإيجاد والحفظ والإبقاء.

وفيه إشارات:

الأولى: الاستدلال بأن كونه تعالى في مكانٍ مستلزم لإمكان الواجب ووجوب المكان؛ لأن المتمكن محتاجٌ إلى مكانه، والمكان مستغنٍ عن المتمكن، وهو باطلٌ بالضرورة كما في المواقف، وإليه أشار بالشرطية المذكورة.

الثانية: الاستدلال بأنه تعالى لو كان متحيزًا لكان مساويًا لسائر المتحيزات في الحقيقة، فيلزم حينئذٍ إما قدم الأجسام أو حدوثه؛ لأن المتماثلات تتوافق في الأحكام كما في شرح المواقف، وإليه أشار بقوله: فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين.

الثالثة: الجواب بأن كون كل موجودٍ متحيزًا أو حالاً فيه غير مسلم، بل ذلك حكم الوهم بضرورته، وهو غير مقبولٍ فيما ليس بمحسوسٍ، كما في شرح المقاصد، وإليه أشار ببيان كونه تعالى حافظ العرش وغيره من غير احتياجٍ إلى حيزٍ ومكانٍ، وبيان كون الاحتياج إليه مختصًّا بالمخلوقين في المقام.

الرابع: ما أشار إليه فيها بقوله: **(ولو كان في مكانٍ محتاجًا إلى الجلوس والقرار)** مختصًّا بجهةٍ من الجهات، فإما أن يكون ذلك القرار والاختصاص في الأزل، أو يحدث له بعد حدوث العرش وحدوث الجهات، فإن كان الأول **(فقبل خلق العرش أين كان الله؟)** وكيف كان في (أين) ولا جهة في الأزل؛ لأن الجهات من خواص الأجسام المحدثة والجسمانية؛ لتجددها بها وحدوثها بعدها، وكيف كان في الأزل مختصًّا بجهةٍ حادثة فيما لا يزال، فإن المختص والمختص به لكونهما متضايفين يتكافآن في الوجود، وإن كان الثاني فكيف صار مختصًّا بمكانٍ وجهةٍ وعرض له ذلك الاختصاص فيما لا يزال بعد أن لم يكن متصفًا بذلك الاختصاص في الأزل؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأنه يستلزم التغير والانفعال؛ لأنه إن كان ذاته منشأ ذلك الاختصاص فكيف تخلف إلى أوانِ حدوث ذلك؟ وكيف تغير عمَّا كان عليه وحدث المماسة؟ وإن كان بمدخلية الغير يلزم تأثير الواجب تعالى.

وفيه إشارات:

الأولى: الجواب بأنه لو كان تعالى متحيّزًا لكان إما في كل حيزٍ فيخالط ما لا ينبغي مع لزوم التداخل، وإما في البعض لمخصص فيحتاج أو لا، فيلزم الترجح بلا مرجح كما في المقاصد، وإليه أشار بقوله: ولو كان في مكانٍ محتاجًا إلى الجلوس والقرار إلى آخره.

الثانية: الجواب بأنه لو كان متحيزًا لزم قدم الحادث، أعني الحيز كما في المقاصد،

وإليه أشار بقوله: فقبل خلق العرش أين كان الله؟.

الثالثة: الجواب بأن التحيز وقبول الحوادث من أمارات الحدوث، وهو على القديم محالٌ، ومنع ضرورة العقل عن الاتصال والانفصال سيما قبل خلق العرش وخلق الجسمانيات، وعن التغير والتماس بعد إحداث المحدثات كما في شرح قواعد العقائد. وإليه أشار أيضًا بقوله: (**فقبل خلق العرش أين كان الله**)، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(ص) (**وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيءٍ**).

(ش) **الخامس**: ما أشار إليه، (**وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين**): أي مكان (**ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيءٍ**)، مُوجِد له بعد العدم، فلا يكون شيء من المكان والجهة قديمًا.

وفيه إشاراتٌ:

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكانٍ وجهةٍ لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسمًا؛ لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك، فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مرَّ بيانه، وإليه أشار بقوله: كان ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيءٍ.

وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما في شرح العضدية.

الثانية: الجواب بألا يكون الباري تعالى داخل العالم؛ لامتناع أن يكون الخالق داخلاً في الأشياء المخلوقة، ولا خارجًا عنه بأن يكون في جهةٍ منه؛ لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات، وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله: ﴿**هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:١٠٢]، وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كون القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير (مسلم)، بل هو المستغني عن محلٍ يقوم به، كما في شرح المواقف، وإليه لوَّح بقوله: كان الله ولا مكان.

(ص): (وأنه تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، وعليه ما رُوي في الحديث: «أَنَّ رَجُلاً أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وُجِبَ عَلَيَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أفتجزيني هذه؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمُؤْمِنَةٌ أَنْتِ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ اللهُ؟**» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**أَعْتِقْهَا**

فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ[1]»، فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافرٌ، كذا من قال: إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض).

(ش) **السادس**: ما أشار إليه بقوله فيه: (**وأنه تعالى يُدعى من أعلى**)؛ للإشارة إلى ما هو وصف للمدعو تعالى من نعوت الجلال، وصفات الكبرياء والألوهية والاستغناء (**لا من أسفل؛ لأن الأسفل**): أي الإشارة إليه (**ليس من وصف الربوبية والألوهية**) والكبرياء، والفوقية بالاستيلاء (**في شيء**)، فأشار إلى الجواب بأن رفع الأيدي عند الدعاء إلى جهة السماء ليس لكونه تعالى فوق السموات العُلى بل لكونها قبلة الدعاء؛ إذ منها يتوقع الخيرات، ويستنـــزل البركات؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، مع الإشارة إلى اتصافه تعالى بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، وكونه تعالى فوق عباده بالقهر والاستيلاء، وإلى الجواب بمنع حمل ما ورد في الآيات والأحاديث على الاستقرار والتمكن، ومنع رفع الأيدي لاعتقاده بل كل ذلك بالمعنى الذي ذكرنا ههنا، وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء كما أشار إليه بقوله فيه: (**وعليه**): أي يخرج على أنه يُدعى من أعلى، ويُوصف بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، (**ما رُوي في الحديث**: «**أَنْ رَجُلاً**) وهو عمرو بن الشريد كما رواه أبو هريرة وعبد الله بن رواحة، كما بيّنه الإمام في مسنده بتخريج الحارثي وطلحة والبلخي والخوارزمي، (**أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وُجِبَ عَلَيَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**)، قال: إن أمي هلكت وأُمرت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة، ولا أملك إلا هذه وهي جارية سوداء أعجمية، لا تدري ما الصلاة، (**أفتجزيني هذه؟**) عمَّا لزم بالوصية، كما في مصنف الحافظ عبد الرزاق، وليس في الروايات الصحيحة أنها كانت خرساء كما قيل، (**فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: أَمُؤْمِنَةٌ أَنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيْنَ اللهُ؟**)، سائلاً عن المنـــزلة والعلو على العباد علوَّ القهر والغلبة، ومشيرًا أنه إذا دعاه العباد استقبلوا السماء دون ظاهره من الجهة، لكن لما كان التنـــزيه عن الجهة مما يقصر عنه عقول العامة فضلاً عن النساء حتى يكاد يجزم بنفي ما ليس في الجهة كان الأقرب إلى إصلاحهم، والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهرًا في الجهة، كما في شرح المقاصد، (**فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ**) إشارة إلى أعلى المنازل، كما يُقال: فلانٌ في السماء: أي رفيع القدر جدًّا، كما

(١) رواه مسلم (١/٣٨١). وانظر: التوحيد للماتريدي (ص١٧٩).

وفضالة بن عبيد، وبريدة، وعمارة بن رويبة الثقفي، وعُدَي بن حاتم الطائي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما في شروح البخاري، ورَوَى عنهم ثمانية وعشرون شيخًا بأكثر من ستِّين طريقًا.

ولما كان الأصوب في هذه المسألة أن يتمسَّك بالدلائل السمعية لِكَوْنها أسرع في إلْزَام المبتدعة، ثُمَّ معارضةً شبههم بالأدلة العقلية كما ذكره أبو منصور الماتريدي، واختاره محقِّقُو الأشاعرة أشار الإمام في المقام إلى ما يثبت به المرام من الدلائل السمعية، وأشار إلى دفع شبه المبتدعة معارضة بما ثبت مما حاله حال الرؤية في القرب والإقبال والمجاورة، أو ردًّا للمختلف إلى المختلف، فإنه الطريقة المسلوكة للسلف دفعًا لما تمسك به المخالفون من وجوه:

الأول: أنه تعالى لو كان مرئيًّا لكان بالضرورة في مقابلةٍ، فكان في جهةٍ جوهرًا أو عرضًا في مسافة من الرائي أو متَّصلاً به.

الثاني: أنَّ الرؤية إما باتِّصال شعاع العين بالمرئيّ، أو بانطباع الشبح من المرئيّ في حدقة الرائي على اختلاف المذهبين، وكِلاَهما في حقِّ الباري تعالى ظاهر الامتناع، فيمتنع رؤيته.

فأشار الإمام إلى جوابهما بالمعارضة بالمثل في قوله.

(ص): (وقال في الفقه الأكبر: وليس قرب الله تعالى ولا بُعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة، والمطيع قريب منه تعالى بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره تعالى في الجنة والوقوف بين يديه والرؤية في الآخرة بلا كيف).

(ش): (**وقال في الفقه الأكبر: وليس قرب الله تعالى**) من المؤمنين كما دَلَّ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة:١٨٦]، (**ولا بُعده**) من الكافرين كَمَا دَلَّ قوله تعالى: ﴿**أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾ [هود: ٦٠] (**من طريق**) إرادة المعنى الحقيقي: أي (**طول المسافة وقصرها**) حتى يلزم التحيُّز والمقابلة والكون في الجهة؛ لتنزُّهه تعالى عن كل ذلك بدلالة البراهين القطعية، (**ولكن**) على تعيين المعنى المجازي: أي معنى الكرامة في قربه تعالى من العباد؛ لعدم ظهوره في معنى الآية، وفي قربه تعالى والقرب منه.

وَمَا في بَعْضِ النسخ إلا (**على معنى الكرامة**) مخالف للنسخ المعتمد عليها المشتهرة، ولما سيأتي من العبارة (والهوان) والحقارة في بُعْده من الكافرين، (و) لكن (**المطيع قريب**

غاية المرام
في
علم الكلام

تأليف

الإمام العلامة أبي الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي
المعروف بسيف الدين الآمدي
المتوفى ٦٣١ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

تحقيق

أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

معتقد أهل الحق أن الباري لا يشبه شيئاً من الحادثات ولا يماثله شيء من الكائنات بل هو بذاته منفرد عن جميع المخلوقات، وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، ولا تحله الكائنات، ولا تمازجه الحادثات، ولا له مكان يحويه، ولا زمان هو فيه، أول لا قبل له، و آخر لا بعد له، ليس كمثله شيء

- به ضرورة المساواة في المعنى. وإن كان بغيره: فيكون الرب -تعالى- مفتقرا إلى غيره في وجوده؛ فلا يكون واجب الوجود لذاته. وإن كان غير متحيز: لزم في كل جوهر أن يكون غير متحيز؛ ضرورة المساواة في المعنى؛ وهو محال. كيف: وأنه لا معنى للجوهر غير المتحيز بذاته، فما لا يكون كذلك؛ لا يكون جوهرا. الخامس: أنه لو كان جوهرا كالجواهر؛ لما كان مفيدا لوجود غيره من الجواهر؛ فإنه لا أولوية لبعض الجواهر بالعلية دون البعض؛ ويلزم من ذلك أن لا يكون شيء من الجواهر معلولا، أو أن يكون كل جوهر معلولا للآخر؛ والكل محال. فإن قيل: الجواهر وإن تماثلت في الجوهرية إلا أنها متمايزة، ومتغايرة بأمور موجبة لتعيين كل واحد منها عن الآخر. وعند ذلك: فلا مانع من اختصاص بعضها بأمور وأحكام، لا وجود لها في البعض الآخر، ويكون ذلك باعتبار ما به التعين، لا باعتبار ما به الاشتراك؛ فنقول: والكلام في اختصاص كل واحد بما به التعين كالكلام في الأول؛ وهو تسلسل ممتنع؛ فلم يبق إلا أن يكون اختصاص كل واحد من المتماثلات بما اختص به لمخصص من خارج؛ وذلك على الله ـــ تعالى ـــ محال. هذا إن قيل إنه جوهر كالجواهر. وإن قيل إنه جوهر لا كالجواهر: فهو تسليم للمطلوب؛ فإنا إنما ننكر كونه جوهرا كالجواهر. وإذا عاد الأمر إلى الإطلاق اللفظي؛ فالنزاع لفظي ولا مشاحة فيه. إلا من جهة ورود التعبد من الشارع به؛ ولا يخفى أن ذلك مما لا سبيل إلى إثباته. وعلى هذا فمن قال: إنه جوهر بمعنى أنه موجود لا في موضوع، والموضوع هو المحل المتقوم بذاته المقوم لما يحل فيه كما قاله الفلاسفة، أو أنه جوهر بمعنى أنه قائم بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره كما قاله أبو الحسين البصري مع اعترافه أنه لا يثبت له أحكام الجواهر؛ فقد وافق في المعنى، وأخطأ في الإطلاق من حيث إنه لم ينقل عن العرب إطلاق الجوهر بازاء القائم بنفسه، ولا ورد فيه إذن من الشارع. انظر الأبكار (٢/ ٤٤٥)، بتحقيقنا والتأسيس للرازي (ص٨٦)، والفصل لابن حزم (٢/٢٢)، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (ص٢١٣).

الدر الثمين والمورد المعين

شرح المورد المعين على الضروري من علوم الدين

لابن عاشر

طبعة سنة
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

تأليف
العلامة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي
رحمه الله تعالى

وعليه شرح غيث السداد والرشد: على نظم مقدمة ابن الرشد

للعلامة الشنقيطي المالكي
رحمه الله تعالى

تحقيق
عبد الله المنشاوي

دار الحديث
القاهرة

الإيجاد ، فيوجد الله الفعل مع كراهته له أي نهيه عنه كما أضل الله كثيرًا من الخلق مع نهيه لهم عن ذلك الضلال ، أما الكراهة بمعنى عدم إرادة الله تعالى للفعل فيستحيل اجتماعها مع الإيجاد ؛ إذ يستحيل أن يقع في ملك مولانا جل وعز ما لا يريد وقوعه ، والجهل ضد العلم ، ويدخل في الجهل الظن والشك والوهم والنسيان والنوم وكون العلم نظريًا ونحو ذلك لمنافاتها العلم كمنافاة الجهل له والممات ضد الحياة ، والصمم ضد السمع ، والبكم ضد الكلام ، والعمى ضد البصر ، والمراد بالصمم والعمى في هذا الموضع عدم السمع والبصر بوجود ما ينافيهما أو غيبة موجود ما من الموجودات عن صفتي السمع والبصر لما سبق من وجوب تعلقهما بكل موجود ، والمراد بالبكم عدم الكلام أصلًا بوجود آفة تمنع من وجوده ، وإليه أشار بقوله : ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ [الأنعام:٣٩] . في معناه السكوت وكونه بالحرف والصوت لاستحالة اجتماع حرفين في آن واحد فضلًا عن الكلمتين فضلًا عن الكلامين فقد تبكم المتكلم بالحرف والصوت واحتبس عن أن يدل على معلومات له في آن واحد بصفة الكلام المركب من الحروف والأصوات ، وإلى ذلك أشار بقوله : صمات وهو لغة في الصمت فالكلام الذي يكون بالحروف والأصوات وإن بلغ غاية الفصاحة والبلاغة ، وكان كمالًا بالنسبة إلى الحوادث الناقصة ، فهو بالنسبة إلى مقام الألوهية الأعلى نقيصة عظيمة .

مسألة : سئل الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال : المولى تبارك وتعالى لا داخل العلم ولا خارج العالم ؟ فأجاب السائل : هكذا نسمعه من بعض شيوخنا واعترضه بعضهم بأن هذا رفع للنقيضين وقال بعض فقهائنا في هذه المسألة : هو الكل ، أي الذي قام به كل شيء ، وزعم أنه للإمام الغزالي ، وأجاب بعضهم أن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه ، وزعم أن ابن مقلاش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة فأجاب بأن نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم ، والعجز عن الإدراك لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلًا ونقلًا أما النقل فالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] . فلو كان في العالم أو خارجًا عنه لكان مماثلًا ، وبيان الملازمة واضح أما في الأول : فلأنه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له. وأما في الثاني : فلأنه إن كان خارجًا لزم إما اتصاله وإما انفصاله وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية وذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصص. وأما السنة : فقوله ﷺ : « كان الله ولا شيء معه

وهو الآن على ما كان عليه »[1]. وأما الإجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف. وأما العقل : فقد اتضح لك اتضاحًا كليًا مما مر في بيان الملازمة في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط ، لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين ويتواردان عليه وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلًا الحائط لا أعمى ولا بصير فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية وكما يقال في الباري أيضًا : لا فوق ولا تحت وقس على ذلك. وقول من قال : إنه الكل زاعمًا أنه للغزالي فقضية تنحو منحى الفلسفة ، أخذ بها بعض المتصوفة وذلك بعيد من اللفظ ، وما أجاب به بعضهم : أنه معضل لا يجوز السؤال عنه ليس كما زعم لوضوح الدليل على ذلك ، وإن صح ذلك عن ابن مقلاش فلا يلتفت إليه في هذا لعدم إتقانه طريق المتكلمين إذ كثير من الفقهاء ليس له خبرة به فضلًا عن إتقانه.

قوله : يجوز في حقه فعل الممكنات البيت ، هذا هو القسم الثالث الجائز في حقه تعالى ، وهو فعل كل ممكن أو تركه في العدم ، وذلك كالثواب والعقاب وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصلاح ، والأصلح للخلق لا يجب من ذلك شيء على الله تعالى ولا يستحيل إذ لو وجب عليه تعالى فعل الصلاح والأصلح للخلق كما تقوله المعتزلة لما وقعت محنة دنيا وأخرى ولما وقع تكليف بأمر ولا نهي وذلك باطل بالمشاهدة .

فرع : اختلف المتكلمون هل تدرك حقيقة الذات العلية وصفاتها السنية أم لا على قولين ، قال الإمام أبو العباس أحمد القلشاني : قال بعض الشراح : يفهم من قوله ولا يبلغ كنه صفته الواصفون نفي العلم بالحقيقة ، واختاره جماعة من المتقدمين وقال الجنيد : لايعرف الله إلا الله ، واختاره أكثر المتأخرين ، وإليه ذهب الضرير وكان من المحققين ، وأنكر القاضي أبو بكر هذا القول ورده ، وتبعه الإمام أبو المعالي في طائفةٍ . وقال : الباري تعالى يعلم والعلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به فلو تعلق العلم به على خلاف ما

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩١) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٩٣) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه ، بلفظ « كان الله ولم يكن شيء غيره .. » الحديث .
قلت : قال ابن حجر : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه » ، وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث . راجع فتح الباري (٦/ ٣٤٣) عند شرح هذا الحديث .

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الامام الكبير، حجة المتكلمين، المفسر النظار

أبي المظفر الاسفرايني

المتوفى سنة (٤٧١هـ، رحمه الله)

عرف الكتاب، وترجم للمؤلف، وخرج احاديثه، وعلق حواشيه

العلامة المحدث الكبير

صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

تفضل الاستاذ الدكتور

محمود محمد الخضيري

أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

بكلمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الباب الخامس عشر

في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم ويقع في هذا الباب فصول ثلاثة.

أحدها: في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة.

الثاني: في بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التي ننبه عليها.

الثالث: في بيان فضائلهم.

الفصل الاول: في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة السليم عن جميع ما ذكرناه من الضلالات. فهو:

١ ــ أن تعلم[1] ان العالم بجميع أركانه، وأجسامه، وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الافعال، والاقوال، والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول، حادث بعد أن لم يكن شيئاً ولا عيناً، ولا ذاتاً، ولا جوهراً، ولا عرضاً، والدليل على حدوثها انها تتغير عليها الصفات وتخرج من حال الى حال، وحقيقة التغيرات ان تبطل حالة وتحدث أخرى، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة، وما كان ضرورياً لم يفتقر الى الاستدلال عليه، ولا يجوز أن يقال انها انتقلت من باطن الجسم الى ظاهره لاستحالة الانتقالات على الصفات. وأما الحالة التي بطلت لو كانت قديمة لم تبطل،

(١) يسوق المصنف باقي اعتقاد أهل السنة بالعطف إلى هذا المحل بلفظ (وأن تعلم) فجعلنا المتعاطفات من هذا القبيل في أول السطر وبازائها اعداد متسلسلة كلما تكرر تصديرها بلفظ (وأن تعلم) فنلفت إلى ذلك النظر لئلا يقع القارىء الكريم في حيرة من البعد فيما بين المتعاطفات من هذا القبيل على كثرتها.

والمكان، والجهة[1]، والسكون، والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى لأن ما لا يكون محدثاً لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث، وعليه يدل ما ذكرناها قبل في قصة الخليل عليه السلام.

١٨ ــ وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص، والآفة، لأن الآفة نوع من المنع، والمنع يقتضي مانعاً وممنوعاً، وليس فوقه سبحانه مانع وقد نبه الله تعالى عليه بقوله: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوس السَّلاَمُ المُؤمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون﴾[2] والسلام هو الذي سلم من الآفات، والنقائص، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع، و يعلم بذلك ان لا طريق للآفات والنقائص والموانع إليه وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله: ﴿ذُو العَرْشِ المَجِيد﴾[3] والمجد في كلام العرب كمال الشرف ومن كان لنوع من النقص إليه طريق لم يكمل شرفه ولم يجز وصفه بقوله مجيد. فلما اتصف به سبحانه علمنا انه لا طريق للنقص إليه.

١٩ ــ وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية، والكمية، والأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه اين كان. وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة، ونفي الابتداء والأولية. وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له أين الله؟ فقال: ان الذي أين الأ ين لا يقال له أين. فقيل له كيف الله؟ فقال: إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف. وسأله آخر فقال: ما جهة وجه الله؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها في انبوبة قصب. فقال للسائل ما

(١) و به تعلم حكم قول ابن تيمية في منهاجه «١-٢٦٤» باثبات الجهة له تعالى على التقديرين قال على القاري في شرح المشكاة: «بل قال جم منهم «أي السلف» ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال: انه قول أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، والأشعري؛ والباقلاني أهـ.» فما وقع في كلام بعض الغاربة سبق قلم كما شرحت ذلك في مواضع والا لكان خارجاً من قول أهل الحق.

(٢) سورة الحشر ٢٣.

(٣) سورة البروج ١٥.

١٢ ــ وأن تعلم أن الباري سبحانه وتعالى يستحيل عليه الولد والزوجة لأن ذلك لا يكون إلا بالاتصال والمماسة [١] وذلك يوجب الحد والنهاية. وقد بينا استحالته عليه سبحانه وتعالى وحقق الله ذلك بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [٢].

١٣ ــ وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك له في المملكة لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثاني له، والمملوك يستحيل أن يكون خارجاً من ملك الخالق وهذا تحقيق قوله: ﴿وقُلْ الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [٣].

١٤ ــ وأن تعلم أن الحركة، والسكون، والذهاب، والمجيء، والكون في المكان، والاجتماع، والافتراق، والقرب، والبعد من طريق المسافة، والاتصال، والانفصال، والحجم، والجرم، والجثة، والصورة، والحيز، والمقدار، والنواحي، والاقطار، والجوانب، والجهات [٤] كلها لا تجوز عليه تعالى لأن

---

(١) فقول ابن تيمية في رده على الرازي: «ومن المعلوم بالاضطرار ان اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات ــ يريد ما يشمل المجيء ونحوه ــ ولا سلب ادراكه بالحواس، ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدع نفيها الجهمية واتباعهم ولا يوجد نفيها في كتاب ولا سنة أهـ». ينبيء عن معتقده، وقال المنبجي صاحب ابن القيم في «اثبات المماسة»: (قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث انهم لا يمتنعون عن وصف الله بأنه يمس ما شاء من خلقه بل يروون في ذلك الآثار و يردون على من نفاه. ذكره في الأجوبة المصرية أهـ). وهذا دليل آخر على معتقد الرجل وجل مقدار أهل السنة عن مثل هذا التخريف. ومن أصر على اتخاذه قدوة بعد اطلاعه على آرائه الشاذة يعد اختياره عنوان عقله.

(٢) سورة الاخلاص ٣و٤.

(٣) سورة الاسراء ١١١.

(٤) فيكون قول ابن تيمية في رده على الرازي: «قلتم ليس هو بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا جهة له ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شيء من شيء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وإنه لا حد له ولا غاية تريدون بذلك انه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو أن يكون له قدر لا يتناهى فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب ولا سنة؟». خروجاً من معتقد أهل السنة وتجبيد كتاب النقض لعثمان بن سعيد السجزي منه من أردأ ما ينطق به مجسم لما فيه من التخازي المكشوفة من اثبات الحركة، والنقل، والجلوس، والمسافة، والاستقرار المكاني ونحو ذلك له تعالى. تعالى الله عن تخريف المخرفين، وهذيان المبرسمين. وقوله يكون من على رأس الجبل أقرب إلى الله =

جميعها يوجب الحد والنهاية. وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى. وأصل هذا في كتاب الله تعالى وذلك أن ابراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر قال: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[1] فبين أن ما جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقاً.

١٥ ــ وأن تعلم أن كل ما تصور في الوهم من طول، وعرض، وعمق، وألوان، وهيئات، مختلفة ينبغي أن تعتقد ان صانع العالم بخلافه، وإنه قادر على خلق مثله، وإلى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه بقوله: العجز عن درك الادراك ادراك. ومعناه إذا صح عندك ان الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير، والتركيب، والقياس، على الخلق صح عندك انه خلاف المخلوقات. وتحقيقه انك إذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته. وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾[2] وما كان مصوراً لم يكن مصوراً، كما ان من كان مخلوقاً لم يكن خالقاً.

١٦ ــ وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته[3] لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها وإذا لم يخل كان محدثاً مثلها. ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام: «لا أحب الآفلين» بين به أن من حل به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدثاً لا يصح أن يكون إلهاً.

١٧ ــ وأن تعلم ان كل ما دل على حدوث شيء من الحد، والنهاية،

= مما يضحك منه الأطفال. وأما قوله: «لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف بوبيته فكيف على عرش عظيم». فآية من آيات السقوط وليس هذا من قبيل الاستدلال ببطلان التالي على بطلان المقدم بل هذا استدلال بجواز التالي في زعمه على جواز تمكنه في العرش فسبحان قاسم العقول.

(١) سورة الأنعام ٧٩.

(٢) سورة الحشر ٢٤.

(٣) فيكون ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى وحلولها فيه ولا سيما في هامش منهاجه «٢-٧٥» خارجاً من معتقد أهل الحق.

كتاب القبس

في شرح موطأ مالك بن أنس

لأبي بكر بن العربي المعافري

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ-١٩٩٦م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد الله ولد كريم

دار الغرب الإسلامي

شريعة : إن الله سبحانه منزَّه عن الحركة والانتقال لأنه لا يحويه مكان ، كما لا يشتمل عليه زمان ، ولا يشغل حيّزاً كما لا يدنو إلى مسافة بشيء ولا يغيب بعلمه عن شيء ، متقدس الذات عن الآفات منزّه عن التغيير والاستحالات آله في الأرض آله في السموات . وهذه عقيدة مستقرة في القلوب ثابتة بواضح الدليل .

قال لي شيخ[1] العلماء : لا يمكن لأحد أن يعبر عن جلال الله تعالى وكماله إلا بهذه الألفاظ الناقصة التي يعبر بها عنا ، فإذا سمعت العبارة عن الله تعالى فيجب عليك الإيمان بمعناها ، ثم تعلم أنه ليس له مثل في ذلك لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2] وهو كلام بديع ، ولسعة اللغة في العبارة بالحقيقة والمجاز والحذف والزيادة والتطويل والاختصار يتمكن العالِم بالله تعالى من العبارة عنه والتنزيه به والعلم به عندنا إلى قوله : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » .

قلنا : صدق ربنا وصدق نبينا والنزول في اللغة في الحقيقة حركة والحركة لا تجوز على الله سبحانه وتعالى ، فلم يبق إلا العدول عن حقيقة النزول إلى مجازه وهو النزول بالمعاني ، فإن النزول من علو الامتناع إلى علو القبول نزول معنوي كما أن النزول من علو الفوقية إلى سفل المكان نزول حسّيّ وفي الحديث و « أَنْزِلُ لَكَ عَنْ إِحْدَى زَوْجَتَيَّ »[3] فإنها كانت تحت سلطان نكاحه ، وتحت حجره ومنعه فإذا قال لها أنت طالق فقد ارتفع ذلك كله ويكون من أقسام المجاز التعبير عن الشيء بفائدته وثمرته ، ويكون ذلك عبارة عن كثرة ما يفيض من الرحمة وينشر على الخلق منها ويوسعهم من عطائه على جميع المعاني من إجابة دعوة ، وقضاء حاجة ، ونيل مغفرة مما كان قبل ذلك ممتنعاً عليهم كامتناع ما يكون في العلو من فوقهم ، وإلى هذا أشار الأوزاعي بقوله : (يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ) ، فجعله من صفات الفعل لا من صفات الذات وهذا فصل بالغ فاتخذوه دستوراً واشرعوه في سائر المشكلات سبيلاً[4] .

---

(١) لم يتضح لي من هو شيخ العلماء الذي يقصده الشارح .

(٢) سورة الشورى آية ١٠ .

(٣) البخاري في النكاح باب قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتيّ شئت حتى أنزل لك عنها . البخاري ٧/٤-٥ . عن أنس بن مالك ، وفي الوليمة باب الوليمة ولو بشاة ٧/٣٠ ، وفي البيوع ٣/٦٨- ٦٩ عن عبد الرحمن بن عوف . ↓ قال المعلق الوهابي وهو محمد عبد الله ولد كريم ↓

(٤) رحمة الله على أبي بكر فقد تكلم على هَذا الحديث في شرحه على الترمذي وصوّب هناك ما صوّبه هنا من اختيار التأويل . انظر العارضة ٢/٢٣٣ ونحن نخالفه رحمه الله ، في هذه المسألة ، ونذهب إلى ما ذهب إليه =

جاز الفصد إليها ولا الحجامة لأنها نجاسة تستقبل بها . قلنا : هذه الأمور الضرورية كالفصد والحجامة والقيء والرعاف ، التي تأتي العبد بغير اختياره ، لا يتعلق بها هذا التكليف كما لم يتعلق بالبنيان .

توحيد : قوله : فإن الله قبل وجهه الباري تعالى يتقدس عن أن يحد بالجهات[1] ، أو تكتنفه الأقطار ولكن في ذلك معنيان .

أحدهما : ما قدمناه لكم من أن الله تعالى بلطفه وسابغ نعمته إذا أراد أن يكرم شيئاً من خلقه أضافه إليه أو أخبر بنفسه عنه .

والثاني : أن هذا المصلِّي قد اعتقد أنه بين يدي الله ، عزّ وجلّ ، كما هو ، والتزم التعظيم لمن توجَّه له والبصاق إهانة فكيف يصح له أن يأتيَ بفعلٍ يناقض اعتقاده[2] .

قال العلي الوهابي وهو محمد عبد الله ولد كريم

(١) إنّا لا نوافق الشيخ في هذه المسألة بل نؤمن من ذلك بما ورد عن الله وعن رسوله دون أن نكيِّف أو نؤول من ذلك شيئاً ؛ ففي صحيح مسلم من حديث (مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِي . . قَالَ : كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَماً لِي قِبَلَ أحد والجوانة ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ، ﷺ ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : إِئْتِنِي بِهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ اللهُ ؟ قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) مسلم في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١/ ٣٨٠ . قال ابن القيم رحمه الله : وإذا كان العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً ولا يوجب محذوراً ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ، فنفي حقيقتها عين الباطل . مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢١٥ .

وقال أبو عمر : من الحجة في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزل بهم شدة رفعوا أيديهم إلى السماء يستغيثون ربهم . وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى حكاية لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال النبي ﷺ، للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة، فاختبرها رسول الله ﷺ ، بأن قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها : من أنا ؟ قالت رسول الله ، قال أعتقها فإنها مؤمنة ، فاكتفى رسول الله ﷺ ، منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه . وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئاً من ذلك ولا يحدّون فيه صفة محصورة . التمهيد ١/ ١٣٤ .

(٢) ونقل الزرقاني عن ابن عبد البر قوله : هذا كلام خرج مخرج التعظيم لشأن القبلة ، وقد نزع به بعض المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان وهو جهل واضح . شرح الزرقاني ١/ ٣٩٤ .

كتاب القبس

في شرح موطأ مالك بن أنس

لأبي بكر بن العربي المعافري

الجزء الثالث

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ-١٩٩٦م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد الله ولد كريم

دار الغرب الإسلامي

الجارية فعلم من حالها أنها كانت متعلقة بمعبودٍ في الأرض فأراد أن يقطع علاقة قلبها بكل إلهٍ في الأرض[١] فإن قيل : فقد قال لها أينَ الله ؟ وأنتم لا تقولون بالأَيْنِيَة والمكان . قلنا : أما المكان فلا نقول به وأما السؤال عن الله بأينَ فنقول بها[٢] لأنها سؤال عن المكان وعن المكانة والنبي ﷺ (قد)[٣] أطلقَ اللفظ وقصد به الواجب لله وهو شرف المكانة الذي يسأل عنها بأين ولم يجز أن يريد المكان لأنه محال عليه ، وأما قوله للجارية الثانية أتوقنين بالبعث بعدَ الموت ؟ فعلِمَ أيضاً من حالِها ما دعاهُ إلى أن يسألها هل تعتقدُ الدار الآخرة وتوقن أنها المقصودة ، وأن هذه الدار الدنيا قنطرة إليها، فإن من علمَ ذلك وبنى عليه صح اعتقاده وسلَمَ عمله .

مسألـــة :

أدخلَ مالك رضي الله عنه عتق الزانية وابن الزاني[٤] ، وأدخل عليه حديث النبي ﷺ في جواب السائل عن الرقابِ أغلاها ثمناً[٥] ، ووجه النظر في ذلك أن الكافرَ لا يجزىء بحالٍ والمطيع أفضل من العاصي ولا سيما الزانية والزناة متوعدون بالنارِ ، فكان عتق

قال المعلق الوهابي وهو محمد عبد الله ولد كريم

(١) هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيها مذهبان مذهب الخلف وهو التأويل ومذهب السلف وهو الأكمل والأسلم وهو الإيمان بها على مراد الله قال أبو عمر بن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة .
ثم نقل عن الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد قولهم لما سئلوا عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف . التمهيد ٧/ ١٤٥ و ١٤٩ .

(٢) قال الذهبي في هذا الخبر مسألتان إحداهما شرعية قول المسلم أين الله وثانيهما قول المسؤول في السماء فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ . العلو للعلي الغفار ص ٢٦ .

(٣) زيادة من ج .

(٤) مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه أعتق ولد زنا وأمه . الموطأ ٢ / ٧٨٠ وسنده صحيح .

(٥) مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن الرقاب أيها أفضل فقال رسول الله ﷺ : (أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها) الموطأ ٢ / ٧٧٩ .
قال الزرقاني كذا ليحيى وأبي مصعب ومطرف وابن أبي أويس وروح ابن عبادة وأرسله الأكثر وكذا حدث به إسماعيل بن إسحاق وأبو مصعب مرسلاً وهو عندنا في موطأ أبي مصعب عن عائشة ورواه أصحاب هشام عن أبيه عن أبي مراوح عن أبي ذر قال ابن الجارود لا أعلم أحداً قال عن عائشة غير مالك وزعم قوم أنه أرسله لما بلغه أن غيره من أصحاب هشام يخالفونه في إسناده قاله ابن عبد البر ، شرح الزرقاني ٤ / ٨٩ وذكر الحافظ أن =

الفتاوى الهندية

المعروفة بالفتاوى العالمكيرية

في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

تأليف

العلامة الهمام مولانا الشيخ نظام

وجماعة من علماء الهند الأعلام

ضبطه وصححه

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الجزء الثاني

يحتوي على الكتب التالية:

العتاق - الدعوى - الحدود - السرقة - السير - اللقيط

اللقطة - الآبق - المفقود - الشركة - الوقف

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

٢٨٢ ـــ

محمد بن الفضل وقال الشيخ الإمام: والاحوط تجديد النكاح كذا في فتاوى قاضيخان، يكفر بإثبات المكان لله تعالى فلو قال: ازخدا هيچ مكان خالي نيست[١] يكفر، ولو قال: الله تعالى في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الاخبار لا يكفر وإن أراد به المكان يكفر وإن لم تكن له نية يكفر عند الاكثر وهو الاصح وعليه الفتوى، ويكفر بقوله: الله تعالى جلس للإنصاف أو قام له بوصفه الله تعالى بالفوق والتحت كذا في البحر الرائق، ولو قال: مرابر آسمان خداي است وبر زمين فلان[٢] يكفر كذا في فتاوى قاضيخان، إذا قال: خدا فرو مينكر داز آسمان أو قال: مي بينذا أو قال: از عرش[٣] فهذا كفر عند اكثرهم إلا ان يقول بالعربية يطلع، ولو قال: خداي ازبر عرش بداند[٤] فهذا ليس بكفر، ولو قال: از زير عرش ميداند[٥] فهذا كفر، ولو قال: أرى الله تعالى في الجنة فهذا كفر ولو قال: من الجنة فهو ليس بكفر كذا في المحيط، قال ابو حفص رحمه الله تعالى: من نسب الله تعالى إلى الجور فقد كفر كذا في الفصول العمادية، رجل قال: يا رب اين ستم مبسند[٦] قال بعضهم: يكفر والاصح انه لا يكفر، لو قال: خداي عز وجل برتوستم كناد چنا نكه توبر من كردي[٧] الاصح انه لا يكفر، ولو قال: لو انصف الله عز وجل يوم القيامة انتصف منك يكفر اما لو قال: إذا مكان لولا يكفر كذا في الظهيرية، ولو قال: إن قضى الله تعالى يوم القيامة بالحق والعدل أخذتك بحقي فهذا كفر كذا في المحيط، قيل له: هذا مكان لا إله فيه ولا رسول فقال: يراد بهذا الكلام انه مكان لا يعمل فيه بأمر الله ورسوله قيل له: لو كان هذا في مكان اهله زهاد مطيعون قال: إن كان يعمل فيه بأمر الله وأمر رسوله فانكر كونه ديناً كالصلوات الخمس فإنه يكفر كذا في اليتيمة، لو قال: حين يظلم ظالم يارب ازوى اين ستم مهذيرا كرتو پذيرى من نه پذيرم[٨] فهذا كفر كانه قال: إن رضيت فانا لا أرضى كذا في الخلاصة، رجل قال: يا خداي روزي پر من فراخ كن يا بازر كائنٌ من رونده كن بابر من جور مكن[٩] قال ابو نصر الدبوسي رحمه الله تعالى: يصير كافراً بالله كذا في فتاوى قاضيخان، رجل قال لآخر: دروغ مكو فقال: دروغ از بهر چيست از بهرا نكه بكويند[١٠] كفر في الحال، ولو قيل له طلب راضا الله فقال له: مرانمي بايد أو قال: اكر خداي مراد ربهشت كند غارت كنم[١١] أو قيل: لا تعص الله فإن الله تعالى يدخلك النار فقال: من أزدوزخ نمي انديشم[١٢] أو قيل: لا تأكل الكثير فإن الله لا يحبك فقال: من ميخورم خواهي دوست داردو خواهي دشمن[١٣] كفر بهذا كله، وكذلك لو قيل له: بسيار مخندا وبسيار مخسب فقال: جندان خورم وچندان خسبم وچندان خندم كه خود خواهم[١٤] يكفر، رجل قال لآخر: كناه مكن چه عذاب خداي بسيار است فقال: من عذاب بيكدست بردارم[١٥]

---

(١) لا محل خالي من الله. (٢) لي في السماء إله وفي الأرض فلان. (٣) لله ينظر من السماء، أو قال: يرى أو قال: من العرش. (٤) الله يعلم من فوق العرش. (٥) يعلم من تحت العرش. (٦) يا ربي لا تقبل هذا الظلم. (٧) الله تعالى يظلمك مثل ما ظلمتني. (٨) لا تقبل منه هذا الظلم يا رب وإن كنت تقبله فانا لا اقبله. (٩) يا الله وسع الرزق عليّ إما ان تروج تجارتي أو لا تظلمني. (١٠) لا تكذب فقال: الكذب لاي شيء من اجل ذلك الذي يقولون. (١١) لا يلزم لي أو قال: إن كان الله يدخلني الجنة أنهبها. (١٢) انا لا ابالي من النار. (١٣) انا آكل إن شاء يتخذني حبيباً وإن شاء يتخذني عدواً. (١٤) لا تضحك كثيراً أو لا تنم كثيراً فقال: آكل وانام واضحك على قدر ما اريد. (١٥) لا تذنب فإن عذاب الله كثير فقال: انا ارفع العذاب بيد واحدة.

رَوْضُ الرَّيَاحِين

فِي حِكَايَا الصَّالِحِين

تأليف

عَفِيف الدِّين أبي السَّعَادَات
عَبْدِ اللهِ بْنِ أَسْعَدِ الْيَافِعِيِّ الْيَمَنِيِّ ثُمَّ الْمَكِّيِّ
(٦٩٦ - ٧٦٨ هـ)

تحقيق:
محمد عزت

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله أبا العباس بن عطاء رضى الله عنه أنه قال لما خلق الله الأحرف جعلها سرا له، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك فى أحد من ملائكته، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها صورا لها وهذا القول صريح من ابن عطاء رحمه الله بأن الحروف مخلوقة.

وروينا عن الشيخ الكبيرالعارف أبى بكر الشبلى رضى الله عنه أنه قال جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلى بأن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلماته، وسئل عن قوله تعالى : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1] فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى.

وروينا عن الإمام الجليل ذى المناقب والمجد الأثيل سلالة النبوة معدن الفضائل والعلوم والفتوة جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : من زعم أن الله سبحانه فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك بالله إذ لو كان على شىء لكان محمولا ولو كان فى شىء لكان محصورا، أو لو كان من شىء لكان محدثا، وتعالى الله عن ذلك.

وسئل الشيخ العارف جعفر بن نصير رضى الله عنه عن الاستواء فقال استوى علمه بكل شىء فلا شىء أقرب إليه من شىء.

وقال كثير من الأئمة الكبار العارفين أهل الأنوار والأصوليين النظار استوى معناه استولى كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وذكروا تأويلات أخر يطول ذكرها فى معنى الاستواء.

وقيل للشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أعرشى أنت أم كرسى فقال الطينة أرضية والنفس سماوية والقلب عرشى والروح كرسى والسر مع الله بلا أين، قلت وهذا القول صريح فى نفى الجهة عن خالق الجهات المتعالى عن الحركات والسكنات وسائر سمات المخلوقات.

وروينا عن الشيخ العارف الواعظ لسان الحكمة يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه أنه قيل له أخبرنا عن الله تعالى، فقال إنه واحد فقيل كيف هو فقال ملك قادر، فقيل أين هو فقال بالمرصاد، فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير

---

(١) سورة طـــه : الآية ٥ .

هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه وقال الشيخ الكبير العارف الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه قيل لصوفى أين الله فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين، وقال محمد بن محبوب خادم الشيخ العارف أبى عثمان المغربى رضى الله عنهما قال لى أبو عثمان يا محمد أو قال لك أحد أين معبودك أيش تقول قال كنت أقول حيث لم يزل قال فإن قال فأين كان فى الأزل أيش تقول قال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن على ما عليه كان ، قال فارتضى ذلك منى ونزع قميصه وأعطانيه.

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى عثمان المذكور رضى الله عنه أنه قال كنت أعتقد شيئا من حديث الجهمية فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة أنى أسلمت جديدا.

وروينا عن الأستاذ الإمام أبى إسحاق الإسفراينى رضى الله عنه أنه قال لما قدمت بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان الشيخ أبو القاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامنا فاجتاز بنا من بعد ذلك بأيام قلائل فقال لمحمد الفراء أشهد أنى أسلمت على يد هذا الرجل وأشار إلى فقت وهذا القول من الشيخ أبى القاسم المذكور تواضع وإنصاف ورجوع إلى الحق واعتراف مع جلالة قدره فإنه كان شيخ وقته، وكذلك قول الشيخ أبى عثمان السابق وكل هذا يدل على أنهم مطهرون من الحظوظ النفسية متصفون بالصفات الزكية أهل الحضرة القدسية.

وقال الشيخ الجليل العارف أبو بكر الواسطى رضى الله عنه ما أحدث سبحانه شيئا أكرم من الروح فهذا صريح منه بأن الروح مخلوقة وقال الشيخ الكبير العارف الربانى أبو القاسم النصراباذى رضى الله عنه الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبته لك باق ببقائه فشتان بين ما هو باق بإبقائه وما هو باق ببقائه، وهذا القول فى غاية التحقيق فإن مذهب أهل الحق أن صفات ذات القديم باقية ببقائه وأفعاله باقيات بإبقائه فهو تعالى عالم بعالم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر حى بحياة، باق ببقاء، فهذه الصفات وسائر صفاته باقية ببقاء ذاته أزلا وأبدا، وأما أفعاله كالجنة والنار وغيرهما فباقيات بإبقائه لها وخالفت المعتزلة فى الصفات فقالوا عالم بغير علم قادر بغير قدرة باق بغير بقاء وكذا سائر الصفات، وخالفت الفلاسفة فى الأفعال الواقعة تحت القدرة فزعموا أنها قديمة ولزم على قولهم الحكم بقدم العالم تعالى الله عنه ذلك علوا كبيرا.

وروينا عن الشيخ العارف ذى الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف أبى

إسحق إبراهيم بن محمد الخواص رضى الله عنه أنه قال انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى أقتله فإنه يقول إن القرآن مخلوق.

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال هو اليقين قال السائل بين لى ما هو فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له فإذا عرفت ذلك فقد وحدته.

(وقال) الشيخ الكبير العارف الربانى على الروذبارى رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد فقال هو استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾[1] قلت وهذه الأقوال رواها الشيخ الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى رسالته المشهورة ما خلا الفاظ يسيرة رواها بعض الأئمة العارفين غيره ثم إن هذه الأقوال تدل على ما ذكره الإمام القشيرى المذكور.

(قال) رضى الله عنه اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد وصانوا عقائدهم من البدع ودأبوا بما وجدوا عليه السلف الصالح وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم فلذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رضى الله عنه التوحيد إفراد القدم من الحدث وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال الشيخ أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من لم يقف على علم التوحيد يشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف يريد بذلك أن من ركن قلبه إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك.

(قال) الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شىء ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير، قال شيوخ هذا الطريق على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم فى التوحيد أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم، واحد حكيم، قادر عليم، قاهر رحيم، مريد سميع، مجيد رفيع، متكلم بصير، متكبر قدير، حى أحد، باق صمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حى بحياة، باق ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص، وله الوجه وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات أزلية ونعوت سرمدية، وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شىء من المخلوقات، وليس بجنس ولا بجوهر ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان، ولا يجرى عليه وقت وزمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان، ولا تخصه هيئة ولا قدر، لا تقطعه نهاية ولا حد ولا يحمله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم ولا يقال له أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال متى استوفى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بإمارة عن أشكاله، يُرى لا عن مقابلة ويُرى لا عن مماثلة، ويصنع لا بمباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى فى سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل فى ملكه إلا ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد ألا يكون خالق أكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما فى العالم من الاعيان والآثار قليلها وكثيرها ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض إليه ومؤيد سيدنا ونبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والذكر وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ، بخلفائه ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الملة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله عز وجل : ﴿**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[1].

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه دلت هذه المقالات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق فى مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما أردناه من الاختصار انتهى كلام القشيرى رحمه الله.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(وقال) الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبرى بفتح الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء الفارسى رضى الله عنه أجمعت أئمة هذه الطريقة وسادات شيوخ الصوفية أولى الحقيقة على ما دلت عليه متفرقات أقوالهم ومجموعات أنفاسهم فى مصنفاتهم فى التوحيد وتأسيسهم قواعد العقائد على أصح الأصول، وأوضح السبيل المصون عن التشبيه والتمثيل والنفى والتعطيل بما عرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الحادث من العدم على أن العالم بأسره جواهره وأعراضه وأجسامه لطيفة وكثيرة حادث ومعنى العالم كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم فى وجوده مفتقر إلى محدث مخصص أحدثه وخصصه بالوجود الجائز وأن محدثه هو الله تعالى الذى لا إله غيره الموصوف بالصفات الواجبة أزلا وأبدا وأن صفاته على مراتب ثلاثة: المرتبة الأولى: الصفات النفسية وهو أن الله تعالى موجود قديم واحد أحد فرد قائم بنفسه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء. المرتبة الثانية: الصفات المعنوية وهو أن الله تعالى حى بحياة عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر، باق ببقاء ولم يزل ولا يزال وهذه الصفات معان قديمات كالذات قائمات بذات الله تعالى لا يقال فيها إنها هو ولا أغيار له لا يشبه شىء منها شيئا من صفات ما سواه.

المرتبة الثالثة: الصفات الفعلية المستندة إلى الصفات المعنوية على حسب ما وردت فى الكتب المنزلة وجرت بها ألسنة ذوى النبوة عليهم الصلاة والسلام انتهى كلام الخبرى رحمه الله.

(قال) الشيخ الإمام المحقق السالك الناسك العارف بالله تعالى شيخ شيوخ الإسلام شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه الله لا إله إلا هو لا ضد له ، ولا ند له، ولا تشبيه له، ولا مثل له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا وزير له، ولا نظير له، لا تدرك كنه عظمته الأوهام ولا تبلغ شيئا من كبريائه الأفهام، ولا يعترى ذاته المقدسة التأثر والآلام والتغير والأسقام والسنة والمنام والافتراق والالتئام جل عما يجول به الوسواس وعظم عما تكتنفه الحواس، وكبر عما يحكم به القياس لا يصوره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينويه زوال ولا يشوبه انتقال لا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر قيوم أزلى ديموم سرمدى لا تحد أزليته بمتى ولا تقيد أبديته بحتى لا يطلق عليه التعيين ولا يتطرق إليه التأيين، إن قلت أين فقد سبق المكان وإن قلت متى فقد تقدم الأزمان، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشياء والأمثال والأقران، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيان وإن رمت البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان أول آخر ظاهر باطن، تفانت الأوائل والأواخر فى أزليته وأبديته، تفرد فى الأزل بنعت العظمة والجلالة قبل الكون والمكان والدهور والأزمان والحين والأوان، فالمكان جواهر وأجسام

خلقهـا والدهر أوقات وأزمان قدرها كل ذلـك موسوم بالحدث عـرفنا المكان والزمان بتعريفه إيانا ولو شاء كوننا لم نعـرف زمانا ولا مكانا وكوننا فى المكان ولو شاء كوننا ولا مكان فعلمنا بأنا لا نكون إلا فى مكان مـن قضايا عقلنا وهذه القضـايا هيأها لنا نعقل بها المعـقول ونعلم بها المعلوم، ولو شاء هيأ لنا غـير هيئاتنا فعوالم قـدرته غير محصورة وغرائب مشيئته غير منكورة، وما نحن فيه من العالم بما نحن فيه من العقل والعلم عالم من عوالمه ولا يستبعد قولى ولو شاء كوننا فى غير مكان فقد كون المكان لا فى مكان إذ لو كان لتـسلسل فلا تحصر القـدرة بعقلك إذ العقل قوته أن يـحصر الحكمة، فـأما القدرة فـلا يحصرها فحـدث عن البحر ولا حـرج ومن هذا الأساس تمشت القدرة وثبتت الأمور الأخروية وعلمهـا من علمها وأنكرها من عجز عقله عن إدراكها فمن يكون المكان والمكـون فيه والزمان والمقدر فيه عـالما من عوالمه ويسيرا من عظيم قدره، كـيف يحصره الزمان والمكان فـما أظهر فى عالم الملك والشـهادة عالم الحكمـة والعقل الموهوبين لنا الذى نـتصـرف به موكل بهـذا العالم وهذا العـالم من العرش إلـى الثرى مع العـقل الذى فهمـه وعقله وعلمـه وقسـمه أجـسامـا وجواهر وأعراضا عالم من عـوالمه فصور العالم وكل ما حواه وهو العـالم الذى عقله العقلاء بما فـيه من الأرض والسـماء والماء والنـار والهواء والعـرش والكرسى والجن والإنس والأفلاك والأملاك والألوان والأكوان والأجرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم إلى أعماق أطباق النجوم بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقل وأحقر من خردلة بالنسبة إلى جمـيع العالم ففـرغ بالك عند ذلك من قياسك أنه سبحانه وتعـالى داخل العالم أو خارج العـالم فما أحـقرك وأحقـر علمك فلو فتـحت عين بصيـرتك استحـييت من قيـاسك وفكرك ووهمك وخيالك أيهـا المحدود المحصور لا ينتج فكرك إلا مـحدودا محصـورا وأيها المحيط به الجهـات لا يحكم علمك إلا بالجهات فالجـهات من جملة العالم وقد علمت نسبته إلى عظمة الله فتبارك الله رب العالمين.

(قلت) هذا الكلام من عقيـدة الشيخ شهاب الدين المذكور اقـتصرت على هذا القدر منهـا إذ استـيعابهـا يطول (وهذه عقـيدة) الشيخ الجليل الإمـام الحفـيل شرف العارفين وإمـام المعرفين قدوة المرادين وسـر عباد الـله المرادين عالى المقامـات وغالى الكرامات الحسيب النسيب أبى عبد الله محـمد بن أحمد القرشى الهاشمى قدس الله روحه ونور ضـريحه ونفعنا والمسلمـين ببركته آمـين. وقد أجمع على فـضلهاكل من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحـققين والعلماء الفاضلين المدققين، قال رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله الذى تقدست عن سمة الحدث ذاته وتنزهت عن التشبيـه بالمحدثات صفاته ودلت على وجوده محدثاته وشهـدت بوحدانيته آياته الأول

الذى لا بداية لأزليته، الآخر الذى لا نهاية لسرمديته، الظاهر الذى لاشك فيه الذى ليس فه شبيه، الحى الذى لا يموت ولا يفنى، القادر الذى لا يعجز ولا يعيا، المريد الذى أضل وهدى وأفقر وأغنى، السميع الذى يسمع السر وأخفى البصير الذى يدرك دبيب النمل على الصفا، العالم الذى لا يضل ولا ينسى، المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع ولا بحروف ترجع كل الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعالى له العظمة والكبرياء وله القدرة والسناء وله الأسماء الحسنى والصفات العلا حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة قدرته ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص مخلوقة إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة علمه ليس بكسبى فالكسب بالتأمل والاستدلال يُعلم ولا بضرورى فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ولا بحروف فالحروف تؤخر وتقدم جل ربنا عن التشبيه بخلقه وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه بل هو القديم الأزلى والدائم الأبدى الذى ليس لذاته قد ولا لوجه خد ولا ليده زند ولا له قبل ولا بعد ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ولا بجسم فالجسم بالجهة محفوف هو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبوس ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس﴾[1] ﴿على العرش استوى﴾[2] من غير تمكن ولا جلوس ولا عرش له من قبل القرار ولا التمكن من جهة الاستقرار العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا أمام فيحده ولا خلف فيسنده جل عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والتشبيه والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

(قلت) فجميع هذا الذى ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين أهل العلوم اللدنية والأنوار الساطعة ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يجهل مجدهم وقد

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٢) سورة طه: الآية ٥.

ذكرت جماعة من الفريق الأول وأما الفريق الثانى فعقائدهم معروفة لا تجهل وهى فى مصنفاتهم مذكورة وفضائلهم فى العلم والدين مشهورة مثل الإمام أبى الحسن الأشعرى والإمام أبى إسحاق الإسفرايني والإمام أبى بكر الباقلانى والإمام أبى بكر بن فورك والإمام أبى المعالى إمام الحرمين والإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى والإمام فخر الدين الرازى والإمام ناصر الدين البيضاوى والإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام محيى الدين النووى وغير هؤلاء الأئمة العشرة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة رضى الله عنهم أجمعين لكن بعضهم تكلم فى تأويل الظواهر وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم فى التأويل وممن حكى ذلك عنهم الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين وحكاه فى شرح صحيح مسلم فى الحديث الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له) الحديث قال محيى الدين المذكور هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق والثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى رضى الله عنهما، أنها تتناول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره، ومعناه ينزل رحمته تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثانى على سبيل الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعى بالإجابة واللطف والله أعلم وانتهى كلام الإمام محيى الدين رحمه الله.

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه ما أسهل على العارف إرشاد الجاهل بأن يقول إن كان المراد من النزول إلى سماء الدنيا ليسمعنا فما سمعنا فلا فائدة فى النزول، وقال أيضا الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء كما قال غيره من الأئمة قال واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(١) إذ حمل بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبيعن من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله ﷺ الحجر الأسود يمين الله فى أرضه

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

على التشريف والإكرام إذ لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم كون التمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر أو أصغر وذلك محال وما يؤدى إلى المحال محال، تعالى الله عن ذلك المقال.

قلت وهذا الذي قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه هو نحو مما قاله الإمام حجة الإسلام شيخه الإمام المحقق الناقد المدقق النجيب ابن النجيب أبو المعالى إمام الحرمين رضى الله عنه حيث قال فإن قالوا ما الذى حملكم على تأويل الظاهر قلنا الذى حملكم على تأويل الظاهر أيضا فى قوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(١) وقوله ﷺ : قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه) يعنى الذى ألجأكم إلى تأويل هذه المذكورات لاستحالة ظاهرها فى العقل ألجانا إلى تأويل غيرها لاستحالة ظاهرها أيضا فى العقل الذى به عرف الله عز وجل، وبه تعلق التكليف إذ اعتقاد الظواهر يلزم منه التجسيم والحدوث وغير ذلك من النقص الذى هو من سمات المخلوقين ولا يجوز على الخالق الملك القدوس الموصوف بالجلال والكمال الذى ليس كمثله شيء المتعالى عن النظير والمثال.

وسئل الإمام البارع أبو المعالى صاحب البرهان القاطع إمام الحرمين رضى الله عنه ببغداد هل البارى سبحانه على العرش، فقال فى الجواب خلق العرش من ذرة وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة فكيف يكون مستقره قلت لقد أجاد رضى الله عنه بهذا الجواب الوجيز البالغ المفحم الدامغ فالعرش وإن كان أعظم المخلوقات فهو لا شيء فى جنب عظمة الخالق عز وجل، وقال الإمام مفتى الأنام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه فى عقيدته الجليلة النفيسة الجميلة بعد ما ذكر اعتقاد أهل الحق فى مسائل الأصول واحتج بالمعقول قال هذا جمال من اعتقاد الأشعرى رحمه الله واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح :

يعرفه البـــاحث من خلقه ... وســـائر النـــاس له منكر
(غيره)

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا

انتهى كلامه وقوله أهل الطريقة والحقيقة يعنى بهم الصوفية وعقيدته مشهورة معروفة بالفضيلة بحسن التصرف فى العلوم ونجابة الفروسية فى ميدان مبارزة الخصوم والعقيدة القدسية للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه جمعت بين

(١) سورة الحديد : الآية ٤ .

الملاحة والفصاحة والترتيب العجيب والأسلوب الغريب والفوائد الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة والعبارة البارعة والبراهين القاطعة وغير ذلك من المحاسن الفائقة والمعانى الرائقة فهاتان العقيدتان من ملامح عقائد العلماء الفاضلين وعقيدتان أخريان من ملامح عقائد الأولياء العارفين عقيدة الشيخ أبى عبد الله القرشى والشيخ شهاب الدين السهروردى رضى الله عنهما، وجميع ما ذكرته فى هذا الفصل هو معتقد أئمتنا من الأولياء والعلماء رضى الله عنهم وهو مذهب أهل السنة من السلف والخلف وقد صنف أئمتنا فى ذلك مصنفات كبيرات جليلات نفيسات مبسوطات ومختصرات معروفات مشهورات أقاموا فيها الدلائل الظاهرات والبراهين القاطعات من المعقولات والمنقولات وهذا الكتاب عن إيرادها يضيق بل كثرة الطعن والمجادلات به لا تليق إذ هو موضوع للترقيق والتشويق ولكن إذ قد ذكرت عقائد أئمتنا رضى الله عنهم فأنا أذكر الآن عقيدتى معهم على جهة الاختصار وحذف حجج الأصوليين النظار فأقول وبالله التوفيق الذى نعتقد أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى، ولا نقطع بتعيين تأويل منها بل نكل ذلك إلى العليم الخبير الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وكذلك نعتقد ما اعتقده العارفون والعلماء العاملون أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته لا يقال أين كان ولا كيف كان ولا متى كان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار لا يحله شىء ولا يحل فى شىء كل يوم هو فى شأن فى أفعاله لا فى ذاته وصفاته لا تهتدى عقول العقلاء إلى إدراك معرفة كنه ذاته المقدسة وصفاته العظمى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وقد جمعت المسائل المعتمدة من العقائد فى ثلاث من القصائد وأودعتها الكتاب المسمى بكتاب الدرر وسأذكر فى الفصل الأخير من هذا الكتاب واحدة منها جامعة للعقيدة وغيرها وبها ختمت كتاب الإرشاد لكونها محتوية على التوحيد وصحيح الاعتقاد وذكر الجنة والنار وتشويق الزهاد والعباد.

وأقدم عليها فى هذا الفصل القصيدتين المسماتين مفاخر الفريقين هداة الطريقتين الصوفية العارفين والعلماء العاملين والقصيدة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك.

القصيدة الأولى المسماة راح الأسكار فى اجتلاء عرائس الأنوار من بيض المعارف الأبكار الغانيات للنظار من خلف الأستار الكاشفات الخمار للأولياء الأخيار رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

النهر الماد

من البحر المحيط

تصنيف
الإمام أبي حيان الأندلسي
٦٥٤-٧٤٥هـ

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ-١٩٩٥م

تحقيق
الدكتور عمر الأسعد

المجلد الأول
الفاتحة - آل عمران

دار الجيل
بيروت

كرسيه السماواتُ والأرضُ برفعهما[١]. والكرسي [٦٤/أ] جسم عظيم يسع السماوات والأرض. واختار القَفَّال أنَّ المقصود تصوير عظمة الله وتعزيره[٢]، خاطب الخَلْقَ في تعريفِ ذاتِه بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم انتهى. وفي الحديث: «ما السماواتُ السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس» وفي الحديث أيضاً[٣]: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقةٍ من حديد أُلقيت في فَلاةٍ من الأرض». وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطّه سمّاه كتاب العرش أنَّ الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكاناً يقعد فيه معه رسول الله ﷺ. تحيّل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله حفظهما أي: السماوات والأرض، وهو كناية عن انتفاء شغله بحفظهما. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ تنزيه له تعالى أي: العليّ قدره العظيم شأنه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

(١) ق: برفعها.

(٢) ق: وتقريره، وكتبت مكررة.

(٣) في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ : ١٣ حديث ملفق من الحديثين نصّه «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».

بهجة النفوس

وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها

شرح مختصر صحيح البخاري

المسمى

جمع النهاية في بدء الخير والغاية

للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي

المتوفى سنة ٦٩٩ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٣ - ٤

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

(الرحمن على العرش استوى) أي استوى أمره ونهيه وما شاء من حكمه ومثله قوله تعالى (وجاء ربك والملك) أي جاء أمر ربك وهذا مستعمل في ألسنة العرب كثيرا ومما يزيدهذا بيانا وإيضاحا أعني نفي الذات الجليلة عن الحلول والاستقرار قوله عليه السلام لاتفضلوني على يونس بن متى والفضلية قدوجدت بينهما في عالم الحس لأنه عليه السلام رفع حتى رقى السبع الطباق ويونس عليه السلام ابتلعه الحوت في قعر البحار فالفضلية موجودة مرئية في هذا العالم الحسي ولم يكن عليه السلام لينفي شيئا موجودا حسا ولا يقول إلا حقا فلم يبق معنى لقوله عليه السلام لاتفضلوني على يونس إلا بالنسبة إلى القرب من الله سبحانه فمحمد عليه السلام فوق السبع الطباق ويونس عليه السلام في قعر البحار وهما بالنسبة إلى القرب من الله سبحانه على حد سواء ولو كان عز وجل مقيدا بالمكان أو الزمان لكان النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إليه فثبت بهذا نفي الاستقرار والجهة في حقه جل جلاله

الوجه السادس قوله عز وجل (إن رحمتي غلبت غضبي) غلبت بمعنى أكثر أي بما حكمت بذلك لعبادي بأن أكثرت لهم النصيب من رحمتي على النصيب من غضبي لكن هذا يحتاج فيه إلى كلام وبيان لأنا قد وجدنا مقتضى هذا الكتاب موجودا حسا في الدنيا لأن الرحمة قد عمت الخلق بأجمعهم فيولد الكافر وأبواه يشركان بالله ويعبدان الأوثان وهو يكبر على الطغيان والضلال وهو عز وجل يغذيه بألطافه ويسر له مايحتاج إليه من ضروراته وكذلك غيره من العصاة هذا مشاهد مرئي لايحتاج فيه إلى بيان والقليل النادر من عومل بصفة الغضب لكن الآخرة قد وردت الأخبار فيها بضد هذا فمنها قوله عليه السلام يقول الله عز وجل لآدم يوم القيامة« أخرج بعث النار من بنيك فيقوله يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فشق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف وإنكم فيمن تقدم من الأمم كالشامة البيضاء في جنب البعير الأسود» إلى غير ذلك من الأحاديث التي جاءت في هذا المعنى فكان الغضب في الآخرة على مقتضى هذا الظاهر أكثر من الرحمة وذلك مخالف لنص الحديث ﴿ والجواب) عن هذا الاشكال أنه عليه السلام لم يقل لما قضى الله خلق بني آدم وإنما قال لما قضى الله الخلق فعم ولم يخصص وبنو آدم في مخلوقات الله تعالى البعض من الكل وقد قال عليه السلام إن في هذه الدار من مخلوقات الله تعالى ألف عالم أربع مائة في البر وستمائة في البحر هذا ما هو في هذه الأرض فكم في الأرضين الأخر وكم في السموات من الملائكة وكم تحت العرش وكل هذه المخلوقات تحشر يوم القيامة حتى يقتص الله عز وجل ممن شاء لمن شاء كيف شاء ثم يقول عز وجل لما عدا الثقلين والملائكة كونوا ترابا فعند ذلك (يقول الكافر ياليتني كنت ترابا) لأن النجاة

شرح الزرقاني

على موطأ الإمام مالك

تأليف

محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني
المصري الأزهري المالكي
المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي

طبعة سنة
١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

المجلد الثاني

دار الحديث
القاهرة

وشدّ الراء الجهنى مولاهم المدنى وأصله من أصبهان، وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى (عن أبى هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا) اختلف فيه فالراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه، ونقله البيهقى وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والليث والأوزاعى وغيرهم، قال البيهقى: وهو أسلم ويدل عليه اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب فحينئذ التفويض أسلم، وقال ابن العربى: النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذى ينزل بأمره ونهيه، فالنزول حسى صفة الملك المبعوث بذلك، أو معنوى بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة فهى عربية صحيحة، والحاصل أنه تأوّله بوجهين: إما أن المعنى ينزل أمره أو الملك، وإما أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه، وكذا حكى عن مالك أنه أوّله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أى أتباعه بأمره، لكن قال ابن عبد البر: قال قوم ينزل أمره ورحمته وليس بشىء لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب فى الاستجابة ذلك الوقت، وقال الباجى: هو إخبار عن إجابة الداعى وغفرانه للمستغفرين وتنبيه على فضل الوقت كحديث: «إذا تقرّب إلىّ عبدى شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا...» الحديث، لم يرد قرب المسافة لعدم إمكانه وإنما أراد العمل من العبد ومنه تعالى الإجابة، وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوّله على حذف المفعول أى ينزل ملكًا، قال الحافظ: ويقويه ما رواه النسائى من طريق الأغر عن أبى هريرة وأبى سعيد: «أن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له؟...» الحديث، وحديث عثمان بن أبى العاص عند أحمد: «ينادى مناد: هل من داع يستجاب له؟...» الحديث، قال القرطبى: وبهذا يرتفع الإشكال، ولا يعكر عليه حديث رفاعة الجهنى عند النسائى: «ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادى غيرى» لأنه لا يلزم من إنزاله الملك أن يسأله عن صنع العباد بل يجوز أنه مأمور بالمناداة، ولا يسأل البتة عما بعدها، فهو أعلم سبحانه بما كان وما يكون. انتهى. ولك أن تقول: الإشكال مدفوع حتى على أنه ينزل بفتح أوّله الذى هو الرواية الصحيحة، وكل من حديثى النسائى وأحمد يقوى تأويله بأنه من مجاز الحذف أو الاستعارة، وقال البيضاوى: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد دنوّ رحمته أى ينتقل من مقتضى صفة الجلال التى تقتضى الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التى تقتضى الرأفة والرحمة (تبارك وتعالى) جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه وهو (كل ليلة) لما أسند النزول إلى ما لا يليق إسناده حقيقة إليه اعترض بما يدل على التنزيه كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ (النحل: ٥٧) (إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) برفعه صفة ثلث

المقاصد الحسنة

في

بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة

تأليف

الإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

المتوفى ٩٠٢ هـ

صححه وعلق عليه

عبد الله محمد الصديق

من علماء الأزهر والقرويين

ومتخصص في علم الحديث والإسناد

خرج آياته وأحاديثه

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه.. انتهى بحروفه. وكذا قال شيخنا: معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، والتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى منزه عن الحلول في الأماكن؛ فإنه سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن.

٨٨٥ ـ حديث: **«لو اغْتَسَلَ اللوطيُّ بماءِ البحر لم يجىء يَوْمَ القيامةِ إلا جنُباً»**.

أسنده الديلمي، عن أنس به مرفوعاً. وهو عنده أيضاً من حديث أبي هريرة رفعه بلفظ: **«المتلوط لو اغتسل بكل قطرة تنزل من السماء على وجه الأرض إلى أن تقوم الساعة لما طهره الله من نجاسته أو يتوب»**. وكل ما في معناه باطل.

٨٨٦ ـ حديث: **«لو بغى جبلٌ على جبلٍ لَدُكَّ الباغي»**.

البخاري في الأدب المفرد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا فطر بن خليفة، عن أبي يحيى القتات، سمعت مجاهد، عن ابن عباس به موقوفاً.

وهو عند البيهقي في الشعب، من طريق الأعمش، عن ابن يحيى القتات به.

ورواه ابن مردويه، عن طريق قطبة، عن الأعمش به مرفوعاً؛ ومن طريق الثوري، عن الأعمش موقوفاً.

ورواه ابن المبارك في الزهد، عن فطر، عن أبي يحيى، عن مجاهد مرسلاً.

قال ابن أبي حاتم: اختلف فيه على أبي يحيى القتات، والموقوف أصح.

وفي الباب عن ابن عمر عند ابن مردويه، وعن أنس عند ابن حبان في الضعفاء في ترجمة أحمد بن الفضل، وقال: إنه كان يضع الحديث.

٨٨٧ ـ حديث: **«لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**.

متفق عليه عن أنس به مرفوعاً، وفي الباب عن أبي هريرة وجماعة.

---

٨٨٥ ـ أخرجه علي القاري في الأسرار المرفوعة ٢٨٩، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/١١٢، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/٢١٩.

٨٨٦ ـ أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٠٤، والشوكاني في الفوائد المجموعة ٢١٢، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/٢١٩.

٨٨٧ ـ أخرجه البخاري ٢/٤٣، ٦/٦٨، ٧/٤٥، ٨/١٢٧، ١٦١، ١٦٢، ومسلم في الفضائل حديث ١٣٤، والترمذي ٢٣١٢، ٢٣١٣، والنسائي في الكسوف باب ١٠، ٢١، وابن ماجه ٤١٩٠، ٤١٩١، وأحمد في المسند ٢/٣١٢، ٤٣٢، ٤٥٣، ٤٦٧، ٤٧٧، ٥٠٢، ٣/١٨٠، ١٩٣، ٢١٠، ٢٥١، ٢٦٨، والدارمي ٢/٣٠٦.

مفيد العلوم ومبيد الهموم

تصنيف

زكريا بن محمد بن محمود القزويني

ت ٨٦٢هـ

تحقيق وتقديم

محمد عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

للملحدين، وكذلك أقوال الصحابة رضي الله عنهم حجة بخطاب رسول الله، وأقوال العلماء حجة بخطاب الرسول، وطاعة الأمراء واجبة بقول الرسول، وطاعة الزوج على زوجته والسيد على غلمانه واجبة بقول رسول الله. فليعلم بأن هذا أصل عظيم.

سؤال عظيم: اشتبه على زهاء خمسمائة فلسفي قالوا: كيف نعرف النبي أنه نبي، فإن الله لا يخاطبه مواجهة، ولو جاءه ملك احتمل أنه شيطان تصور بصورة ملك، فكيف نثق بقوله؟

الجواب: البراهمة أوتوا حين كفروا من هذه الشبهة، وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين فنقول: نعرف النبي انه نبي بطرق ثلاثة:

الأول: أن يخلق الله له علماً ضرورياً، فنعرف أنه رسول الله.

الثاني: أن يظهر الله آيات وعلامات، فيضطر الرسول إلى أنه من قبل الله، وأن البشر يعجز عن مثله.

الثالث: أن يخبره الله بما في قلبه وصدره، فيضطر النبي إلى معرفة كلامه؛ لأن الغيب لا يعلمه الا الله، عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً.

* * *

الباب الثالث

في التوحيد

فإن قيل: ما حد التوحيد ومن الموحد؟ فأقول على الخبير: حد التوحيد: العلم بأن الله سبحانه واحد بصفاته التي هو عليها، من كونه حياً قادراً، عالماً مريداً، سميعاً بصيراً، متكلماً.

والموحد: هو العالم بأن الله واحد، حي عالم قادر، مريد سميع بصير، متكلم.

والتوحيد: أن يعلم أن الله واحد قديم، لم يزل ولا يزال، كان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه، كان عالم بعلم أزلي، قادر بقدرة أزلية، يعلم مثاقيل الجبال

وأوزانها، وأوراق الأشجار وكمياتها، وقطرات البحار، ويعلم عدد الحيوان والدواب ومواضعها، يعلم كم المؤمن وكم الكافر وكم الذكر وكم الأنثى وكم الأحياء وكم الأموات، يسمع كلام نفسه، لا يدخل في الوهم، منزه عن التقدير والتحديد، مقدس عن خطرات الخاطر؛ لأن كل ما يقدره الوهم يكون متلوناً مقدراً أو مشبهاً بشيء، والله مقدس عن جميع ذلك وكل ما يخطر بالبال، فالله بخلاف ذلك الشيء، وخالق ذلك الشيء، فمن اعتقد هذا فمؤمن موحد حقاً. وجملة التوحيد في حرف واحد وهو: أن يعلم العبد أن القديم لا يشبه المحدث، وأن الله سبحانه لا يجوز عليه الإتصال والإنفصال والقرب والبعد والحلول والإنتقال والطبع والغش. وقال بعض العلماء: «خلاصة التوحيد أن يعتقد العبد أن كل ما يتقدر في الوهم ويتصور في الخاطر، فالله بخلاف ذلك، وخالق ذلك، وأن الله تعالى غير مشبه بالذوات، وذاته غير معطلة عن الصفات».

° ° °

الباب الرابع

في نكت الأئمة في التوحيد

أول دليل على أجل جليل، قال الإمام المطلبي رضي الله عنه: «استقبلني سبعة عشر زنديقاً في طريق غزة، فقالوا: ما الدليل على الصانع؟ فقلت لهم: إن ذكرت دليلاً شافياً، هل تؤمنون؟ قالوا: نعم، قلت: نرى ورق الفرصاد طبعها ولونها وريحها سواء، فيأكلها دود القز، فيخرج من جوفها الابريسم، ويأكلها النحل، فيخرج من جوفها العسل، وتأكلها الشاة فيخرج من جوفها البعر، فالطبع واحد إن كان موجباً عندك فيجب أن يوجب شيئاً واحداً؛ لأن الحقيقة الواحدة لا توجب إلا شيئاً واحداً، ولا توجب متضادات متنافرات، ومن جوز هذا كان عن المنقول خارجاً، وفي التيه ولجاً، فانظر كيف تغيرت الحالات عليها، فعرفت أنه فعل صانع عالم قادر، يحول عليها الأحوال ويغير التارات، قال: فبهتوا، ثم قالوا: لقد أتيت بالعجب العجاب، فآمنوا وحسن إيمانهم». وجاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فقال: ما الدليل على الصانع؟ قال: «أعجب دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن، يخلقه الله في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة».

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر

للعلامة المحدث الفقيه علي بن سلطان محمد القاري

المتوفى سنة (١٠١٤هـ)

ومعه

التعليق الميسر على شرح الفقه الأكبر

تأليف

الشيخ وهبي سليمان غاوجي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار البشائر الإسلامية

ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم، وهو مختار الإمام والطحاوي، والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته.

(**وهو شيء لا كالأشياء**)، هذا فذلكة الكلام ومجمله المرام، فإنه سبحانه شيء، أي موجود بذاته وصفاته، إلا أنه ليس كالأشياء المخلوقة ذاتاً وصفة كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] سواء نقول الكاف زائدة للتأكيد والمبالغة كقول العرب: مثلك لا يبخل، وهم يريدون نفيه عن نفسه، وأنهم إذا نفوه عن مثله فقد نفوه عنه بأبلغ وجه منه؛ فالكناية أبلغ في باب الرعاية، والتلويح أولى من التصريح، أو نقول: الكاف ثابتة، والمراد بمثله ذاته أو صفاته.

والحاصل كما قاله العارف الكامل: ما خطر ببالك فالله سوى ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، والعجز عن درك الإدراك إدراك، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، ويعلم من قوله: (شيء لا كالأشياء)، أنه سبحانه ليس في مكان من الأمكنة ولا في زمان من الأزمنة، لأن المكان والزمان من جملة المخلوقات، وهو سبحانه كان موجوداً في الأزل ولم يكن معه شيء من الموجودات.

(١) (لا أحصي ثناء عليك)، رواه مسلم والأربعة. وأوله: (أعوذ برضاك من سخطك).

بعض الآيات والأحاديث الدالة على صفة الفوقية ونعت العلوية فمسلم، إلا أنه مؤوّل كله بعلوّ المكانة؛ ثم قال: ومنه ما روي عن أبي مطيع[1] البلخي رحمه الله أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمن قال: لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٤]، وعرشه فوق سبع سموات. قلت: فإن قال إنه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر، لأن الله تعالى في أعلى عليِّين، وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل. انتهى.

والجواب أنه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتاب حل الرموز: أنه قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر؛ لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً، ومن

(١) (ما روي عن أبي مطيع): سيذكر المصنف ما ورد في أبي مطيع، فلا تقبل هذه الرواية عنه، لكن العجب أن أحد المصنفين السلفيين كتب رسالة عن الأئمة الأربعة، فذكر هذا الخبر ليوهم القراء أن التابعي الجليل يقول بالجهة والمكان لله رب العالمين تعالى عن ذلك علواً كبيراً والعجب أن بعضهم يعتمد تمحيص الروايات فيما يروي، وليس فيما يقول. أو ينقل عن الآخرين إذا وافق مذهبه واتجاهه وما أكثر الأدلة على هذا، منها ما توهم الشيخ ناصر بأن الحنفية قالوا: إن عيسى عليه السلام حين ينزل يحكم بمذهب أبي حنيفة فقال في تعليقه على مختصر مسلم أن عيسى عليه السلام لا يحكم بالإنجيل، ولا مذهب أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ ولو تحقق من أن الحنفية كذبوا ذلك الخبر في كتبهم، وكتبوا رسائل، وآخر من نبه عليها إمام المحققين ابن عابدين رحمه الله تعالى، لكان خيراً.

توهم أن للحق مكاناً فهو مشبِّه. انتهى[1].

ولا شك أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم، فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح، مع أن أبا مطيع رجل وضّاع عند أهل الحديث كما صرّح به غير واحد.

والحاصل أن الشارح يقول بعلوّ المكان مع نفي التشبيه، وتبع فيه طائفة من أهل البدعة، وقد تقدم عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يؤمن بالصفات المتشابهات ويعرض عن تأويلها، وينزّه الله تعالى عن ظواهرها، ويَكِلُ علمها إلى عالمها كما هي طريقة السلف وكثير من الخلف، ومذهبهم أسلم وأعلم وأحكم، ولقد أغرب حيث قال: المكانة تأنيث المكان، وأراد أنهما واحد في المعنى، ولم يفرّق بين المنزلة المعنوية وبين المرتبة الحسية مع أنه أورد ما جاء في الأثر: «إذا أحبّ أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه»[2]، ثم قال: وهو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك. انتهى. فهو من قبيل ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) انظر: الإمام أبو حنيفة ص ٢٦٠ للمعلق.

وجاء في الفقه (الأبسط) للإمام: قول من قال: لا أدري اللّهَ في السماء أو في الأرض، كفر، قال الشيخ أبو الليث السمرقندي في شرح هذه الرسالة بعد أن أورد عبارة الإمام: لأنه يعني بذلك نسبة الجهة إلى الله تعالى، ثم تردد في تعيينها والقول بالجهة عنده كفر. اهـ.

(٢) (إذا أحب أحدكم أن يعرف منزلته عند الله...) ابن المبارك في الزهد ص ٥٠٢.

«حبك الشيء يعمى ويصمّ»[1].

وقد ثبت عن إمام الحرمين في نفي صفة العلوّ قوله كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان. (أي المكاني)

ومما ينقض القول بالعلوّ المكاني وضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض إجماعاً. وأما قول بشر المريسي في حال سجوده: سبحان ربي الأعلى والأسفل، فهو زندقة وإلحاد في أسمائه تعالى. ومن الغريب أنه استدلّ على مذهبه الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء وهو مردود، لأن السماء قبلة الدعاء بمعنى أنها محل نزول الرحمة التي هي سبب أنواع النعمة، وموجب دفع أصناف النقمة، ولو كان الأمر كما قال هذا القائل في مدّعاه الباطل لوقع التوجّه بالوجه إلى السماء، وقد نهانا الشارع عن ذلك حال الدعاء لئلا يتوهم أن يكون المدعو في السماء كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقد ذكر الشيخ أبو معين النسفي[2] إمام هذا الفن في التمهيد له، من أن المحققين قرّروا أن رفع الأيدي إلى السماء في حال الدعاء تَعبّد محض. قال شارحه العلامة السغناقي: هذا جواب عما تمسك به غلاة الروافض واليهود والكرامية وجميع المجسمة في أن الله تعالى على العرش.

---

(١) (حبك الشيء يعمي ويصم) أبو داود ١١٦، أحمد ٥/ ١٩٤، ٦/ ٤٥.

(٢) أبو المعين ميمون بن محمد النسفي، توفي سنة ٥٠٨هـ، مؤلف تبصرة الدلالة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي، ويقع في جزأين.

فبها، وإلا فإن كان مصمِّماً على مقوله ولم يرجع بالمنقول عن معقوله فيجب تعزيره وتشهيره بما يراه الحاكم الشرعي كما يقتضيه تقريره، فإنه لا يخلو من أن يدعي ادِّعاء مطلقاً في بيانه أو منزّهاً عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه، فيكون ممن افترى على الله كذباً، وهو من أكبر الكبائر، بل عدَّ بعض العلماء الكذب على النبي ﷺ كفراً، فمن أظلم ممن كذب على الله أو ادَّعى ادِّعاء معيناً مشتملاً على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافراً لا محالة، وهذا مجمل مقال بعض أرباب العقائد المنظومة:

من قال في الدنيا نراه بعينه ... فذلك زنديق طغا وتمرّدا

وخالف كُتْبَ الله والرسل كلها ... وزاغ عن الشرع الشريف وأبعدا

وذلك ممن قال فيه إلٰهنا ... يرى وجهه يوم القيامة أسودا

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقد نقل جماعة الإجماعَ على أن رؤية الله تعالى لا تحصل للأولياء في الدنيا. وقد قال ابن الصلاح

ليلة الإسراء، فقد روى البخاري بسنده إلى مسروق قال: لقي ابنَ عباس كعبٌ بعرفة فسأله عن شيء، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبت الجبال، ثم إنه قال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. فتح الباري ٨/٦٠٦. ورواه مسلم وغيره. وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه يحلف بالله لقد رأى محمد ربه. وقال الإمام النووي: الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج. انظر الشفاء في حقوق المصطفى، للقاضي عياض رحمه تعالى.

مناقب الشافعي

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

٣٨٤ - ٤٥٨

تحقيق

السيد أحمد صقر

الجزء الأول

مكتبة دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

يدل على كثرة مناظرته أهل البدع حتى عرف عادتهم فى إظهار مذهب الشيعة، وإضمار ما وراءه من البدعة التى هى أقبح منه .

ثم ذكر من مذهب من يتشيع : ما أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه فيما قرأت عليه قال : حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبة قال : حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد ابن إبراهيم الكرابيسى ، قال : حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد بن إبراهيم الكرابيسى قال: حدثنا أبو حاتم الرازى قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول:

سمعت الشافعى يقول : أجيز شهادة أهل الأهواء كلّهم إلا الرّافضة؛ فإنهم يشهد بعضهم لبعض[1] .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : سمعت أبا تراب يقول : سمعت محمد بن المنذر يقول . سمعت أبا حاتم الرازى يقول : سمعت حرملة يقول :

سمعت الشافعى يقول : لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة[2] .

وأخبرنا محمد بن عبد الله قال : أخبرنى الزبير بن عبد الواحد قال : حدثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان بدمشق قال :

سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : سمعت الشافعى إذا ذكر الرافضة عابهم أشدّ العيب فيقول : شر عصابة .

قلت : والحدثان من الأمور ، على ما أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل قال : حدثنا أبو العباس الأصم قال : حدثنا الربيع بن سليمان قال :

(١) آداب الشافعى ومناقبه ١٨٩ والسنن الكبرى ٢٠٩/١٠ .
(٢) السنن الكبرى ٢٠٨/١٠ وآداب الشافعى ومناقبه ١٨٧ .

حدثنا الشافعي قال : المحدثات من الأمور ضربان :

أحدهما : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً . فهذه البدعة الضلالة .

والثانية : ما أحدث من الخير لاخلاف فيه لواحد من هذا . وهذه محدثة غير مذمومة .

[وقد] قال عمر ، رضى الله عنه،فى قيام شهر رمضان : نعمت البدعة هذه. يعنى أنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها ردّ لما مضى .

قلت : فكذا مناظرة أهل البدع إذا أظهروها ، وذكروا شبههم منها ، وجوابهم عنها ، وبيان بطلانهم فيها .

وإن كانت من المحدثات فهى محمودة ليس فيها ردّ ما مضى . وقد سئل النبى،صلى الله عليه وسلم،عن القدر ، [فأجاب عنه[1]] وسئل عنه بعض الصحابة فأجابوا عنه بما روينا عنهم ، غير أنهم[2] إذ ذاك كانوا يكتفون بقول النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده بالخبر عنه .

وأهل البدع فى زماننا لا يكتفون بالخبر ولا يقبلونه ، فلابدّ من ردّ شبههم إذا أظهروها بما هو حجة عندهم . وبالله التوفيق .

وكان الشافعى،رضى الله عنه،شديداً على أهل الإلحاد وأهل البدع،مجاهراً ببغضهم وهجرتهم .

قرأت فى كتاب العاصمى ، عن الزبير بن عبد الواحد ، عن يوسف بن عبد الأحد ، عمن حدثه ، قال :

---

(١) الزيادة من ح .

(٢) فى ا : « غير أنه » .

كتاب المصاحف

تصنيف

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

عبد الله بن سليمان بن الأشعث

رحمه الله

قدّمه وعلّق عليه واعتنى به

محمد بن عبده

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

[باب](*)

نقط المصاحف

[٤٤٤] حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا الحسين بن الوليد عن هارون بن موسى قال أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر .

ق٦٨/أ [٤٤٥] حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن بشار/ حدثنا عبد الأعلى ومحمد بن بكر قالا حدثنا هشام عن الحسن أنه كره أن تنقط المصاحف بالنحو .

= إبراهيم بن الحسن القسمي أبو إسحاق ثقة حجاج هو بن محمد المصيصي ثقة ثبت .

أبو التياح هو يزيد بن حميد الضبعي ثقة ثبت .

حجاج بن محمد .

(٤٤٤) **إسناده صحيح** .

فيه عبد الله بن محمد المخرمي وفي نسخة قرطبة محمد بن عبدالله المخزومي وكلاهما خطأ .

والصحيح محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي أبو جعفر البغدادي ثقة حافظ .

(٤٤٥) **إسناده ضعيف** .

=

(*) سقطت من المخطوط .

الجامع في العلل ومعرفة الرجال

للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

المتوفى (٢٤١ هـ)

ضبط نصه وخرج آياته

أبو علي النظيف

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

أمي الصيرفي ثقة .

شعبة مولى ابن عباس ما أرى به بأسا . قال مالك : لم يكن يشبه القراء .

مخرمة بن بكير ثقة إلا أنه لم يسمع من أبيه شيئا .

إبراهيم بن عقبة ثقة .

يزيد بن خصيفة ما أعلم إلا خيرا .

عدي بن ثابت ثقة ، إلا أنه كان يتشيع .

صالح مولى التوأمة صالح الحديث .

سلم بن أبي الذيال ما أصلح حديثه .

سمعت أبي يقول : عبد الله بن مسلم بن هرمز ليس بشيء ضعيف الحديث ، يحدث عنه الثوري ، وعبد الله بن نمير .

سئل عن دهشم بن قران ، قال : كان شيخا ليس به بأس . حدث عنه أبو بكر بن عياش ، ثم أخرج كتابا عن يحيى بن أبي كثير فترك حديثه متروك الحديث .

عمر بن الوليد الشني ليس به بأس .

أبو مكين ثقة .

السري بن يحيى ليس فيه اختلاف هو من الثقات ، الربيع بن حبيب ما أرى به بأسا . صالح بن مسلم البكري ليس به بأس ، ثم قال : صالح بن مسلم ثقة .

سألته عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل ، فقال : لا بأس بذلك .

سألت أبي عن سالم أبي النضر وسمي ، فقال : كلاهما ثقة ، قال : حوشب بن عقيل العبدي الهجري ، قال : شيخ ثقة : جهير بن يزيد ، قال : هو ثقة . النعمان بن راشد مضطرب الحديث .

محمد بن عمرو الأنصاري كان يكون بالبصرة وعبادان ، وكان يحيى بن سعيد يضعفه جدًّا .

قلت لأبي : أي أصحاب إبراهيم أحب إليك ؟ قال : الحكم ثم منصور ما أقربهما . سمعته يقول : كانوا يرون أن عامة حديث أبي معشر إنما هو عن حماد .

قال أبي : هلال بن خباب شيخ ثقة .

سليمان بن أبي المغيرة شيخ ثقة .

الأدب المفرد

للإمام الحافظ الحجة
أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
رحمه الله
١٩٤-٢٥٦هـ

تحقيق
فريد عبد العزيز الجندي

دار الحديث
القاهرة

٩٦١- قال: وولد لفلان من الأنصار غلام فسماه محمداً فقالت الأنصار: لا نكنيك رسول الله. حتى قعدنا في الطريق نسأله عن الساعة، فقال: «**جئتموني تسألوني عن الساعة**»، قلنا: نعم، قال: «**ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة**»، قلنا: وُلد لغلام من الأنصار غلامٌ فسماه محمداً فقالت الأنصار: لا نكنيك برسول الله قال: «**أحسنت الأنصار، سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**».

٤٣٥- باب

٩٦٢- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني الدراوردي، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ في السوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفيه عمر بجدْي أسك فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: لا. قال: «**ذلك لهم لاثًا**»، فقالوا: لا والله لو كان حيًا لكان عيبًا فيه أنه سك- والأسك الذي ليس له أذنان- فكيف وهو ميت؟ قال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**».

٩٦٣- حدثنا عثمان المؤذن قال: حدثنا عوف، عن الحسن عن عُتَيّ بن ضمرة قال: رأيت عند أبي رجلاً تعزى بعزاء الجاهلية فأعضَّه أبي ولم يكنه؛ فنظر إليه أصحابه، قال: كأنكم أنكرتموه!؟ فقال: إني لا أهاب في هذا أحدًا أبدًا، إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوه**». حدثنا عثمان قال: حدثنا المبارك، عن الحسن، عن عُتَيٍّ... مثله.

٤٣٦- باب: ما يقول الرجل: إذا خدرت رجله

٩٦٤- حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجلُ ابن عمر فقال له رجل: اذكر أحبَّ الناس إليك فقال: يا محمد.

٩٦١- صحيح: سبق تخريجه.

٩٦٢- صحيح: رواه مسلم في الزهد (٢).

٩٦٣- صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٣٦)، والنسائي (٨٨٦٤)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٨/ ١٦٩)، والألباني في الصحيحة (٢٦٩).

٩٦٤- ضعيف: ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ٣٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد (٩٦٤).

الوفا

بأحوال المصطفى

تأليف

الشيخ الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

(٥١٠ - ٥٩٧)

دراسة وتحقيق

مصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

عائشة فقالت: انظروا قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كُوًّا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطروا مطراً حتى نبت العشبُ وسَمِنت الإبل حتى فتُقت فسمي عام الفتق(٩٢).

١٥٣٥ ـ عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الْحَرَّة لم يؤذَّن في مسجد رسول الله ﷺ ثلاثاً ولم يُقَمْ، ولم يَبرح سعيد بن المسيَّب من المسجد، فكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهَمْهمة يسمعها من قبر رسول الله ﷺ.

١٥٣٦ ـ عن أبي بكر المِنْقَريّ قال: كنت أنا والطَّبَرانيّ، وأبو الشيخ في حَرَم رسول الله ﷺ وكنا على حالة، فأثَّر فينا الجوع، فواصَلْنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرتُ قبرَ رسول الله ﷺ وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع!! وانصرفت.

فقال لي أبو الشيخ: اجلس فإما أن يكون الرزقُ أو الموت.

قال أبو بكر: فنمت أنا، وأبو الشيخ، والطبرانيُّ جالسٌ ينظر في شيء. فحضر بالباب عَلَوِيٌّ[1] فدقَّ الباب، فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيلٌ[2] كبير فيه شيء كثير. فجلسنا وأكلنا، وظننا أن الباقي يأخذُه الغلام، فولّى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قالِ العلوي: يا قوم، أشكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم!

* * *

الباب الأربعون

في ذكر ندب فاطمة عليه ﷺ

١٥٣٧ ـ عن أنس قال: لمَّا ثَقُل رسول الله ﷺ جعل يتغشَّاه الكَرْب، فقالت فاطمة: واكرب أبتاه. فقال لها: «ليس على أبيك كربٌ بعدَ اليوم»(٩٣). فلما مات قالت:

---

(٩٢) «قحط أهل المدينة قحطاً شديداً...».
أخرجه الدارمي في سننه باب ١٥ من المقدمة.

(٩٣) حديث: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم».
سبق تخريجه.

(1) أي واحد من الأشراف من ذرية سيدنا علي

(2) وهو السَّلة

يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه. ثم لما دُفن قالت فاطمة: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تَحْثُوا على رسول الله ﷺ التراب!

١٥٣٨ ـ عن علي عليه السلام قال: لما مات رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام، فأخذت قبضة من تراب القبر، فوضعته على عينيها، فبكت وأنشأت تقول:

مـاذا على من شَمَّ تُـرْبَـةَ أحمـدٍ ... أن لا يَشُمَّ مـدى الزمـان غَـوَالِيَـا
صُبَّتْ عَليَّ مصـائـبٌ لـو أنهـا ... صُبَّت على الأيـام عُـدْنَ لَيَـالِيَـا

١٥٣٩ ـ عن عطاء قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أصابت أحدكم مصيبة فليذكر مصابه فيَّ، فإنها من أعظم المصائب»(٩٤).

* * *

الباب الحادي والأربعون

في فضل الصلاة عليه ﷺ

١٥٤٠ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً»(٩٥).
انفرد بإخراجه مسلم.

١٥٤١ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليَّ واحِدةً صلى الله [عليه] عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات»(٩٦).

---

(٩٤) حديث: «إذا أصابت أحدكم مصيبة...».
أخرجه أحمد في المسند ٣١٣/٦. وابن عدي في الكامل ١٨٢١/٥. وانظر: مجمع الزوائد ٢/٣.

(٩٥) حديث: «من صلى عليّ واحدة...».
أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة حديث ٧٠. وأحمد ٣٧٢/٢، ٢٨٥. وابن أبي شيبة ٥١٧/٢.

(٩٦) حديث: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه...».
أنظر الهامش السابق، وكذلك شرح السنة للبغوي ١٩٥/٣. ومجمع الزوائد ١٦٢/١٠. وفتح الباري ١٦٧/١١.

تهذيب
الأسماء واللغات

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الحافظ
أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي
المتوفى ٦٧٦ هـ

علق عليه ووضع حواشيه
مصطفى عبد القادر عطا

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

المحتوى:

تراجم أعلام الرجال
حرف الواو - حرف الياء
الكنى والأنساب والألقاب والقبائل والنساء
أسماء المواضع

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

بدن: قال أهل اللغة: البدن الجسد. وقال صاحب العين: «البدن من الجسد ما سوى الشوى، والرأس. قال أهل اللغة: الشوى: اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، وكل ما ليس متصلاً. قال الجوهري: البدن السمن والاكتناز، تقول منه بدن الرجل بالفتح يبدن بدنًا إذا ضخم، وكذلك بدن بالضم يبدن بدانة فهو بادن، وامرأة بادن أيضًا وبدين وبدن بالتشديد أسن، أما البدنة فحيث أطلقت في كتب الحديث والفقه فالمراد بها البعير ذكرًا كان أو أنثى، وشرطها أن تكون في سن الأضحية وهي التي استكملت خمس سنين ودخلت في السادسة، هذا معناها في الكتب المذكورة، ولا تطلق في هذه الكتب ما ذكرنا بلا خلاف. وأما أهل اللغة فقال كثيرون منهم أو أكثرهم: تطلق على الناقة والبقرة. وقال الأزهري في «شرح ألفاظ المختصر»: البدنة لا تكون إلا من الإبل والبقر والغنم، هذا كلام الأزهري. وقال الماوردي في كتابه «التفسير» في قول الله عز وجل: ﴿والبُدْنَ﴾ قال الجمهور: هي الإبل، وقيل الإبل والبقر، وهو قول عطاء وجابر، وقيل: الإبل والبقر والغنم. قال: وهو شاذ، وأما إطلاقها على الذكر والأنثى من حيث اللغة فصحيح، وممن نص عليه وصرح به صاحب كتاب «العين» فقال: البدنة ناقة أو بقرة كذلك الذكر والأنثى منها يُهدَى إلى مكة هذا لفظه. وجمع البدنة: بدن بضم الدال وإسكانها وممن نص على الضم صاحب «الصحاح».

بدع: البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلى: حسنة وقبيحة.

قال الشيخ الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب «القواعد»: البدعة منقسمة إلى: واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة. قال: والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، وللبدع الواجبة أمثلة منها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، وذلك واجب؛ لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة في اللغة، الثالث تدوين أصول الدين وأصول الفقه، الرابع الكلام في الجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتأتى ذلك إلا بما ذكرناه، وللبدع المحرمة أمثلة منها: مذاهب

القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة والرد على هؤلاء من البدع الواجبة، وللبدع المندوبة أمثلة منها إحداث الرُبط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها التراويح، والكلام في دقائق التصوف، وفي الجدل، ومنها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى. وللبدع المكروهة أمثلة: كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف، وللبدع المباحة أمثلة: منها المصافحة عقب الصبح والعصر، ومنها: التوسع في اللذيذ من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، ولبس الطيالسة، وتوسيع الأكمام. وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنن المفعولة في عهد رسول الله ﷺ فما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصلاة والبسملة هذا آخر كلامه.

وروى البيهقي بإسناده في «مناقب الشافعي» عن الشافعي رضي الله عنه قال: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث مما يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعة الضلالة، والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من العلماء، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت ليس فيها رد لما مضى، هذا آخر كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

بدا: بلا همزة، قال أهل اللغة: بدا الشيء يبدو بدوا بتشديد الواو، كقعد قعودًا، أي ظهر، وابتديته أظهرته، وبدا القوم بَدْوًا خرجوا إلى البادية، كقتلوا قتلاً، وبداله في الأمر بلا همزة بَدَاءً وبدًا بالمد والقصر حكاه عياض أي حدث له فيه رأي لم يكن، وهو ذو بَدَوَاتٍ أي يتغير رأيه، ومنه قوله في مسح الخف امسح سبعًا، وما بدالك والبَدَاءُ محال على الله تعالى بخلاف النسخ، والبَدوُ والبادية بمعنى. ومنه الحديث في باب صلاة الجماعة «ما من ثلاثة في قرية أو بَدْوٍ». والنسب إليه بدوي، وفي الحديث «من بدا جفا» أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، والبداوة الإقامة في البادية. قال الجوهري: بكسر الباء وفتحها، وهي خلاف الحضارة. قال: قال ثعلب: لا أعرف فتحها إلا عن أبي زيد وحده، والنسبة إليه بداوي وباداه بالعداوة أي جاهره، وتبادوا بالعداوة تجاهروا، وتبدى أقام بالبادية، وتبادى تشبَّه بأهل البادية، وأهل المدينة يقولون: بدينا بمعنى بدأنا، هذا كله كلام الجوهري.

بذرق: قوله في أول الحج من «الوسيط» و«الوجيز» وجد بَذْرَقة بأجرة يعني خفيرًا، وهي لفظة عجمية عربت، وهو بفتح الباء وإسكان الذال وفتح الراء وبعدها قاف ثم

الأذكار

المنتخبة من كلام سيد الأبرار

صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

الإمام الحافظ شيخ الإسلام

محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

الدمشقي الشافعي

٦٣١ - ٦٧٦ هجرية

وعليه

شرح وجيز مختصر من شرح العلامة ابن علان

الناشر

دار الكتاب العربي

ص.ب ٥٧٦٩-١١ بيروت

باب ما يقول عند الحجامة

روينا فى كتاب ابن السنى عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ عِنْدَ الحِجامَةِ كانَتْ مَنْفَعَةً حِجامَتِهِ » .

باب ما يقول إذا طنت أذنه

روينا فى كتاب ابن السنى عن أبى رافع رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذَا طَنَّتْ أُذُنُ أَحَدِكُمْ فَلْيَذْكُرْنِى وَلْيُصَلِّ عَلَىَّ وَلْيَقُلْ : ذَكَرَ اللهُ بِخَيْرٍ مَنْ ذَكَرَنِى » .

باب ما يقوله إذا خدرت رجله

روينا فى كتاب ابن السنى عن الهيثم [1] بن حنش قال « كنا عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكأنما نُشِطَ من عقال [2] » .

وروينا فيه عن مجاهد قال « خدرتْ رِجْلُ رجلٍ عند ابن عباس ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : محمد صلى الله عليه وسلم ، فذهب خدره »

وروينا فيه عن إبراهيم بن المنذر الحزامى أحد شيوخ البخارى الذين روى عنهم فى صحيحه قال : أهل المدينة يعجبون من حسن بيت أبى العتاهية :

وتخدُرُ فى بعض الأحايين رجــله ... فان لم يقل يا عتبُ لم يذهب الخدر

---

(١) روينا فى كتاب ابن السنى عن الهيم ، هو بفتح الهاء وسكون التحتية وبالمثلثة المفتوحة ؛ وحنش بفتح المهملة والنون وآخره معجمة ، ورواه ابن بشكوال من طريق أبى سعيد فذكره . قال السخاوى : ولا أعلم أبو سعيد أكنيته الهيثم أم لا ؟ . قلت : وأخرجه ابن السنى أيضا من طريق أبى سعيد ، وكذا أخرجه أبو نعيم فى المستخرج على كتاب ابن السنى .

(٢) فكأنما نشط من عقال ، بضم النون وكسر المعجمة آخره طاء مهملة : أى فكّ من عقال ، وهو الحبل الذى يعقل به البعير ، وهو كناية عن ذهاب الكسل أو المرض وحصول النشاط والصحة ، وفى النهاية كأنما أنشط من عقال : أى حلّ ، وقد تكرر فى الحديث وكثيرا ما يجىء فى الروايات : نشط من عقال : أى بحذف الألف وليس بصحيح ، يقال نشطت المعقدة : إذا عقدتها ، وأنشطتها وانتشطتها إذا حللتها انتهى .

الفتاوى الكبرى الفقهية

لابن حجر الهيتمي

وبهامشه

فتاوى العلامة شمس الدين محمد الرملي

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الهمام فى المسايرة أن الانبياء من بنى آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة خواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم كالصلحاء أفضل من عوامهم اه والتفصيل حسن صحيح (٣٨٢) معتمد وقد علم مما ذكرته خواص البشر وعوامهم وخواص الملائكة وعوامهم (سئل) عما يقع

من العامة من قولهم عند الشدائد ياشيخ فلان يارسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا وهل للرسل والانبياء والاولياء والصالحين والمشايخ اغاثة بعد موتهم وماذا يرجح ذلك (فاجاب) بان الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين جائزة

وللرسل والانبياء والاولياء والصالحين اغاثة بعد موتهم لان معجزة الانبياء وكرامات الاولياء لا تنقطع بموتهم أما الانبياء فلانهم أحياء فى قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الاخبار وتكون الاغاثة منهم معجزة لهم والشهداء ايضا أحياء شوهدوا نهارا جهارا يقاتلون الكفار وأما الاولياء فهى كرامة لهم فان أهل الحق على أنه يقع من الاولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتى من عند الله على ما نطق به التنزيل وقصة أبى بكر وأضيافه كما فى الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لامير الجيش وعليه ياسارية الجبل محذرا له من وراء الجبل لكمن العدو هناك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين وشرب خالد السم من غير تضرر به وقد جرت خوارق على أيدى الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن انكارها التواتر بمجموعها وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون

بشهادة البينة فكما اشترط سماعه لشهادتهما حتى يحكم بها كذلك يشترط سماعه لليمين أو النكول حتى يحكم بأحدهما وهذا ظاهر لاغبار عليه ومما يدل عليه قولهم لو شهدت بينة على قاض أنك حلفت فلانا على كذا ولم يتذكره لم يلتفت لتلك البينة قالوا لان القاضى لا يقضى حكمه الا اذا تذكره ولا يعتمد فيه على البينة فاذا لم يقبل البينة على ذلك فاولى أن لا يقبلها اذا شهدت عنده أنه حلف بين يديه من غير أن يسمعه اذ لو قلنا انه لا يشترط سماعه لا كتفى بحلف من وجه عليه اليمين فى حضرته وان لم يسمعه فلما لم يكتفوا بتلك البينة علمنا أن هذه البينة لا يكتفى بها بالاولى كما تقرر وصرحوا أيضا بأنه لابد أن تكون اليمين بتحليف القاضى أو نائبه ومع ذلك كيف يتوهم أن القاضى لا يشترط سماعه اذ كيف يدار الامر على تحليفه ولا يدار على سماعه فان قلت يمكن أن يراد بتحليفه أمره بالحلف ولا يلزم من أمره به سماعه له بعد انقضاء أمره به لانه قد يأمر به ثم يشتغل عنه فيحلف فى حال اشتغاله ويثبت عنده انه حلف على ما أمره به فما المانع حينئذ من صحة يمينه قلت المانع منها ما قدمته من أن تحليف الخصم حكم له بموجب يمينه ولا يكون حاكما له بموجبها الا اذا سمعها على انه لا يسمى محلفا له بمجرد الامر وانما يسمى بذلك ان سمع ما حلف به وعليه وأيضا فالعبرة بنية القاضى واعتقاده حال الحلف ولا يعتبر ذلك الا اذا سمع يمينه وأما اذا لم يسمعها فكيف يكون على نيته واعتقاده وأيضا فانه يشترط فيها مطابقتها للدعوى والمطابقة أمر دقيق بدليل اختلاف الائمة رضى الله تعالى عنهم فى مسائل منها هل الجواب عنها بكذا مطابق أولا فذلك كله صريح فى أنه لابد من سماعه لليمين والنكول حقيقة ولا يكفى قيام البينة عنده بهما (وسئل) رحمه الله تعالى عمن ادعى عليه بعين فقال هى لابنى الطفل فنى أدب القضاء فى موضع لا يحلف وفى موضع لا تنصرف الخصومة عنه فهل بينهما تناف (فاجاب) نفعنا الله سبحانه وتعالى بعلومه بقوله لا تنافى فان معنى لا يحلف أى بالنسبة للرقبة فلا تسلم للمدعى بحلفه كما يأتى ومعنى لا تنصرف الخصومة عنه أى بالنسبة لاقامة البينة عليه وغرم بدل العين ان نكل وحلف المدعى اذ العين لا تسلم اليه حينئذ بل قيمتها لانه حال بينه وبينها باقراره بها لطفله (وسئل) رحمه الله تعالى عما اذا أبرأه عن اليمين أو عن اتمامها فأراد الحالف اتمامها فمن المجاب منهما (فاجاب) نفعنا الله تعالى به بقوله الابراء عن اليمين يسقط حقه منها فى هذه الدعوى فله أن يجددها ويحلفه ثم ظاهر كلامهم سقوط الحق منها وان شرع القاضى فى التحليف نعم بحث بعضهم انه لو طلب الخصم اتمامها أجيب قياسا على ما نقله الاذرعى رحمه الله تعالى عن تعليق القاضى رحمه الله تعالى انه لو شرع المدعى فى يمين الرد فقال المدعى عليه لا تحلفه وأنا أغرم له المال فله أن يكمل اليمين حتى يأخذه على وجه الاستحقاق فكذا يقال هنا اذا شرع المدعى عليه فى يمين الاصل فقال أبرأته عن اليمين له اتمامها لينقطع الطلب عنه والجامع بينهما حصول الانتفاع وقطع العلق (وسئل) رحمه الله تعالى هل يشترط التفصيل فى دعوى المهر أو الارث كما فى دعوى عقد النكاح أم لا (فاجاب) نفعنا الله سبحانه وتعالى بعلومه بقوله ان وجهت الدعوى الى عقد النكاح كأن قالت أستحق المهر أو الارث بسبب عقده على اشترط فيها ذكر كون العقد بولى مرشد وشاهدى عدل ورضاها ان شرط لانها ان ارتدت دعواها نحو المهر على العقد كانت مدعية نفس العقد فاحتاجت لذكر شروطه ولا يقبل منها حينئذ الا رجلان

حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء

تأليف

الإمام الحافظ أبي نُعَيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي
المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

دراسة وتحقيق
مصطفى عبد القادر عطا

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٧م

الجزء الاول

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

حَدَّثَنَا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عمر بن أسيد بن حارثة الثقفي - حليف بني زهرة - أن أبا هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه ، قالوا : نوى يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم ، وقالوا لهم : انزلوا واعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق لا نقتل منكم أحداً . فقال عاصم بن ثابت أمير القوم : أما أنا والله لا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وزيد بن الدثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيباً وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته إياها فدرج بني لها حتى أتاه ، قالت : وأنا غافلة ، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده . قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال : أتخشين أن أقتله ، ما كنت لأفعل ذلك ، قالت : والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمرة . وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيباً ، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أركع ركعتين فتركوه ، ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ، اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولاتبق منهم أحداً . ثم قال :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإلـــه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلـــو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب أول من سنّ لكل

مسلم قتل صبراً الصلاة .

٣٥٥ – حَدَّثَنَا محمد بن أحمد بن الحسن ، حَدَّثَنَا أبو شعيب الحراني ، حَدَّثَنَا أبو جعفر النفيلي ، حَدَّثَنَا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مارية مولاة حجير بن أبي أهاب ـ وكانت قد أسلمت ـ قالت : كان خبيب قد حبس في بيتي ولقد اطلعت إليه يوماً وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم أن في الأرض حبة عنب تؤكل .

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فخرجوا بخبيب إلى التنعيم ليقتلوه ، فقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم ، فقال : والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يفعل بنا .

قال ابن إسحاق : ومما قيل فيه من الشعر قول خبيب بن عدي (١) حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه فقال :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جزع طوى ممنع
إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي ... وماجمع الأحزاب لي حول مصرعي
فذا العرش صبرني علي ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه ... وقد ذرفت عيناي من غير مجزع
ومابي حذار الموت أني ميت ... ولكن حذاري جحم نار ملفع
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

(١) كذا فى النسختين على أن هو خبيب نفسه .

الأذكار

المنتخبة من كلام سيد الأبرار

صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

الإمام الحافظ شيخ الإسلام

محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

الدمشقي الشافعي

٦٣١ - ٦٧٦ هجرية

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

وعليه

شرح وجيز مختصر من شرح العلامة ابن علان

الناشر

دار الكتاب العربي

ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

بَنِى آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الوُضُوءَ، ثُمَّ لْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ لْيُثْنِ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُصَلِّ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ ثُمَّ لْيَقُلْ : لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ سُبْحانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ أَسألُكَ مُوجِباتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، لاتَدَعْ لى ذَنْباً إِلاَّ غَفَرْتَهُ ، وَلا هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ ، وَلا حاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَها يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ؛ قال الترمذى : فى إسناده مقال . قلت : ويستحبّ أن يدعو بدعاء الكرب ،وهو : اللَّهُمَّ آتِنا فِى الدُّنْيا حَسَنَةً وفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ ، لما قدمناه عن الصحيحين فيهما .

وروينا فى كتاب الترمذى وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله تعالى أن يعافينى ، قال : إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قال فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللَّهُمَّ إِنى أَسألُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ ، يا مُحَمَّدُ إِنى تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلى رَبِّى فى حاجَتِى هَذِهِ لِتُقْضَى لى ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِىَّ ؛ قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

باب أذكار صلاة التسبيح

روينا فى كتاب الترمذى عنه قال : قد روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم غير حديث فى صلاة التسبيح ومنه شىء كبير لايصحّ . قال : وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح ، وذكروا الفضل فيه . قال الترمذى : حدثنا أحمد بن عبدة ، قال : حدثنا أبو وهب، قال : سألت عبد الله بن المبارك عن الصلاة التى يسبح فيها ، قال : يكبر ثم يقول : سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ ، تَبارَكَ اسْمُكَ وَتَعالى جَدُّكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ،ثم يقول خمس عشرة مرّة :سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ ، ثم يتعوّذ ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وفاتحة الكتاب ، وسورة ، ثم يقول عشر مرات : سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ ، ثم يركع فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا ، ثم يسجد فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا ، ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا ، يصلى أربع ركعات على هذا ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة يبدأ بخمس عشرة تسبيحة ، ثم يقرأ ، ثم يسبح عشرا ؛ فإن صلى ليلا فأحبّ إلىّ أن يسلم فى ركعتين ؛ وإن صلى نهارا ، فإن شاء سلم ، وإن شاء لم يسلم .

وفى رواية عن عبد الله بن المبارك أنه قال : يبدأ فى الركوع : سبحان ربى العظيم

وإذا دخل مكة وأراد الاعتمار فعل فى عمرته من الأذكار ما يأتى به فى الحجّ فى الأمور المشتركة بين الحجّ والعمرة وهى الإحرام والطواف والسعى والذبح والحلق ، والله أعلم .

(فصل فيما يقوله إذا شرب ماء زمزم) روينا عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماءُ زمزمَ لِما شُرِبَ لَهُ » وهذا مما عمل العلماء والأخيار به ، فشربوه لمطالب لهم جليلة فنالوها . قال العلماء : فيستحب لمن شربه للمغفرة أو للشفاء من مرض ونحو ذلك أن يقول عند شربه : اللَّهُمَّ إنَّهُ بَلَغَنِى أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » اللَّهُمَّ وإنى أشْرَبُهُ لِتَغْفِرَ لى وَلِتَفْعَلَ بى كَذَا وكَذَا ، فاغْفِرْ لى أوِ افْعَلْ . أو : اللَّهُمَّ إنى أشْرَبُهُ مُسْتَشْفِياً بِهِ فاشْفِنِى ، ونحو هذا ، والله أعلم .

(فصل) وإذا أراد الخروج من مكة إلى وطنه طاف للوداع ، ثم أتى الملتزم فالتزمه ، ثم قال : اللَّهُمَّ ، البَيْتُ بَيْتُكَ ، والعَبْدُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وابْنُ أمَتِكَ ، حَمَلْتَنِى على ما سَخَّرْتَ لى مِنْ خَلْقِكَ ، حَتَّى سَيَّرْتَنِى فِى بِلادِكَ ، وَبَلَّغْتَنِى بِنِعْمَتِكَ حَتَّى أعَنْتَنِى على قَضَاءِ مَنَاسِكِكَ ، فإنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّى فازْدَدْ عَنِّى رِضاً وَإلاَّ فَمِنَ الآنَ قَبْلَ أنْ يَنْأى عَنْ بَيْتِكَ دَارِى ، هَذَا أوَانُ انْصِرَافِى ، إنْ أذِنْتَ لى غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِكَ وَلا بِبَيْتِكَ ، ولا رَاغِبٍ عَنْكَ وَلا عَنْ بَيْتِكَ ؛ اللَّهُمَّ فَأصْحِبْنِى العافِيَةَ فى بَدَنِى والعِصْمَةَ فى دِينِى ، وأحْسِنْ مُنْقَلَبِى ، وارْزُقْنِى طَاعَتَكَ ما أبْقَيْتَنِى ، واجْمَعْ لى خَيْرَىِ الآخِرَةِ والدُّنْيا ، إنَّكَ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . ويفتتح هذا الدعاء ويختمه بالثناء على الله سبحانه وتعالى ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى غيره من الدعوات . وإن كانت امرأة حائضا استحبّ لها أن تقف على باب المسجد وتدعو بهذا الدعاء ثم تنصرف ، والله أعلم .

(فصل فى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذكارها) اعلم أنه ينبغى لكل من حجّ أن يتوجه إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأربح المساعى (١) وأفضل الطلبات ، فإذا توجه للزيارة أكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى طريقه ،

(١) فإن زيارته من أهمّ القربات وأربح المساعى ؛ وكيف لا وقد وعد الزائر بوجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم ، وهى لا تجب إلا لأهل الإيمان ، فى ذلك التبشير بالموت على الإيمان مع ما ينضمّ إلى ذلك من سماعه صلى الله عليه وسلم سلام الزائر من غير واسطة أخرج أبو الشيخ « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى علىّ بعيدا أعلمته » قال الحافظ : وينظر فى سنده .

فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته صلى الله عليه وسلم وأن يسعده بها فى الدارين ، وليقل : اللَّهُمَّ افْتَحْ عَلَيَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَارْزُقْنِي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ما رزقْتَهُ أَوْلِيَاءَكَ وأَهْلَ طَاعَتِكَ واغْفِرْ لي وارْحَمْنِي يا خَيْرَ مَسْئُول . وإذا أراد دخول المسجد استحبّ أن يقول ما يقوله عند دخول باقى المساجد ، وقد قدّمناه فى أول الكتاب فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر الكريم (١) فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربع أذرع من جدار القبر ، وسلم مقتصدا لايرفع صوته فيقول : السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا خِيرَةَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبِيبَ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ المُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى آلِكَ وأَصْحَابِكَ وأَهْلِ بَيْتِكَ وَعَلى النَّبِيِّينَ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ ، وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الأُمَّةَ ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ ما جَزَى رَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ . وإن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، ثم يتأخر قدر ذراع إلى جهة يمينه فيُسلم على أبى بكر ، ثم يتأخر ذراعا آخر فسلام على عُمر رضى الله عنهما ، ثم يرجع إلى موقفه الأوّل قُبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتوسل به فى حقّ نفسه ، ويشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومَن أحسن إليه وسائر المسلمين ، وأن يجتهد فى إكثار الدعاء ، ويختم هذا الموقف الشريف ويحمد الله تعالى ويسبحه ويكبره ويهلله ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكثر من كل ذلك ، ثم يأتى الروضة بين القبر والمنبر ، فيكثر من الدعاء فيها .

فقد روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ . »

وإذا أراد الخروج من المدينة والسفر استحبّ أن يودع المسجد بركعتين ، ويدعو بما أحبّ ، ثم يأتى القبر فيسلم كما سلم أوّلا ، ويعيد الدعاء ، ويودّع النبىّ صلى الله عليه وسلم ويقول « اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ هَذَا آخِرَ العَهْدِ بِحَرَمِ رَسُولِكَ ، وَيَسِّرْ لِي العَوْدَ إِلَى الحَرَمَيْنِ سَبِيلاً سَهْلَةً بِمَنِّكَ وَفَضْلِكَ ، وَارْزُقْنِي العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا

(١) أتى القبر الكريم : أى الذى هو أفضل من جميع الأرض والسماء حتى من العرش والكرسى ، وما أحسن قول من قال :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ضم أعضاء النبى وحواها
نعم لقد صدقوا بساكنها زكت كالنفس حين زكت زكا مأواها

والآخِرَةِ ، وَرَدَّنا سالِمِينَ غانِمِينَ إلى أوْطانِنا آمِنِينَ . فهذا آخر ما وفقنى الله لجمعه من أذكار الحجّ ، وهى وإن كان فيها بعض الطول بالنسبة إلى هذا الكتاب فهى مختصرة بالنسبة إلى ما نحفظه فيه ، والله الكريم نسأل أن يوفقنا لطاعته ، وأن يجمع بيننا وبين إخواننا فى دار كرامته .

وقد أوضحت فى كتاب المناسك ما يتعلق بهذه الأذكار من التتمات والفروع الزائدات ، والله أعلم بالصواب ، وله الحمد والنعمة والتوفيق والعصمة .

وعن العتبىّ قال « كنت جالسا عند قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول (وَلَوْ أَنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) وقد جئتك مستغفرا من ذنبى ، مستشفعا بك إلى ربى ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظُمُه ... فطاب من طيبهنَّ القاعُ والأكمُ

نفسى الفداءُ لقبر أنت ساكنُهُ ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَمُ

قال : ثم انصرف ، فحملتنى عيناى فرأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : يا عتبى ، الحق الأعرابى فبشره بأن الله تعالى قد غفر له » .

كتاب أذكار الجهاد

أما أذكار سفره ورجوعه فسيأتى فى كتاب أذكار السفر إن شاء الله تعالى . وأما ما يختص به فنذكر منه ما حضر الآن مختصرا .

باب استحباب سؤال الشهادة

روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أمّ حرام [١] ، فنام ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ مُلُوكاً على الأسِرَّةِ أوْ مِثْلَ المُلُوكِ ، فقالت : يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلنى منهم ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم » قلت : ثبج البحر بفتح الثاء المثلثة وبعدها باء موحدة مفتوحة أيضا ثم جيم : أى ظهره ؛ وأمّ حرام بالراء .

(١) على أمّ حرام ، زاد فى رواية : بنت ملحان ، وكانت تحت عبادة بن الصامت ، وهى الغميصاء بالغين المعجمة والصاد المهملة ؛ والغمص والرمص : نقص يكون فى العين . قال فى الصحاح : الرمص بالتحريك : وسخ يجمع فى الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإنه جمد فهو رمص .

شرح الشفا

للقاضي عياض

شرحه

الملا علي القاري الهروي الحنفي

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

ضبطه وصححه

عبد الله محمد الخليلي

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ-٢٠٠١م

الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الآن حي يرزق في علو درجاته ورفعة حالاته (وَذٰلِكَ) أي التعظيم والإكرام (عِنْدَ ذِكْرِهِ صلى الله تعالى عليه وسلم وذِكْرِ حَدِيثِهِ) أي كلامه (وَسُنَّتِه) أي وذكر طريقته (وَسَمَاعِ اسْمِهِ) الشريف وكذا نعته اللطيف (وَسِيرَتِهِ) أي في جميع هيئاته من حركاته وسكناته (وَمُعَامَلَةِ آلِهِ) أي أهل بيته (وَعِتْرَتِهِ) بكسر أوله أي ذريته وقرابته (وَتَعْظِيمِ أَهْلِ بَيْتِهِ) أي من أزواجه وخدمته ومواليه (وَصَحَابَتِهِ) أي أهل صحبته (قال أَبو إِبْرَاهِيمَ) زيد في نسخة إسحاق (التُّجِيبِيُّ) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (وَاجِبٌ على كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ) أي بنفسه (أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ) أي على لسان غيره (أَنْ يَخْضَعَ) أي ظاهراً (وَيَخْشَعَ) أي باطناً (وَيَتَوَقَّرَ) أي يتكلف الوقار والرزانة في هيئته (وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ وَيَأْخُذَ) أي يشرع ويسرع (فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ) أي في مقام تعظيمه وإكرامه (بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ) أي يطلب منها (لَوْ كَانَ) أي فرضاً (بَيْنَ يَدَيْهِ) أي أمام عينيه (وَيَتَأَدَّبَ) بالنصب أو الرفع (بِمَا أَدَّبَنَا اللهُ بِهِ) أي من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه (قال القَاضِي أَبو الْفَضْلِ) يعني المصنف (وَهْذِهِ) أي الطريقة المرضية (كَانَتْ سِيرَةَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ) يروى الصالحين أي المتقدمين من الصحابة والتابعين (وَأَئِمَّتِنَا الماضِينَ) أي العلماء العاملين (حَدَّثَنَا القَاضِي أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عبد الرَّحْمٰن الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بنُ بَقِيٍّ) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الْحَاكِمُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ) أي وكثيرون (فِيمَا أَجَازُونِيهِ) هذا لغة في أجازوه لي (قَالُوا) أي كلهم (أَخْبَرَنَا أَبو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ دِلْهَاثٍ) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة في آخره (قَالَ ثَنَا) أي حدثنا (أَبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فِهْرٍ) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (حَدَّثَنَا أَبو بَكْرٍ محمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بنِ الفَرَجِ) بفتح الفاء والراء فجيم (حَدَّثَنَا أَبو الْحَسَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُنْتَابِ) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بنِ أبي إِسْرَائِيلَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ) بالتصغير (قَالَ نَاظَرَ) أي جادل وباحث (أَبُو جَعْفَرٍ) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مَالِكاً) أي الإمام (في مَسْجِدِ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ورفع صوته في كلامه معه (فَقَالَ لَهُ) أي مالك كما في أصل صحيح (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ) أي خصوصاً لأنه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فإِنَّ اللهَ تَعَالَى) وفي نسخة عز وجل (أَدَّبَ قَوْماً) أي معظمين (فَقَالَ ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] الآية) أي ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (وَمَدَحَ قَوْماً) أي مكرمين (فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾) [الحجرات:٤] الآية) أي أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (وَذَمَّ قَوْماً) أي من الأعراب (فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات:٤] الآية) أي أكثرهم لا يعقلون (وإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً) بالتشديد والتخفيف (كَحُرْمَتِهِ حَيّاً فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبو جَعْفَرٍ) أي خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على أنه يجب التأدب بين يدي العالم لما روي من أن الشيخ في قومه

كالنبي في أمته **(وَقَالَ)** أي أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى **(يَا أَبَ عبدِ الله)** بحذف الألف كتابة وإثباته قراءة **(اسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ)** استفهام استرشاد والتقدير استقبلها **(وَادْعُو)** أي الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة **(أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فَقَالَ)** أي مالك **(وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ)** أي عن رسولك **(فَهُوَ)** وفي نسخة صحيحة وهو أي والحال أنه **(وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السلامُ)** أي وسائر الأنام **(إِلَى الله تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** أي كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة **(بَلْ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ)** أي اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك وأداء حاجاتك **(فَيُشَفِّعَكَ الله)** بتشديد الفاء أي يقبل الله به شفاعتك لأمرك ولغيرك وفي نسخة فيشفعه أي فيقبل شفاعته في حقك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك **(قَالَ الله تعالى)** أي مصدقاً لذلك فيما قرره مالك **(﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾** [النساء: ٦٤] الآية بالمعصية **(جاؤوكَ)** أي للمعذرة والتوبة **(الآية)** يعني فاستغفرا الله أي بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل إليه تفخيماً لشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله أي لعلموه تواباً رحيماً أي منعوتاً بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم **(وقال مالك وَقَدْ سئلَ عن أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي)** أي عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزي وقيل جهني مولاهم يروي عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه ألفي حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن أم خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها في البخاري وقال في أثره ولم أسمع أحداً يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي من غير ذكر واسطة سوى أم خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله **(مَا حَدَّثْتُكُمْ)** أي ما رويت لكم حديثاً **(عَنْ أَحَدٍ)** أي من اتباع التابعين **(إِلاَّ وَأَيُّوبُ أَفْضَلُ مِنْهُ، قَالَ)** أي مالك رحمه الله للدلالة على ذلك **(وَحَجَّ)** أي أبو أيوب **(حَجَّتَيْنِ)** أي مرتين **(فَكُنْتُ أَرْمُقُهُ)** بضم ميم أي انظر إليه وأتأمل لديه **(وَلاَ أَسْمَعُ مِنْهُ)** أي كلاماً يكون عليه أولاً أسمع منه حديثاً يحدثني به **(غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم بَكَى)** الظاهر يبكي **(حَتَّى أَرْحَمَهُ)** أي من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقاً إليه صلى الله تعالى عليه وسلم **(فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ)** أي من حسن فعاله ما يقتضي بعض كماله **(وَإِجْلاَلَهُ لِلنبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم كَتَبْتُ عَنْهُ)** أي الحديث ورويت عنه العلم **(وقَالَ مُصْعَبُ بنُ عبدِ الله)** أي ابن مصعب بن ثابت الزبيري يروي عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما **(كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم)** وفي نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده أن في نسخة فإذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **(يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي)** أي يميل ظهره **(حَتَّى يَصْعُبَ)** بضم العين أي يشتد **(ذَلِكَ عَلَى جُلَسَائِهِ)** أي من أجل مشاهدة شدة عنائه **(فَقِيلَ لَهُ يَوْماً فِي ذَلِكَ)** أي في تهوين

سير أعلام النبلاء

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

الجزء الحادي عشر

أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه

شعيب الأرنؤوط

حقق هذا الجزء

صالح السمر

مؤسسة الرسالة

وِدقَقْتُ الباب ، فخرجت أمي على رجليها تمشي .

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس .

قال عبدُ الله بن أحمد : كان أبي يُصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة . فَلما مرض مِن تلك الأسواط ، أضعفَتْه ، فكان يُصلي كُلَّ يوم وليلة مئة وخمسين ركعة .

وعن أبي إسماعيل الترمذي : قال : جاء رجل بعشرة آلاف من ربح تجارته إلى أحمد فردها . وقيل : إن صيرفياً بذل لأحمد خمس مئة دينار ، فلم يقبل .

ومن آدابه :

قال عبد الله بن أحمد : رأيتُ أبي يأخذ شعرة مِن شعر النبي ، ﷺ ، فيضعُها على فيه يُقبِّلُها . وأحسِب أني رأيتُه يضعها على عينه ، ويغمِسُها في الماء ويشربُه يستشفي به .

ورأيته أخذ قَصْعَة النبيِّ ، ﷺ فغسلها في حُبِّ الماء ، ثم شرب فيها ورأيتُه يَشْرَبُ من ماء زمزم يستشفي به ، ويمسح به يديه ووجهه .

قلت : أين المتنطِّع المنكِرُ على أحمد ، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمَسُ رُمَّانة منبر النبي ، ﷺ ، ويَمَسُّ الحجرة النبوية ، فقال : لا أرى بذلك بأساً . أعاذنا الله وإياكم من رأْي الخوارج ومِن البِدع .

قال أحمد بن سعيد الدارمي : كتب إليَّ أحمد بن حنبل : لأبي جعفر ، أكرمه الله ، من أحمد بن حنبل .

قال عُبيد الله بن عبد الرحمن الزهري : حدثنا أبي ، قال : مَضى عمي أحمد بن سعْد إلى أحمد بن حنبل ، فسلم عليه . فلما رآه ، وثب قائماً وأكرمه .

فانظر أرشدك الله تعالى هذا الاتفاق من هذا الإمام والحرص على تحقيق ما وضعه في كتابه لم يقنع بوضع البخاري ومسلم وغيرهما مع جلالتهم بل تتبع ما وضعوه حتى وضع في كتابه وهذا شأن الأئمة الخائفين من الله عزّ وجل من أن يقع منهم زلل في الإخبار عن رسول الله ﷺ، ثم إنه رضي الله تعالى عنه ذكر في هذا الكتاب في كتاب الحج في باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لم ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» ولم يذكر في هذا الباب غير هذا الحديث.

وهذا حكم منه بأن هذا الحديث مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة وهو رضي الله عنه إمام جليل حافظ متقن كثير الحديث واسع الرحلة سمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر وسمع بالشام ومصر وسمع من خلائق من أئمة الحديث والأجلاء أهل الدين وهو من القدماء، أصله بغدادي، وسكن مصر ومات بها في نصف المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله، وإذا كان هذا حديث صحيح[1] فكيف يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً فضلاً عن أن يجعله كذباً وأقل درجات الثقة الخائف أن يقول صححه فلان، وأما القول بوضعه وبتكذيب هذا الإمام وأمثاله فلا يصدر إلا من زنديق محقق الزندقة بهذه القرينة وغيرها عائذاً بالله عزّ وجل من ذلك.

وإذا تقرر لك ذلك فانظر أرشدك الله تعالى وعافاك هذا الخبيث الطوية كيف طعن في هذه الأئمة الأعلام في علوم الحديث الذين بهم يُقتدى وعليهم يُعوّل وعند ذكرهم تتنزل الرحمة، ورماهم بالوضع على رسول الله ﷺ وطعن في هذه الأخبار المروية عن هذه الأئمة. وهذا شأنه قاتله الله تعالى كلما جاء إلى شيء لا غرض له فيه طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولاً به بين الأئمة ولا عليه لا من الله عزّ وجل ولا من رسوله ﷺ ولا من الناس وتنبه لشيء عظيم رمى به هذه الأئمة وهو أن من قاعدته أن من كذب على النبي ﷺ متعمداً كفر فعليه من الله عزّ وجل ما يستحقه، وهذا وغيره يدل على أن عنده ضغينة للنبي ﷺ ولصاحبيه وكذا لأمته ليفوت عليهم هذا الخير الذي رتبه على زيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام فاحذروه واحذروا تزويق مقالته المطوي تحتها أخبث الخبائث فإنها لا تجوز إلا على عامي أو بليد الذهن كالحمار يحمل أسفاراً أو خال من العلوم وأخبار الناس وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم.

(١) يكتب حديثاً صحيحاً لأنه خبر كان، اهـ مصححه.

البحر الرائق

شرح

كنز الدقائق

(في فروع الحنفية)

للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود المعروف بحافظ الدين النسفي

المتوفى سنة ٧١٠هـ

والشرح «البحر الرائق»

للإمام العلامة الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي

المتوفى سنة ٩٧٠هـ

ومعه الحواشي المسماة

منحة الخالق على البحر الرائق

للعلامة الشيخ محمد أمين عابدين بن عمر عابدين بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين الدمشقي الحنفي

المتوفى سنة ١٢٥٢هـ

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

ضبطه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ زكريا عميرات

تنبيه

وضعنا متن كنز الدقائق في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفله مباشرة متن «البحر الرائق»

ووضعنا في أسفل الصفحات حواشي الشيخ ابن عابدين

الجزء الخامس

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

المجنون ولا الصبي الذي لا يعقل، وأما من جنونه متقطع فإن ارتد حال الجنون لم يصح، وإن ارتد حال إفاقته صحت، وكذا لا تصح ردة السكران الذاهب العقل. والبلوغ ليس بشرط لصحتها من الصبي عندهما خلافاً لأبي يوسف، وكذا المذكورة ليست شرطاً ومنها الطوع فلا تصح ردة المكره عليها اهـ. والإيمان التصديق بجميع ما جاء به محمد ﷺ عن الله تبارك وتعالى مما علم مجيئه به ضرورة. وهل هو فقط أو هو مع الإقرار؟ قولان فأكثر الحنفية على الثاني والمحققون على الأول. والإقرار شرط إجراء أحكام الدنيا بعد الاتفاق على أنه يعتقد متى طولب به أتى به، فإن طولب به فلم يقر فهو كفر عناد. والكفر لغة الستر وشرعاً تكذيب محمد ﷺ في شيء مما يثبت عنه ادعاؤه ضرورة. وفي المسايرة: ولاعتبار التعظيم المنافي للاستخفاف كفر الحنفية بألفاظ كثيرة وأفعال تصدر من المتهتكين لدلالتها على الاستخفاف بالدين كالصلاة بلا وضوء عمداً بل بالمواظبة على ترك سنة استخفافاً بها بسبب أنه إنما فعلها النبي ﷺ وزيادة أو استقباحها كمن استقبح من آخر جعل بعض العمامة تحت حلقه أو إحفاء شاربه اهـ. وفي فتح القدير: ومن هزل بلفظ كفر ارتد وإن لم يعتقده للاستخفاف فهو ككفر العناد والألفاظ التي يكفر بها تعرف في الفتاوى اهـ. فهذا وما قبله صريح في أن ألفاظ التكفير المعروفة في الفتاوى موجبة للردة عن الإسلام حقيقة. وفي البزازية: ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أنه يكفر بكذا وكذا فذاك للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر وهذا كلام باطل إلى آخره. والحق أن ما صح عن المجتهد فهو على حقيقته، وأما ما ثبت عن غيره فلا يفتي به في مثل التكفير ولذا قال في فتح القدير من باب البغاة: إن الذي صح عن المجتهدين في الخوارج عدم تكفيرهم ويقع في كلام أهل المذهب تكفير كثير لكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء اهـ.

فيكفر إذا وصف الله تعالى بما لا يليق به أو سخر باسم من أسمائه أو بأمر من أوامره أو أنكر وعده أو وعيده أو جعل له شريكاً أو ولداً أو زوجة أو نسبه إلى الجهل أو العجز أو النقص. واختلفوا في قوله فلان في عيني كاليهودي في عين الله فكفره الجمهور، وقيل لا إن عنى به استقباح فعله، وقيل يكفر إن عنى الجارحة لا القدرة، والأصح مذهب المتقدمين في المتشابه كاليد، واختلفوا في جواز أن يقال بين يدي الله. ويكفر بقوله يجوز أن يفعل الله فعلاً لا حكمة فيه وبإثبات المكان لله تعالى فإن قال الله في السماء فإن قصد حكاية ما جاء في

اللفظة، وقيل تجوز فإنه قد جاء في الحديث أنه يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط. قال شمس الأئمة الحلواني رحمه الله: هذا اللفظ موسع بالعربية والفارسية يطلق على الله تعالى وإن كان تعالى منزهاً عن الجهة، وجوزه السرخسي أيضاً ومن يتحرز عن إطلاقه بالفارسية فإنما ذلك مخافة فتنة

ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر، وإن لم يكن له نية كفر عند الأكثر وهو الأصح وعليه الفتوى. ويكفر إن اعتقد أن الله تعالى يرضى بالكفر، وبقوله لو أنصفني الله تعالى يوم القيامة انتصفت منك، أو إن قضى الله يوم القيامة أو إذا أنصف الله، وبقوله بارك الله في كذبك، وبقوله الله جلس للإنصاف أو قام له، وبقوله هذا لا يمرض هذا ممن نسبه الله أو منسي الله على الأصح، وبوصفه تعالى بالفوق أو بالتحت، وبظنه أن الجنة وما فيها للفناء عند البعض، وبقوله لامرأته أنت أحب إلي من الله وقيل لا، وبقوله لا أخاف الله أو لا أخشاه عند البعض ومحل الاختلاف عند عدم قصد الاستهزاء، وبقولها لا جواباً لقوله أما تعرفين الله على الظاهر، وبقوله لا أريد اليمين بالله وإنما أريد اليمين بالطلاق أو بالعتاق عند البعض خلافاً للعامة وهو الأصح وبقوله رأيت الله في المنام، وبقوله المعدوم ليس بمعلوم الله تعالى، وبقول الظالم أنا أفعل بغير تقدير الله تعالى، وبإدخاله الكاف في آخر الله عند ندائه من اسمه عبد الله وإن كان عالماً على الأصح، وبتصغير الخالق عمداً عالماً، وبقوله ليتني لم أسلم إلى هذا الوقت حتى أرث أبي، وبقوله إن كنت فعلت كذا أمس فهو كافر وهو يعلم أنه قد فعله إذا كان عنده أنه يكفر به وعليه الفتوى، وبقوله الله يعلم أني فعلت كذا وهو يعلم أنه ما فعل عند العامة إن كان اختياراً لا مخافة، وبقوله إن كنت قلته فأنا كافر وهو يعلم أنه قاله، وبقوله أنا بريء من الله لولا ولم يتم تعليقه خلافاً للبعض قياساً على أنت طالق ثلاثاً لولا لم يقع، وبقولها نعم جواباً لقوله أتعلمين الغيب، وبتزوجه بشهادة الله ورسوله، وبقوله فلان يموت بهذا المرض عند البعض، وبقوله عند رقاء الهامة يموت أحد عند البعض والأصح عدمه، وبقوله عند رؤية الدائرة التي تكون حول القمر يكون مطر مدعياً علم الغيب، وبرجوعه من سفره عند سماع صياح العقعق عند البعض، وبإتيان الكاهن وتصديقه، وبقوله أنا أعلم المسروقات، وبقوله أنا أخبر عن أخبار الجن إياي، وبعدم الإقرار ببعض الأنبياء عليهم السلام أو عيبه نبياً بشيء أو عدم الرضا بسنة من سنن المرسلين، وبقوله لا أعلم أن آدم عليه السلام نبي أولا، ولو قال آمنت بجميع الأنبياء عليهم السلام وبعدم معرفة أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء عند البعض وبنسبته نبياً إلى الفواحش كعزمه على الزنا وقيل لا، وبقوله إن الأنبياء عصو وإن كان معصية كفر، وبقوله لم تعص الأنبياء حال النبوة وقبلها لرده النصوص لا بقوله لا أقبل شفاعة النبي ﷺ في الإمهال فكيف أقبلها منك، ولا بأنكاره نبوة الخضر وذي الكفل عليهما السلام لعدم الإجماع على نبوتهما، ويكفر من أراد بغض النبي ﷺ بقلبه وبقوله لو كان فلان نبياً لا أؤمن به لا بقوله لو كان صهري رسول الله لا أئتمر بأمره، ويكفر بقوله إن كان ما قال الأنبياء حقاً أو صدقاً، وبقوله أنا رسول الله وبطلبه المعجزة حين ادعى

الجهال فأما من حيث الدين فلا بأس به. قوله: **(وبقوله أنا أخبر عن إخبار الجن إياي)** قال في

إشارات المرام
من
عبارات الإمام
أبي حنيفة النعمان
في أصول الدين

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

تأليف
الشيخ كمال الدين أحمد بن حسين بن سنان الدين
البياضي زاده الرومي الحنفي البسنوي
المتوفى ١٠٩٧ هـ

خرج أحاديثه ووضع حواشيه
أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

كذلك، فعلى هذا التقدير يلزم أن تكون ذاته تعالى قابلة للحركة والسكون، وكل ما كان كذلك وجب القول بكونه محدثًا لما مرَّ في مسألة حدوث العالم؛ وحدوثه محالٌ؛ لأنه المحدث للحوادث، فكونه مشابهًا للأجسام أو جسمًا محال، كما في التقديس، وإليه أشار بأن يده ليست كأيدي خلقه، وهو خالق الأيدي، وأن وجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه.

الثانية: الاستدلال بأنه لو كان جسمًا كان متألف الأجزاء، وتلك الأجزاء قد تكون مماثلة لأجزاء سائر الأجسام، ووجب أن يصح على تلك الأجزاء ما يصح عليها؛ لأن من حكم المتماثلين الاستواء في جميع اللوازم، وعلى هذا التقدير لا بدَّ له من مركِّبٍ ومؤلِّفٍ، وذلك على الخالق تعالى شأنه محال.

وإليه أشار بقوله: ونفسه ليست كنفس خلقه، وهو خالقُ كل النفوس.

الثالثة: الاستدلال عليه بالآية، حيث نفى المماثلة للأشياء على طريق البرهان؛ لأن ثبوت مثله تعالى يستلزم ثبوت مثل مثله، فنفى اللازم وجعل دليلاً على انتفاء الملزوم، ودلَّ على أنه لا يماثل الأشياء ولا يصح عليه ما يصح عليها، فلا يصح عليه أن يكون جسمًا أو جوهرًا، وإلا وجب أن يصح عليه كل ما يصح على غيره، وذلك يقتضي جواز التغير عليه، وكل متغيرٍ حادث، ووقوع الكثرة والتركيب في ذاته المخصوصة، وكل مركب ممكن لا واجب، كما في كتاب التقديس، وإليه أشار باقتباس الآية.

(ص): (**وقال في الوصية: وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياجٍ، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان في مكانٍ محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله؟**).

(ش): الثالث: ما أشار إليه (**وقال في الوصية: وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياجٍ**)، ولو كان في مكانٍ لكان محتاجًا إليه بالضرورة، ولم يكن حافظًا له؛ لأن المتمكن محتاج إلى مكانه بحيث يستحيل وجوده بدونه، (**فلو كان محتاجًا**) إليه للقرار (**لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره**) وحفظه؛ لأن المحتاج عاجزٌ في نفسه فكيف يقدر على تدبير غيره، (**كالمخلوقين**)، مع أن المكان مستغنٍ عن المتمكن؛ لجواز الخلاء، والمستغني عن الواجب مستغنٍ عمَّا سِوَاه بالطريق الأولى، فيكون واجبًا مع كونه محتاجًا إلى الواجب تعالى في الإيجاد والحفظ والإبقاء.

وفيه إشارات:

الأولى: الاستدلال بأن كونه تعالى في مكانٍ مستلزم لإمكان الواجب ووجوب المكان؛ لأن المتمكن محتاجٌ إلى مكانه، والمكان مستغنٍ عن المتمكن، وهو باطلٌ بالضرورة كما في المواقف، وإليه أشار بالشرطية المذكورة.

الثانية: الاستدلال بأنه تعالى لو كان متحيزًا لكان مساويًا لسائر المتحيزات في الحقيقة، فيلزم حينئذٍ إما قدم الأجسام أو حدوثه؛ لأن المتماثلات تتوافق في الأحكام كما في شرح المواقف، وإليه أشار بقوله: فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين.

الثالثة: الجواب بأن كون كل موجودٍ متحيزًا أو حالاً فيه غير مسلم، بل ذلك حكم الوهم بضرورته، وهو غير مقبولٍ فيما ليس بمحسوسٍ، كما في شرح المقاصد، وإليه أشار ببيان كونه تعالى حافظ العرش وغيره من غير احتياجٍ إلى حيزٍ ومكانٍ، وبيان كون الاحتياج إليه مختصًّا بالمخلوقين في المقام.

الرابع: ما أشار إليه فيها بقوله: **(ولو كان في مكانٍ محتاجًا إلى الجلوس والقرار)** مختصًّا بجهةٍ من الجهات، فإما أن يكون ذلك القرار والاختصاص في الأزل، أو يحدث له بعد حدوث العرش وحدوث الجهات، فإن كان الأول **(فقبل خلق العرش أين كان الله؟)** وكيف كان في (أين) ولا جهة في الأزل؛ لأن الجهات من خواص الأجسام المحدثة والجسمانية؛ لتجددها بها وحدوثها بعدها، وكيف كان في الأزل مختصًّا بجهةٍ حادثة فيما لا يزال، فإن المختص والمختص به لكونهما متضايفين يتكافآن في الوجود، وإن كان الثاني فكيف صار مختصًّا بمكانٍ وجهةٍ وعرض له ذلك الاختصاص فيما لا يزال بعد أن لم يكن متصفًا بذلك الاختصاص في الأزل؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأنه يستلزم التغير والانفعال؛ لأنه إن كان ذاته منشأ ذلك الاختصاص فكيف تخلف إلى أوانِ حدوث ذلك؟ وكيف تغير عمَّا كان عليه وحدث المماسة؟ وإن كان بمدخلية الغير يلزم تأثير الواجب تعالى.

وفيه إشارات:

الأولى: الجواب بأنه لو كان تعالى متحيّزًا لكان إما في كل حيزٍ فيخالط ما لا ينبغي مع لزوم التداخل، وإما في البعض لمخصص فيحتاج أو لا، فيلزم الترجح بلا مرجح كما في المقاصد، وإليه أشار بقوله: ولو كان في مكانٍ محتاجًا إلى الجلوس والقرار إلى آخره.

الثانية: الجواب بأنه لو كان متحيزًا لزم قدم الحادث، أعني الحيز كما في المقاصد،

وإليه أشار بقوله: فقبل خلق العرش أين كان الله؟.

الثالثة: الجواب بأن التحيز وقبول الحوادث من أمارات الحدوث، وهو على القديم محالٌ، ومنع ضرورة العقل عن الاتصال والانفصال سيما قبل خلق العرش وخلق الجسمانيات، وعن التغير والتماس بعد إحداث المحدثات كما في شرح قواعد العقائد. وإليه أشار أيضًا بقوله: (**فقبل خلق العرش أين كان الله**)، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(ص) (**وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيءٍ**).

(ش) **الخامس**: ما أشار إليه، (**وقال في الفقه الأبسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين**): أي مكان (**ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيءٍ**)، مُوجِد له بعد العدم، فلا يكون شيء من المكان والجهة قديمًا.

وفيه إشاراتٌ:

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكانٍ وجهةٍ لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسمًا؛ لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك، فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مرَّ بيانه، وإليه أشار بقوله: كان ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيءٍ.

وبطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما في شرح العضدية.

الثانية: الجواب بألا يكون الباري تعالى داخل العالم؛ لامتناع أن يكون الخالق داخلاً في الأشياء المخلوقة، ولا خارجًا عنه بأن يكون في جهةٍ منه؛ لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات، وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله: ﴿**هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:١٠٢]، وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كون القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير (مسلم)، بل هو المستغني عن محلٍ يقوم به، كما في شرح المواقف، وإليه لوَّح بقوله: كان الله ولا مكان.

(ص): (وأنه تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، وعليه ما رُوي في الحديث: «أَنَّ رَجُلاً أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وُجِبَ عَلَيَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أفتجزيني هذه؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمُؤْمِنَةٌ أَنْتِ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ اللهُ؟**» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**أَعْتِقْهَا**

فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ[1]»، فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافرٌ، كذا من قال: إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض).

(ش) **السادس**: ما أشار إليه بقوله فيه: (**وأنه تعالى يُدعى من أعلى**)؛ للإشارة إلى ما هو وصف للمدعو تعالى من نعوت الجلال، وصفات الكبرياء والألوهية والاستغناء (**لا من أسفل؛ لأن الأسفل**): أي الإشارة إليه (**ليس من وصف الربوبية والألوهية**) والكبرياء، والفوقية بالاستيلاء (**في شيء**)، فأشار إلى الجواب بأن رفع الأيدي عند الدعاء إلى جهة السماء ليس لكونه تعالى فوق السموات العُلى بل لكونها قبلة الدعاء؛ إذ منها يتوقع الخيرات، ويستنـــزل البركات؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، مع الإشارة إلى اتصافه تعالى بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، وكونه تعالى فوق عباده بالقهر والاستيلاء، وإلى الجواب بمنع حمل ما ورد في الآيات والأحاديث على الاستقرار والتمكن، ومنع رفع الأيدي لاعتقاده بل كل ذلك بالمعنى الذي ذكرنا ههنا، وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء كما أشار إليه بقوله فيه: (**وعليه**): أي يخرج على أنه يُدعى من أعلى، ويُوصف بنعوت الجلال وصفات الكبرياء، (**ما رُوي في الحديث**: «**أَنْ رَجُلاً**) وهو عمرو بن الشريد كما رواه أبو هريرة وعبد الله بن رواحة، كما بيّنه الإمام في مسنده بتخريج الحارثي وطلحة والبلخي والخوارزمي، (**أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وُجِبَ عَلَيَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**)، قال: إن أمي هلكت وأُمرت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة، ولا أملك إلا هذه وهي جارية سوداء أعجمية، لا تدري ما الصلاة، (**أفتجزيني هذه؟**) عمَّا لزم بالوصية، كما في مصنف الحافظ عبد الرزاق، وليس في الروايات الصحيحة أنها كانت خرساء كما قيل، (**فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: أَمُؤْمِنَةٌ أَنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيْنَ اللهُ؟**)، سائلاً عن المنـــزلة والعلو على العباد علوَّ القهر والغلبة، ومشيرًا أنه إذا دعاه العباد استقبلوا السماء دون ظاهره من الجهة، لكن لما كان التنـــزيه عن الجهة مما يقصر عنه عقول العامة فضلاً عن النساء حتى يكاد يجزم بنفي ما ليس في الجهة كان الأقرب إلى إصلاحهم، والأليق بدعوتهم إلى الحق ما يكون ظاهرًا في الجهة، كما في شرح المقاصد، (**فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ**) إشارة إلى أعلى المنازل، كما يُقال: فلانٌ في السماء: أي رفيع القدر جدًّا، كما

(١) رواه مسلم (١/٣٨١). وانظر: التوحيد للماتريدي (ص١٧٩).

وفضالة بن عبيد، وبريدة، وعمارة بن رويبة الثقفي، وعُدَي بن حاتم الطائي، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما في شروح البخاري، ورَوَى عنهم ثمانية وعشرون شيخًا بأكثر من ستِّين طريقًا.

ولما كان الأصوب في هذه المسألة أن يتمسَّك بالدلائل السمعية لِكَوْنها أسرع في إلْزَام المبتدعة، ثُمَّ معارضةً شبههم بالأدلة العقلية كما ذكره أبو منصور الماتريدي، واختاره محقِّقُو الأشاعرة أشار الإمام في المقام إلى ما يثبت به المرام من الدلائل السمعية، وأشار إلى دفع شبه المبتدعة معارضة بما ثبت مما حاله حال الرؤية في القرب والإقبال والمجاورة، أو ردًّا للمختلف إلى المختلف، فإنه الطريقة المسلوكة للسلف دفعًا لما تمسك به المخالفون من وجوه:

الأول: أنه تعالى لو كان مرئيًّا لكان بالضرورة في مقابلةٍ، فكان في جهةٍ جوهرًا أو عرضًا في مسافة من الرائي أو متَّصلاً به.

الثاني: أنَّ الرؤية إما باتِّصال شعاع العين بالمرئيّ، أو بانطباع الشبح من المرئيّ في حدقة الرائي على اختلاف المذهبين، وكِلاَهما في حقِّ الباري تعالى ظاهر الامتناع، فيمتنع رؤيته.

فأشار الإمام إلى جوابهما بالمعارضة بالمثل في قوله.

(ص): (وقال في الفقه الأكبر: وليس قرب الله تعالى ولا بُعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة، والمطيع قريب منه تعالى بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره تعالى في الجنة والوقوف بين يديه والرؤية في الآخرة بلا كيف).

(ش): (**وقال في الفقه الأكبر: وليس قرب الله تعالى**) من المؤمنين كما دَلَّ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة:١٨٦]، (**ولا بُعده**) من الكافرين كَمَا دَلَّ قوله تعالى: ﴿**أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾ [هود: ٦٠] (**من طريق**) إرادة المعنى الحقيقي: أي (**طول المسافة وقصرها**) حتى يلزم التحيُّز والمقابلة والكون في الجهة؛ لتنزُّهه تعالى عن كل ذلك بدلالة البراهين القطعية، (**ولكن**) على تعيين المعنى المجازي: أي معنى الكرامة في قربه تعالى من العباد؛ لعدم ظهوره في معنى الآية، وفي قربه تعالى والقرب منه.

وَمَا في بَعْضِ النسخ إلا (**على معنى الكرامة**) مخالف للنسخ المعتمد عليها المشتهرة، ولما سيأتي من العبارة (والهوان) والحقارة في بُعْده من الكافرين، (و) لكن (**المطيع قريب**

غاية المرام
في
علم الكلام

تأليف

الإمام العلامة أبي الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي
المعروف بسيف الدين الآمدي
المتوفى ٦٣١ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

تحقيق

أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

معتقد أهل الحق أن الباري لا يشبه شيئاً من الحادثات ولا يماثله شيء من الكائنات بل هو بذاته منفرد عن جميع المخلوقات، وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، ولا تحله الكائنات، ولا تمازجه الحادثات، ولا له مكان يحويه، ولا زمان هو فيه، أول لا قبل له، و آخر لا بعد له، ليس كمثله شيء

- به ضرورة المساواة في المعنى. وإن كان بغيره: فيكون الرب -تعالى- مفتقرا إلى غيره في وجوده؛ فلا يكون واجب الوجود لذاته. وإن كان غير متحيز: لزم في كل جوهر أن يكون غير متحيز؛ ضرورة المساواة في المعنى؛ وهو محال. كيف: وأنه لا معنى للجوهر غير المتحيز بذاته، فما لا يكون كذلك؛ لا يكون جوهرا. الخامس: أنه لو كان جوهرا كالجواهر؛ لما كان مفيدا لوجود غيره من الجواهر؛ فإنه لا أولوية لبعض الجواهر بالعلية دون البعض؛ ويلزم من ذلك أن لا يكون شيء من الجواهر معلولا، أو أن يكون كل جوهر معلولا للآخر؛ والكل محال. فإن قيل: الجواهر وإن تماثلت في الجوهرية إلا أنها متمايزة، ومتغايرة بأمور موجبة لتعيين كل واحد منها عن الآخر. وعند ذلك: فلا مانع من اختصاص بعضها بأمور وأحكام، لا وجود لها في البعض الآخر، ويكون ذلك باعتبار ما به التعين، لا باعتبار ما به الاشتراك؛ فنقول: والكلام في اختصاص كل واحد بما به التعين كالكلام في الأول؛ وهو تسلسل ممتنع؛ فلم يبق إلا أن يكون اختصاص كل واحد من المتماثلات بما اختص به لمخصص من خارج؛ وذلك على الله ـــ تعالى ـــ محال. هذا إن قيل إنه جوهر كالجواهر. وإن قيل إنه جوهر لا كالجواهر: فهو تسليم للمطلوب؛ فإنا إنما ننكر كونه جوهرا كالجواهر. وإذا عاد الأمر إلى الإطلاق اللفظي؛ فالنزاع لفظي ولا مشاحة فيه. إلا من جهة ورود التعبد من الشارع به؛ ولا يخفى أن ذلك مما لا سبيل إلى إثباته. وعلى هذا فمن قال: إنه جوهر بمعنى أنه موجود لا في موضوع، والموضوع هو المحل المتقوم بذاته المقوم لما يحل فيه كما قاله الفلاسفة، أو أنه جوهر بمعنى أنه قائم بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره كما قاله أبو الحسين البصري مع اعترافه أنه لا يثبت له أحكام الجواهر؛ فقد وافق في المعنى، وأخطأ في الإطلاق من حيث إنه لم ينقل عن العرب إطلاق الجوهر بازاء القائم بنفسه، ولا ورد فيه إذن من الشارع. انظر الأبكار (٢/ ٤٤٥)، بتحقيقنا والتأسيس للرازي (ص٨٦)، والفصل لابن حزم (٢/٢٢)، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (ص٢١٣).

الدر الثمين والمورد المعين

شرح المورد المعين على الضروري من علوم الدين

لابن عاشر

طبعة سنة
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

تأليف
العلامة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي
رحمه الله تعالى

وعليه شرح غيث السداد والرشد: على نظم مقدمة ابن الرشد

للعلامة الشنقيطي المالكي
رحمه الله تعالى

تحقيق
عبد الله المنشاوي

دار الحديث
القاهرة

الإيجاد ، فيوجد الله الفعل مع كراهته له أي نهيه عنه كما أضل الله كثيرًا من الخلق مع نهيه لهم عن ذلك الضلال ، أما الكراهة بمعنى عدم إرادة الله تعالى للفعل فيستحيل اجتماعها مع الإيجاد ؛ إذ يستحيل أن يقع في ملك مولانا جل وعز ما لا يريد وقوعه ، والجهل ضد العلم ، ويدخل في الجهل الظن والشك والوهم والنسيان والنوم وكون العلم نظريًا ونحو ذلك لمنافاتها العلم كمنافاة الجهل له والممات ضد الحياة ، والصمم ضد السمع ، والبكم ضد الكلام ، والعمى ضد البصر ، والمراد بالصمم والعمى في هذا الموضع عدم السمع والبصر بوجود ما ينافيهما أو غيبة موجود ما من الموجودات عن صفتي السمع والبصر لما سبق من وجوب تعلقهما بكل موجود ، والمراد بالبكم عدم الكلام أصلًا بوجود آفة تمنع من وجوده ، وإليه أشار بقوله : ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ [الأنعام:٣٩] . في معناه السكوت وكونه بالحرف والصوت لاستحالة اجتماع حرفين في آن واحد فضلًا عن الكلمتين فضلًا عن الكلامين فقد تبكم المتكلم بالحرف والصوت واحتبس عن أن يدل على معلومات له في آن واحد بصفة الكلام المركب من الحروف والأصوات ، وإلى ذلك أشار بقوله : صمات وهو لغة في الصمت فالكلام الذي يكون بالحروف والأصوات وإن بلغ غاية الفصاحة والبلاغة ، وكان كمالًا بالنسبة إلى الحوادث الناقصة ، فهو بالنسبة إلى مقام الألوهية الأعلى نقيصة عظيمة .

مسألة : سئل الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال هل يقال : المولى تبارك وتعالى لا داخل العلم ولا خارج العالم ؟ فأجاب السائل : هكذا نسمعه من بعض شيوخنا واعترضه بعضهم بأن هذا رفع للنقيضين وقال بعض فقهائنا في هذه المسألة : هو الكل ، أي الذي قام به كل شيء ، وزعم أنه للإمام الغزالي ، وأجاب بعضهم أن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه ، وزعم أن ابن مقلاش هكذا أجاب عنه في شرحه على الرسالة فأجاب بأن نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم ، والعجز عن الإدراك لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلًا ونقلًا أما النقل فالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] . فلو كان في العالم أو خارجًا عنه لكان مماثلًا ، وبيان الملازمة واضح أما في الأول : فلأنه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له. وأما في الثاني : فلأنه إن كان خارجًا لزم إما اتصاله وإما انفصاله وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية وذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصص. وأما السنة : فقوله ﷺ : « كان الله ولا شيء معه

وهو الآن على ما كان عليه »[1]. وأما الإجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له فلا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف. وأما العقل : فقد اتضح لك اتضاحًا كليًا مما مر في بيان الملازمة في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط ، لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين ويتواردان عليه وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلًا الحائط لا أعمى ولا بصير فلا تناقض لصدق النقيضين فيه لعدم قبوله لهما على البدلية وكما يقال في الباري أيضًا : لا فوق ولا تحت وقس على ذلك. وقول من قال : إنه الكل زاعمًا أنه للغزالي فقضية تنحو منحى الفلسفة ، أخذ بها بعض المتصوفة وذلك بعيد من اللفظ ، وما أجاب به بعضهم : أنه معضل لا يجوز السؤال عنه ليس كما زعم لوضوح الدليل على ذلك ، وإن صح ذلك عن ابن مقلاش فلا يلتفت إليه في هذا لعدم إتقانه طريق المتكلمين إذ كثير من الفقهاء ليس له خبرة به فضلًا عن إتقانه.

قوله : يجوز في حقه فعل الممكنات البيت ، هذا هو القسم الثالث الجائز في حقه تعالى ، وهو فعل كل ممكن أو تركه في العدم ، وذلك كالثواب والعقاب وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصلاح ، والأصلح للخلق لا يجب من ذلك شيء على الله تعالى ولا يستحيل إذ لو وجب عليه تعالى فعل الصلاح والأصلح للخلق كما تقوله المعتزلة لما وقعت محنة دنيا وأخرى ولما وقع تكليف بأمر ولا نهي وذلك باطل بالمشاهدة .

فرع : اختلف المتكلمون هل تدرك حقيقة الذات العلية وصفاتها السنية أم لا على قولين ، قال الإمام أبو العباس أحمد القلشاني : قال بعض الشراح : يفهم من قوله ولا يبلغ كنه صفته الواصفون نفي العلم بالحقيقة ، واختاره جماعة من المتقدمين وقال الجنيد : لايعرف الله إلا الله ، واختاره أكثر المتأخرين ، وإليه ذهب الضرير وكان من المحققين ، وأنكر القاضي أبو بكر هذا القول ورده ، وتبعه الإمام أبو المعالي في طائفةٍ . وقال : الباري تعالى يعلم والعلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به فلو تعلق العلم به على خلاف ما

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩١) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٩٣) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه ، بلفظ « كان الله ولم يكن شيء غيره .. » الحديث .
قلت : قال ابن حجر : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه » ، وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث . راجع فتح الباري (٦/ ٣٤٣) عند شرح هذا الحديث .

التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف

الامام الكبير، حجة المتكلمين، المفسر النظار

أبي المظفر الاسفرايني

المتوفى سنة (٤٧١هـ، رحمه الله)

عرف الكتاب، وترجم للمؤلف، وخرج احاديثه، وعلق حواشيه

العلامة المحدث الكبير

صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

تفضل الاستاذ الدكتور

محمود محمد الخضيري

أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية بالجامعة المصرية

بكلمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الباب الخامس عشر

في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان مفاخرهم ومحاسن أحوالهم ويقع في هذا الباب فصول ثلاثة.

أحدها: في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة.

الثاني: في بيان تحقيق النجاة لهم بالطرق التي ننبه عليها.

الثالث: في بيان فضائلهم.

الفصل الاول: في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة السليم عن جميع ما ذكرناه من الضلالات. فهو:

١ ــ أن تعلم[1] ان العالم بجميع أركانه، وأجسامه، وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الافعال، والاقوال، والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول، حادث بعد أن لم يكن شيئاً ولا عيناً، ولا ذاتاً، ولا جوهراً، ولا عرضاً، والدليل على حدوثها انها تتغير عليها الصفات وتخرج من حال الى حال، وحقيقة التغيرات ان تبطل حالة وتحدث أخرى، فأما الحالة التي حدثت فحدوثها معلوم بالضرورة والمشاهدة، وما كان ضرورياً لم يفتقر الى الاستدلال عليه، ولا يجوز أن يقال انها انتقلت من باطن الجسم الى ظاهره لاستحالة الانتقالات على الصفات. وأما الحالة التي بطلت لو كانت قديمة لم تبطل،

(١) يسوق المصنف باقي اعتقاد أهل السنة بالعطف إلى هذا المحل بلفظ (وأن تعلم) فجعلنا المتعاطفات من هذا القبيل في أول السطر وبازائها اعداد متسلسلة كلما تكرر تصديرها بلفظ (وأن تعلم) فنلفت إلى ذلك النظر لئلا يقع القارىء الكريم في حيرة من البعد فيما بين المتعاطفات من هذا القبيل على كثرتها.

والمكان، والجهة[1]، والسكون، والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى لأن ما لا يكون محدثاً لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث، وعليه يدل ما ذكرناها قبل في قصة الخليل عليه السلام.

١٨ ــ وأن تعلم أنه سبحانه لا يجوز عليه النقص، والآفة، لأن الآفة نوع من المنع، والمنع يقتضي مانعاً وممنوعاً، وليس فوقه سبحانه مانع وقد نبه الله تعالى عليه بقوله: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوس السَّلاَمُ المُؤمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون﴾[2] والسلام هو الذي سلم من الآفات، والنقائص، والقدوس هو المنزه عن النقائص والموانع، و يعلم بذلك ان لا طريق للآفات والنقائص والموانع إليه وقد وصف الله تعالى ذاته بقوله: ﴿ذُو العَرْشِ المَجِيد﴾[3] والمجد في كلام العرب كمال الشرف ومن كان لنوع من النقص إليه طريق لم يكمل شرفه ولم يجز وصفه بقوله مجيد. فلما اتصف به سبحانه علمنا انه لا طريق للنقص إليه.

١٩ ــ وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية، والكمية، والأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه اين كان. وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة، ونفي الابتداء والأولية. وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له أين الله؟ فقال: ان الذي أين الأ ين لا يقال له أين. فقيل له كيف الله؟ فقال: إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف. وسأله آخر فقال: ما جهة وجه الله؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها في انبوبة قصب. فقال للسائل ما

(١) و به تعلم حكم قول ابن تيمية في منهاجه «١-٢٦٤» باثبات الجهة له تعالى على التقديرين قال على القاري في شرح المشكاة: «بل قال جم منهم «أي السلف» ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال: انه قول أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، والأشعري؛ والباقلاني أهـ.» فما وقع في كلام بعض الغاربة سبق قلم كما شرحت ذلك في مواضع والا لكان خارجاً من قول أهل الحق.

(٢) سورة الحشر ٢٣.

(٣) سورة البروج ١٥.

١٢ ــ وأن تعلم أن الباري سبحانه وتعالى يستحيل عليه الولد والزوجة لأن ذلك لا يكون إلا بالاتصال والمماسة [١] وذلك يوجب الحد والنهاية. وقد بينا استحالته عليه سبحانه وتعالى وحقق الله ذلك بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [٢].

١٣ ــ وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك له في المملكة لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثاني له، والمملوك يستحيل أن يكون خارجاً من ملك الخالق وهذا تحقيق قوله: ﴿وقُلْ الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [٣].

١٤ ــ وأن تعلم أن الحركة، والسكون، والذهاب، والمجيء، والكون في المكان، والاجتماع، والافتراق، والقرب، والبعد من طريق المسافة، والاتصال، والانفصال، والحجم، والجرم، والجثة، والصورة، والحيز، والمقدار، والنواحي، والاقطار، والجوانب، والجهات [٤] كلها لا تجوز عليه تعالى لأن

---

(١) فقول ابن تيمية في رده على الرازي: «ومن المعلوم بالاضطرار ان اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات ــ يريد ما يشمل المجيء ونحوه ــ ولا سلب ادراكه بالحواس، ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدع نفيها الجهمية واتباعهم ولا يوجد نفيها في كتاب ولا سنة أهـ». ينبيء عن معتقده، وقال المنبجي صاحب ابن القيم في «اثبات المماسة»: (قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث انهم لا يمتنعون عن وصف الله بأنه يمس ما شاء من خلقه بل يروون في ذلك الآثار و يردون على من نفاه. ذكره في الأجوبة المصرية أهـ). وهذا دليل آخر على معتقد الرجل وجل مقدار أهل السنة عن مثل هذا التخريف. ومن أصر على اتخاذه قدوة بعد اطلاعه على آرائه الشاذة يعد اختياره عنوان عقله.

(٢) سورة الاخلاص ٣و٤.

(٣) سورة الاسراء ١١١.

(٤) فيكون قول ابن تيمية في رده على الرازي: «قلتم ليس هو بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا جهة له ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شيء من شيء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وإنه لا حد له ولا غاية تريدون بذلك انه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو أن يكون له قدر لا يتناهى فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب ولا سنة؟». خروجاً من معتقد أهل السنة وتجبيد كتاب النقض لعثمان بن سعيد السجزي منه من أردأ ما ينطق به مجسم لما فيه من التخازي المكشوفة من اثبات الحركة، والنقل، والجلوس، والمسافة، والاستقرار المكاني ونحو ذلك له تعالى. تعالى الله عن تخريف المخرفين، وهذيان المبرسمين. وقوله يكون من على رأس الجبل أقرب إلى الله =

جميعها يوجب الحد والنهاية. وقد دللنا على استحالة ذلك على الباري سبحانه وتعالى. وأصل هذا في كتاب الله تعالى وذلك أن ابراهيم عليه السلام لما رأى هذه العلامات على الكواكب والشمس والقمر قال: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[1] فبين أن ما جاز عليه تلك الصفات لا يكون خالقاً.

١٥ ــ وأن تعلم أن كل ما تصور في الوهم من طول، وعرض، وعمق، وألوان، وهيئات، مختلفة ينبغي أن تعتقد ان صانع العالم بخلافه، وإنه قادر على خلق مثله، وإلى هذا المعنى أشار الصديق رضي الله عنه بقوله: العجز عن درك الادراك ادراك. ومعناه إذا صح عندك ان الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير، والتركيب، والقياس، على الخلق صح عندك انه خلاف المخلوقات. وتحقيقه انك إذا عجزت عن معرفته بالقياس على أفعاله صح معرفتك له بدلالة الأفعال على ذاته وصفاته. وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بقوله: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾[2] وما كان مصوراً لم يكن مصوراً، كما ان من كان مخلوقاً لم يكن خالقاً.

١٦ ــ وأن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته[3] لأن ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها وإذا لم يخل كان محدثاً مثلها. ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام: «لا أحب الآفلين» بين به أن من حل به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدثاً لا يصح أن يكون إلهاً.

١٧ ــ وأن تعلم ان كل ما دل على حدوث شيء من الحد، والنهاية،

= مما يضحك منه الأطفال. وأما قوله: «لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف بوبيته فكيف على عرش عظيم». فآية من آيات السقوط وليس هذا من قبيل الاستدلال ببطلان التالي على بطلان المقدم بل هذا استدلال بجواز التالي في زعمه على جواز تمكنه في العرش فسبحان قاسم العقول.

(١) سورة الأنعام ٧٩.

(٢) سورة الحشر ٢٤.

(٣) فيكون ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى وحلولها فيه ولا سيما في هامش منهاجه «٢-٧٥» خارجاً من معتقد أهل الحق.

كتاب القبس

في شرح موطأ مالك بن أنس

لأبي بكر بن العربي المعافري

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ-١٩٩٦م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد الله ولد كريم

دار الغرب الإسلامي

شريعة : إن الله سبحانه منزَّه عن الحركة والانتقال لأنه لا يحويه مكان ، كما لا يشتمل عليه زمان ، ولا يشغل حيّزاً كما لا يدنو إلى مسافة بشيء ولا يغيب بعلمه عن شيء ، متقدس الذات عن الآفات منزّه عن التغيير والاستحالات آله في الأرض آله في السموات . وهذه عقيدة مستقرة في القلوب ثابتة بواضح الدليل .

قال لي شيخ[1] العلماء : لا يمكن لأحد أن يعبر عن جلال الله تعالى وكماله إلا بهذه الألفاظ الناقصة التي يعبر بها عنا ، فإذا سمعت العبارة عن الله تعالى فيجب عليك الإيمان بمعناها ، ثم تعلم أنه ليس له مثل في ذلك لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2] وهو كلام بديع ، ولسعة اللغة في العبارة بالحقيقة والمجاز والحذف والزيادة والتطويل والاختصار يتمكن العالِم بالله تعالى من العبارة عنه والتنزيه به والعلم به عندنا إلى قوله : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا » .

قلنا : صدق ربنا وصدق نبينا والنزول في اللغة في الحقيقة حركة والحركة لا تجوز على الله سبحانه وتعالى ، فلم يبق إلا العدول عن حقيقة النزول إلى مجازه وهو النزول بالمعاني ، فإن النزول من علو الامتناع إلى علو القبول نزول معنوي كما أن النزول من علو الفوقية إلى سفل المكان نزول حسّيّ وفي الحديث و « أَنْزِلُ لَكَ عَنْ إِحْدَى زَوْجَتَيَّ »[3] فإنها كانت تحت سلطان نكاحه ، وتحت حجره ومنعه فإذا قال لها أنت طالق فقد ارتفع ذلك كله ويكون من أقسام المجاز التعبير عن الشيء بفائدته وثمرته ، ويكون ذلك عبارة عن كثرة ما يفيض من الرحمة وينشر على الخلق منها ويوسعهم من عطائه على جميع المعاني من إجابة دعوة ، وقضاء حاجة ، ونيل مغفرة مما كان قبل ذلك ممتنعاً عليهم كامتناع ما يكون في العلو من فوقهم ، وإلى هذا أشار الأوزاعي بقوله : (يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ) ، فجعله من صفات الفعل لا من صفات الذات وهذا فصل بالغ فاتخذوه دستوراً واشرعوه في سائر المشكلات سبيلاً[4] .

---

(١) لم يتضح لي من هو شيخ العلماء الذي يقصده الشارح .

(٢) سورة الشورى آية ١٠ .

(٣) البخاري في النكاح باب قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتيّ شئت حتى أنزل لك عنها . البخاري ٧/٤-٥ . عن أنس بن مالك ، وفي الوليمة باب الوليمة ولو بشاة ٧/٣٠ ، وفي البيوع ٣/٦٨- ٦٩ عن عبد الرحمن بن عوف . ↓ قال المعلق الوهابي وهو محمد عبد الله ولد كريم ↓

(٤) رحمة الله على أبي بكر فقد تكلم على هَذا الحديث في شرحه على الترمذي وصوّب هناك ما صوّبه هنا من اختيار التأويل . انظر العارضة ٢/٢٣٣ ونحن نخالفه رحمه الله ، في هذه المسألة ، ونذهب إلى ما ذهب إليه =

جاز الفصد إليها ولا الحجامة لأنها نجاسة تستقبل بها . قلنا : هذه الأمور الضرورية كالفصد والحجامة والقيء والرعاف ، التي تأتي العبد بغير اختياره ، لا يتعلق بها هذا التكليف كما لم يتعلق بالبنيان .

توحيد : قوله : فإن الله قبل وجهه الباري تعالى يتقدس عن أن يحد بالجهات[1] ، أو تكتنفه الأقطار ولكن في ذلك معنيان .

أحدهما : ما قدمناه لكم من أن الله تعالى بلطفه وسابغ نعمته إذا أراد أن يكرم شيئاً من خلقه أضافه إليه أو أخبر بنفسه عنه .

والثاني : أن هذا المصلِّي قد اعتقد أنه بين يدي الله ، عزّ وجلّ ، كما هو ، والتزم التعظيم لمن توجَّه له والبصاق إهانة فكيف يصح له أن يأتيَ بفعلٍ يناقض اعتقاده[2] .

قال العلي الوهابي وهو محمد عبد الله ولد كريم

(١) إنّا لا نوافق الشيخ في هذه المسألة بل نؤمن من ذلك بما ورد عن الله وعن رسوله دون أن نكيِّف أو نؤول من ذلك شيئاً ؛ ففي صحيح مسلم من حديث (مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِي . . قَالَ : كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَماً لِي قِبَلَ أحد والجوانة ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ، ﷺ ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : إِئْتِنِي بِهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ اللهُ ؟ قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) مسلم في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١/ ٣٨٠ . قال ابن القيم رحمه الله : وإذا كان العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً ولا يوجب محذوراً ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ، فنفي حقيقتها عين الباطل . مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢١٥ .

وقال أبو عمر : من الحجة في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزل بهم شدة رفعوا أيديهم إلى السماء يستغيثون ربهم . وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى حكاية لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال النبي ﷺ، للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة، فاختبرها رسول الله ﷺ ، بأن قال لها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها : من أنا ؟ قالت رسول الله ، قال أعتقها فإنها مؤمنة ، فاكتفى رسول الله ﷺ ، منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه . وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئاً من ذلك ولا يحدّون فيه صفة محصورة . التمهيد ١/ ١٣٤ .

(٢) ونقل الزرقاني عن ابن عبد البر قوله : هذا كلام خرج مخرج التعظيم لشأن القبلة ، وقد نزع به بعض المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان وهو جهل واضح . شرح الزرقاني ١/ ٣٩٤ .

كتاب القبس

في شرح موطأ مالك بن أنس

لأبي بكر بن العربي المعافري

الجزء الثالث

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ-١٩٩٦م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد الله ولد كريم

دار الغرب الإسلامي

الجارية فعلم من حالها أنها كانت متعلقة بمعبودٍ في الأرض فأراد أن يقطع علاقة قلبها بكل إلهٍ في الأرض[١] فإن قيل : فقد قال لها أينَ الله ؟ وأنتم لا تقولون بالأَيْنِيَة والمكان . قلنا : أما المكان فلا نقول به وأما السؤال عن الله بأينَ فنقول بها[٢] لأنها سؤال عن المكان وعن المكانة والنبي ﷺ (قد)[٣] أطلقَ اللفظ وقصد به الواجب لله وهو شرف المكانة الذي يسأل عنها بأين ولم يجز أن يريد المكان لأنه محال عليه ، وأما قوله للجارية الثانية أتوقنين بالبعث بعدَ الموت ؟ فعلِمَ أيضاً من حالِها ما دعاهُ إلى أن يسألها هل تعتقدُ الدار الآخرة وتوقن أنها المقصودة ، وأن هذه الدار الدنيا قنطرة إليها، فإن من علمَ ذلك وبنى عليه صح اعتقاده وسلَمَ عمله .

مسألـــة :

أدخلَ مالك رضي الله عنه عتق الزانية وابن الزاني[٤] ، وأدخل عليه حديث النبي ﷺ في جواب السائل عن الرقابِ أغلاها ثمناً[٥] ، ووجه النظر في ذلك أن الكافرَ لا يجزىء بحالٍ والمطيع أفضل من العاصي ولا سيما الزانية والزناة متوعدون بالنارِ ، فكان عتق

قال المعلق الوهابي وهو محمد عبد الله ولد كريم

(١) هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيها مذهبان مذهب الخلف وهو التأويل ومذهب السلف وهو الأكمل والأسلم وهو الإيمان بها على مراد الله قال أبو عمر بن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة .
ثم نقل عن الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد قولهم لما سئلوا عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف . التمهيد ٧/ ١٤٥ و ١٤٩ .

(٢) قال الذهبي في هذا الخبر مسألتان إحداهما شرعية قول المسلم أين الله وثانيهما قول المسؤول في السماء فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى ﷺ . العلو للعلي الغفار ص ٢٦ .

(٣) زيادة من ج .

(٤) مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه أعتق ولد زنا وأمه . الموطأ ٢ / ٧٨٠ وسنده صحيح .

(٥) مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن الرقاب أيها أفضل فقال رسول الله ﷺ : (أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها) الموطأ ٢ / ٧٧٩ .
قال الزرقاني كذا ليحيى وأبي مصعب ومطرف وابن أبي أويس وروح ابن عبادة وأرسله الأكثر وكذا حدث به إسماعيل بن إسحاق وأبو مصعب مرسلاً وهو عندنا في موطأ أبي مصعب عن عائشة ورواه أصحاب هشام عن أبيه عن أبي مراوح عن أبي ذر قال ابن الجارود لا أعلم أحداً قال عن عائشة غير مالك وزعم قوم أنه أرسله لما بلغه أن غيره من أصحاب هشام يخالفونه في إسناده قاله ابن عبد البر ، شرح الزرقاني ٤ / ٨٩ وذكر الحافظ أن =

الفتاوى الهندية

المعروفة بالفتاوى العالمكيرية

في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

تأليف

العلامة الهمام مولانا الشيخ نظام

وجماعة من علماء الهند الأعلام

ضبطه وصححه

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الجزء الثاني

يحتوي على الكتب التالية:

العتاق - الدعوى - الحدود - السرقة - السير - اللقيط

اللقطة - الآبق - المفقود - الشركة - الوقف

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

٢٨٢ ـــ

محمد بن الفضل وقال الشيخ الإمام: والاحوط تجديد النكاح كذا في فتاوى قاضيخان، يكفر بإثبات المكان لله تعالى فلو قال: ازخدا هيچ مكان خالي نيست[١] يكفر، ولو قال: الله تعالى في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء فيه ظاهر الاخبار لا يكفر وإن أراد به المكان يكفر وإن لم تكن له نية يكفر عند الاكثر وهو الاصح وعليه الفتوى، ويكفر بقوله: الله تعالى جلس للإنصاف أو قام له بوصفه الله تعالى بالفوق والتحت كذا في البحر الرائق، ولو قال: مرابر آسمان خداي است وبر زمين فلان[٢] يكفر كذا في فتاوى قاضيخان، إذا قال: خدا فرو مينكر داز آسمان أو قال: مي بينذا أو قال: از عرش[٣] فهذا كفر عند اكثرهم إلا ان يقول بالعربية يطلع، ولو قال: خداي ازبر عرش بداند[٤] فهذا ليس بكفر، ولو قال: از زير عرش ميداند[٥] فهذا كفر، ولو قال: أرى الله تعالى في الجنة فهذا كفر ولو قال: من الجنة فهو ليس بكفر كذا في المحيط، قال ابو حفص رحمه الله تعالى: من نسب الله تعالى إلى الجور فقد كفر كذا في الفصول العمادية، رجل قال: يا رب اين ستم مبسند[٦] قال بعضهم: يكفر والاصح انه لا يكفر، لو قال: خداي عز وجل برتوستم كناد چنا نكه توبر من كردي[٧] الاصح انه لا يكفر، ولو قال: لو انصف الله عز وجل يوم القيامة انتصف منك يكفر اما لو قال: إذا مكان لولا يكفر كذا في الظهيرية، ولو قال: إن قضى الله تعالى يوم القيامة بالحق والعدل أخذتك بحقي فهذا كفر كذا في المحيط، قيل له: هذا مكان لا إله فيه ولا رسول فقال: يراد بهذا الكلام انه مكان لا يعمل فيه بأمر الله ورسوله قيل له: لو كان هذا في مكان اهله زهاد مطيعون قال: إن كان يعمل فيه بأمر الله وأمر رسوله فانكر كونه ديناً كالصلوات الخمس فإنه يكفر كذا في اليتيمة، لو قال: حين يظلم ظالم يارب ازوى اين ستم مهذيرا كرتو پذيرى من نه پذيرم[٨] فهذا كفر كانه قال: إن رضيت فانا لا أرضى كذا في الخلاصة، رجل قال: يا خداي روزي پر من فراخ كن يا بازر كائنٌ من رونده كن بابر من جور مكن[٩] قال ابو نصر الدبوسي رحمه الله تعالى: يصير كافراً بالله كذا في فتاوى قاضيخان، رجل قال لآخر: دروغ مكو فقال: دروغ از بهر چيست از بهرا نكه بكويند[١٠] كفر في الحال، ولو قيل له طلب راضا الله فقال له: مرانمي بايد أو قال: اكر خداي مراد ربهشت كند غارت كنم[١١] أو قيل: لا تعص الله فإن الله تعالى يدخلك النار فقال: من أزدوزخ نمي انديشم[١٢] أو قيل: لا تأكل الكثير فإن الله لا يحبك فقال: من ميخورم خواهي دوست داردو خواهي دشمن[١٣] كفر بهذا كله، وكذلك لو قيل له: بسيار مخندا وبسيار مخسب فقال: جندان خورم وچندان خسبم وچندان خندم كه خود خواهم[١٤] يكفر، رجل قال لآخر: كناه مكن چه عذاب خداي بسيار است فقال: من عذاب بيكدست بردارم[١٥]

---

(١) لا محل خالي من الله. (٢) لي في السماء إله وفي الأرض فلان. (٣) لله ينظر من السماء، أو قال: يرى أو قال: من العرش. (٤) الله يعلم من فوق العرش. (٥) يعلم من تحت العرش. (٦) يا ربي لا تقبل هذا الظلم. (٧) الله تعالى يظلمك مثل ما ظلمتني. (٨) لا تقبل منه هذا الظلم يا رب وإن كنت تقبله فانا لا اقبله. (٩) يا الله وسع الرزق عليّ إما ان تروج تجارتي أو لا تظلمني. (١٠) لا تكذب فقال: الكذب لاي شيء من اجل ذلك الذي يقولون. (١١) لا يلزم لي أو قال: إن كان الله يدخلني الجنة أنهبها. (١٢) انا لا ابالي من النار. (١٣) انا آكل إن شاء يتخذني حبيباً وإن شاء يتخذني عدواً. (١٤) لا تضحك كثيراً أو لا تنم كثيراً فقال: آكل وانام واضحك على قدر ما اريد. (١٥) لا تذنب فإن عذاب الله كثير فقال: انا ارفع العذاب بيد واحدة.

رَوْضُ الرَّيَاحِين

فِي حِكَايَا الصَّالِحِين

تأليف

عَفِيف الدِّين أبي السَّعَادَات
عَبْدِ اللهِ بْنِ أَسْعَدِ الْيَافِعِيِّ الْيَمَنِيِّ ثُمَّ الْمَكِّيِّ
(٦٩٦ - ٧٦٨ هـ)

تحقيق:
محمد عزت

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله أبا العباس بن عطاء رضى الله عنه أنه قال لما خلق الله الأحرف جعلها سرا له، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك فى أحد من ملائكته، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها صورا لها وهذا القول صريح من ابن عطاء رحمه الله بأن الحروف مخلوقة.

وروينا عن الشيخ الكبيرالعارف أبى بكر الشبلى رضى الله عنه أنه قال جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلى بأن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلماته، وسئل عن قوله تعالى : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1] فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى.

وروينا عن الإمام الجليل ذى المناقب والمجد الأثيل سلالة النبوة معدن الفضائل والعلوم والفتوة جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : من زعم أن الله سبحانه فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك بالله إذ لو كان على شىء لكان محمولا ولو كان فى شىء لكان محصورا، أو لو كان من شىء لكان محدثا، وتعالى الله عن ذلك.

وسئل الشيخ العارف جعفر بن نصير رضى الله عنه عن الاستواء فقال استوى علمه بكل شىء فلا شىء أقرب إليه من شىء.

وقال كثير من الأئمة الكبار العارفين أهل الأنوار والأصوليين النظار استوى معناه استولى كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وذكروا تأويلات أخر يطول ذكرها فى معنى الاستواء.

وقيل للشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أعرشى أنت أم كرسى فقال الطينة أرضية والنفس سماوية والقلب عرشى والروح كرسى والسر مع الله بلا أين، قلت وهذا القول صريح فى نفى الجهة عن خالق الجهات المتعالى عن الحركات والسكنات وسائر سمات المخلوقات.

وروينا عن الشيخ العارف الواعظ لسان الحكمة يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه أنه قيل له أخبرنا عن الله تعالى، فقال إنه واحد فقيل كيف هو فقال ملك قادر، فقيل أين هو فقال بالمرصاد، فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير

---

(١) سورة طـــه : الآية ٥ .

هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه وقال الشيخ الكبير العارف الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه قيل لصوفى أين الله فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين، وقال محمد بن محبوب خادم الشيخ العارف أبى عثمان المغربى رضى الله عنهما قال لى أبو عثمان يا محمد أو قال لك أحد أين معبودك أيش تقول قال كنت أقول حيث لم يزل قال فإن قال فأين كان فى الأزل أيش تقول قال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن على ما عليه كان ، قال فارتضى ذلك منى ونزع قميصه وأعطانيه.

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى عثمان المذكور رضى الله عنه أنه قال كنت أعتقد شيئا من حديث الجهمية فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة أنى أسلمت جديدا.

وروينا عن الأستاذ الإمام أبى إسحاق الإسفراينى رضى الله عنه أنه قال لما قدمت بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان الشيخ أبو القاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامنا فاجتاز بنا من بعد ذلك بأيام قلائل فقال لمحمد الفراء أشهد أنى أسلمت على يد هذا الرجل وأشار إلى فقت وهذا القول من الشيخ أبى القاسم المذكور تواضع وإنصاف ورجوع إلى الحق واعتراف مع جلالة قدره فإنه كان شيخ وقته، وكذلك قول الشيخ أبى عثمان السابق وكل هذا يدل على أنهم مطهرون من الحظوظ النفسية متصفون بالصفات الزكية أهل الحضرة القدسية.

وقال الشيخ الجليل العارف أبو بكر الواسطى رضى الله عنه ما أحدث سبحانه شيئا أكرم من الروح فهذا صريح منه بأن الروح مخلوقة وقال الشيخ الكبير العارف الربانى أبو القاسم النصراباذى رضى الله عنه الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبته لك باق ببقائه فشتان بين ما هو باق بإبقائه وما هو باق ببقائه، وهذا القول فى غاية التحقيق فإن مذهب أهل الحق أن صفات ذات القديم باقية ببقائه وأفعاله باقيات بإبقائه فهو تعالى عالم بعالم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر حى بحياة، باق ببقاء، فهذه الصفات وسائر صفاته باقية ببقاء ذاته أزلا وأبدا، وأما أفعاله كالجنة والنار وغيرهما فباقيات بإبقائه لها وخالفت المعتزلة فى الصفات فقالوا عالم بغير علم قادر بغير قدرة باق بغير بقاء وكذا سائر الصفات، وخالفت الفلاسفة فى الأفعال الواقعة تحت القدرة فزعموا أنها قديمة ولزم على قولهم الحكم بقدم العالم تعالى الله عنه ذلك علوا كبيرا.

وروينا عن الشيخ العارف ذى الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف أبى

إسحق إبراهيم بن محمد الخواص رضى الله عنه أنه قال انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى أقتله فإنه يقول إن القرآن مخلوق.

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال هو اليقين قال السائل بين لى ما هو فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له فإذا عرفت ذلك فقد وحدته.

(وقال) الشيخ الكبير العارف الربانى على الروذبارى رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد فقال هو استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾[1] قلت وهذه الأقوال رواها الشيخ الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى رسالته المشهورة ما خلا الفاظ يسيرة رواها بعض الأئمة العارفين غيره ثم إن هذه الأقوال تدل على ما ذكره الإمام القشيرى المذكور.

(قال) رضى الله عنه اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد وصانوا عقائدهم من البدع ودأبوا بما وجدوا عليه السلف الصالح وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم فلذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رضى الله عنه التوحيد إفراد القدم من الحدث وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال الشيخ أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من لم يقف على علم التوحيد يشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف يريد بذلك أن من ركن قلبه إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك.

(قال) الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شىء ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير، قال شيوخ هذا الطريق على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم فى التوحيد أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم، واحد حكيم، قادر عليم، قاهر رحيم، مريد سميع، مجيد رفيع، متكلم بصير، متكبر قدير، حى أحد، باق صمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حى بحياة، باق ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص، وله الوجه وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات أزلية ونعوت سرمدية، وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شىء من المخلوقات، وليس بجنس ولا بجوهر ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان، ولا يجرى عليه وقت وزمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان، ولا تخصه هيئة ولا قدر، لا تقطعه نهاية ولا حد ولا يحمله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم ولا يقال له أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال متى استوفى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بإمارة عن أشكاله، يُرى لا عن مقابلة ويُرى لا عن مماثلة، ويصنع لا بمباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى فى سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل فى ملكه إلا ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد ألا يكون خالق أكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما فى العالم من الاعيان والآثار قليلها وكثيرها ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض إليه ومؤيد سيدنا ونبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والذكر وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ، بخلفائه ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الملة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله عز وجل : ﴿**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[1].

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه دلت هذه المقالات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق فى مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما أردناه من الاختصار انتهى كلام القشيرى رحمه الله.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(وقال) الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبرى بفتح الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء الفارسى رضى الله عنه أجمعت أئمة هذه الطريقة وسادات شيوخ الصوفية أولى الحقيقة على ما دلت عليه متفرقات أقوالهم ومجموعات أنفاسهم فى مصنفاتهم فى التوحيد وتأسيسهم قواعد العقائد على أصح الأصول، وأوضح السبيل المصون عن التشبيه والتمثيل والنفى والتعطيل بما عرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الحادث من العدم على أن العالم بأسره جواهره وأعراضه وأجسامه لطيفة وكثيرة حادث ومعنى العالم كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم فى وجوده مفتقر إلى محدث مخصص أحدثه وخصصه بالوجود الجائز وأن محدثه هو الله تعالى الذى لا إله غيره الموصوف بالصفات الواجبة أزلا وأبدا وأن صفاته على مراتب ثلاثة: المرتبة الأولى: الصفات النفسية وهو أن الله تعالى موجود قديم واحد أحد فرد قائم بنفسه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء. المرتبة الثانية: الصفات المعنوية وهو أن الله تعالى حى بحياة عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر، باق ببقاء ولم يزل ولا يزال وهذه الصفات معان قديمات كالذات قائمات بذات الله تعالى لا يقال فيها إنها هو ولا أغيار له لا يشبه شىء منها شيئا من صفات ما سواه.

المرتبة الثالثة: الصفات الفعلية المستندة إلى الصفات المعنوية على حسب ما وردت فى الكتب المنزلة وجرت بها ألسنة ذوى النبوة عليهم الصلاة والسلام انتهى كلام الخبرى رحمه الله.

(قال) الشيخ الإمام المحقق السالك الناسك العارف بالله تعالى شيخ شيوخ الإسلام شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه الله لا إله إلا هو لا ضد له ، ولا ند له، ولا تشبيه له، ولا مثل له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا وزير له، ولا نظير له، لا تدرك كنه عظمته الأوهام ولا تبلغ شيئا من كبريائه الأفهام، ولا يعترى ذاته المقدسة التأثر والآلام والتغير والأسقام والسنة والمنام والافتراق والالتئام جل عما يجول به الوسواس وعظم عما تكتنفه الحواس، وكبر عما يحكم به القياس لا يصوره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينويه زوال ولا يشوبه انتقال لا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر قيوم أزلى ديموم سرمدى لا تحد أزليته بمتى ولا تقيد أبديته بحتى لا يطلق عليه التعيين ولا يتطرق إليه التأيين، إن قلت أين فقد سبق المكان وإن قلت متى فقد تقدم الأزمان، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشياء والأمثال والأقران، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيان وإن رمت البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان أول آخر ظاهر باطن، تفانت الأوائل والأواخر فى أزليته وأبديته، تفرد فى الأزل بنعت العظمة والجلالة قبل الكون والمكان والدهور والأزمان والحين والأوان، فالمكان جواهر وأجسام

خلقهـا والدهر أوقات وأزمان قدرها كل ذلـك موسوم بالحدث عـرفنا المكان والزمان بتعريفه إيانا ولو شاء كوننا لم نعـرف زمانا ولا مكانا وكوننا فى المكان ولو شاء كوننا ولا مكان فعلمنا بأنا لا نكون إلا فى مكان مـن قضايا عقلنا وهذه القضـايا هيأها لنا نعقل بها المعـقول ونعلم بها المعلوم، ولو شاء هيأ لنا غـير هيئاتنا فعوالم قـدرته غير محصورة وغرائب مشيئته غير منكورة، وما نحن فيه من العالم بما نحن فيه من العقل والعلم عالم من عوالمه ولا يستبعد قولى ولو شاء كوننا فى غير مكان فقد كون المكان لا فى مكان إذ لو كان لتـسلسل فلا تحصر القـدرة بعقلك إذ العقل قوته أن يـحصر الحكمة، فـأما القدرة فـلا يحصرها فحـدث عن البحر ولا حـرج ومن هذا الأساس تمشت القدرة وثبتت الأمور الأخروية وعلمهـا من علمها وأنكرها من عجز عقله عن إدراكها فمن يكون المكان والمكـون فيه والزمان والمقدر فيه عـالما من عوالمه ويسيرا من عظيم قدره، كـيف يحصره الزمان والمكان فـما أظهر فى عالم الملك والشـهادة عالم الحكمـة والعقل الموهوبين لنا الذى نـتصـرف به موكل بهـذا العالم وهذا العـالم من العرش إلـى الثرى مع العـقل الذى فهمـه وعقله وعلمـه وقسـمه أجـسامـا وجواهر وأعراضا عالم من عـوالمه فصور العالم وكل ما حواه وهو العـالم الذى عقله العقلاء بما فـيه من الأرض والسـماء والماء والنـار والهواء والعـرش والكرسى والجن والإنس والأفلاك والأملاك والألوان والأكوان والأجرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم إلى أعماق أطباق النجوم بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقل وأحقر من خردلة بالنسبة إلى جمـيع العالم ففـرغ بالك عند ذلك من قياسك أنه سبحانه وتعـالى داخل العالم أو خارج العـالم فما أحـقرك وأحقـر علمك فلو فتـحت عين بصيـرتك استحـييت من قيـاسك وفكرك ووهمك وخيالك أيهـا المحدود المحصور لا ينتج فكرك إلا مـحدودا محصـورا وأيها المحيط به الجهـات لا يحكم علمك إلا بالجهات فالجـهات من جملة العالم وقد علمت نسبته إلى عظمة الله فتبارك الله رب العالمين.

(قلت) هذا الكلام من عقيـدة الشيخ شهاب الدين المذكور اقـتصرت على هذا القدر منهـا إذ استـيعابهـا يطول (وهذه عقـيدة) الشيخ الجليل الإمـام الحفـيل شرف العارفين وإمـام المعرفين قدوة المرادين وسـر عباد الـله المرادين عالى المقامـات وغالى الكرامات الحسيب النسيب أبى عبد الله محـمد بن أحمد القرشى الهاشمى قدس الله روحه ونور ضـريحه ونفعنا والمسلمـين ببركته آمـين. وقد أجمع على فـضلهاكل من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحـققين والعلماء الفاضلين المدققين، قال رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله الذى تقدست عن سمة الحدث ذاته وتنزهت عن التشبيـه بالمحدثات صفاته ودلت على وجوده محدثاته وشهـدت بوحدانيته آياته الأول

الذى لا بداية لأزليته، الآخر الذى لا نهاية لسرمديته، الظاهر الذى لاشك فيه الذى ليس فه شبيه، الحى الذى لا يموت ولا يفنى، القادر الذى لا يعجز ولا يعيا، المريد الذى أضل وهدى وأفقر وأغنى، السميع الذى يسمع السر وأخفى البصير الذى يدرك دبيب النمل على الصفا، العالم الذى لا يضل ولا ينسى، المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع ولا بحروف ترجع كل الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعالى له العظمة والكبرياء وله القدرة والسناء وله الأسماء الحسنى والصفات العلا حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة قدرته ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص مخلوقة إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة علمه ليس بكسبى فالكسب بالتأمل والاستدلال يُعلم ولا بضرورى فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ولا بحروف فالحروف تؤخر وتقدم جل ربنا عن التشبيه بخلقه وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه بل هو القديم الأزلى والدائم الأبدى الذى ليس لذاته قد ولا لوجه خد ولا ليده زند ولا له قبل ولا بعد ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ولا بجسم فالجسم بالجهة محفوف هو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبوس ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس﴾[1] ﴿على العرش استوى﴾[2] من غير تمكن ولا جلوس ولا عرش له من قبل القرار ولا التمكن من جهة الاستقرار العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا أمام فيحده ولا خلف فيسنده جل عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والتشبيه والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

(قلت) فجميع هذا الذى ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين أهل العلوم اللدنية والأنوار الساطعة ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يجهل مجدهم وقد

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٢) سورة طه: الآية ٥.

ذكرت جماعة من الفريق الأول وأما الفريق الثانى فعقائدهم معروفة لا تجهل وهى فى مصنفاتهم مذكورة وفضائلهم فى العلم والدين مشهورة مثل الإمام أبى الحسن الأشعرى والإمام أبى إسحاق الإسفرايني والإمام أبى بكر الباقلانى والإمام أبى بكر بن فورك والإمام أبى المعالى إمام الحرمين والإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى والإمام فخر الدين الرازى والإمام ناصر الدين البيضاوى والإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام محيى الدين النووى وغير هؤلاء الأئمة العشرة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة رضى الله عنهم أجمعين لكن بعضهم تكلم فى تأويل الظواهر وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم فى التأويل وممن حكى ذلك عنهم الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين وحكاه فى شرح صحيح مسلم فى الحديث الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له) الحديث قال محيى الدين المذكور هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق والثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى رضى الله عنهما، أنها تتناول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره، ومعناه ينزل رحمته تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثانى على سبيل الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعى بالإجابة واللطف والله أعلم وانتهى كلام الإمام محيى الدين رحمه الله.

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه ما أسهل على العارف إرشاد الجاهل بأن يقول إن كان المراد من النزول إلى سماء الدنيا ليسمعنا فما سمعنا فلا فائدة فى النزول، وقال أيضا الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء كما قال غيره من الأئمة قال واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(١) إذ حمل بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبيعن من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله ﷺ الحجر الأسود يمين الله فى أرضه

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

على التشريف والإكرام إذ لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم كون التمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر أو أصغر وذلك محال وما يؤدى إلى المحال محال، تعالى الله عن ذلك المقال.

قلت وهذا الذي قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه هو نحو مما قاله الإمام حجة الإسلام شيخه الإمام المحقق الناقد المدقق النجيب ابن النجيب أبو المعالى إمام الحرمين رضى الله عنه حيث قال فإن قالوا ما الذى حملكم على تأويل الظاهر قلنا الذى حملكم على تأويل الظاهر أيضا فى قوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(١) وقوله ﷺ : قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه) يعنى الذى ألجأكم إلى تأويل هذه المذكورات لاستحالة ظاهرها فى العقل ألجانا إلى تأويل غيرها لاستحالة ظاهرها أيضا فى العقل الذى به عرف الله عز وجل، وبه تعلق التكليف إذ اعتقاد الظواهر يلزم منه التجسيم والحدوث وغير ذلك من النقص الذى هو من سمات المخلوقين ولا يجوز على الخالق الملك القدوس الموصوف بالجلال والكمال الذى ليس كمثله شيء المتعالى عن النظير والمثال.

وسئل الإمام البارع أبو المعالى صاحب البرهان القاطع إمام الحرمين رضى الله عنه ببغداد هل البارى سبحانه على العرش، فقال فى الجواب خلق العرش من ذرة وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة فكيف يكون مستقره قلت لقد أجاد رضى الله عنه بهذا الجواب الوجيز البالغ المفحم الدامغ فالعرش وإن كان أعظم المخلوقات فهو لا شيء فى جنب عظمة الخالق عز وجل، وقال الإمام مفتى الأنام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه فى عقيدته الجليلة النفيسة الجميلة بعد ما ذكر اعتقاد أهل الحق فى مسائل الأصول واحتج بالمعقول قال هذا جمال من اعتقاد الأشعرى رحمه الله واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح :

يعرفه البـــاحث من خلقه ... وســـائر النـــاس له منكر
(غيره)

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يعرف القمرا

انتهى كلامه وقوله أهل الطريقة والحقيقة يعنى بهم الصوفية وعقيدته مشهورة معروفة بالفضيلة بحسن التصرف فى العلوم ونجابة الفروسية فى ميدان مبارزة الخصوم والعقيدة القدسية للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه جمعت بين

(١) سورة الحديد : الآية ٤ .

الملاحة والفصاحة والترتيب العجيب والأسلوب الغريب والفوائد الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة والعبارة البارعة والبراهين القاطعة وغير ذلك من المحاسن الفائقة والمعانى الرائقة فهاتان العقيدتان من ملامح عقائد العلماء الفاضلين وعقيدتان أخريان من ملامح عقائد الأولياء العارفين عقيدة الشيخ أبى عبد الله القرشى والشيخ شهاب الدين السهروردى رضى الله عنهما، وجميع ما ذكرته فى هذا الفصل هو معتقد أئمتنا من الأولياء والعلماء رضى الله عنهم وهو مذهب أهل السنة من السلف والخلف وقد صنف أئمتنا فى ذلك مصنفات كبيرات جليلات نفيسات مبسوطات ومختصرات معروفات مشهورات أقاموا فيها الدلائل الظاهرات والبراهين القاطعات من المعقولات والمنقولات وهذا الكتاب عن إيرادها يضيق بل كثرة الطعن والمجادلات به لا تليق إذ هو موضوع للترقيق والتشويق ولكن إذ قد ذكرت عقائد أئمتنا رضى الله عنهم فأنا أذكر الآن عقيدتى معهم على جهة الاختصار وحذف حجج الأصوليين النظار فأقول وبالله التوفيق الذى نعتقد أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى، ولا نقطع بتعيين تأويل منها بل نكل ذلك إلى العليم الخبير الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وكذلك نعتقد ما اعتقده العارفون والعلماء العاملون أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته لا يقال أين كان ولا كيف كان ولا متى كان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار لا يحله شىء ولا يحل فى شىء كل يوم هو فى شأن فى أفعاله لا فى ذاته وصفاته لا تهتدى عقول العقلاء إلى إدراك معرفة كنه ذاته المقدسة وصفاته العظمى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وقد جمعت المسائل المعتمدة من العقائد فى ثلاث من القصائد وأودعتها الكتاب المسمى بكتاب الدرر وسأذكر فى الفصل الأخير من هذا الكتاب واحدة منها جامعة للعقيدة وغيرها وبها ختمت كتاب الإرشاد لكونها محتوية على التوحيد وصحيح الاعتقاد وذكر الجنة والنار وتشويق الزهاد والعباد.

وأقدم عليها فى هذا الفصل القصيدتين المسماتين مفاخر الفريقين هداة الطريقتين الصوفية العارفين والعلماء العاملين والقصيدة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك.

القصيدة الأولى المسماة راح الأسكار فى اجتلاء عرائس الأنوار من بيض المعارف الأبكار الغانيات للنظار من خلف الأستار الكاشفات الخمار للأولياء الأخيار رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

النهر الماد

من البحر المحيط

تصنيف
الإمام أبي حيان الأندلسي
٦٥٤-٧٤٥هـ

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ-١٩٩٥م

تحقيق
الدكتور عمر الأسعد

المجلد الأول
الفاتحة - آل عمران

دار الجيل
بيروت

كرسيه السماواتُ والأرضُ برفعهما[١]. والكرسي [٦٤/أ] جسم عظيم يسع السماوات والأرض. واختار القَفَّال أنَّ المقصود تصوير عظمة الله وتعزيره[٢]، خاطب الخَلْقَ في تعريفِ ذاتِه بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم انتهى. وفي الحديث: «ما السماواتُ السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس» وفي الحديث أيضاً[٣]: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقةٍ من حديد أُلقيت في فَلاةٍ من الأرض». وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطّه سمّاه كتاب العرش أنَّ الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكاناً يقعد فيه معه رسول الله ﷺ. تحيّل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله حفظهما أي: السماوات والأرض، وهو كناية عن انتفاء شغله بحفظهما. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ تنزيه له تعالى أي: العليّ قدره العظيم شأنه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

(١) ق: برفعها.

(٢) ق: وتقريره، وكتبت مكررة.

(٣) في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ : ١٣ حديث ملفق من الحديثين نصّه «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».

بهجة النفوس

وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها

شرح مختصر صحيح البخاري

المسمى

جمع النهاية في بدء الخير والغاية

للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي

المتوفى سنة ٦٩٩ هـ

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٣ - ٤

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

(الرحمن على العرش استوى) أي استوى أمره ونهيه وما شاء من حكمه ومثله قوله تعالى (وجاء ربك والملك) أي جاء أمر ربك وهذا مستعمل في ألسنة العرب كثيرا ومما يزيدهذا بيانا وإيضاحا أعني نفي الذات الجليلة عن الحلول والاستقرار قوله عليه السلام لاتفضلوني على يونس بن متى والفضلية قدوجدت بينهما في عالم الحس لأنه عليه السلام رفع حتى رقى السبع الطباق ويونس عليه السلام ابتلعه الحوت في قعر البحار فالفضلية موجودة مرئية في هذا العالم الحسي ولم يكن عليه السلام لينفي شيئا موجودا حسا ولا يقول إلا حقا فلم يبق معنى لقوله عليه السلام لاتفضلوني على يونس إلا بالنسبة إلى القرب من الله سبحانه فمحمد عليه السلام فوق السبع الطباق ويونس عليه السلام في قعر البحار وهما بالنسبة إلى القرب من الله سبحانه على حد سواء ولو كان عز وجل مقيدا بالمكان أو الزمان لكان النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إليه فثبت بهذا نفي الاستقرار والجهة في حقه جل جلاله

الوجه السادس قوله عز وجل (إن رحمتي غلبت غضبي) غلبت بمعنى أكثر أي بما حكمت بذلك لعبادي بأن أكثرت لهم النصيب من رحمتي على النصيب من غضبي لكن هذا يحتاج فيه إلى كلام وبيان لأنا قد وجدنا مقتضى هذا الكتاب موجودا حسا في الدنيا لأن الرحمة قد عمت الخلق بأجمعهم فيولد الكافر وأبواه يشركان بالله ويعبدان الأوثان وهو يكبر على الطغيان والضلال وهو عز وجل يغذيه بألطافه ويسر له مايحتاج إليه من ضروراته وكذلك غيره من العصاة هذا مشاهد مرئي لايحتاج فيه إلى بيان والقليل النادر من عومل بصفة الغضب لكن الآخرة قد وردت الأخبار فيها بضد هذا فمنها قوله عليه السلام يقول الله عز وجل لآدم يوم القيامة« أخرج بعث النار من بنيك فيقوله يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فشق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف وإنكم فيمن تقدم من الأمم كالشامة البيضاء في جنب البعير الأسود» إلى غير ذلك من الأحاديث التي جاءت في هذا المعنى فكان الغضب في الآخرة على مقتضى هذا الظاهر أكثر من الرحمة وذلك مخالف لنص الحديث ﴿ والجواب) عن هذا الاشكال أنه عليه السلام لم يقل لما قضى الله خلق بني آدم وإنما قال لما قضى الله الخلق فعم ولم يخصص وبنو آدم في مخلوقات الله تعالى البعض من الكل وقد قال عليه السلام إن في هذه الدار من مخلوقات الله تعالى ألف عالم أربع مائة في البر وستمائة في البحر هذا ما هو في هذه الأرض فكم في الأرضين الأخر وكم في السموات من الملائكة وكم تحت العرش وكل هذه المخلوقات تحشر يوم القيامة حتى يقتص الله عز وجل ممن شاء لمن شاء كيف شاء ثم يقول عز وجل لما عدا الثقلين والملائكة كونوا ترابا فعند ذلك (يقول الكافر ياليتني كنت ترابا) لأن النجاة

شرح الزرقاني

على موطأ الإمام مالك

تأليف

محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني
المصري الأزهري المالكي
المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي

طبعة سنة
١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

المجلد الثاني

دار الحديث
القاهرة

وشدّ الراء الجهنى مولاهم المدنى وأصله من أصبهان، وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى (عن أبى هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا) اختلف فيه فالراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا على طريق الإجمال منزهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه، ونقله البيهقى وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والليث والأوزاعى وغيرهم، قال البيهقى: وهو أسلم ويدل عليه اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب فحينئذ التفويض أسلم، وقال ابن العربى: النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذى ينزل بأمره ونهيه، فالنزول حسى صفة الملك المبعوث بذلك، أو معنوى بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة فهى عربية صحيحة، والحاصل أنه تأوّله بوجهين: إما أن المعنى ينزل أمره أو الملك، وإما أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه، وكذا حكى عن مالك أنه أوّله بنزول رحمته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أى أتباعه بأمره، لكن قال ابن عبد البر: قال قوم ينزل أمره ورحمته وليس بشىء لأن أمره بما يشاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب فى الاستجابة ذلك الوقت، وقال الباجى: هو إخبار عن إجابة الداعى وغفرانه للمستغفرين وتنبيه على فضل الوقت كحديث: «إذا تقرّب إلىّ عبدى شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا...» الحديث، لم يرد قرب المسافة لعدم إمكانه وإنما أراد العمل من العبد ومنه تعالى الإجابة، وحكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوّله على حذف المفعول أى ينزل ملكًا، قال الحافظ: ويقويه ما رواه النسائى من طريق الأغر عن أبى هريرة وأبى سعيد: «أن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع فيستجاب له؟...» الحديث، وحديث عثمان بن أبى العاص عند أحمد: «ينادى مناد: هل من داع يستجاب له؟...» الحديث، قال القرطبى: وبهذا يرتفع الإشكال، ولا يعكر عليه حديث رفاعة الجهنى عند النسائى: «ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادى غيرى» لأنه لا يلزم من إنزاله الملك أن يسأله عن صنع العباد بل يجوز أنه مأمور بالمناداة، ولا يسأل البتة عما بعدها، فهو أعلم سبحانه بما كان وما يكون. انتهى. ولك أن تقول: الإشكال مدفوع حتى على أنه ينزل بفتح أوّله الذى هو الرواية الصحيحة، وكل من حديثى النسائى وأحمد يقوى تأويله بأنه من مجاز الحذف أو الاستعارة، وقال البيضاوى: لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد دنوّ رحمته أى ينتقل من مقتضى صفة الجلال التى تقتضى الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التى تقتضى الرأفة والرحمة (تبارك وتعالى) جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه وهو (كل ليلة) لما أسند النزول إلى ما لا يليق إسناده حقيقة إليه اعترض بما يدل على التنزيه كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ (النحل: ٥٧) (إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) برفعه صفة ثلث

المقاصد الحسنة

في

بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة

تأليف

الإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

المتوفى ٩٠٢ هـ

صححه وعلق عليه

عبد الله محمد الصديق

من علماء الأزهر والقرويين

ومتخصص في علم الحديث والإسناد

خرج آياته وأحاديثه

عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه.. انتهى بحروفه. وكذا قال شيخنا: معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، والتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى منزه عن الحلول في الأماكن؛ فإنه سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن.

٨٨٥ ـ حديث: **«لو اغْتَسَلَ اللوطيُّ بماءِ البحر لم يجىء يَوْمَ القيامةِ إلا جنُباً»**.

أسنده الديلمي، عن أنس به مرفوعاً. وهو عنده أيضاً من حديث أبي هريرة رفعه بلفظ: **«المتلوط لو اغتسل بكل قطرة تنزل من السماء على وجه الأرض إلى أن تقوم الساعة لما طهره الله من نجاسته أو يتوب»**. وكل ما في معناه باطل.

٨٨٦ ـ حديث: **«لو بغى جبلٌ على جبلٍ لَدُكَّ الباغي»**.

البخاري في الأدب المفرد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا فطر بن خليفة، عن أبي يحيى القتات، سمعت مجاهد، عن ابن عباس به موقوفاً.

وهو عند البيهقي في الشعب، من طريق الأعمش، عن ابن يحيى القتات به.

ورواه ابن مردويه، عن طريق قطبة، عن الأعمش به مرفوعاً؛ ومن طريق الثوري، عن الأعمش موقوفاً.

ورواه ابن المبارك في الزهد، عن فطر، عن أبي يحيى، عن مجاهد مرسلاً.

قال ابن أبي حاتم: اختلف فيه على أبي يحيى القتات، والموقوف أصح.

وفي الباب عن ابن عمر عند ابن مردويه، وعن أنس عند ابن حبان في الضعفاء في ترجمة أحمد بن الفضل، وقال: إنه كان يضع الحديث.

٨٨٧ ـ حديث: **«لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**.

متفق عليه عن أنس به مرفوعاً، وفي الباب عن أبي هريرة وجماعة.

---

٨٨٥ ـ أخرجه علي القاري في الأسرار المرفوعة ٢٨٩، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/١١٢، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/٢١٩.

٨٨٦ ـ أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٠٤، والشوكاني في الفوائد المجموعة ٢١٢، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/٢١٩.

٨٨٧ ـ أخرجه البخاري ٢/٤٣، ٦/٦٨، ٧/٤٥، ٨/١٢٧، ١٦١، ١٦٢، ومسلم في الفضائل حديث ١٣٤، والترمذي ٢٣١٢، ٢٣١٣، والنسائي في الكسوف باب ١٠، ٢١، وابن ماجه ٤١٩٠، ٤١٩١، وأحمد في المسند ٢/٣١٢، ٤٣٢، ٤٥٣، ٤٦٧، ٤٧٧، ٥٠٢، ٣/١٨٠، ١٩٣، ٢١٠، ٢٥١، ٢٦٨، والدارمي ٢/٣٠٦.

مفيد العلوم ومبيد الهموم

تصنيف

زكريا بن محمد بن محمود القزويني

ت ٨٦٢هـ

تحقيق وتقديم

محمد عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

للملحدين، وكذلك أقوال الصحابة رضي الله عنهم حجة بخطاب رسول الله، وأقوال العلماء حجة بخطاب الرسول، وطاعة الأمراء واجبة بقول الرسول، وطاعة الزوج على زوجته والسيد على غلمانه واجبة بقول رسول الله. فليعلم بأن هذا أصل عظيم.

سؤال عظيم: اشتبه على زهاء خمسمائة فلسفي قالوا: كيف نعرف النبي أنه نبي، فإن الله لا يخاطبه مواجهة، ولو جاءه ملك احتمل أنه شيطان تصور بصورة ملك، فكيف نثق بقوله؟

الجواب: البراهمة أوتوا حين كفروا من هذه الشبهة، وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين فنقول: نعرف النبي انه نبي بطرق ثلاثة:

الأول: أن يخلق الله له علماً ضرورياً، فنعرف أنه رسول الله.

الثاني: أن يظهر الله آيات وعلامات، فيضطر الرسول إلى أنه من قبل الله، وأن البشر يعجز عن مثله.

الثالث: أن يخبره الله بما في قلبه وصدره، فيضطر النبي إلى معرفة كلامه؛ لأن الغيب لا يعلمه الا الله، عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً.

* * *

الباب الثالث

في التوحيد

فإن قيل: ما حد التوحيد ومن الموحد؟ فأقول على الخبير: حد التوحيد: العلم بأن الله سبحانه واحد بصفاته التي هو عليها، من كونه حياً قادراً، عالماً مريداً، سميعاً بصيراً، متكلماً.

والموحد: هو العالم بأن الله واحد، حي عالم قادر، مريد سميع بصير، متكلم.

والتوحيد: أن يعلم أن الله واحد قديم، لم يزل ولا يزال، كان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه، كان عالم بعلم أزلي، قادر بقدرة أزلية، يعلم مثاقيل الجبال

وأوزانها، وأوراق الأشجار وكمياتها، وقطرات البحار، ويعلم عدد الحيوان والدواب ومواضعها، يعلم كم المؤمن وكم الكافر وكم الذكر وكم الأنثى وكم الأحياء وكم الأموات، يسمع كلام نفسه، لا يدخل في الوهم، منزه عن التقدير والتحديد، مقدس عن خطرات الخاطر؛ لأن كل ما يقدره الوهم يكون متلوناً مقدراً أو مشبهاً بشيء، والله مقدس عن جميع ذلك وكل ما يخطر بالبال، فالله بخلاف ذلك الشيء، وخالق ذلك الشيء، فمن اعتقد هذا فمؤمن موحد حقاً. وجملة التوحيد في حرف واحد وهو: أن يعلم العبد أن القديم لا يشبه المحدث، وأن الله سبحانه لا يجوز عليه الإتصال والإنفصال والقرب والبعد والحلول والإنتقال والطبع والغش. وقال بعض العلماء: «خلاصة التوحيد أن يعتقد العبد أن كل ما يتقدر في الوهم ويتصور في الخاطر، فالله بخلاف ذلك، وخالق ذلك، وأن الله تعالى غير مشبه بالذوات، وذاته غير معطلة عن الصفات».

° ° °

الباب الرابع

في نكت الأئمة في التوحيد

أول دليل على أجل جليل، قال الإمام المطلبي رضي الله عنه: «استقبلني سبعة عشر زنديقاً في طريق غزة، فقالوا: ما الدليل على الصانع؟ فقلت لهم: إن ذكرت دليلاً شافياً، هل تؤمنون؟ قالوا: نعم، قلت: نرى ورق الفرصاد طبعها ولونها وريحها سواء، فيأكلها دود القز، فيخرج من جوفها الابريسم، ويأكلها النحل، فيخرج من جوفها العسل، وتأكلها الشاة فيخرج من جوفها البعر، فالطبع واحد إن كان موجباً عندك فيجب أن يوجب شيئاً واحداً؛ لأن الحقيقة الواحدة لا توجب إلا شيئاً واحداً، ولا توجب متضادات متنافرات، ومن جوز هذا كان عن المنقول خارجاً، وفي التيه ولجاً، فانظر كيف تغيرت الحالات عليها، فعرفت أنه فعل صانع عالم قادر، يحول عليها الأحوال ويغير التارات، قال: فبهتوا، ثم قالوا: لقد أتيت بالعجب العجاب، فآمنوا وحسن إيمانهم». وجاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فقال: ما الدليل على الصانع؟ قال: «أعجب دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن، يخلقه الله في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة».

منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر

للعلامة المحدث الفقيه علي بن سلطان محمد القاري

المتوفى سنة (١٠١٤هـ)

ومعه

التعليق الميسر على شرح الفقه الأكبر

تأليف

الشيخ وهبي سليمان غاوجي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار البشائر الإسلامية

ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم، وهو مختار الإمام والطحاوي، والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته.

(**وهو شيء لا كالأشياء**)، هذا فذلكة الكلام ومجمله المرام، فإنه سبحانه شيء، أي موجود بذاته وصفاته، إلا أنه ليس كالأشياء المخلوقة ذاتاً وصفة كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] سواء نقول الكاف زائدة للتأكيد والمبالغة كقول العرب: مثلك لا يبخل، وهم يريدون نفيه عن نفسه، وأنهم إذا نفوه عن مثله فقد نفوه عنه بأبلغ وجه منه؛ فالكناية أبلغ في باب الرعاية، والتلويح أولى من التصريح، أو نقول: الكاف ثابتة، والمراد بمثله ذاته أو صفاته.

والحاصل كما قاله العارف الكامل: ما خطر ببالك فالله سوى ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، والعجز عن درك الإدراك إدراك، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، ويعلم من قوله: (شيء لا كالأشياء)، أنه سبحانه ليس في مكان من الأمكنة ولا في زمان من الأزمنة، لأن المكان والزمان من جملة المخلوقات، وهو سبحانه كان موجوداً في الأزل ولم يكن معه شيء من الموجودات.

(١) (لا أحصي ثناء عليك)، رواه مسلم والأربعة. وأوله: (أعوذ برضاك من سخطك).

بعض الآيات والأحاديث الدالة على صفة الفوقية ونعت العلوية فمسلم، إلا أنه مؤوّل كله بعلوّ المكانة؛ ثم قال: ومنه ما روي عن أبي مطيع[1] البلخي رحمه الله أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمن قال: لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٤]، وعرشه فوق سبع سموات. قلت: فإن قال إنه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر، لأن الله تعالى في أعلى عليِّين، وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل. انتهى.

والجواب أنه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتاب حل الرموز: أنه قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر؛ لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً، ومن

(١) (ما روي عن أبي مطيع): سيذكر المصنف ما ورد في أبي مطيع، فلا تقبل هذه الرواية عنه، لكن العجب أن أحد المصنفين السلفيين كتب رسالة عن الأئمة الأربعة، فذكر هذا الخبر ليوهم القراء أن التابعي الجليل يقول بالجهة والمكان لله رب العالمين تعالى عن ذلك علواً كبيراً والعجب أن بعضهم يعتمد تمحيص الروايات فيما يروي، وليس فيما يقول. أو ينقل عن الآخرين إذا وافق مذهبه واتجاهه وما أكثر الأدلة على هذا، منها ما توهم الشيخ ناصر بأن الحنفية قالوا: إن عيسى عليه السلام حين ينزل يحكم بمذهب أبي حنيفة فقال في تعليقه على مختصر مسلم أن عيسى عليه السلام لا يحكم بالإنجيل، ولا مذهب أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ ولو تحقق من أن الحنفية كذبوا ذلك الخبر في كتبهم، وكتبوا رسائل، وآخر من نبه عليها إمام المحققين ابن عابدين رحمه الله تعالى، لكان خيراً.

توهم أن للحق مكاناً فهو مشبِّه. انتهى[1].

ولا شك أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم، فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح، مع أن أبا مطيع رجل وضّاع عند أهل الحديث كما صرّح به غير واحد.

والحاصل أن الشارح يقول بعلوّ المكان مع نفي التشبيه، وتبع فيه طائفة من أهل البدعة، وقد تقدم عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يؤمن بالصفات المتشابهات ويعرض عن تأويلها، وينزّه الله تعالى عن ظواهرها، ويَكِلُ علمها إلى عالمها كما هي طريقة السلف وكثير من الخلف، ومذهبهم أسلم وأعلم وأحكم، ولقد أغرب حيث قال: المكانة تأنيث المكان، وأراد أنهما واحد في المعنى، ولم يفرّق بين المنزلة المعنوية وبين المرتبة الحسية مع أنه أورد ما جاء في الأثر: «إذا أحبّ أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه»[2]، ثم قال: وهو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك. انتهى. فهو من قبيل ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) انظر: الإمام أبو حنيفة ص ٢٦٠ للمعلق.

وجاء في الفقه (الأبسط) للإمام: قول من قال: لا أدري اللّهَ في السماء أو في الأرض، كفر، قال الشيخ أبو الليث السمرقندي في شرح هذه الرسالة بعد أن أورد عبارة الإمام: لأنه يعني بذلك نسبة الجهة إلى الله تعالى، ثم تردد في تعيينها والقول بالجهة عنده كفر. اهـ.

(٢) (إذا أحب أحدكم أن يعرف منزلته عند الله...) ابن المبارك في الزهد ص ٥٠٢.

«حبك الشيء يعمى ويصمّ»[1].

وقد ثبت عن إمام الحرمين في نفي صفة العلوّ قوله كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان. (أي المكاني)

ومما ينقض القول بالعلوّ المكاني وضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض إجماعاً. وأما قول بشر المريسي في حال سجوده: سبحان ربي الأعلى والأسفل، فهو زندقة وإلحاد في أسمائه تعالى. ومن الغريب أنه استدلّ على مذهبه الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء وهو مردود، لأن السماء قبلة الدعاء بمعنى أنها محل نزول الرحمة التي هي سبب أنواع النعمة، وموجب دفع أصناف النقمة، ولو كان الأمر كما قال هذا القائل في مدّعاه الباطل لوقع التوجّه بالوجه إلى السماء، وقد نهانا الشارع عن ذلك حال الدعاء لئلا يتوهم أن يكون المدعو في السماء كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقد ذكر الشيخ أبو معين النسفي[2] إمام هذا الفن في التمهيد له، من أن المحققين قرّروا أن رفع الأيدي إلى السماء في حال الدعاء تَعبّد محض. قال شارحه العلامة السغناقي: هذا جواب عما تمسك به غلاة الروافض واليهود والكرامية وجميع المجسمة في أن الله تعالى على العرش.

---

(١) (حبك الشيء يعمي ويصم) أبو داود ١١٦، أحمد ٥/ ١٩٤، ٦/ ٤٥.

(٢) أبو المعين ميمون بن محمد النسفي، توفي سنة ٥٠٨هـ، مؤلف تبصرة الدلالة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي، ويقع في جزأين.

فبها، وإلا فإن كان مصمِّماً على مقوله ولم يرجع بالمنقول عن معقوله فيجب تعزيره وتشهيره بما يراه الحاكم الشرعي كما يقتضيه تقريره، فإنه لا يخلو من أن يدعي ادِّعاء مطلقاً في بيانه أو منزّهاً عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه، فيكون ممن افترى على الله كذباً، وهو من أكبر الكبائر، بل عدَّ بعض العلماء الكذب على النبي ﷺ كفراً، فمن أظلم ممن كذب على الله أو ادَّعى ادِّعاء معيناً مشتملاً على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافراً لا محالة، وهذا مجمل مقال بعض أرباب العقائد المنظومة:

من قال في الدنيا نراه بعينه ... فذلك زنديق طغا وتمرّدا

وخالف كُتْبَ الله والرسل كلها ... وزاغ عن الشرع الشريف وأبعدا

وذلك ممن قال فيه إلٰهنا ... يرى وجهه يوم القيامة أسودا

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقد نقل جماعة الإجماعَ على أن رؤية الله تعالى لا تحصل للأولياء في الدنيا. وقد قال ابن الصلاح

ليلة الإسراء، فقد روى البخاري بسنده إلى مسروق قال: لقي ابنَ عباس كعبٌ بعرفة فسأله عن شيء، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبت الجبال، ثم إنه قال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. فتح الباري ٨/٦٠٦. ورواه مسلم وغيره. وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه يحلف بالله لقد رأى محمد ربه. وقال الإمام النووي: الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج. انظر الشفاء في حقوق المصطفى، للقاضي عياض رحمه تعالى.

مناقب الشافعي

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

٣٨٤ - ٤٥٨

تحقيق

السيد أحمد صقر

الجزء الأول

مكتبة دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

يدل على كثرة مناظرته أهل البدع حتى عرف عادتهم فى إظهار مذهب الشيعة، وإضمار ما وراءه من البدعة التى هى أقبح منه .

ثم ذكر من مذهب من يتشيع : ما أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه فيما قرأت عليه قال : حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبة قال : حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد ابن إبراهيم الكرابيسى ، قال : حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد بن إبراهيم الكرابيسى قال: حدثنا أبو حاتم الرازى قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول:

سمعت الشافعى يقول : أجيز شهادة أهل الأهواء كلّهم إلا الرّافضة؛ فإنهم يشهد بعضهم لبعض[1] .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : سمعت أبا تراب يقول : سمعت محمد بن المنذر يقول . سمعت أبا حاتم الرازى يقول : سمعت حرملة يقول :

سمعت الشافعى يقول : لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة[2] .

وأخبرنا محمد بن عبد الله قال : أخبرنى الزبير بن عبد الواحد قال : حدثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان بدمشق قال :

سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : سمعت الشافعى إذا ذكر الرافضة عابهم أشدّ العيب فيقول : شر عصابة .

قلت : والحدثان من الأمور ، على ما أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل قال : حدثنا أبو العباس الأصم قال : حدثنا الربيع بن سليمان قال :

(١) آداب الشافعى ومناقبه ١٨٩ والسنن الكبرى ٢٠٩/١٠ .
(٢) السنن الكبرى ٢٠٨/١٠ وآداب الشافعى ومناقبه ١٨٧ .

حدثنا الشافعي قال : المحدثات من الأمور ضربان :

أحدهما : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً . فهذه البدعة الضلالة .

والثانية : ما أحدث من الخير لاخلاف فيه لواحد من هذا . وهذه محدثة غير مذمومة .

[وقد] قال عمر ، رضى الله عنه،فى قيام شهر رمضان : نعمت البدعة هذه. يعنى أنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها ردّ لما مضى .

قلت : فكذا مناظرة أهل البدع إذا أظهروها ، وذكروا شبههم منها ، وجوابهم عنها ، وبيان بطلانهم فيها .

وإن كانت من المحدثات فهى محمودة ليس فيها ردّ ما مضى . وقد سئل النبى،صلى الله عليه وسلم،عن القدر ، [فأجاب عنه[1]] وسئل عنه بعض الصحابة فأجابوا عنه بما روينا عنهم ، غير أنهم[2] إذ ذاك كانوا يكتفون بقول النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ثم بعده بالخبر عنه .

وأهل البدع فى زماننا لا يكتفون بالخبر ولا يقبلونه ، فلابدّ من ردّ شبههم إذا أظهروها بما هو حجة عندهم . وبالله التوفيق .

وكان الشافعى،رضى الله عنه،شديداً على أهل الإلحاد وأهل البدع،مجاهراً ببغضهم وهجرتهم .

قرأت فى كتاب العاصمى ، عن الزبير بن عبد الواحد ، عن يوسف بن عبد الأحد ، عمن حدثه ، قال :

---

(١) الزيادة من ح .

(٢) فى ا : « غير أنه » .

كتاب المصاحف

تصنيف

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

عبد الله بن سليمان بن الأشعث

رحمه الله

قدّمه وعلّق عليه واعتنى به

محمد بن عبده

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

[باب](*)

نقط المصاحف

[٤٤٤] حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا الحسين بن الوليد عن هارون بن موسى قال أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر .

ق٦٨/أ [٤٤٥] حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن بشار/ حدثنا عبد الأعلى ومحمد بن بكر قالا حدثنا هشام عن الحسن أنه كره أن تنقط المصاحف بالنحو .

= إبراهيم بن الحسن القسمي أبو إسحاق ثقة حجاج هو بن محمد المصيصي ثقة ثبت .

أبو التياح هو يزيد بن حميد الضبعي ثقة ثبت .

حجاج بن محمد .

(٤٤٤) **إسناده صحيح** .

فيه عبد الله بن محمد المخرمي وفي نسخة قرطبة محمد بن عبدالله المخزومي وكلاهما خطأ .

والصحيح محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي أبو جعفر البغدادي ثقة حافظ .

(٤٤٥) **إسناده ضعيف** .

=

(*) سقطت من المخطوط .

الجامع في العلل ومعرفة الرجال

للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

المتوفى (٢٤١ هـ)

ضبط نصه وخرج آياته

أبو علي النظيف

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

أمي الصيرفي ثقة .

شعبة مولى ابن عباس ما أرى به بأسا . قال مالك : لم يكن يشبه القراء .

مخرمة بن بكير ثقة إلا أنه لم يسمع من أبيه شيئا .

إبراهيم بن عقبة ثقة .

يزيد بن خصيفة ما أعلم إلا خيرا .

عدي بن ثابت ثقة ، إلا أنه كان يتشيع .

صالح مولى التوأمة صالح الحديث .

سلم بن أبي الذيال ما أصلح حديثه .

سمعت أبي يقول : عبد الله بن مسلم بن هرمز ليس بشيء ضعيف الحديث ، يحدث عنه الثوري ، وعبد الله بن نمير .

سئل عن دهشم بن قران ، قال : كان شيخا ليس به بأس . حدث عنه أبو بكر بن عياش ، ثم أخرج كتابا عن يحيى بن أبي كثير فترك حديثه متروك الحديث .

عمر بن الوليد الشني ليس به بأس .

أبو مكين ثقة .

السري بن يحيى ليس فيه اختلاف هو من الثقات ، الربيع بن حبيب ما أرى به بأسا . صالح بن مسلم البكري ليس به بأس ، ثم قال : صالح بن مسلم ثقة .

سألته عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل ، فقال : لا بأس بذلك .

سألت أبي عن سالم أبي النضر وسمي ، فقال : كلاهما ثقة ، قال : حوشب بن عقيل العبدي الهجري ، قال : شيخ ثقة : جهير بن يزيد ، قال : هو ثقة . النعمان بن راشد مضطرب الحديث .

محمد بن عمرو الأنصاري كان يكون بالبصرة وعبادان ، وكان يحيى بن سعيد يضعفه جدًّا .

قلت لأبي : أي أصحاب إبراهيم أحب إليك ؟ قال : الحكم ثم منصور ما أقربهما . سمعته يقول : كانوا يرون أن عامة حديث أبي معشر إنما هو عن حماد .

قال أبي : هلال بن خباب شيخ ثقة .

سليمان بن أبي المغيرة شيخ ثقة .

الأدب المفرد

للإمام الحافظ الحجة
أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
رحمه الله
١٩٤-٢٥٦هـ

تحقيق
فريد عبد العزيز الجندي

دار الحديث
القاهرة

٩٦١- قال: وولد لفلان من الأنصار غلام فسماه محمداً فقالت الأنصار: لا نكنيك رسول الله. حتى قعدنا في الطريق نسأله عن الساعة، فقال: «**جئتموني تسألوني عن الساعة**»، قلنا: نعم، قال: «**ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة**»، قلنا: وُلد لغلام من الأنصار غلامٌ فسماه محمداً فقالت الأنصار: لا نكنيك برسول الله قال: «**أحسنت الأنصار، سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**».

٤٣٥- باب

٩٦٢- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني الدراوردي، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ في السوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفيه عمر بجدْي أسك فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: لا. قال: «**ذلك لهم لاثًا**»، فقالوا: لا والله لو كان حيًا لكان عيبًا فيه أنه سك- والأسك الذي ليس له أذنان- فكيف وهو ميت؟ قال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**».

٩٦٣- حدثنا عثمان المؤذن قال: حدثنا عوف، عن الحسن عن عُتَيّ بن ضمرة قال: رأيت عند أبي رجلاً تعزى بعزاء الجاهلية فأعضَّه أبي ولم يكنه؛ فنظر إليه أصحابه، قال: كأنكم أنكرتموه!؟ فقال: إني لا أهاب في هذا أحدًا أبدًا، إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوه**». حدثنا عثمان قال: حدثنا المبارك، عن الحسن، عن عُتَيٍّ... مثله.

٤٣٦- باب: ما يقول الرجل: إذا خدرت رجله

٩٦٤- حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن سعد قال: خدرت رجلُ ابن عمر فقال له رجل: اذكر أحبَّ الناس إليك فقال: يا محمد.

٩٦١- صحيح: سبق تخريجه.

٩٦٢- صحيح: رواه مسلم في الزهد (٢).

٩٦٣- صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٣٦)، والنسائي (٨٨٦٤)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٨/ ١٦٩)، والألباني في الصحيحة (٢٦٩).

٩٦٤- ضعيف: ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ٣٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد (٩٦٤).

الوفا

بأحوال المصطفى

تأليف

الشيخ الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

(٥١٠ - ٥٩٧)

دراسة وتحقيق

مصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

عائشة فقالت: انظروا قبر رسول الله ﷺ فاجعلوا منه كُوًّا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطروا مطراً حتى نبت العشبُ وسَمِنت الإبل حتى فتُقت فسمي عام الفتق(٩٢).

١٥٣٥ ـ عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الْحَرَّة لم يؤذَّن في مسجد رسول الله ﷺ ثلاثاً ولم يُقَمْ، ولم يَبرح سعيد بن المسيَّب من المسجد، فكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهَمْهمة يسمعها من قبر رسول الله ﷺ.

١٥٣٦ ـ عن أبي بكر المِنْقَريّ قال: كنت أنا والطَّبَرانيّ، وأبو الشيخ في حَرَم رسول الله ﷺ وكنا على حالة، فأثَّر فينا الجوع، فواصَلْنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرتُ قبرَ رسول الله ﷺ وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع!! وانصرفت.

فقال لي أبو الشيخ: اجلس فإما أن يكون الرزقُ أو الموت.

قال أبو بكر: فنمت أنا، وأبو الشيخ، والطبرانيُّ جالسٌ ينظر في شيء. فحضر بالباب عَلَوِيٌّ[1] فدقَّ الباب، فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيلٌ[2] كبير فيه شيء كثير. فجلسنا وأكلنا، وظننا أن الباقي يأخذُه الغلام، فولّى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قالِ العلوي: يا قوم، أشكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم!

* * *

الباب الأربعون

في ذكر ندب فاطمة عليه ﷺ

١٥٣٧ ـ عن أنس قال: لمَّا ثَقُل رسول الله ﷺ جعل يتغشَّاه الكَرْب، فقالت فاطمة: واكرب أبتاه. فقال لها: «ليس على أبيك كربٌ بعدَ اليوم»(٩٣). فلما مات قالت:

---

(٩٢) «قحط أهل المدينة قحطاً شديداً...».
أخرجه الدارمي في سننه باب ١٥ من المقدمة.

(٩٣) حديث: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم».
سبق تخريجه.

(1) أي واحد من الأشراف من ذرية سيدنا علي

(2) وهو السَّلة

يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه. ثم لما دُفن قالت فاطمة: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تَحْثُوا على رسول الله ﷺ التراب!

١٥٣٨ ـ عن علي عليه السلام قال: لما مات رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام، فأخذت قبضة من تراب القبر، فوضعته على عينيها، فبكت وأنشأت تقول:

مـاذا على من شَمَّ تُـرْبَـةَ أحمـدٍ ... أن لا يَشُمَّ مـدى الزمـان غَـوَالِيَـا
صُبَّتْ عَليَّ مصـائـبٌ لـو أنهـا ... صُبَّت على الأيـام عُـدْنَ لَيَـالِيَـا

١٥٣٩ ـ عن عطاء قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أصابت أحدكم مصيبة فليذكر مصابه فيَّ، فإنها من أعظم المصائب»(٩٤).

* * *

الباب الحادي والأربعون

في فضل الصلاة عليه ﷺ

١٥٤٠ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً»(٩٥).
انفرد بإخراجه مسلم.

١٥٤١ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليَّ واحِدةً صلى الله [عليه] عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات»(٩٦).

---

(٩٤) حديث: «إذا أصابت أحدكم مصيبة...».
أخرجه أحمد في المسند ٣١٣/٦. وابن عدي في الكامل ١٨٢١/٥. وانظر: مجمع الزوائد ٢/٣.

(٩٥) حديث: «من صلى عليّ واحدة...».
أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة حديث ٧٠. وأحمد ٣٧٢/٢، ٢٨٥. وابن أبي شيبة ٥١٧/٢.

(٩٦) حديث: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه...».
أنظر الهامش السابق، وكذلك شرح السنة للبغوي ١٩٥/٣. ومجمع الزوائد ١٦٢/١٠. وفتح الباري ١٦٧/١١.

تهذيب
الأسماء واللغات

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الحافظ
أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي
المتوفى ٦٧٦ هـ

علق عليه ووضع حواشيه
مصطفى عبد القادر عطا

الجزء الثاني

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

المحتوى:

تراجم أعلام الرجال
حرف الواو - حرف الياء
الكنى والأنساب والألقاب والقبائل والنساء
أسماء المواضع

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

بدن: قال أهل اللغة: البدن الجسد. وقال صاحب العين: «البدن من الجسد ما سوى الشوى، والرأس. قال أهل اللغة: الشوى: اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، وكل ما ليس متصلاً. قال الجوهري: البدن السمن والاكتناز، تقول منه بدن الرجل بالفتح يبدن بدنًا إذا ضخم، وكذلك بدن بالضم يبدن بدانة فهو بادن، وامرأة بادن أيضًا وبدين وبدن بالتشديد أسن، أما البدنة فحيث أطلقت في كتب الحديث والفقه فالمراد بها البعير ذكرًا كان أو أنثى، وشرطها أن تكون في سن الأضحية وهي التي استكملت خمس سنين ودخلت في السادسة، هذا معناها في الكتب المذكورة، ولا تطلق في هذه الكتب ما ذكرنا بلا خلاف. وأما أهل اللغة فقال كثيرون منهم أو أكثرهم: تطلق على الناقة والبقرة. وقال الأزهري في «شرح ألفاظ المختصر»: البدنة لا تكون إلا من الإبل والبقر والغنم، هذا كلام الأزهري. وقال الماوردي في كتابه «التفسير» في قول الله عز وجل: ﴿والبُدْنَ﴾ قال الجمهور: هي الإبل، وقيل الإبل والبقر، وهو قول عطاء وجابر، وقيل: الإبل والبقر والغنم. قال: وهو شاذ، وأما إطلاقها على الذكر والأنثى من حيث اللغة فصحيح، وممن نص عليه وصرح به صاحب كتاب «العين» فقال: البدنة ناقة أو بقرة كذلك الذكر والأنثى منها يُهدَى إلى مكة هذا لفظه. وجمع البدنة: بدن بضم الدال وإسكانها وممن نص على الضم صاحب «الصحاح».

بدع: البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلى: حسنة وقبيحة.

قال الشيخ الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه في آخر كتاب «القواعد»: البدعة منقسمة إلى: واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة. قال: والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، وللبدع الواجبة أمثلة منها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، وذلك واجب؛ لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة في اللغة، الثالث تدوين أصول الدين وأصول الفقه، الرابع الكلام في الجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتأتى ذلك إلا بما ذكرناه، وللبدع المحرمة أمثلة منها: مذاهب

القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة والرد على هؤلاء من البدع الواجبة، وللبدع المندوبة أمثلة منها إحداث الرُبط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها التراويح، والكلام في دقائق التصوف، وفي الجدل، ومنها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى. وللبدع المكروهة أمثلة: كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف، وللبدع المباحة أمثلة: منها المصافحة عقب الصبح والعصر، ومنها: التوسع في اللذيذ من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، ولبس الطيالسة، وتوسيع الأكمام. وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنن المفعولة في عهد رسول الله ﷺ فما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصلاة والبسملة هذا آخر كلامه.

وروى البيهقي بإسناده في «مناقب الشافعي» عن الشافعي رضي الله عنه قال: المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث مما يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعة الضلالة، والثانية: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من العلماء، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: نعمت البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت ليس فيها رد لما مضى، هذا آخر كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

بدا: بلا همزة، قال أهل اللغة: بدا الشيء يبدو بدوا بتشديد الواو، كقعد قعودًا، أي ظهر، وابتديته أظهرته، وبدا القوم بَدْوًا خرجوا إلى البادية، كقتلوا قتلاً، وبداله في الأمر بلا همزة بَدَاءً وبدًا بالمد والقصر حكاه عياض أي حدث له فيه رأي لم يكن، وهو ذو بَدَوَاتٍ أي يتغير رأيه، ومنه قوله في مسح الخف امسح سبعًا، وما بدالك والبَدَاءُ محال على الله تعالى بخلاف النسخ، والبَدوُ والبادية بمعنى. ومنه الحديث في باب صلاة الجماعة «ما من ثلاثة في قرية أو بَدْوٍ». والنسب إليه بدوي، وفي الحديث «من بدا جفا» أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، والبداوة الإقامة في البادية. قال الجوهري: بكسر الباء وفتحها، وهي خلاف الحضارة. قال: قال ثعلب: لا أعرف فتحها إلا عن أبي زيد وحده، والنسبة إليه بداوي وباداه بالعداوة أي جاهره، وتبادوا بالعداوة تجاهروا، وتبدى أقام بالبادية، وتبادى تشبَّه بأهل البادية، وأهل المدينة يقولون: بدينا بمعنى بدأنا، هذا كله كلام الجوهري.

بذرق: قوله في أول الحج من «الوسيط» و«الوجيز» وجد بَذْرَقة بأجرة يعني خفيرًا، وهي لفظة عجمية عربت، وهو بفتح الباء وإسكان الذال وفتح الراء وبعدها قاف ثم

الأذكار

المنتخبة من كلام سيد الأبرار

صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

الإمام الحافظ شيخ الإسلام

محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

الدمشقي الشافعي

٦٣١ - ٦٧٦ هجرية

وعليه

شرح وجيز مختصر من شرح العلامة ابن علان

الناشر

دار الكتاب العربي

ص.ب ٥٧٦٩-١١ بيروت

باب ما يقول عند الحجامة

روينا فى كتاب ابن السنى عن علىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ عِنْدَ الحِجامَةِ كانَتْ مَنْفَعَةً حِجامَتِهِ » .

باب ما يقول إذا طنت أذنه

روينا فى كتاب ابن السنى عن أبى رافع رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذَا طَنَّتْ أُذُنُ أَحَدِكُمْ فَلْيَذْكُرْنِى وَلْيُصَلِّ عَلَىَّ وَلْيَقُلْ : ذَكَرَ اللهُ بِخَيْرٍ مَنْ ذَكَرَنِى » .

باب ما يقوله إذا خدرت رجله

روينا فى كتاب ابن السنى عن الهيثم [1] بن حنش قال « كنا عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكأنما نُشِطَ من عقال [2] » .

وروينا فيه عن مجاهد قال « خدرتْ رِجْلُ رجلٍ عند ابن عباس ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : محمد صلى الله عليه وسلم ، فذهب خدره »

وروينا فيه عن إبراهيم بن المنذر الحزامى أحد شيوخ البخارى الذين روى عنهم فى صحيحه قال : أهل المدينة يعجبون من حسن بيت أبى العتاهية :

وتخدُرُ فى بعض الأحايين رجــله ... فان لم يقل يا عتبُ لم يذهب الخدر

---

(١) روينا فى كتاب ابن السنى عن الهيم ، هو بفتح الهاء وسكون التحتية وبالمثلثة المفتوحة ؛ وحنش بفتح المهملة والنون وآخره معجمة ، ورواه ابن بشكوال من طريق أبى سعيد فذكره . قال السخاوى : ولا أعلم أبو سعيد أكنيته الهيثم أم لا ؟ . قلت : وأخرجه ابن السنى أيضا من طريق أبى سعيد ، وكذا أخرجه أبو نعيم فى المستخرج على كتاب ابن السنى .

(٢) فكأنما نشط من عقال ، بضم النون وكسر المعجمة آخره طاء مهملة : أى فكّ من عقال ، وهو الحبل الذى يعقل به البعير ، وهو كناية عن ذهاب الكسل أو المرض وحصول النشاط والصحة ، وفى النهاية كأنما أنشط من عقال : أى حلّ ، وقد تكرر فى الحديث وكثيرا ما يجىء فى الروايات : نشط من عقال : أى بحذف الألف وليس بصحيح ، يقال نشطت المعقدة : إذا عقدتها ، وأنشطتها وانتشطتها إذا حللتها انتهى .

الفتاوى الكبرى الفقهية

لابن حجر الهيتمي

وبهامشه

فتاوى العلامة شمس الدين محمد الرملي

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الهمام فى المسايرة أن الانبياء من بنى آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة خواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم كالصلحاء أفضل من عوامهم اه والتفصيل حسن صحيح (٣٨٢) معتمد وقد علم مما ذكرته خواص البشر وعوامهم وخواص الملائكة وعوامهم (سئل) عما يقع

من العامة من قولهم عند الشدائد ياشيخ فلان يارسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا وهل للرسل والانبياء والاولياء والصالحين والمشايخ اغاثة بعد موتهم وماذا يرجح ذلك (فاجاب) بان الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين جائزة

وللرسل والانبياء والاولياء والصالحين اغاثة بعد موتهم لان معجزة الانبياء وكرامات الاولياء لا تنقطع بموتهم أما الانبياء فلانهم أحياء فى قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الاخبار وتكون الاغاثة منهم معجزة لهم والشهداء ايضا أحياء شوهدوا نهارا جهارا يقاتلون الكفار وأما الاولياء فهى كرامة لهم فان أهل الحق على أنه يقع من الاولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتى من عند الله على ما نطق به التنزيل وقصة أبى بكر وأضيافه كما فى الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لامير الجيش وعليه ياسارية الجبل محذرا له من وراء الجبل لكمن العدو هناك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين وشرب خالد السم من غير تضرر به وقد جرت خوارق على أيدى الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن انكارها التواتر بمجموعها وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون

بشهادة البينة فكما اشترط سماعه لشهادتهما حتى يحكم بها كذلك يشترط سماعه لليمين أو النكول حتى يحكم بأحدهما وهذا ظاهر لاغبار عليه ومما يدل عليه قولهم لو شهدت بينة على قاض أنك حلفت فلانا على كذا ولم يتذكره لم يلتفت لتلك البينة قالوا لان القاضى لا يقضى حكمه الا اذا تذكره ولا يعتمد فيه على البينة فاذا لم يقبل البينة على ذلك فاولى أن لا يقبلها اذا شهدت عنده أنه حلف بين يديه من غير أن يسمعه اذ لو قلنا انه لا يشترط سماعه لا كتفى بحلف من وجه عليه اليمين فى حضرته وان لم يسمعه فلما لم يكتفوا بتلك البينة علمنا أن هذه البينة لا يكتفى بها بالاولى كما تقرر وصرحوا أيضا بأنه لابد أن تكون اليمين بتحليف القاضى أو نائبه ومع ذلك كيف يتوهم أن القاضى لا يشترط سماعه اذ كيف يدار الامر على تحليفه ولا يدار على سماعه فان قلت يمكن أن يراد بتحليفه أمره بالحلف ولا يلزم من أمره به سماعه له بعد انقضاء أمره به لانه قد يأمر به ثم يشتغل عنه فيحلف فى حال اشتغاله ويثبت عنده انه حلف على ما أمره به فما المانع حينئذ من صحة يمينه قلت المانع منها ما قدمته من أن تحليف الخصم حكم له بموجب يمينه ولا يكون حاكما له بموجبها الا اذا سمعها على انه لا يسمى محلفا له بمجرد الامر وانما يسمى بذلك ان سمع ما حلف به وعليه وأيضا فالعبرة بنية القاضى واعتقاده حال الحلف ولا يعتبر ذلك الا اذا سمع يمينه وأما اذا لم يسمعها فكيف يكون على نيته واعتقاده وأيضا فانه يشترط فيها مطابقتها للدعوى والمطابقة أمر دقيق بدليل اختلاف الائمة رضى الله تعالى عنهم فى مسائل منها هل الجواب عنها بكذا مطابق أولا فذلك كله صريح فى أنه لابد من سماعه لليمين والنكول حقيقة ولا يكفى قيام البينة عنده بهما (وسئل) رحمه الله تعالى عمن ادعى عليه بعين فقال هى لابنى الطفل فنى أدب القضاء فى موضع لا يحلف وفى موضع لا تنصرف الخصومة عنه فهل بينهما تناف (فاجاب) نفعنا الله سبحانه وتعالى بعلومه بقوله لا تنافى فان معنى لا يحلف أى بالنسبة للرقبة فلا تسلم للمدعى بحلفه كما يأتى ومعنى لا تنصرف الخصومة عنه أى بالنسبة لاقامة البينة عليه وغرم بدل العين ان نكل وحلف المدعى اذ العين لا تسلم اليه حينئذ بل قيمتها لانه حال بينه وبينها باقراره بها لطفله (وسئل) رحمه الله تعالى عما اذا أبرأه عن اليمين أو عن اتمامها فأراد الحالف اتمامها فمن المجاب منهما (فاجاب) نفعنا الله تعالى به بقوله الابراء عن اليمين يسقط حقه منها فى هذه الدعوى فله أن يجددها ويحلفه ثم ظاهر كلامهم سقوط الحق منها وان شرع القاضى فى التحليف نعم بحث بعضهم انه لو طلب الخصم اتمامها أجيب قياسا على ما نقله الاذرعى رحمه الله تعالى عن تعليق القاضى رحمه الله تعالى انه لو شرع المدعى فى يمين الرد فقال المدعى عليه لا تحلفه وأنا أغرم له المال فله أن يكمل اليمين حتى يأخذه على وجه الاستحقاق فكذا يقال هنا اذا شرع المدعى عليه فى يمين الاصل فقال أبرأته عن اليمين له اتمامها لينقطع الطلب عنه والجامع بينهما حصول الانتفاع وقطع العلق (وسئل) رحمه الله تعالى هل يشترط التفصيل فى دعوى المهر أو الارث كما فى دعوى عقد النكاح أم لا (فاجاب) نفعنا الله سبحانه وتعالى بعلومه بقوله ان وجهت الدعوى الى عقد النكاح كأن قالت أستحق المهر أو الارث بسبب عقده على اشترط فيها ذكر كون العقد بولى مرشد وشاهدى عدل ورضاها ان شرط لانها ان ارتدت دعواها نحو المهر على العقد كانت مدعية نفس العقد فاحتاجت لذكر شروطه ولا يقبل منها حينئذ الا رجلان

حلية الأولياء
وطبقات الأصفياء

تأليف

الإمام الحافظ أبي نُعَيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي
المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

دراسة وتحقيق
مصطفى عبد القادر عطا

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٧م

الجزء الاول

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

حَدَّثَنَا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عمر بن أسيد بن حارثة الثقفي - حليف بني زهرة - أن أبا هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه ، قالوا : نوى يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم ، وقالوا لهم : انزلوا واعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق لا نقتل منكم أحداً . فقال عاصم بن ثابت أمير القوم : أما أنا والله لا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وزيد بن الدثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيباً وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته إياها فدرج بني لها حتى أتاه ، قالت : وأنا غافلة ، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده . قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال : أتخشين أن أقتله ، ما كنت لأفعل ذلك ، قالت : والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمرة . وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيباً ، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أركع ركعتين فتركوه ، ثم قال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ، اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولاتبق منهم أحداً . ثم قال :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإلـــه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلـــو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب أول من سنّ لكل

مسلم قتل صبراً الصلاة .

٣٥٥ – حَدَّثَنَا محمد بن أحمد بن الحسن ، حَدَّثَنَا أبو شعيب الحراني ، حَدَّثَنَا أبو جعفر النفيلي ، حَدَّثَنَا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مارية مولاة حجير بن أبي أهاب ـ وكانت قد أسلمت ـ قالت : كان خبيب قد حبس في بيتي ولقد اطلعت إليه يوماً وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم أن في الأرض حبة عنب تؤكل .

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فخرجوا بخبيب إلى التنعيم ليقتلوه ، فقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم ، فقال : والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يفعل بنا .

قال ابن إسحاق : ومما قيل فيه من الشعر قول خبيب بن عدي (١) حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه فقال :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جزع طوى ممنع
إلى الله أشكو كربتي بعد غربتي ... وماجمع الأحزاب لي حول مصرعي
فذا العرش صبرني علي ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه ... وقد ذرفت عيناي من غير مجزع
ومابي حذار الموت أني ميت ... ولكن حذاري جحم نار ملفع
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

(١) كذا فى النسختين على أن هو خبيب نفسه .

الأذكار

المنتخبة من كلام سيد الأبرار

صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

الإمام الحافظ شيخ الإسلام

محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

الدمشقي الشافعي

٦٣١ - ٦٧٦ هجرية

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

وعليه

شرح وجيز مختصر من شرح العلامة ابن علان

الناشر

دار الكتاب العربي

ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

بَنِى آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الوُضُوءَ، ثُمَّ لْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ لْيُثْنِ على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُصَلِّ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ ثُمَّ لْيَقُلْ : لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ سُبْحانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ أَسألُكَ مُوجِباتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، لاتَدَعْ لى ذَنْباً إِلاَّ غَفَرْتَهُ ، وَلا هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ ، وَلا حاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَها يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ؛ قال الترمذى : فى إسناده مقال . قلت : ويستحبّ أن يدعو بدعاء الكرب ،وهو : اللَّهُمَّ آتِنا فِى الدُّنْيا حَسَنَةً وفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ ، لما قدمناه عن الصحيحين فيهما .

وروينا فى كتاب الترمذى وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله تعالى أن يعافينى ، قال : إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، قال فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللَّهُمَّ إِنى أَسألُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ ، يا مُحَمَّدُ إِنى تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلى رَبِّى فى حاجَتِى هَذِهِ لِتُقْضَى لى ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِىَّ ؛ قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

باب أذكار صلاة التسبيح

روينا فى كتاب الترمذى عنه قال : قد روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم غير حديث فى صلاة التسبيح ومنه شىء كبير لايصحّ . قال : وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح ، وذكروا الفضل فيه . قال الترمذى : حدثنا أحمد بن عبدة ، قال : حدثنا أبو وهب، قال : سألت عبد الله بن المبارك عن الصلاة التى يسبح فيها ، قال : يكبر ثم يقول : سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ ، تَبارَكَ اسْمُكَ وَتَعالى جَدُّكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ،ثم يقول خمس عشرة مرّة :سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ ، ثم يتعوّذ ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وفاتحة الكتاب ، وسورة ، ثم يقول عشر مرات : سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ واللهُ أَكْبَرُ ، ثم يركع فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا ، ثم يسجد فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا ، ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا ، يصلى أربع ركعات على هذا ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة يبدأ بخمس عشرة تسبيحة ، ثم يقرأ ، ثم يسبح عشرا ؛ فإن صلى ليلا فأحبّ إلىّ أن يسلم فى ركعتين ؛ وإن صلى نهارا ، فإن شاء سلم ، وإن شاء لم يسلم .

وفى رواية عن عبد الله بن المبارك أنه قال : يبدأ فى الركوع : سبحان ربى العظيم

وإذا دخل مكة وأراد الاعتمار فعل فى عمرته من الأذكار ما يأتى به فى الحجّ فى الأمور المشتركة بين الحجّ والعمرة وهى الإحرام والطواف والسعى والذبح والحلق ، والله أعلم .

(فصل فيما يقوله إذا شرب ماء زمزم) روينا عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماءُ زمزمَ لِما شُرِبَ لَهُ » وهذا مما عمل العلماء والأخيار به ، فشربوه لمطالب لهم جليلة فنالوها . قال العلماء : فيستحب لمن شربه للمغفرة أو للشفاء من مرض ونحو ذلك أن يقول عند شربه : اللَّهُمَّ إنَّهُ بَلَغَنِى أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » اللَّهُمَّ وإنى أشْرَبُهُ لِتَغْفِرَ لى وَلِتَفْعَلَ بى كَذَا وكَذَا ، فاغْفِرْ لى أوِ افْعَلْ . أو : اللَّهُمَّ إنى أشْرَبُهُ مُسْتَشْفِياً بِهِ فاشْفِنِى ، ونحو هذا ، والله أعلم .

(فصل) وإذا أراد الخروج من مكة إلى وطنه طاف للوداع ، ثم أتى الملتزم فالتزمه ، ثم قال : اللَّهُمَّ ، البَيْتُ بَيْتُكَ ، والعَبْدُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وابْنُ أمَتِكَ ، حَمَلْتَنِى على ما سَخَّرْتَ لى مِنْ خَلْقِكَ ، حَتَّى سَيَّرْتَنِى فِى بِلادِكَ ، وَبَلَّغْتَنِى بِنِعْمَتِكَ حَتَّى أعَنْتَنِى على قَضَاءِ مَنَاسِكِكَ ، فإنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّى فازْدَدْ عَنِّى رِضاً وَإلاَّ فَمِنَ الآنَ قَبْلَ أنْ يَنْأى عَنْ بَيْتِكَ دَارِى ، هَذَا أوَانُ انْصِرَافِى ، إنْ أذِنْتَ لى غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِكَ وَلا بِبَيْتِكَ ، ولا رَاغِبٍ عَنْكَ وَلا عَنْ بَيْتِكَ ؛ اللَّهُمَّ فَأصْحِبْنِى العافِيَةَ فى بَدَنِى والعِصْمَةَ فى دِينِى ، وأحْسِنْ مُنْقَلَبِى ، وارْزُقْنِى طَاعَتَكَ ما أبْقَيْتَنِى ، واجْمَعْ لى خَيْرَىِ الآخِرَةِ والدُّنْيا ، إنَّكَ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . ويفتتح هذا الدعاء ويختمه بالثناء على الله سبحانه وتعالى ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى غيره من الدعوات . وإن كانت امرأة حائضا استحبّ لها أن تقف على باب المسجد وتدعو بهذا الدعاء ثم تنصرف ، والله أعلم .

(فصل فى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذكارها) اعلم أنه ينبغى لكل من حجّ أن يتوجه إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأربح المساعى (١) وأفضل الطلبات ، فإذا توجه للزيارة أكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى طريقه ،

(١) فإن زيارته من أهمّ القربات وأربح المساعى ؛ وكيف لا وقد وعد الزائر بوجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم ، وهى لا تجب إلا لأهل الإيمان ، فى ذلك التبشير بالموت على الإيمان مع ما ينضمّ إلى ذلك من سماعه صلى الله عليه وسلم سلام الزائر من غير واسطة أخرج أبو الشيخ « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى علىّ بعيدا أعلمته » قال الحافظ : وينظر فى سنده .

فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته صلى الله عليه وسلم وأن يسعده بها فى الدارين ، وليقل : اللَّهُمَّ افْتَحْ عَلَيَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَارْزُقْنِي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم ما رزقْتَهُ أَوْلِيَاءَكَ وأَهْلَ طَاعَتِكَ واغْفِرْ لي وارْحَمْنِي يا خَيْرَ مَسْئُول . وإذا أراد دخول المسجد استحبّ أن يقول ما يقوله عند دخول باقى المساجد ، وقد قدّمناه فى أول الكتاب فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر الكريم (١) فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربع أذرع من جدار القبر ، وسلم مقتصدا لايرفع صوته فيقول : السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا خِيرَةَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبِيبَ اللهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ المُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلى آلِكَ وأَصْحَابِكَ وأَهْلِ بَيْتِكَ وَعَلى النَّبِيِّينَ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ ، وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الأُمَّةَ ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ ما جَزَى رَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ . وإن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، ثم يتأخر قدر ذراع إلى جهة يمينه فيُسلم على أبى بكر ، ثم يتأخر ذراعا آخر فسلام على عُمر رضى الله عنهما ، ثم يرجع إلى موقفه الأوّل قُبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتوسل به فى حقّ نفسه ، ويشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومَن أحسن إليه وسائر المسلمين ، وأن يجتهد فى إكثار الدعاء ، ويختم هذا الموقف الشريف ويحمد الله تعالى ويسبحه ويكبره ويهلله ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكثر من كل ذلك ، ثم يأتى الروضة بين القبر والمنبر ، فيكثر من الدعاء فيها .

فقد روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ . »

وإذا أراد الخروج من المدينة والسفر استحبّ أن يودع المسجد بركعتين ، ويدعو بما أحبّ ، ثم يأتى القبر فيسلم كما سلم أوّلا ، ويعيد الدعاء ، ويودّع النبىّ صلى الله عليه وسلم ويقول « اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ هَذَا آخِرَ العَهْدِ بِحَرَمِ رَسُولِكَ ، وَيَسِّرْ لِي العَوْدَ إِلَى الحَرَمَيْنِ سَبِيلاً سَهْلَةً بِمَنِّكَ وَفَضْلِكَ ، وَارْزُقْنِي العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا

(١) أتى القبر الكريم : أى الذى هو أفضل من جميع الأرض والسماء حتى من العرش والكرسى ، وما أحسن قول من قال :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ضم أعضاء النبى وحواها
نعم لقد صدقوا بساكنها زكت كالنفس حين زكت زكا مأواها

والآخِرَةِ ، وَرَدَّنا سالِمِينَ غانِمِينَ إلى أوْطانِنا آمِنِينَ . فهذا آخر ما وفقنى الله لجمعه من أذكار الحجّ ، وهى وإن كان فيها بعض الطول بالنسبة إلى هذا الكتاب فهى مختصرة بالنسبة إلى ما نحفظه فيه ، والله الكريم نسأل أن يوفقنا لطاعته ، وأن يجمع بيننا وبين إخواننا فى دار كرامته .

وقد أوضحت فى كتاب المناسك ما يتعلق بهذه الأذكار من التتمات والفروع الزائدات ، والله أعلم بالصواب ، وله الحمد والنعمة والتوفيق والعصمة .

وعن العتبىّ قال « كنت جالسا عند قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول (وَلَوْ أَنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) وقد جئتك مستغفرا من ذنبى ، مستشفعا بك إلى ربى ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظُمُه ... فطاب من طيبهنَّ القاعُ والأكمُ

نفسى الفداءُ لقبر أنت ساكنُهُ ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَمُ

قال : ثم انصرف ، فحملتنى عيناى فرأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : يا عتبى ، الحق الأعرابى فبشره بأن الله تعالى قد غفر له » .

كتاب أذكار الجهاد

أما أذكار سفره ورجوعه فسيأتى فى كتاب أذكار السفر إن شاء الله تعالى . وأما ما يختص به فنذكر منه ما حضر الآن مختصرا .

باب استحباب سؤال الشهادة

روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أمّ حرام [١] ، فنام ثم استيقظ وهو يضحك ، فقالت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ مُلُوكاً على الأسِرَّةِ أوْ مِثْلَ المُلُوكِ ، فقالت : يا رسولَ الله ادعُ الله أن يجعلنى منهم ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم » قلت : ثبج البحر بفتح الثاء المثلثة وبعدها باء موحدة مفتوحة أيضا ثم جيم : أى ظهره ؛ وأمّ حرام بالراء .

(١) على أمّ حرام ، زاد فى رواية : بنت ملحان ، وكانت تحت عبادة بن الصامت ، وهى الغميصاء بالغين المعجمة والصاد المهملة ؛ والغمص والرمص : نقص يكون فى العين . قال فى الصحاح : الرمص بالتحريك : وسخ يجمع فى الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإنه جمد فهو رمص .

شرح الشفا

للقاضي عياض

شرحه

الملا علي القاري الهروي الحنفي

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

ضبطه وصححه

عبد الله محمد الخليلي

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ-٢٠٠١م

الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الآن حي يرزق في علو درجاته ورفعة حالاته (وَذٰلِكَ) أي التعظيم والإكرام (عِنْدَ ذِكْرِهِ صلى الله تعالى عليه وسلم وذِكْرِ حَدِيثِهِ) أي كلامه (وَسُنَّتِه) أي وذكر طريقته (وَسَمَاعِ اسْمِهِ) الشريف وكذا نعته اللطيف (وَسِيرَتِهِ) أي في جميع هيئاته من حركاته وسكناته (وَمُعَامَلَةِ آلِهِ) أي أهل بيته (وَعِتْرَتِهِ) بكسر أوله أي ذريته وقرابته (وَتَعْظِيمِ أَهْلِ بَيْتِهِ) أي من أزواجه وخدمته ومواليه (وَصَحَابَتِهِ) أي أهل صحبته (قال أَبو إِبْرَاهِيمَ) زيد في نسخة إسحاق (التُّجِيبِيُّ) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (وَاجِبٌ على كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ) أي بنفسه (أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ) أي على لسان غيره (أَنْ يَخْضَعَ) أي ظاهراً (وَيَخْشَعَ) أي باطناً (وَيَتَوَقَّرَ) أي يتكلف الوقار والرزانة في هيئته (وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ وَيَأْخُذَ) أي يشرع ويسرع (فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ) أي في مقام تعظيمه وإكرامه (بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ) أي يطلب منها (لَوْ كَانَ) أي فرضاً (بَيْنَ يَدَيْهِ) أي أمام عينيه (وَيَتَأَدَّبَ) بالنصب أو الرفع (بِمَا أَدَّبَنَا اللهُ بِهِ) أي من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه (قال القَاضِي أَبو الْفَضْلِ) يعني المصنف (وَهْذِهِ) أي الطريقة المرضية (كَانَتْ سِيرَةَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ) يروى الصالحين أي المتقدمين من الصحابة والتابعين (وَأَئِمَّتِنَا الماضِينَ) أي العلماء العاملين (حَدَّثَنَا القَاضِي أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عبد الرَّحْمٰن الأَشْعَرِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بنُ بَقِيٍّ) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الْحَاكِمُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ) أي وكثيرون (فِيمَا أَجَازُونِيهِ) هذا لغة في أجازوه لي (قَالُوا) أي كلهم (أَخْبَرَنَا أَبو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ دِلْهَاثٍ) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة في آخره (قَالَ ثَنَا) أي حدثنا (أَبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فِهْرٍ) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (حَدَّثَنَا أَبو بَكْرٍ محمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بنِ الفَرَجِ) بفتح الفاء والراء فجيم (حَدَّثَنَا أَبو الْحَسَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُنْتَابِ) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بنِ أبي إِسْرَائِيلَ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ) بالتصغير (قَالَ نَاظَرَ) أي جادل وباحث (أَبُو جَعْفَرٍ) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس (أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مَالِكاً) أي الإمام (في مَسْجِدِ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ورفع صوته في كلامه معه (فَقَالَ لَهُ) أي مالك كما في أصل صحيح (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ) أي خصوصاً لأنه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فإِنَّ اللهَ تَعَالَى) وفي نسخة عز وجل (أَدَّبَ قَوْماً) أي معظمين (فَقَالَ ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] الآية) أي ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (وَمَدَحَ قَوْماً) أي مكرمين (فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾) [الحجرات:٤] الآية) أي أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (وَذَمَّ قَوْماً) أي من الأعراب (فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات:٤] الآية) أي أكثرهم لا يعقلون (وإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً) بالتشديد والتخفيف (كَحُرْمَتِهِ حَيّاً فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبو جَعْفَرٍ) أي خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على أنه يجب التأدب بين يدي العالم لما روي من أن الشيخ في قومه

كالنبي في أمته **(وَقَالَ)** أي أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى **(يَا أَبَ عبدِ الله)** بحذف الألف كتابة وإثباته قراءة **(اسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ)** استفهام استرشاد والتقدير استقبلها **(وَادْعُو)** أي الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة **(أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فَقَالَ)** أي مالك **(وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ)** أي عن رسولك **(فَهُوَ)** وفي نسخة صحيحة وهو أي والحال أنه **(وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السلامُ)** أي وسائر الأنام **(إِلَى الله تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** أي كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة **(بَلْ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ)** أي اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك وأداء حاجاتك **(فَيُشَفِّعَكَ الله)** بتشديد الفاء أي يقبل الله به شفاعتك لأمرك ولغيرك وفي نسخة فيشفعه أي فيقبل شفاعته في حقك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك **(قَالَ الله تعالى)** أي مصدقاً لذلك فيما قرره مالك **(﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾** [النساء: ٦٤] الآية بالمعصية **(جاؤوكَ)** أي للمعذرة والتوبة **(الآية)** يعني فاستغفرا الله أي بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل إليه تفخيماً لشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله أي لعلموه تواباً رحيماً أي منعوتاً بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم **(وقال مالك وَقَدْ سئلَ عن أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي)** أي عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزي وقيل جهني مولاهم يروي عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه ألفي حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن أم خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها في البخاري وقال في أثره ولم أسمع أحداً يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي من غير ذكر واسطة سوى أم خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله **(مَا حَدَّثْتُكُمْ)** أي ما رويت لكم حديثاً **(عَنْ أَحَدٍ)** أي من اتباع التابعين **(إِلاَّ وَأَيُّوبُ أَفْضَلُ مِنْهُ، قَالَ)** أي مالك رحمه الله للدلالة على ذلك **(وَحَجَّ)** أي أبو أيوب **(حَجَّتَيْنِ)** أي مرتين **(فَكُنْتُ أَرْمُقُهُ)** بضم ميم أي انظر إليه وأتأمل لديه **(وَلاَ أَسْمَعُ مِنْهُ)** أي كلاماً يكون عليه أولاً أسمع منه حديثاً يحدثني به **(غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم بَكَى)** الظاهر يبكي **(حَتَّى أَرْحَمَهُ)** أي من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقاً إليه صلى الله تعالى عليه وسلم **(فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ)** أي من حسن فعاله ما يقتضي بعض كماله **(وَإِجْلاَلَهُ لِلنبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم كَتَبْتُ عَنْهُ)** أي الحديث ورويت عنه العلم **(وقَالَ مُصْعَبُ بنُ عبدِ الله)** أي ابن مصعب بن ثابت الزبيري يروي عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما **(كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم)** وفي نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده أن في نسخة فإذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **(يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي)** أي يميل ظهره **(حَتَّى يَصْعُبَ)** بضم العين أي يشتد **(ذَلِكَ عَلَى جُلَسَائِهِ)** أي من أجل مشاهدة شدة عنائه **(فَقِيلَ لَهُ يَوْماً فِي ذَلِكَ)** أي في تهوين

سير أعلام النبلاء

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

الجزء الحادي عشر

أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه

شعيب الأرنؤوط

حقق هذا الجزء

صالح السمر

مؤسسة الرسالة

وِدقَقْتُ الباب ، فخرجت أمي على رجليها تمشي .

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس .

قال عبدُ الله بن أحمد : كان أبي يُصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة . فَلما مرض مِن تلك الأسواط ، أضعفَتْه ، فكان يُصلي كُلَّ يوم وليلة مئة وخمسين ركعة .

وعن أبي إسماعيل الترمذي : قال : جاء رجل بعشرة آلاف من ربح تجارته إلى أحمد فردها . وقيل : إن صيرفياً بذل لأحمد خمس مئة دينار ، فلم يقبل .

ومن آدابه :

قال عبد الله بن أحمد : رأيتُ أبي يأخذ شعرة مِن شعر النبي ، ﷺ ، فيضعُها على فيه يُقبِّلُها . وأحسِب أني رأيتُه يضعها على عينه ، ويغمِسُها في الماء ويشربُه يستشفي به .

ورأيته أخذ قَصْعَة النبيِّ ، ﷺ فغسلها في حُبِّ الماء ، ثم شرب فيها ورأيتُه يَشْرَبُ من ماء زمزم يستشفي به ، ويمسح به يديه ووجهه .

قلت : أين المتنطِّع المنكِرُ على أحمد ، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمَسُ رُمَّانة منبر النبي ، ﷺ ، ويَمَسُّ الحجرة النبوية ، فقال : لا أرى بذلك بأساً . أعاذنا الله وإياكم من رأْي الخوارج ومِن البِدع .

قال أحمد بن سعيد الدارمي : كتب إليَّ أحمد بن حنبل : لأبي جعفر ، أكرمه الله ، من أحمد بن حنبل .

قال عُبيد الله بن عبد الرحمن الزهري : حدثنا أبي ، قال : مَضى عمي أحمد بن سعْد إلى أحمد بن حنبل ، فسلم عليه . فلما رآه ، وثب قائماً وأكرمه .

التبصرة

لابن الجوزي

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

(٥١٠ — ٥٩٧ هـ)

تحقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

الطبعة الثانية
١٤١٣هـ-١٩٩٣م

[ينشر لأول مرة على نسخ مكتبة طلعت]

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وشاهدوا يومَ الخليل ما ليس لهم به استطاعة ، رأى ما رأى وما أزعجه ولا راعه ، فلما رأيناه ساكناً والأملاك فى مُقْعِد مُقيم « قلنا يا نار كونى بَرْداً وسلاماً على إبراهيم » .

[قابل القومُ رسولنا بأقبح تكذيب ، وقصدوا خليلَنا بأشدِّ تعذيب ، ونسوا يومَ الفزَعَ والتأنيب ، والخليلُ سِرّه صافٍ والحالُ مستقيم « قلنا يا نار كونى بَرْداً وسلاماً على إبراهيم (١) »] .

اللهم إنّا نتوسل إليك بالخليل فى مَنْزلته ، والحبيب فى رُتْبته ، وكلٌ مخلص فى طاعته ، أن تغفر لكلٍّ منا زَلّته يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) سقطت من ب .

تاريخ بغداد

أو مدينة السلام

تأليف

الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي
الخطيب البغدادي
المتوفى ٤٦٣ هـ

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دراسة وتحقيق

مصطفى عبد القادر عطا

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قبل وقتنا؛ والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال والتناقص في جميع الأحوال، مباينة لجميع الأمصار، ومخالفة لسائر الديار.

ولقد حَدَّثَنِي القَاضِي أَبُو القَاسِمِ التَّنُوخِيّ قال أَخْبَرَنِي أَبِي قال: نبأنا أَبُو الحَسَن مُحَمَّد بن صَالِح الهَاشِمِيّ في سنة ستين وثلثمائة قال: أَخْبَرَنِي رجل يبيع سويق الحمص منفردًا به وأسماه لي وأنسيته؛ أنه حصر ما يعمل في سويقه من هذا السويق كل سنة؛ فكان مائة وأربعين كرًّا، يكون حمصًا مائتين وثمانين كرًّا، يخرج في كل سنة حتى لا يبقى منه شيء. ويستأنف عمل ذلك للسنة الأخرى. قال: وسويق الحمص غير طيب، وإنما يأكله المتحملون والضعفاء شهرين أو ثلاثة عند عدم الفواكه؛ ومن لايأكله من الناس أكثر[1].

قال الشيخ أَبُو بَكْر: لو طلب من هذا السويق اليوم في جانبي بغداد مكُّوك واحد ما وجد.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا: أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن جَعْفَر النَّحْوِيّ قال نبأنا الحَسَن بن مُحَمَّد السكوني قال نبأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال قال أَبُو الفَضْل أَحْمَد بن أَبِي طَاهِر: أخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد لأبي أَحْمَد - يعني الموفق بالله - عند دخوله مدينة السَّلَام؛ فوجد مائتي حبل وخمسين حبلا أيضا وعرضه مائة وخمسة أحْبُل فتكون ستة وعشرين ألف جريب ومائتين وخمسين جريبًا؛ ووجد الجانب الغربي - طوله - مائتين وخمسين حبلا وعرضه سبعون حبلا. يكون ذلك سبعة عشر ألف جريب وخمسمائة جريب. فالجميع من ذلك ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريبًا، من ذلك مقابر أربعة وسبعون جريبًا.

* * *

باب ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد

بالجانب الغربي في أعلى المدينة - مقابر قريش دفن بها مُوسَى بن جَعْفَر بن مُحَمَّد ابن على بن الحُسَيْن بن على بن أَبِي طَالِب، وجماعة من الأفاضل معه.

أَخْبَرَنَا القَاضِي أَبُو مُحَمَّد بن الحَسَن بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن رامين الأستراباذي

(١) انظر الخبر في : المنتظم ٨/٨٢. ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ١/٦٦.

قال أَنْبَأَنا أحمد بن جَعْفَر بن حَمْدَان القطيعي قال سَمِعْت الحَسَن بن إِبْرَاهِيم أبا على الخَلَّال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر مُوسَى بن جَعْفَر فتوسَّلْتُ به إلا سَهَّل الله تعالى لي ما أحب.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بن على الوَرَّاق وأَحْمَد بن على المُحْتَسِب قالا: أَنْبَأَنا مُحَمَّد بن جَعْفَر قال نا السكوني قال نبأنا مُحَمَّد بن خَلَف قال: وكان أول من دُفِن في مقابر قريش جَعْفَر الأكبر بن المَنْصُور وأول من دُفِن في مقابر باب الشام عَبْد الله بن على، سنة سبع وأربعين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة بمقبرة باب الشام أقدم مقابر بغداد، ودفن بها جماعة من العلماء والمحدثين والفقهاء، وكذلك مقبرة ــ باب التِّبْن وهي على الخندق بإزاء قطيعة أم جَعْفَر.

حَدَّثَنِي أَبُو يعلى مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن الفراء الحَنْبَلِيّ قال حَدَّثَنِي أَبُو طَاهِر بن أَبِي بَكْر قال: حكى لي والدي عن رجل كان يختلف إلى أَبِي بَكْر بن مَالِك أنه قيل له: أين تحب أن تدفن إذا مت ؟ فقال: بالقطيعة، وإن عَبْد الله بن أَحْمَد بن حَنْبَل مدفون بالقطيعة، وقيل له ـ يعني لعَبْد الله ـ في ذلك قال: وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك. وقال: قد صح عندي أن بالقطيعة نبيًّا مدفونًا، وأن أكون في جوار نبي أحب إلىّ من أن أكون في جوار أبي، ومقبرة ــ باب حَرْب، خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربُّل. معروفة بأهل الصلاح والخَيْر، وفيها قبر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل، وبشْر بن الحَارث. وينسب باب حَرْب إلى حَرْب بن عَبْد الله أحد صحابة أَبِي جَعْفَر المَنْصُور؛ وإليه تنسب أيضًا المحلة المعروفة بالحَرْبِيّة.

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن إِسْمَاعِيل بن أَحْمَد الحيري الضَّرير قال أَنْبَأَنا أَبُو عَبْد الرَّحْمَن مُحَمَّد بن الحُسَيْن السلمي بنيسَابُور قال سَمِعْت أبا بَكْر الرازي يقول سَمِعْت عَبْد الله بن مُوسَى الطلحي يقول سَمِعْت أَحْمَد بن العَبَّاس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة. فقال لي: من أين خرجت ؟ قلت: من بغداد، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد؛ خِفْتُ أن يُخسف بأهلها. فقال: ارجع ولاتخف؛ فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حِصْنٌ لهم من جميع البلايا. قلتُ: من هم ؟ قال: ثَمَّ الإمام أَحْمَد بن حَنْبَل ومعروف الكرخي. وبِشْر الحافي. ومَنْصُور بن عمّار. فرجعتُ وزرتُ القبور. ولم أخرج تلك السنة.

قال الشيخ أَبُو بَكْر: أما قبر معروف فهو في مقبرة باب الدَّير. وأما الثلاثة الآخرون فقبورهم بباب حَرْب.

حَدَّثَنِي الحَسَن بن أَبِي طَالِب قال نا يُوسُف بن عُمَر القوَّاس قال نا أَبُو مُقَاتِل مُحَمَّد بن شُجَاع قال نا أَبُو بَكْر بن أَبِي الدُّنْيَا قال حَدَّثَنِي أَبُو يُوسُف بن بختان ـ وكان من خيار المُسْلِمين ـ قال: لما مات أَحْمَد بن حَنْبَل رأى رجل في منامه كأنَّ على كل قبر قنديلا. فقال: ما هذا ؟ فقيل له: أما علمت أنه نُوِّر لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهُرهم. قد كان فيهم من يُعذَّب فرُحم.

أَخْبَرَنَا أَبُو الفَرَج الحُسَيْن بن على بن عُبَيْد الله الطَّنَاجِيريّ قال نا مُحَمَّد بن على ابن سوَيد المؤدِّب قال نا عُثْمَان بن إِسْمَاعِيل بن أَبِي بَكْر السكري قال سَمِعْت أَبِي يقول سَمِعْت أَحْمَد بن الدَّوْرَقي يقول: مات جارٌ لي فرأيته في الليل وعليه حُلَّتان قد كُسي فقلتُ: إيش قصتك ؟ ما هذا ؟ قال: دفن في مقبرتنا بِشْر بن الحَارِث فكُسِيَ أهل المقبرة حُلَّتين حُلَّتين.

[قال الخَطِيب[1]]: وبنواحي الكرخ، مقابر عدة، منها مقبرة ـ باب الكُناس مما يلي براثا، دُفن فيها جماعة من كبراء أصحاب الحديث. ومقبرة ـ الشونيزي، فيها قبر سريّ السَّقَطي وغيره من الزهاد، وهي وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عِيسَى بن على الهَاشِميّ.

سَمِعْت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديمًا تُعرف بمقبرة الشونيزي الصغير، والمقبرة التي وراء التوثة تُعرف بمقبرة الشونيزي الكبير، وكان أخَوَان يقال لكل واحد منهما الشونيزي فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونُسبت المقبرة إليه، ومقبرة ـ باب الدير وهي التي فيها قبرمعروف الكرخي.

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيل بن أَحْمَد الحيري قال أَنْبَأَنَا مُحَمَّد بن الحُسَيْن السَّلَمي قال سَمِعْت أبا الحَسَن بن مقْسم يقول سَمِعْت أبا على الصفَّار يقول سَمِعْت إِبْرَاهِيم الحَرْبِيّ يقول: قبر معروف الترياق المجرَّب.

أَخْبَرَنِي أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بن عُمَر البرمكي قال نبأنا أَبُو الفَضْل عُبَيْد الله بن عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الزُّهْرِيّ قال سَمِعْت أَبِي يقول: قبر معروف الكرخي مُجَرَّب لقضاء الحوائج. ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله [له[2]] حاجته.

(١) مابين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من مطبوعة باريس.
(٢) مابين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من مطبوعة باريس.

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بن على بن عَبْد الله الصوري قال سَمِعْت أبا الحُسَيْن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن جُمَيْع يقول سَمِعْت أبا عَبْد الله بن المُحَامِليّ يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همّه. وبالجانب الشرقي مقبرة ـ الخيزُرَان، فيها قبر مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن يَسَار صاحب السيرة، وقبر أَبي حنيفة النعمان بن ثَابت إمام أصحاب الرأي.

أَخْبَرَنَا القَاضِي أَبُو عَبْد الله الحُسَيْن بن على بن مُحَمَّد الصيمري قال أَنْبَأَنَا عُمر بن إِبْرَاهِيم قال نبأنا على بن ميمون قال: سَمِعْت الشَّافِعِيّ يقول: إني لأتبرَّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم ـ يعني زائرًا ـ فإذا عَرَضَت لي حاجة صليتُ ركعتين وجئتُ إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تُقْضَى. ومقبرة عَبْد الله بن مَالِك، دُفن بها خلق كثير من الفقهاء والمحدثين والزهاد والصَّالِحين، وتعرف بالمَالِكِيّة. ومقبرة باب البَرْدَان فيها أيضًا جماعة من أهل الفَضْل، وعند المُصَلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يُعْرَف بقبر النُّذور. ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد على بن أَبي طَالِب رضي الله عنه يتبرك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حَدَّثَنِي القَاضِي أَبُو القَاسِم على بن المحسن التَّنوخِيّ قال حَدَّثَنِي أَبي قال: كنت جالسًا بحضرة عضُد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مُصلّى الأَعياد في الجانب الشرقي [من[1]] مدينة السَّلاَم، نريد الخروج معه إلى همذان في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طَرْفه على البناء الذي على قبر النذور. فقال لي: ما هذا البناء ؟ فقلتُ: هذا مشهد النذور، ولم أَقُل قبر لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة. وقال: قد علمتُ أنه قبر النذور، وإنما أردتُ شرح أمره. فقلت: هذا يقال إنه قبر عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن الحُسَيْن بن على بن أَبي طَالِب. ويقال إنه قبر عُبَيْد الله بن مُحَمَّد بن عُمَر بن على بن أَبي طَالِب [2]. وإن بعض الخلفاء أراد قتله خَفِيًّا، فجعلت له هناك زبْيَةٌ وسُتِّر عليها وهو لايعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حيًّا، وإنما شُهِر بقبر النذور لأنه ما يكاد يُنْذر له نذرٌ إلا صحَّ، وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحد من نذر له مِرارًا لا أحصيها كثرةً، نذورًا على

(١) مابين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من مطبوعة باريس.

(٢) «ويقال أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب» ساقط من مطبوعة باريس.

التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلإِمَامِ الْحَافِظِ الْعَلاَّمَةِ أَبِي الْقَاسِمِ

سُلَيْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيِّ

(٢٦٠-٣٦٠) مِنَ الْهِجْرَةِ

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

ضَبَطَهُ عَلَى أَصْلِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

هِشَامُ بْنُ عَبْدِالْكَرِيمِ الْبَدْرَانِيُّ الْمَوْصِلِيُّ

المجلد الأول

دار الكتاب الثقافي

الأردن - إربد

قدرتهُ التي يُمسك بها السموات والأرضَ. وقال الحسنُ: (الْكُرْسِيُّ: هُوَ الْعَرْشُ)، ويقال: هو سريرٌ دونَ العرشِ، ويقال: هو مكانٌ خَلَقَ اللهُ فيه السمواتِ والأرضَ. وقال عطاءُ والكلبي ومقاتلُ: (السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ تَحْتَ الْكُرْسِيِّ فِي الصَّغْرِ كَحَلَقَةٍ فِي فَلاَةٍ).

وقال الكلبيُّ: (يَحْمِلُ الْعَرْشَ أَرْبَعَةُ أَمْلاَكٍ، لِكُلِّ مَلَكٍ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ؛ وَجْهُ إِنْسَانٍ، وَوَجْهُ ثَوْرٍ، وَوَجْهُ أَسَدٍ، وَوَجْهُ نَسْرٍ. أَقْدَامُهُم في الصخرةِ التي تحتَ الأرضين بمسيرةِ خمسمائةِ عامٍ، وبين السماءِ السابعةِ وبين الكرسيِّ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ، والعرشُ فوقَ الماءِ).

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ ؛ أي لا يُثقِلُهُ ولا يَشُقُّ عليه حِفْظُ السموات والأرض، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ ؛ أي العَلِيُّ عن الأشباهِ والأمثالِ وصفاتِ المُحْدَثِينَ، عظيمُ الشأنِ والسلطانِ والبُرهانِ.

روى محمدُ بن الحنفية قال: (لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ خَرَّ كُلُّ صَنَمٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا؛ وَخَرَّ كُلُّ مَلِكٍ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِهِ؛ وَسَقَطَتِ التِّيجَانُ عَنْ رُؤُوسِهِمْ، وَهَرَبَتِ الشَّيَاطِينُ وَضَرَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا إِلَى إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْحَثُوا؛ فَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَلَغَهُمْ أَنَّ آيَةَ الْكُرْسِيِّ نَزَلَتْ).

وعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ؛ أَعْطَاهُ اللهُ قُلُوبَ الشَّاكِرِينَ وَأَعْمَالَ الصِّدِّيقِينَ وَثَوَابَ النَّبِيِّينَ، وَبَسَطَ عَلَى يَمِينِهِ بِالرَّحْمَةِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلاَّ أَنْ يَمُوتَ فَيَدْخُلَهَا، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ أَمَّنَهُ اللهُ وَجَارَهُ وَجَارَ جَارِهِ وَالدُّوَيْرَاتِ حَوْلَهُ][1].

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ ؛ الآية، اختلفَ المفسرون في هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ؛ قال السديُّ والضحَّاك: (إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الأَمْرِ بِقِتَالِ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ج ٩ ص٣١: الحديث (٨٠٦٤) عن أبي أمامة. والبيهقي في شعب الإيمان: الحديث (٢٣٩٥) عن علي ﷺ وإسناده ضعيف. وعن أنس في الحديث (٢٣٩٦) وإسناده ضعيف.

التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلإِمَامِ الْحَافِظِ الْعَلاَّمَةِ أَبِي الْقَاسِمِ
سُلَيْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيِّ
(٢٦٠-٣٦٠) مِنَ الْهِجْرَةِ

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

ضَبَطَهُ عَلَى أَصْلِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
هِشَامُ بْنُ عَبْدِالْكَرِيمِ الْبَدْرَانِيُّ الْمَوْصِلِيُّ

المجلد الثاني

دار الكتاب الثقافي
الأردن-إربد

وقيل: سَمَّاه روحاً؛ لأنهُ كان يُحيي الموتى، كما سَمَّى القرآنَ روحاً من حيث إن فيه حياةُ الناس في أمرِ دينهم، قالَ اللهُ تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[1] فصرفَ أهلُ الزيغ قولَه تعالى ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ إلى مذاهبهم الفاسدةِ طلبَ الكفرِ والضَّلال، ولم يَرُدُّوا هذا اللفظَ الذي اشتبه عليهم وشبَّهوه على أنفسهم إلى الآيةِ المُحْكَمَةِ؛ وهو قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾[2] فعلى هذا يكونُ: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ) أي ما يعلمُ تأويلَ جميعِ المتشابه حتى يستوعب علمَ المتشابهات إلاَّ اللهُ.

واختلفَ أهلُ العلم في معنى هذه الآيةِ، فقالَ قومٌ (الواو) في قولهِ تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾، واو العطفِ، يعني أن تأويلَ المتشابهِ يعلمهُ اللهُ ويعلمهُ الراسخونَ في العلم، وهم مع علمِهم: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾؛ والمعنى والثابتونَ في العلم يعلمونَ تأويلَ ما نَصَبَ اللهُ لهم الدلالة عليه إلى المتشابه ويعلمهم يقولونَ: ربَّنا آمنَّا به[3]، فروي عن ابن عبَّاس: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) يَعْلَمُونَهُ قَائِلِينَ: آمَنَّا بِهِ). ومنهُم من جعلَ تمام الكلامِ عند قولهِ (إلاَّ اللهُ). وفي قراءةِ ابنِ مسعود آمَنَّا (يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ) وهو مرويٌّ أيضاً عن ابن عبَّاس.

ولا يبعدُ أن يكونَ للقرآنِ تأويلٌ ليستأثرَ اللهُ بعلمه دون خلقِه؛ لأنَّا لا نعلمُ مرادَ اللهِ وحكمته في جميعِ أوامرهِ ونواهيه؛ غيرَ أنه ألْزَمَنَا العملَ بما أنزلَهُ ولم يطالبْنا بما لا سبيلَ لنا إلى معرفتهِ، ولم يُخْفِ عنَّا علم ما غابَ عنَّا، مثل قيامِ الساعة وغيرِ ذلك إلاَّ لِما فيه من المصلحةِ لنا وما هو خيرٌ لنا في ديننا ودُنيانا، وما عَلَّمَنَاهُ فلم يعلِّمناهُ إلاَّ لمصلحتنا ونفعنا فنعرفَ بصحَّة جميع ما أنزلَ اللهُ؛ والتصديق بذلك كله ما علمنا منه وما لم نعلم.

---

(١) آل عمران / ٥٩.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: النص (٥٢٠٣ و٥٢٠٩) عن مجاهد.

وكان ابن عباس يقولُ: (أنا مِنَ الرَّاسِخِيْنَ فِي الْعِلْمِ)[١]. وقرأ مجاهدُ هذه الآيةَ؛ فقال: (أنا مِمَّنْ يَعْلَمُ تأويلَهُ). وروى عكرمةُ عن ابن عبَّاس؛ قالَ: (كُلُّ الْقُرْآن أعْلَمُ تأويلَهُ إلاَّ أرْبَعاً (غِسْلِيْنَ) وَ(حَنَاناً) وَ(الأوَّاه) وَ(الرَّقِيْم).). وهذا إنَّما قالَهُ ابنُ عباس في وقتٍ ثم عَلِمَها بعد ذلك وفسَّرها.

وممن اختار تمام الكلامِ عند قوله (إلاَّ اللهُ) واستئنافَ الكلام بقوله (وَالرَّاسِخُونَ): عائشةُ وعروة بنُ الزبير ورواية طاووس عن ابن عباس كذلكَ أيضاً؛ واختارهُ الكسائيُّ والفرَّاء ومحمدُ بن جرير؛ وقالوا: (إنَّ الرَّاسِخِيْنَ لاَ يَعْلَمُونَ تأويلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ)[٢]. والآيةُ راجعةٌ على هذا التأويل إلى العلمِ بمدَّة أجلِ هذه الأمة؛ ووقتِ قيام السَّاعة وفنَاء الدُّنيا؛ ووقتِ طُلوع الشمس من مغربها؛ ونزول عيسى؛ وخُروج الدجَّال ويَأجُوجَ وَمَأجُوجَ؛ وعلم الرُّوح ونحوها مما استأثرَ اللهُ بعلمه ولم يُطْلِعْ عليه أحداً من خَلْقِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) أخَرُ جمع أخرَى، ولم ينصرف لأنَّه معدولٌ عن أخَرٍ مثل عُمَرَ وَزُفَرَ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) قال بعضُهم: هُم علماءُ أهلِ الكتاب الذين آمَنوا منهم؛ مثلُ عبدِالله بن سلام وأصحابه، ودليلهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾[٣] يعني الدَّارسين علمَ التوراة. وعن أبي أمامة قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: [مَن بَرَّ فِي يَمِيْنِهِ؛ وَصَدَقَ لِسَانُهُ؛ وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ؛ وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ؛ فَذلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ][٤].

وسُئل أنس بنُ مالكٍ عن تفسيرِ الراسخين في العلم مَنْ هُمْ؟ فقالَ: (الرَّاسِخُ: هُوَ الْعَالِمُ الْعَامِلُ بِمَا عَلِمَ الْمُتَّبِعُ).

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: النص (٥٢٠٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: النص (٥٢٠٢) بمعناه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) النساء / ١٦٢ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: النص (٥٢١٢) عن أنس بن مالك وأبي أمامة وأبي الدرداء. وفي مجمع الزوائد: ج ٦ ص٣٢٤ نسبه الهيثمي للطبراني، وقال: ((فيه عبدالله بن يزيد، ضعيف)). ومن طريق أخرجه الطبري في جامع البيان: النص (٥٢١٣).

التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلإِمَامِ الْحَافِظِ الْعَلاَّمَةِ أَبِي الْقَاسِمِ

سُلَيْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيِّ

(٢٦٠-٣٦٠) مِن الهِجْرَةِ

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

ضَبَطَهُ عَلَى أَصْلِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

هِشَامُ بْنُ عَبْدِالكَرِيمِ البَدْرَانِيُّ المَوْصِلِيُّ

المجلد الثالث

دار الكتاب الثقافي

الأردن-إربد

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾؛ معناه: هو اللهُ المعبود المنفردُ بالتدبيرِ في السَّموات والأرض، العالِمُ بما يُصلحهما وبما يعملُ فيهما. يعلمُ جهركم وسرَّ أعمالِكم وعلانيةَ أموركم، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾؛ أي ما تعملونَ من خيرٍ وشرٍّ. وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: [مَنْ قَرَأَ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الأَنْعَامِ ثَلاَثَ آيَاتٍ إِلَى قَوْلِهِ: (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) وَكَّلَ اللهُ بِهِ أَرْبَعِينَ مَلَكاً يَكْتُبُونَ لَهُ مِثْلَ عِبَادَتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مَعَهُ مَرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَإِذَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوَسْوِسَ لَهُ؛ ضَرَبَهُ بِهَا ضَرْبَةً كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سَبْعُونَ حِجَاباً، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: امْشِ فِي ظِلِّي؛ وَكُلْ مِنْ ثِمَارِ جَنَّتِي؛ وَاشْرَبْ مِنْ مَاءِ الْكَوْثَرِ؛ وَاغْتَسِلْ مِنْ مَاءِ السَّلْسَبِيلِ؛ وَأَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ][1].

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾؛ أي ما تأتي كفَّارَ مكةَ من دلائلِ التوحيد والنبوَّة؛ مثلَ كسوف الشمسِ والاستسقاء، وكسوفِ القمرِ والدُّخان؛ إلا كانوا عن هذهِ الآيات والعلامات معرضينَ مكذِّبين تاركين لَها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾؛ أي فقد كَذبَ أهلُ مكة بمُحَمَّدٍ ﷺ والقرآن؛ وبما رَأَوْا من انفلاق القمَر بمكةَ، كما رويَ عن ابنِ مسعود (أَنَّ الْقَمَرَ انْفَلَقَ فِلْقَتَيْنِ حَتَّى رَأَوا اجْرَابِي فِلْقَتَي الْقَمَرِ، ثُمَّ ذَهَبَتْ فِلْقَةٌ وَبَقِيَتْ فِلْقَةٌ).

وقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) هذا وعيدٌ لَهم؛ أي سيعلمون ما يَؤُولُ إليه عاقبةُ استهزائِهم بالرُّسُلِ والكُتُب والآيات التي كانت تأتيهم، فَقَتَلَهُمُ اللهُ يومَ بَدْرٍ بالسَّيف، ويأتيهم خبرُ استهزائهم حين يرون العذابَ معاينةً. والنبأُ عبارةٌ عن خَبَرٍ الَّذي لهُ عِظَمٌ وشَأْنٌ.

---

(١) في الدر المنثور: ج ٣ ص٢٤٥-٢٤٨؛ قال السيوطي: ((أخرجه السلفي بسند واه عن ابن عباس)). ونقله أهل التفسير عن جابر ﷺ؛ ينظر: اللباب: ج ٨ ص٥٤٠.

وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ؛ أي هو الغالبُ على أمرِ عباده. والقَهْرُ: هُوَ الاسْتِعْلاَء بالاقْتِدَار عَلَى الْغَلَبَةِ. وأراد بقولِهِ: (فَوْقَ) أنهم تحتَ التسخيرِ والتذليل عمَّا علاهم من الاقتدار عليهم، لا ينهاكَ أحدٌ منهم. قولهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ ؛ أي الْمُحْكِمُ لصنعِهِ؛ الخبيرُ بأعمال الخلقِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ ؛ قال ابنُ عبَّاس: (وَذلِكَ أنَّ رُؤَسَاءَ مَكَّةَ أتوا رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ؛ أمَا وَجَدَ اللهُ رَسُولاً يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ؟! مَا نَرَى أحَداً يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ؛ وَلَقَدْ سَأَلْنَا عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ فَزَعَمُوا أنَّهُ لَيْسَ لَكَ عِنْدَهُمْ ذِكْرٌ وَلاَ صِفَةٌ وَلاَ نَعْتٌ، فَأَرِنَا مَنْ شَهِدَ أنَّكَ رَسُولُ اللهِ كَمَا تَزْعُمُ. فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ)[2].

ومعناها: قُلْ لَهم يا مُحَمَّدُ: أيُّ أحدٍ أعظمُ وأعدلُ برهاناً وحجَّةً؟ فإن أجابوكَ وقالوا: اللهُ، وإلاَّ فَقُلْ: اللهُ أكْبَرُ شَهَادَةً من خَلْقِهِ، وهو شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، بأني رسولُ الله، وأنَّ هذا القرآنَ كلامهُ. والشاهدُ هو الْمُبَيِّنُ للدعوَى، وقد بَيَّنَ اللهُ تعالى دعوَى رسولِهِ بالبراهين والمعجزات والآيات الدالَّةِ على توحيدِ الله ونبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ؛ معناهُ: أُنزِلَ إِلَيَّ هَذا الْقُرْآنُ لأُخَوِّفَكُمْ به بما فيه من الدلائلِ؛ وأخبارِ الأُمَمِ السَّالفةِ؛ والإنباءِ بما يكونُ؛ والتأليفِ الذي عَجَزَ عنه العربُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ بَلَغَ) أي وَأُنْذِرُ مَن بَلَغَهُ القرآنُ سواكم من العَجَمِ؛ وغيرِهم من الجنِّ والإنس إلى أن تقومَ الساعةُ؛ لأنه ليس من بَعْدِ القرآنِ كتابٌ، ولا من بعدِ مُحَمَّدٍ رسولٌ.

---

(١) في الجامع لأحكام القرآن: ج٦ ص٣٩٨؛ قال القرطبي: ((أخرجه أبو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب (الفصل والوصل) وهو حديث صحيح، وقد خرجه الترمذي)). وأخرجه الترمذي في الجامع: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: الحديث (٢٥١٦)؛ وقال: حسن صحيح. والحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة: باب تعليم النبيﷺ ابنَ عباس: الحديث (٦٣٥٧ و٦٣٥٨).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص٣١٥. وينظر: الروض الأنف: ج٢ ص٤٥-٤٦: عتبة بن ربيعة يذهب الى رسول الله ﷺ: طبعة دار الكتب العلمية الأولى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ؛ أي ثم إلى اللهِ مصيرُكم ومتقلَّبكم بعدَ الموتِ، ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ؛ أي ثم يُخبرُكمْ في الآخرةِ بما كنتم تعملون في الدُّنيا؛ فيجازي كلَّ عاملٍ ما عَمِلَ.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ ؛ أي هو الْغَالِبُ لعبادِهِ الْمُسْتَعْلِي عليهم بالقدرةِ، وليس معنى (فَوْقَ) معنى المكانِ؛ لاستحالةِ إضافةِ الأماكنِ إلى اللهِ، وإنَّما معناهُ الْغَلَبَةُ والقدرةُ، ونظيرهُ: فلانٌ فَوْقَ فلانٍ في العلمِ؛ أي أعْلَمُ منهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ؛ معناه: وَالْمُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً، فاكتفَى بالفعلِ عن الاسمِ. وَالْحَفَظَةُ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ يحفظونَ على العبادِ أعمالَهم على ما تقدَّم.

وقد وردَ في الخبرِ: أن على كلِّ واحدٍ منَّا ملَكين بالليلِ؛ وملَكين بالنهارِ، يكتبُ أحدُهما الحسناتِ؛ والآخرُ السيِّئاتِ، وصاحبُ اليمينِ أميرٌ على صاحبِ الشِّمالِ، فإذا عَمِلَ العبدُ حسنةً؛ كتبَ له بعَشْرِ أمثالِها؛ وإذا عَمِلَ سيِّئةً فأرادَ صاحبُ الشِّمالِ أن يكتبَ؛ قال له صاحبُ اليمينِ: أَمْسِكْ، فيمسِكُ عنه ستَّ ساعاتٍ أو سبعَ ساعاتٍ، فإنْ هو استغفرَ اللهَ تعالى؛ لم يكتُبْ عليه، وإن لم يستغفرْ يكتب عليه سيِّئةً واحدةً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ معناه: حَتَّى إذا حضرَ أحَدَكُمُ الْمَوْتُ؛ قبضَ روحَهُ مَلَكُ الموتِ وأعوانُه، وَهُمْ لا يقصِّرون ولا يؤخِّرونه طرفةَ عينٍ، فإن قيلَ: كيفَ هنا (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) وقال في آيةٍ أخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[1]؟ قيلَ: إنَّ مَلَكَ الموتِ هو الذي يقبضُ الأرواحَ كلَّها وهو القائمُ بذلك؛ إلا أنَّ له أعواناً؛ فتارةً أضافَ قبضَ الروحِ إلى مَلَكِ الموتِ؛ لأنه هو المختصُّ بذلكَ، وتارةً أضافَهُ إليه وإلى غيرِه؛ لأنَّهم يَصْدُرُونَ في ذلك عن أمرِه.

---

(١) السجدة / ١١.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ؛ أي القُرآنُ بَيَاناً ودلالةً من ربكم، ﴿ وَهُدًى ﴾ ؛ مِن الضَّلالة؛ ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ؛ لِمن آمنَ به واتَّبعَهُ، رَحِمَ اللهُ بإنزالِهِ عبادَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي لا أحدُ أعتى ولا أجرأ على الله مِمَّنْ كَذبَ بآيات الله، ﴿ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ ؛ أي أعرَضَ عنها، ﴿ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ ؛ أي سَنُعَاقِبُ الذين يُعْرِضُونَ عن آياتِنا بأقبحِ العذاب وأشدِّه بإعراضهم وتكذيبهم.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ ؛ أي ما يَنْظُرُ أهلُ مكةَ بعد نزول الآيات وقيام الحُجَجِ عليهم إلا إتيانُ مَلَكِ الموتِ وأعوانِهِ لِقَبْضِ أرواحِهم؛ أي لَمْ يَبْقَ إلاَّ هذا. قولهُ: ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ ؛ معناهُ: أو يأتيَ أمرُ ربكَ بإهلاكِهم والانتقامِ منهم؛ إمَّا بعقابٍ عاجل أو بالقيامةِ. وقولهُ: ﴿ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾ ؛ يعني طلوعَ الشَّمْسِ من مغربها.

قال الحسن: (أوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ الْحَاجَّةُ مِنَ التَّوْبَةِ)، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [بَادِرُوا بالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ وَدَابَّةَ الأَرْضِ؛ وَخُرُوجَ الدَّجَّالِ؛ وَالدُّخَانَ؛ وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ - يَعْنِي مَوْتَهُ -، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ - يَعْنِي الْقِيَامَةَ][1].

وقال ﷺ: [بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمَلَكٌ قَائِمٌ عَلَى ذلِكَ الْبَابِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى التَّوْبَةِ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ طَلَعَتْ مِنْ ذلِكَ الْبَابِ سَوْدَاءَ لاَ نُورَ لَهَا؛ فَتَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ ثُمَّ رَجَعَتْ، فَيُغْلَقُ الْبَابُ وَتُرَدُّ التَّوْبَةُ، ثُمَّ تُرْجِعُ إِلَى شَرْقِهَا لِتَطْلُعَ بَعْدَ ذلِكَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، إِلاَّ

(١) في الدر المنثور: ج ٣ ص٣٩٤؛ قال السيوطي: ((أخرجه أحمد وعبد بن حميد ومسلم والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي هريرة)). وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الفتن: الحديث (٨٦٢١)؛ وقال: ((قد احتج مسلم بعبدالله بن رباح، هذا حديث صحيح ولم يخرجاه)) ولقد وهم فيه الحاكم؛ أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الفتن: باب في بقية من أحاديث الدجال: الحديث (١٢٨ و١٢٩/ ٢٩٤١).

بالصِّدْق في أمرِ البعثِ بعدَ الموتِ فكذبناهُم، ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ ﴾ ؛ أي يقولونَ هذا القولَ حين يَرَوْنَ الشُّفعاءِ يشفعونَ للمؤمنين، فيقال لهم: ليسَ لكم شَفِيعٌ، فيقولون: هل نُرَدُّ إلى الدُّنيا فنُصدِّقَ الرسلَ، ونعملَ الأعمالَ الصالحة؟ فذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ . وجوابُ الاستفهامِ بالفاءِ يكونُ نَصْباً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ ؛ أي غَبَنُوا حَظَّ أنفُسِهم من الجنَّةِ، فَوَرَثَهُمُ المؤمنونَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ؛ أي بَطَلَ عنهم فلم يَنْفَعْهُمْ، وذهبَ عنهُم آلِهتُهم؛ وهي التي كانوا يَفْتَرُونَ بها على اللهِ تعالى أنَّها شفعاؤُهم. ويقالُ: معناه: وَضَلَّ عَنْهُمْ حينئذٍ افْتِرَاؤُهُمْ على اللهِ تعالَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ؛ وذلكَ: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا عيَّرَ المشركينَ بعبادةِ الأصنامِ بقوله: (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) سَأَلُوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا: يا مُحَمَّدُ؛ مَنْ رَبُّكَ الذي تدعُونا إليه؟ فأرادُوا بذلك أن يَجْحَدُوا معنى في أسمائهِ، وفي شيءٍ من أفعاله، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ، فتحيَّروا وعجَزُوا عن الجواب.

ومعنى الآيةِ: أنَّ خالِقَكم ورازِقَكُم هو اللهُ الذي ابتدأَ خَلْقَ السَّمواتِ والأرض لا على مثالٍ سابق؛ فَوَحِّدُوهُ يا أهلَ مكَّةَ واعبدوهُ واطيعوهُ؛ ودعُوا هذه الأصنامَ؛ فإنَّها لم تَخْلُقْ سَماءً ولا أرضاً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) قال ابنُ عبَّاس: (أَوَّلُهَا الأَحَدُ وَآخِرُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ). قال الحسنُ: (هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا). ويقالُ: في سِتَّةِ ساعاتٍ من ستة أيَّامٍ من أوَّلِ أيَّامِ الدُّنيا. ولو شاءَ لَخَلَقَهَا في أسرعِ من اللَّحظةِ، ولكنه عَلَّمَ عبادَهُ التَّأنِّي والرِّفْقَ والتدبيرَ والتثبُّتَ في الأمور.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ؛ اختلفَ المفسِّرون في ذلكَ؛ قال بعضُهم: يطلقُ الاستواءُ كما نَطَقَ به القُرآنُ ولا يكيِّفُ، كما أثبتَ اللهُ ولا نُكَيِّفُهُ. وهذا القولُ مَحْكِيٌّ عن مالكِ بنِ أنسٍ، فإنه سُئِلَ عن معنى هذه الآية؛ فقال:

(الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ).

وقال بعضُهم: معنى (اسْتَوَى): اسْتَوْلَى، كما يقال: اسْتَوَاء الأَمِيرُ على بلدِ كذا؛ أي اسْتَوْلَى عليهِ واحتوَى وأحرزَه، ولا يرادُ بذلكَ الجلوسُ. قال الشاعرُ:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

أراد بذلكَ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ، واستواءَهُ على العراقِ: لا الْمَلِكَ.

وقال بعضُهم: لفظ الاستواءِ في الآيةِ كنايةٌ عن نَفَاذِ الأَمْرِ وعِظَمِ القُدْرَةِ. وَقِيْلَ: معناهُ: ثُمَّ أقبلَ على خَلْقِ العرشِ وعَمَدَ إلى خَلْقِهِ، وكذلكَ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[1] أي عَمَدَ إلى خَلْقِ السَّماءِ.

فإن قِيْلَ: ما معنى دخول (ثُمَّ) في قولِهِ تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)، و(ثُمَّ) تكون للحَادِثِ، واستيلاءُ اللهِ تعالى واقتدارهُ ومُلكه للأشياءِ ثابتٌ فيما لَمْ يَزَلْ ولاَ يزالُ؟ قِيْلَ: معناه: ثُمَّ رَفَعَ العرشَ فوقَ السَّمواتِ واستولَى عليهِ[2]. وإنَّما أدخلَ (ثُمَّ) مُتَّصِلةً في اللفظ بالاستواءِ؛ لأن الدلالةَ قد دَلَّتْ من جهةِ العقل على أنَّ اقتدارَهُ على الأمور ثابتٌ فيما لم يزل. وهذا مثلُ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾[3] أي حتى يُجَاهِدَ الْمُجَاهِدُونَ منكم ونحنُ عَالِمونَ بهم.

ويقال: معنى (ثُمَّ) هنا بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التَّراخي، فإنَّ خَلْقَ العرشِ والاستيلاء عليه كان قَبْلَ خَلْقِ السَّمواتِ والأرض. وقد وردَ في الخبرِ: [أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ اللَّوْحُ، فَأَمَرَ اللهُ الْقَلَمَ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ][4].

---

(١) فصلت / ١١.

(٢) في المخطوط كرر الناسخ السطر السابق كتابة.

(٣) مُحَمَّد/ ٣١.

(٤) في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: الحديث (٢٩٢٨) علقه ابن حجر وسكت عنه. وفي مجمع الزوائد: ج ٧ ص١٩٠؛ قال الهيثمي: ((عن ابن عباس رواه البزار ورجاله ثقات. وقال:=

وَقِيْلَ: كان فرعونُ قد صَنَعَ أصناماً صِغاراً، وأمرَ قومَه بعبادتِها، وقالَ: أنـا رَبُّ هـذهِ الأصنامِ الأعلَى، وهم اربَابُكم.

وقرأ الحسن: (وَمَا تُنقَمُ) بفتحِ القَافِ لُغتان، قال الضَّحاكُ: (مَعْنَاهُ: وَمَا تُطْعَنُ عَلَيْنَا). وقال عطاءُ: (مَا لَنَا عِنْدَكَ مِنْ ذَنْبٍ تُعَذِّبُنَا عَلَيْهِ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا). وقرأ الحسنُ: (وَيَذَرُكَ) بالرَّفعِ عطفاً على (أَتَذَرُ). وقرأ ابنُ مسعودٍ وابنُ عبَّاسٍ والضحَّاك: (وَآلِهَتَكَ) أي عبادَتُك، فلا يعبدُك.

وَقِيْلَ: أرادَ بالآلِهَةِ الشَّمْسُ، وكان فرعونُ وقومُه يعبدونها. وقال ابنُ عبَّاس: (كَانَ لِفِرْعَوْنَ بَقَرَةٌ يَعْبُدُهَا، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْا بَقَرَةً حَسْنَاءَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهَا، فَكَذَلِكَ اخْرَجَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ عِجْلاً). ورُوِيَ: أنه قِيلَ للحسَنِ: هَلْ كَانَ فِرْعَوْنُ يَعْبُدُ شَيْئاً؟ قَالَ: (نَعَمْ؛ كَانَ يَعْبُدُ تِيْساً).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ ؛ أي قال فرعونُ: سنعودُ إلى قَتْلِ أبنائِهم واستخدامِ نسائِهم عقوبةً لهُ كما كُنَّا نفعلُ وقتَ ولادةِ مُوسَى.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ؛ أي مُستَعْلُونَ عليهم بالقُوَّةِ.

فَشَكَتْ بَنُو إسرائيلَ إلى موسَى فـ ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ ؛ أي استعينُوا باللهِ على دفعِ بلاءِ فرعونَ عنكم، واصبرُوا على دِينكم، ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ ؛ التي أنتُمْ فيها؛ ﴿ لِلَّهِ يُورِثُهَا ﴾ ؛ أي يُسْكِنُهَا، ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ؛ فيورثُكم هذه الأرضَ بعد إهلاكِ فرعونَ وقومِه، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ ؛ أي آخرُ الأمرِ للذين يَتَّقُونَ اللهَ. وَقِيْلَ: أرادَ بالعاقبةِ الجنةَ في الآخرة. وَقِيْلَ: النصرَ والظَّفَرَ. وَقِيْلَ: السعادة والشهادة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ ؛ قال ابنُ عبَّاس: (وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ عَادَ إِلَى قَتْلِ أَبْنَائِهِمْ، وَزَادَ فِي إِتْعَابِهِمْ فِي الْعَمَلِ، إِذْ كَانَ يَسْتَعْمِلُهُمْ قَبْلَ مَجِيءِ مُوسَى بِضَرْبِ اللَّبِنِ وَالْبِنَاءِ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ مُوسَى غَضِبَ وَكَلَّفَهُمْ أَيْضاً أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ).

كانوا يقولُون: لم يجدِ اللهُ رسولاً يبعثه إلينا إلاّ يتيمَ أبي طالبٍ. ويقالُ: كانوا يَعجَبُون من البعثِ بعدَ الموتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي أعمالهم الصالحةَ التي قدَّمُوها لأنفسِهم سَلَفَ خيرٍ عند ربهم يستوجبون بها المنزلةَ الرفيعةَ في آخرتهم عند ربِّهم، وعن ابنِ عبَّاس أنه قال: (قَدَمَ صِدْقٍ: شَفَاعَةُ بَيْنَهُمْ لَهُمْ هُوَ إِمَامُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَهُمْ بِالأَثَرِ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ۝١﴾؛ أي قال كفَّار مكة: إنَّ هذا القرآنَ لسِحرٌ مُبينٌ، وقرأ أهلُ الكوفة وابن كثير (لَسَاحِرٌ) بالألفِ يعنُون مُحَمَّداً ﷺ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ ولو شاءَ لخلقَها في أقلَّ من لحظةٍ، ولكنَّهُ خلقَها للترتيب؛ ليكون حدوثُ شيءٍ بعدَ شيءٍ على الترتيب أبلغَ للملائكةِ في التفكُّر بها من حُدوثِها كلِّها في حالةٍ واحدة، وقد تقدَّم تفسيرُ الاستواءِ، ودخلت (ثُمَّ) على الاستواءِ وهي في المعنى داخلةٌ على الترتيب، كأنَّهُ قال: ثُمَّ يُدبرُ الأمرَ وهو مستوٍ على العرش، فإنَّ تدبيرَ الأمُور كلها يَنْزِلُ من عندِ العرش، ولهذا تُرْفَعُ الأيدِي في قضاءِ الحوائج نحوَ العرش. والاستواءُ: الاستيلاءُ، ولم يَزَلِ اللهُ سبحانه مُستولياً على الأشياءِ كلِّها، إلا أن تخصيصَ العرشِ لتعظيمِ شأنه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾؛ أي يقضي القضاءَ إلى الملائكةِ من رسُلِهِ ولا يُشركُه في تدبيرِ أحدٌ من خلقِهِ. وعن عمرو بن مُرَّةَ «عن عبدالرحمن بن سابط»[1] قال: [يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا بِأَمْرِ اللهِ أَرْبَعَةٌ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ وَإِسْرَافِيلُ. أَمَّا جِبْرِيلُ فَعَلَى الرِّيَاحِ وَالْجُنُودِ، وَأَمَّا مِيكَائِيلُ فَعَلَى الْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ، وَأَمَّا مَلَكُ الْمَوْتِ فَوُكِّلَ بِقَبْضِ الأَرْوَاحِ، وَأَمَّا إِسْرَافِيلُ فَهُوَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ][2].

---

(١) سقط من المخطوط، وصححناه من شعب الإيمان للبيهقي.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: باب في الإيمان بالملائكة: الحديث (١٥٨).

التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلإِمَامِ الْحَافِظِ الْعَلاَّمَةِ أَبِي الْقَاسِمِ

سُلَيْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيِّ

(٢٦٠-٣٦٠) مِنَ الهِجْرَةِ

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

ضَبَطَهُ عَلَى أَصْلِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

هِشَامُ بْنُ عَبْدِالكَرِيمِ البَدْرَانِيُّ المَوْصِلِيُّ

المجلد الخامس

دار الكتاب الثقافي

الأردن-إربد

وهذا احتجاجٌ على مُنكري البعثِ، فإن موتَهم كموتِ الأرض، وذهابَ أثرِهم كذهاب أثرِ الأشجار والزُّروع، والقادرُ على إخراجِ الأشجار والزروعِ من الأرض قادرٌ على إخراجِ الموتى من الأرض.

ومعنى الآية: (وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً) أي تُزعِجهُ من حيث هو (فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) أي مكان ليس فيه نباتٌ (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أي أنبتنا فيها الزرعَ والكلأ بعدَ أن لم يكن، (كَذَلِكَ النُّشُورُ) أي الإحياءُ والبعث.

وعن أبي رُزَين العقيليِّ قالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُحيي اللهُ الْمَوْتَى؟ [أَوَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي قَوْمِكَ مُمْحِلاً ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ خَضِيراً؟] قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: [فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى] وَقَالَ: [كَذَلِكَ النُّشُورُ])[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ ؛ أي مَن كان يطلبُ العزَّةَ بعبادةِ الأصنام فليطلُبْها بطاعةِ الله تعالى وطاعةِ رسوله ﷺ، العزيزُ مَن أعزَّهُ اللهُ. وذلك أنَّ الكفارَ كانوا يعبُدونَ الأصنامَ طَمَعاً في العزَّةِ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[2]. أو قِيلَ: معناهُ: مَن كان يريدُ أن يعلمَ العزَّةَ لِمَن هي فليعلَمْ أنها لله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ؛ إلى اللهِ تصعدُ كلمةُ التوحيدِ وهو قولهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ومعنى(إِلَيْهِ يَصْعَدُ) أي يعلمُ ذلك كما يقالُ: ارتفعَ الأمرُ إلى القاضي والسُّلطان أي عَلِمَهُ. وَقِيلَ: صعودُ الكَلِمِ الطيِّب أن يُرفَعَ ذلك مَكتوباً أو مَقبولاً إلى حيث لا مالِكُ إلاَّ اللهُ؛ أي إلى سَمائهِ يصعدُ الكَلِمُ الطيِّبُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ ؛ قال الحسنُ: (مَعْنَاهُ: ذُو الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُرْفَعُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِعَرْضِ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ، فَإِنْ وَافَقَ الْقَوْلُ الْفِعْلَ قُبِلَ، وَإِنْ خَالَفَ رُدَّ، لأَنَّ الْعَبْدَ إِذا وَحَّدَ اللهَ وَأَخْلَصَ فِي عَمَلِهِ ارْتَفَعَ الْعَمَلُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ج ٤ ص١١ و١٢. وابن أبي حاتم في التفسير الكبير: الحديث (١٧٩٣٦). والطبراني في الكبير: باب ٢: الحديث (٢٨١) ورجاله موثقون.

(٢) مريم / ٨١.

التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِلإِمَامِ الْحَافِظِ الْعَلاَّمَةِ أَبِي الْقَاسِمِ
سُلَيْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيِّ
(٢٦٠-٣٦٠) مِن الهِجْرَةِ

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

ضَبَطَهُ عَلَى أَصْلِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
هِشَامُ بْنُ عَبْدِالكَرِيمِ البَدْرَانِيُّ المَوْصِلِيُّ

المجلد السادس

دار الكتاب الثقافي
الأردن-إربد

ظَاهِرِينَ﴾[1] أي غالبين. ويقالُ: ظهرَ الأميرُ على بلدِ كذا؛ إذا غلبَ عليها، وهو الباطنُ الذي لا يدرَكُ بالحواسِّ ولا يقاسُ بالناس. وَقِيلَ: معناهُ: هو الظاهرُ بأدلَّتِهِ العالِمُ بما بَطَنَ من أمور خلقِهِ. وَقِيلَ: الباطنُ الْمُحْتَجِبُ عن الأبصار، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ؛ من الظاهرِ والباطنِ، ﴿عَلِيمٌ ۝١﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ؛ قد تقدَّمَ تفسيرُ ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ أي ما يدخلُ فيها فيُستَرُ، كما يعلمُ، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ ؛ فيظهرُ، وَ يعلمُ، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ، من مَلَكٍ ورزقٍ ومطر، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ؛ وما يصعَدُ إليها من الملائكةِ وأعمالِ العباد، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ؛ أي وهو أعلمُ بأقوالِكم وأفعالِكم وعزائمِكم في أيِّ موضعٍ كنتم، فليس يخلُو أحدٌ من علمِ الله وقُدرتِهِ أينما كان في الأرضِ او في السَّماء او في برٍّ او في بحرٍ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ . وما بعدَ هذا: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٦﴾ . ظاهرُ المعنى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ؛ أي صدِّقُوا باللهِ بأنَّهُ خالقُكم وإلهُكم، وصدِّقُوا برسولِهِ أنَّهُ صادقٌ فيما يؤدِّيه إليكم، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ ؛ في الجهادِ وعلى الضُّعفاء، وغيرِ ذلك من سُبُلِ الخيرِ من الأموالِ التي جعلَكم اللهُ مُستَخلفين فيها بأن أورثَكُموها ممن كان قبلَكم.

ويقال: إن الأموالَ التي في الدُّنيا لا تخلُو إمَّا أنْ تكون قد صارت إلينا فنحنُ خلفاؤُهم فيها، أو تصيرُ منَّا إلى غيرنا فهم خلفاءنا فنحفَظُها. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ ؛ أي لهم ثوابٌ عظيم في الآخرة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ؛ هذا استفهامُ إنكارٍ؛ معناهُ: أيُّ شيءٍ لكم من الثَّواب في الآخرةِ إذا لم تُؤمِنوا باللهِ بعدَ قيامِ الحجَّة عليكم على

---

(١) الصف / ١٥ .

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ ؛ معناهُ: أأمِنتُم يا أهلَ مكَّة مَن في السَّماء سُلطانه وقدرتهُ ومُلكه أن يُغَيِّبَكم في الأرضِ جَزاءً على قُبحِ أفعالِكم. وَقِيلَ: معناهُ: أأمنتم عقوبةَ مَن في السَّماء وعذابَ مَن في السَّماء. وَقِيلَ: معناهُ: مَن جَرَتْ عادتهُ أن يُنزلَ نِقمَتَهُ مِن السَّماء على مَن يكفرُ به ويعصيهِ.

وَقِيلَ: أأمنتم مَن في السَّماء، وهو الْمَلَكُ الموكَّل بالعذاب، يعني جبريلَ أنْ يخسفَ بكمُ الأرضَ بأمرِ الله تعالى، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١١﴾ ﴾ ؛ أي تضطربُ وتتحركُ، والمعنى: أنَّ اللهَ تعالى يحرِّكُ الأرضَ عند الخسفِ بهم حتى تضطربَ، وتتحركَ فتعلُو بهم وهم يُخسَفُون فيها، والأرضُ تَمُورُ فوقَهم فتقلِبُهم الى اسفل. والْمَوْرُ: التردُّدُ في الذهاب والمجيء؛ لأنه إذا خُسِفَ بقومٍ دارت الأرضُ فتدورُ بهم كما يدورُ الماء بمَن يُغرِقهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ ؛ كما أرسلَ على قومِ لُوطٍ، والحاصِبُ: الرِّيحُ التي تَرمي بالحصباءِ لا دافعَ لها ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ ؛ في الآخرةِ، ﴿ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ ؛ أي إنذاري إذا عاينتم العذابَ، ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾ ؛ معناهُ: ولقد كذب الذين من قَبْلِ أهل مكة من كفَّار الأمم الماضيةِ، فكيف كان الإنكارُ عليهم بالعذاب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ ؛ معناهُ: أولَمْ يَرَوا إلى الطيرِ صافَّاتٍ فوقَ رُؤوسِهم بانبساطِ أجنحتها تارةً وقابضاتِها أخرى، معناهُ: صافَّات أجنحتَها، ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ ؛ أجنحتَها بعد البسطِ، وهذا معنى الطَّير؛ وهو بَسْطُ الجناحِ وقبضهُ بعدَ البسطِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ؛ أي ما يُمسِكهُنَّ ويحفظُهُنَّ في الهوَاء في الحالَين؛ في حال البسطِ والقبضِ إلاَّ الرحمنُ. وهذا أكبرُ آيةٍ دالَّة على قدرةِ الله تعالى إذ أمسكَها في الهواءِ على ثُقلِها وضخمِ أبدانِها، فمَن قَدِرَ على إمساكِ الطيرِ في الهواء قَدِرَ على إرسالِ الحاصبِ من السَّماء. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ ؛ أي عالِمٌ، كما يقالُ: فلان بصيرٌ بالنَّحوِ وبالقرآنِ؛ أي عالِمٌ به.

قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (سَالَ) بِغَيْرِ هَمْزَةٍ؛ أَيْ سَالَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ ؛ أي تصعدُ الملائكة والرُّوحُ يعني جبريلَ عليه السلام ﴿ إِلَيْهِ ﴾ ؛ أي إلى الموضعِ الذي لا يجري لأحدٍ سواهُ فيه حكمٌ. وقولهُ تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ؛ قال عكرمةُ وقتادة:(يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وعن أبي سعيدٍ قالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ- يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ- ! فَقَالَ ﷺ: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا][2].

وَقِيلَ: معنى الآيةِ: تعرجُ الملائكةُ والروح إليه في يومٍ يكون مقدارهُ خمسين ألفَ سَنة لعُروجِ غيرِهم، وذلك أنَّ مِن أسفلِ الأرضين السَّبع إلى فوقِ السموات السَّبع خمسين ألفَ سنةٍ، هكذا رُوي عن مجاهدٍ. وأما قولهُ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3] هو ما بين سَماء الدُّنيا إلى الأرضِ في الصُّعود خمسمائةِ سَنة، وفي النُّزول خمسمائةِ سَنة كذلكَ، فذلكَ قولهُ ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لغيرِ الملائكة.

وقال يَمانٌ: (يَعْنِي: الْقِيَامَةَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَمْسُونَ مَوْطِناً، كُلُّ مَوْطِنٍ أَلْفُ سَنَةٍ). وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ كأنَّه قالَ: ليس له دافعٌ في يومٍ كان مقدارهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، تعرجُ الملائكة والروحُ إليه. وَقِيلَ: معنى الآية: لو جعلَ اللهُ محاسبةَ الخلائقِ إلى أحدٍ غيرِهِ لم يفرَغْ منهُ في خمسين ألف سَنة، وهو يفرغُ منه في ساعةٍ واحدة؛ لأنه سريعُ الحساب.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: الأثر (٢٧٢٠٢).

(٢) في الدر المنثور: ج ٨ ص٢٨٠؛ قال السيوطي: (أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري ﷺ...) وذكره. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ج ٣ ص٧٥. والطبري في جامع البيان: الحديث (٢٧٠٣٥) وفيه تصحيف في اسم أبي سعيد. وفي مجمع الزوائد: ج ١٠ ص٣٣٧ قال الهيثمي: (رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه).

(٣) السجدة / ٥.

وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: [مَنْ قَطَعَ مِيرَاثاً فَرَضَهُ اللهُ، قَطَعَ اللهُ مِيرَاثَهُ مِنَ الْجَنَّةِ][1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ ؛ أي حُبّاً كثيراً شَديداً، لا تنفقونَهُ في سبيلِ الله، تحرصون عليه في الدُّنيا، وتعدِلون عن أمرِ الآخرة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ ؛ معناهُ: كَلاَّ مَا هكذا ينبغي أنْ يكون الأمرُ، فلا تفعَلُوا ذلك، وانزَجِروا عنه وارتدِعوا، و(كَـلاَّ) كلمةُ رَدْعٍ وزجرٍ، ثم أوعدَهم فقال تعالى (إذا دُكَّتِ الأَرْضُ) أي سَتُذكَرون وتندمون إذا زُلزلتِ الأرض، قصرت بعضها ببعضٍ حتى استَوت الأرضُ، وصارت كالصَّخرة الملساءِ، وتكسَّرَ كلُّ شيءٍ على ظهرِها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ ؛ أي وجاء أمرُ ربِّكَ بالمجازاةِ والمحاسَبة، والملائكةُ صُفوف صَفّاً بعدَ صفٍّ عند حساب الناس، يشاهدون ما يجري عليهم، ويقالُ: إن الملائكةَ يصُفون صَفّاً واحداً حولَ الجنِّ والإنس يُحيطون بهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ ؛ جاء في التفسير: أنَّها تُقاد يومَ القيامة بسبعين ألفَ زمامٍ، على كلِّ زمامٍ سبعين ألفَ ملَك، لها تغيُّظٌ وزفيرٌ، ويُكشَفُ عنها غطاؤُها حتى يراها العبادُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[2].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ ؛ أي يتحسَّرُ ويندمُ على ما فاتَهُ لَمَّا رأى النارَ والعذاب، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ ؛ أي ومِن أين لَه في ذلك الوقتِ توبةٌ تنفعهُ، أو عِظَةٌ تُنجيه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ ؛ أي يا لَيتَني عملتُ في حياتي الفانيةِ لحياتي الباقيةِ، ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) النازعات / ٣٦ .

الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري
536هـ - 1141م

المُعلم بفوائد مسلم

الجزء الأول

تقديم وتحقيق
فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر

الطبعة الثانية

دار التونسية للنشر
تونس

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات
بيت الحكمة

قال ابن عباس في تفسير هذا الحديث : هو الخطُّ الذي يخطه الحازي وهو علم قد تركه الناس . قال : يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حُلْوانا فيقول له : اقعد حتى أخط لك،وبين يدي الحازي غلام معه مِيل ثم يأتي إلى أرض رِخْوَة فيخط الأستاذ خطوطا بالعَجَلَة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين فإن بقي خطان فهو علامة النجح وعلامة البيان وإن [بقي خط واحد فهو][71] علامة الخيبة . والعرب تسميه الأسحم وهو مشؤومٌ عندهم .

قوله ﷺ : « للسَّوداء أَيْنَ الله » .

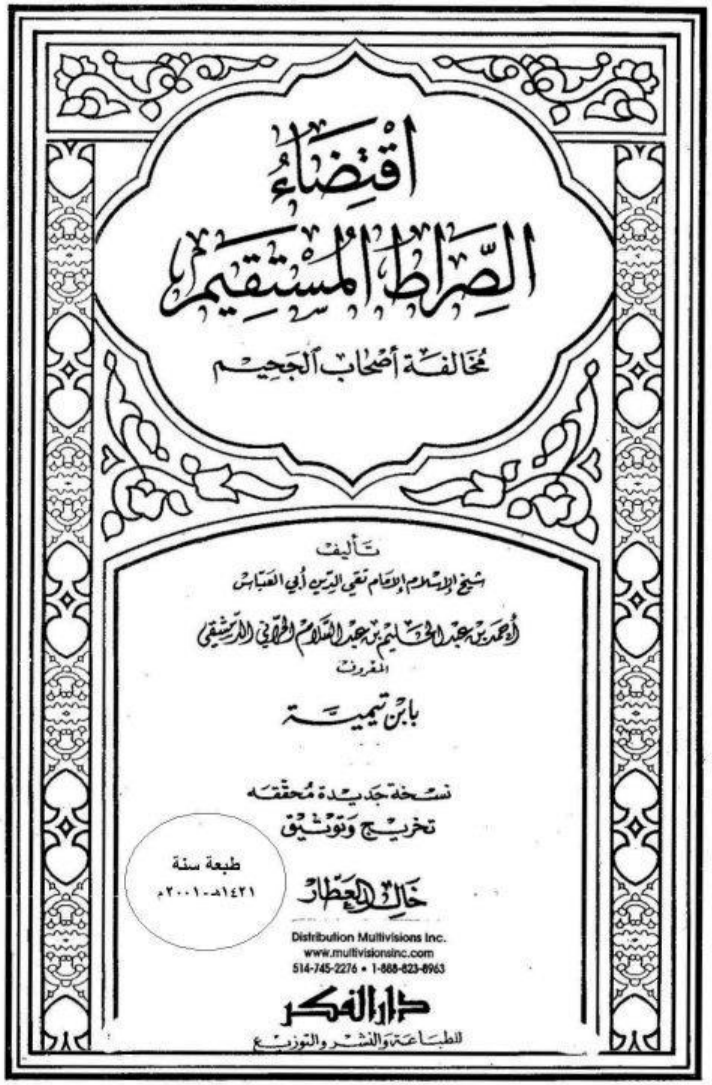
قال الشيخ ــ وفقه الله ــ : قيل : إنما أراد عليه السلام أن يتطلب دليلا على أنها موحدة فخاطبها بما تفهم به [72] قصده إذ من علامات الموحدين التوجه إلى السماء عند الدعاء وطلب الحوائج لأن العرب التي تعبد الأصنام تطلب حوائجها من الأصنام والعجم من النيران ، فأراد ﷺ الكشف عن معتقدها:هل هي من جملة من آمن ؟ فأشارت إلى السماء وهي الجهة المقصودة عند الموحدين كما ذكرنا . وقيل : إنّما وَجْهُ السؤال بـ (أين) ها هنا سؤال عما تعتقده من جلال الباري سبحانه وعظمته،وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها والسماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين فكما لم يدلّ استقبال الكعبة على أن الله جلت قدرته فيها لم يدل التوجه إلى السماء والإشارة على أن الله سبحانه حالٌّ فيها .

232 ــ وقول ابن مسعود ــ رحمه الله ــ : « قلنا يا رسولَ الله : كنّا نُسَلِّمُ عليك في الصّلاة فَتَرُدُّ عَلَيْنا فقَالَ عليه السَّلام : إنَّ فِي الصَّلاَةِ شُغْلاً » (ص 382) .

---

(71) ما بين المعقفين محو في (أ) .

(72) « به » زيادة من (ب) .


اقتضاء
الصراط المستقيم
مخالفة أصحاب الجحيم
تأليف
شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي
المعروف
بابن تيمية
نسخة جديدة محققة
تخريج وتوثيق
طبعة سنة
١٤٢١هـ-٢٠٠١م
خالد العطار
Distribution Multivisions Inc.
www.multivisionsinc.com
514-745-2276 • 1-888-823-8963
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

إلا إلى شرٍّ منه، فلا تدعو إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرُّ من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير؛ فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله، أو إلى خير منه، فإنه كما أن الفاعلين لهذه البدع معيبون قد أتوا مكروهاً، فالتاركون أيضاً للسنن مذمومون، فإن منها ما يكون واجباً على الإطلاق، ومنها ما يكون واجباً على التقييد، كما أن الصلاة النافلة لا تجب، ولكن من أراد أن يصليها يجب عليه أن يأتي بأركانها، وكما يجب على من أتى الذنوب: أن يأتي بالكفَّارات والقضاء والتوبة والحسنات الماحية، وما يجب على من كان إماماً، أو قاضياً، أو مفتياً، أو والياً من الحقوق، وما يجب على طالبي العلم، أو نوافل العبادة من الحقوق.

ومنها: ما يكره تركه أو يجب فعله على الأئمة دون غيرهم. وعامتها يجب تعليمها والحض عليها والدعاء إليها.

وكثير من المنكرين لبدع العبادات تجدهم مقصِّرين في فعل السنن من ذلك، أو الأمر به.

ولعل حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهة، بل الدين: هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلاَّ بصاحبه، فلا ينهى عن منكر، ولا يؤمر بمعروف يغني عنه، كما يؤمر بعبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه.

إذ رأس الأمر: شهادة أن لا إله إلا الله. والنفوس قد خُلقت لتعمل لا لتترك، وإنما رأوا التَّرك مقصوداً لغيره، فإن لم يشتغل بعمل صالح وإلا لم تترك العمل السيىء أو الناقص، لكن لما كان من الأعمال السيئة ما يفسد عليها العمل الصالح نهيت عنه حفظاً للعمل الصالح.

فتعظيم المولد واتخاذه موسماً: قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم، لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس: ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: دعه، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال.

مع أن مذهبه: أن زخرفة المصاحف مكروهة. وقد تأوَّل بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط.

قيل

الكلم الطيب

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي

(٦٦١ - ٧٢٨)

هذه الطبعة محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً مع تخريج جميع أحاديثها

خرج احاديثه وكتب هوامشه

عبد الله محمد سالم

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

٥٤ ـ فصـــل

في الرجل إذا خدرت

٢٣٥ ـ عن الهيثَم بن حَنَش قال : كُنَّا عنْـدَ عَبْد الله بن عُمْر رضى الله عنهما ، فَخَدِرَتْ رجْلُهُ فَقَالَ لَـهُ رجُلٌ : اذكُر أَحَبَّ النَّاس إليكَ ، فَقَالَ : يامُحَمَّد ، فـكأَنَّما نَشِط منْ عقَال (١٧٧).

٢٣٦ ـ وعن مجاهد قال : خَدرت رجْلُ رَجُل

---

(١٧٧) أخرجه ابن السني وهو ضعيف . وذلك لأن الهيثم « مجهول » كما ورد في « الكفاية » للخطيب البغدادي (ص ٨٨) . وهو من رواية أبي اسحـاق عنـه ، وهـو السبيعي ، وهـو مدلس ، وقـد عنعنـه ، ثم اختلط . . وفيه اضطراب في سنده . مرة رواه عن الهيثم . . . وأخرى عن ابي شعبة وفي (نسخة أبي سعيد) رواه ابن السني . واخرجـه البخاري في الادب المفرد (٩٦٤) ـ والحديث ضعيف ـ .

نشط من المكان : خرج منـه .

ونشط من عقال : أي حلَّهُ من عقال ..

قيل

سير أعلام النبلاء

تصنيف

الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

المتوفى

٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

الجزء الرابع

أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه

شعيب الأرنؤوط

حقق هذا الجزء

مأمون الصاغرجي

مؤسسة الرسالة

ونُقَه النَّسائي وغَيْرُه. ولمَّا تُوفِّيَ حَزِن عليه أخوه وبكى. قيل: مات قبله بعام؛ والصحيح أنَّهُ مات سنةَ مئة. وكان يسمى راهباً لدينه[1] رحمه الله. حديثه في الدواوين كلها. والله أعلم.

٢٢٥ ـ الأخطل *

شاعرُ زمانه، واسمُه غياث بن غَوْث التَّغْلِبيّ النصرانيّ.

قيل للفرزدق: من أشعر النَّاس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابنِ النَّصْرانيَّة إذا امتدح.

وكان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل، ويُفضِّله في الشعر على غيره. وللأخيطل[2]:

والنَّاسُ هَمُّهُمُ الحياةُ وَلاَ أرَى ... طُولَ الحَيَاةِ يزيدُ غَيْرَ خَبَالِ
وإذا افتَقَرْتَ إلى الذَّخائِرِ لَمْ تجِدْ ... ذُخْراً يَكُونُ كصالحِ الأعْمَالِ[3]

وقيل: إنَّ الأخطل قيَّدهُ الأُسْقُفُ وأهانه، فَلِيم في صَبْره له، فقال: إنَّه الدِّين، إنَّه الدِّين[4].

وقد حصَّل أموالاً جَزيلةً مِنْ بني أُميَّة؛ ومات قبل الفرزدق بسنوات.

---

(١) في الأصل: راهب المدينة. والراهب: المتعبد، هو من الرهبة، الخوف.

* طبقات ابن سلام ٤٥١/١، الشعر والشعراء ٣٩٣، الأغاني ١٦٩/٧، سمط اللآلي ٤٤، تاريخ ابن عساكر ٧٣/١٤ آ، تاريخ الإسلام ٣٣٧/٣، شرح شواهد المغني ٤٦، خزانة الأدب (بتحقيق هارون) ٤٥٩/١.

(٢) في الأصل «للأخطيل» وهو تحريف.

(٣) البيتان في ديوانه ٢٤٨، وتاريخ الإسلام ٣٣٧/٣. وعزاهما الطبري في تاريخه ١٨٦/٩ لابن مقبل، وأورد الثاني منهما ابن سلام في طبقاته ٤٩٣/١ وكذا أبو الفرج في أغانيه ط دار الكتب ٣١٠/٨ وابن عساكر ٧٣/١٤ ب، ٧٧ آ. وعزاه المبرد في «الكامل» ١٤/٢ للخليل بن أحمد. والمرجَّح أنهما من قصيدة للأخطل.

(٤) انظر الخبر مفصلاً في طبقات ابن سلام ٤٩٠/١.

سيد قطب

التصوير الفني في القرآن

الطبعة الشرعية العاشرة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعة الشرعية الحادية عشرة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الشرعية الثانية عشرة
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الشرعية الثالثة عشرة
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الشرعية الرابعة عشرة
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الشرعية الخامسة عشرة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الشرعية السادسة عشرة
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الطبعة الشرعية السابعة عشرة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

دار الشروق

قيل

لقد عرضنا من قبل قصة صاحب الجنتين وصاحبه ، وقصة موسى وأستاذه . وفي كل منهما نموذجان بارزان . والأمثلة على هذا اللون من التصوير هي القصص القرآني كله ، فتلك سمة بارزة في هذا القصص ، وهي سمة فنية محضة ـ وهي بذاتها غرض للقصص الفني الطليق ـ وها هو ذا القصص القرآني ، ووجهته الأولى هي الدعوة الدينية ، يلم في الطريق بهذه السمة أيضاً ، فتبرز في قصصه جميعاً ، ويرسم بضع « نماذج إنسانية » من هذه الشخصيات ، تتجاوز حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية . فلنستعرض بعض القصص على وجه الإجمال ، ولنعرض بعضها على وجه التفصيل .

* * *

١ ـ لنأخذ موسى . إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج

فها هو ذا قد رُبي في قصر فرعون ، وتحت سمعه وبصره ، وأصبح فتىً قوياً .

﴿ ودَخَلَ المدينة على حين غَفْلَة من أهلِها ، فَوَجَدَ فيها رَجُلَين يَقْتتلان : هذا من شيعته وهذا من عدوّه ، فاسْتَغاثَهُ الذي من شيعَتِهِ على الذي من عدوه ، فوكَزَهُ موسى ، فَقَضى عليه ﴾ .

وهنا يبدو التعصب القومي ، كما يبدو الانفعال العصبي . وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية ، فيثوب إلى نفسه شأن العصبيين :

﴿ قال : هذا من عمل الشيطان إنَّه عَدوٌّ مُضلٌّ مُبين . قال : ربِّ إني ظَلَمْتُ نَفْسي ، فاغْفِرْ لي . فَغَفَرَ لهُ إنَّه هو الغفور الرحيم . قال : رَبِّ بما أنْعَمْتَ عَليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ .

« فأصبح في المدينة خائفاً يترقب » وهو تعبير مصوّر لهيئة معروفة : هيئة المتفزع المتلفت المتوقع للشر في كل حركة . وتلك سمة العصبيين أيضاً .

ومع هذا ، ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيراً للمجرمين . فلننظر ما يصنع . إنه ينظر « فإذا الذي استنصرَهُ بالأمس يستصرخه » مرة أخرى على رجل آخر ، « قال له موسى : إنك لَغَوِيٌّ مبين » ولكنه يهم بالرجل الآخر كما همَّ بالأمس ، وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقبه ، لولا أن يذكره من يهم به بفعلته ، فيتذكر ويخشى :

﴿ فلما أرادَ أنْ يبطش بالذي هو عدوٌ لهما ، قال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلتَ نَفْساً بالأمس ؟ إنْ تريد إلاَّ أن تكونَ جبّاراً في الأرض ، وما تريد أن تكون من المصْلِحين ﴾ .

وحينئذ ينصح له بالرحيل رجل جاء من أقصى المدينة يسعى ، فيرحل عنها كما علمنا .

فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات ، فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع حليم النفس .

كلا ! فها هو ذا يُنادَى من جانب الطور الأيمن : أن ألقِ عصاك ، فألقاها فإذا هي حيَّةٌ تسعى . وما يكاد يراها حتى يشب جرياً ، لا يعقِّبُ ولا يُلوي . إنه الفتى العصبي نفسه ولو أنه قد صار رجلاً ؛ فغيره كان يخاف نعم ، ولكن لعله كان يبتعد منها ، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى .

ثم لندعه فترة أخرى ، لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه .

قيل

وكذلك يذكر مولد يحيى لزكريا ؛ بعد أن وهن منه العظم واشتعل الرأس شيباً .

٢ ـ ونجد قصصاً أخرى تعرض من حلقة متأخرة نسبياً :

فيوسف تبدأ قصته صبياً . فمن هذه الحلقة يرى الرؤيا التي تُسيِّر حياته كلها ، وتؤثر في مستقبله جميعاً ، إذ يرى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ؛ فيدرك أبوه مغزاها ويقربه إليه ، فيغار إخوته منه .. ثم تسير القصة في طريقها المرسوم بعد هذه الرؤيا .

وإبراهيم تبدأ قصته فتىً ينظر في السماء فيرى نجماً ، فيظنه إلٰهه ، فإذا أفل قال لا أحب الآفلين . ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر ، فيظنه ربه ؛ ولكنه يأفل كذلك ، فيتركه ويمضي . ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ، ويظنها ـ ولا شك ـ إلهاً ! ولكنها تخلف ظنه هي الأخرى ، فيَؤُب إلى ربه الذي لا يُرى .. ويدعو أباه وقومه إلى هذا الإله الواحد فلا يجيبونه ، فيحطم أصنامهم في غفلة منهم حيث يقولون : «سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم» ويهمون بإحراقه ، فينجيه الله منهم : «قلنا : يا نارُ كوني بَرْداً وسَلاماً على إبراهيم» .

وتبدأ قصة داود وهو في مقتبل الشباب . تبدأ بحلقة صراعه لجالوت ـ وهو فارس ضخم مشهور ـ فيغلب عليه داود ، لأن الله ينصره . ومن هنا تبدأ قصته .

ولعل سليمان كان في مثل سن أبيه حينما جلس معه يحكم في قضية الحرث . «إذ نَفَشَت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين» .

ولقد كان هذا الحكم المبكر دلالة على ما أعدَّه الله لسليمان من تدبير الملك الأكبر .

٣ ـ ثم نجد قصصاً لا تعرض إلا في حلقة متأخرة جداً :

فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، وكثيرون غيرهم ، لا تعرض قصصهم إلا عند حلقة الرسالة ، وهي الحلقة الوحيدة التي تعرض من حياتهم ، لأنها أهم حلقة منها ، والعبرة كامنة فيها .

هذا كله من ناحية الابتداء . وأما من ناحية الإطناب والإيجاز فهما كذلك خاضعان لما في حلقات القصة من عظة وأهمية . نضرب لذلك الأمثال فيما يلي :

١ ـ قصة كقصة موسى تذكر بجميع حوادثها وتفصيلاتها ، منذ مولده ـ بل قبل مولده ـ إلى وقوفه بقومه أمام الأرض المقدسة ، حيث كتب عليهم التيه أربعين سنة ، جزاء وفاقاً . لأن في كل حلقة من حلقات القصة غرضاً دينياً يبرز ، وله صلة بأهداف القرآن العليا .

وكذلك قصة عيسى ـ مع شيء من الاختصار في حلقاتها الوسطى ـ يذكر مولده بتفصيل كامل . وتذكر معجزاته بتوفية . وتذكر قصته مع الحَوَارِيِّينَ حين طلبوا المائدة فأنزلت إليهم . وتذكر حلقة تكذيبه ومحاولة صلبه ورفعه ، وتفرق قومه من بعده . ويزاد عليها تصوير موقفه يوم القيامة يسأله الله : إن كان قد قال لقومه اتخذوني وأمي إلٰهَين من دون الله ، فيتبرأ من ذلك إليه ، ويذكر أنه دعاهم لله وحده ، وأنه يدع أمرهم لله إن يشأ يرحمهم وإن يشأ يعذبهم .

ومنذ أن تبدأ قصة يوسف تسير مفصلة حتى تنتهي . فما يقع

قيل

﴿ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُد ما لا يَسْمَعُ ، ولا يُبْصِرُ ولا يُغني عَنْكَ شيئاً ؟ يا أَبَتِ إنِّي قد جاءني من العِلْمِ ما لم يَأْتِكَ ، فاتبعني أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيّاً . يا أَبَتِ لا تَعْبُد الشيطان ، إنَّ الشيطان كان لِلرَّحْمٰنِ عصِيّاً . يا أَبَتِ إنِّي أَخافُ أن يَمَسَّكَ عَذابٌ من الرحمٰنِ ، فتكون للشيطانِ وَلِيّاً ﴾ ..

ولكن أباه ينكر قوله ويغلظ له في القول ، ويهدده تهديداً :

﴿ قال : أَراغِبٌ أَنْتَ عن آلهتي يا إبراهيم ؟ لئن لم تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ . واهْجُرْني مَلِيّاً ﴾ .

فلا يخرجه هذا العنف عن أدبه الجمّ ، ولا عن طبيعته الودود ؛ ولا يجعله ينفض يديه من أبيه :

﴿ قال : سَلامٌ عليك . سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ، إنه كان بي حَفِيّاً ؛ وأعتزلكم وما تَدْعونَ من دون الله وأَدْعو ربي ، عسى ألاَّ أكون بدعاء ربي شَقِيّاً ﴾ .

ثم ها هو ذا يحطِّم أصنامهم ـ ولعله العمل الوحيد العنيف الذي يقوم به ـ ولكنه إنما تدفعه إلى هذا رحمة أكبر . عسى أن يؤمن قومه إذا رأوا آلهتهم جُذاذاً ، وعلموا أنها لا تدفع عن نفسها الأذى . ولقد كادوا يؤمنون فعلاً . « فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون » . ولكنهم عادوا فهمُّوا بإحراقه ، وحينئذ « قلنا : يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » .

ولقد اعتزلهم عهداً طويلاً مع النفر الذي آمن معه ، ومنهم ابن أخيه لوط .

وفي كبرته وهرمه يرزقه الله بإسماعيل ؛ ولكن يقع له ما يحتم عليه أن يبعد ابنه وأمه عنه (والقرآن لا يتعرض لهذا الذي وقع) فيغلبه الطبع الرضيُّ على الحنوّ الأبويّ ؛ ويدركه إيمانه بربه ، فيدعهما بجوار بيته . وهناك ينادي ذلك النداء الخاشع المنيب :

﴿ رَبَّنا إنِّي أَسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بوادٍ غير ذي زرْع عند بيتك المحرم . ربّنا ليقيموا الصلاة ، فاجْعَل أَفْئِدَةً من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لَعَلَّهُم يَشكُرون ﴾ .

ثم ما يكاد هذا الطفل يشب ، ويصبح فتى ، حتى يرى في المنام أنه يذبحه ؛ فيغلبه الإيمان الديني العميق ، على الحب الأبوي العميق ؛ ويهم بإطاعة الإشارة ، لولا أن يرفق به ربه ، فيفديه بذبح عظيم .

وهكذا تتكشف الوقائع في القصة والمحاورات عن شخصية مميزة الملامح واضحة السمات : « إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب » .

* * *

٣ ـ ويوسف : إنه نموذج الرجل الواعي الحصيف .

فها هو ذا يلقى العنت من مراودة امرأة العزيز له فيأبى . إنه في بيت رجل يؤويه ، فليحذر مواضع الحرج جميعاً . ومع ذلك يكاد يضعف : « ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربه »[1] .

(١) أنا أرى أن الهم هنا كان متبادلاً في اللحظة الأولى ، ثم رأى برهان ربه فتاب إلى نفسه . ولست أرى ان الهم ثم الترك مما يتعارض مع عصمة الأنبياء . فيكفيه عصمة ان لم يفعل . ومتعلق (لولا) ليس هو « وهم بها » حتى يكون ممتنعاً . إنما هو محذوف مفهوم مما بعده وهو فراره منه وقدُّ قميصه من دبر . ولا داعي لأي تأويل آخر .

قيل

مجموعة الفتاوى

لشيخ الإسلام

تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨هـ

قدم له
الدكتور سيد حسين العفاني

خرج أحاديثه وعلق عليه
خيري سعيد

وجعت أحاديث الكتاب على كتب
فضيلة العلامة / ناصر الدين الألباني رحمه الله

راجعه
إسماعيل عبد الجواد عبد الغني
دار العلوم - جامعة القاهرة

راجعه
إبراهيم أمين محمد
دار العلوم - جامعة القاهرة

راجعه
ايهاب عبد الحميد
دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الرابع

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

قيل

لعنوا كل طائفة رأوا فيها بدعة، فلعنوا الكلابية والأشعرية، كما كان في مملكة الأمير محمود بن سبكتكين وفي دولة السلاجقة ابتداء، وكذلك الخليفة القادر، ربما اهتم بذلك واستشار المعتزلة من الفقهاء، ورفعوا إليه أمر القاضي أبي بكر ونحوه، وهموا به، حتى كان يختفي، وإنما تستر بمذهب الإمام أحمد وموافقته، ثم ولي النظام وسعوا في رفع اللعنة، واستفتوا من استفتوه من فقهاء العراق، كالدامغاني الحنفي، وأبي إسحاق الشيرازي، وفتواهما حجة على مَنْ بخراسان من الحنفية والشافعية. وقد قيل: إن أبا إسحاق استعفى من ذلك فألزموه، وأفتوا بأنه لا يجوز لعنتهم، ويعزر من يلعنهم وعلل الدامغاني بأنهم طائفة من المسلمين، وعلل أبو إسحاق ـ مع ذلك ـ بأن لهم ذباً ورداً على أهل البدع المخالفين للسنة، فلم يمكن المفتي أن يعلل رفع الذم إلا بموافقة السنة والحديث.

وكذلك رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد فتوى طويلة، فيها أشياء حسنة قد سئل بها عن مسائل متعددة قال فيها: / ١٦/٤

ولا يجوز شغل المساجد بالغناء والرقص ومخالطة المردان، ويعزر فاعله تعزيراً بليغاً رادعاً. وأما لبس الحلق والدمالج[1]، والسلاسل والأغلال، والتختم بالحديد والنحاس، فبدعة وشهرة، وشر الأمور محدثاتها، وهي لهم في الدنيا، وهي لباس أهل النار، وهي لهم في الآخرة، إن ماتوا على ذلك. ولا يجوز السجود لغير الله من الأحياء والأموات، ولا تقبيل القبور، ويعزر فاعله.

ومن لعن أحداً من المسلمين عزر على ذلك تعزيراً بليغاً. والمؤمن لا يكون لعاناً، وما أقربه من عود اللعنة عليه، قال: ولا تحل الصلاة عند القبور، ولا المشي عليها من الرجال والنساء، ولا تعمل مساجد للصلاة، فإنه اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

قال: وأما لَعْن العلماء لأئمة الأشعرية فمن لعنهم عُزِّر، وعادت اللعنة عليه، فمن لعن من ليس أهلا للعَنَة، وقعت اللعنة عليه. والعلماء أنصار فروع الدين، والأشعرية أنصار أصول الدين.

قال: وأما دخولهم النيران، فمن لا يتمسك بالقرآن فإنه فتنة لهم ومضلة لمن يراهم، كما يفتتن الناس بما يظهر على يدي الدجال، فإنه من ظهر على يديه خارق، فإنه يوزن

(١) الدمالج: جمع دُمْلُج، وهو سوار يحيط بالعضد. «المعجم الوسيط» (٢٩٧).

الفاضلة، فإن هذا تبديل الحقائق وقلب الأعيان عن صفاتها النفسية، لكن ربما فاق بعض
٤/ ٣٧٤ أشخاص النوع الفاضل مع/ امتياز ذلك عليه بفضل نوعه وحقيقته، كما أن في بعض الخيل ما هو خير من بعض الخيل، ولا يكون خيراً من جميع الخيل.

إذا تبين هذا، فقد حدّثَ العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمداً رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش معه.

روى ذلك محمد بن فُضَيل، عن ليث، عن مجاهد، في تفسير: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ {الإسراء: ٧٩} وذكر ذلك من وجوه أخرى مرفوعة وغير مرفوعة. قال ابن جرير: وهذا ليس مناقضاً لما استفاضت به الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة، باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه، لا يقول: إن إجلاسه على العرش منكراً ـ وإنما أنكره بعض الجهمية ـ ولا ذكره في تفسير الآية منكر، وإذا ثبت فضل فاضلنا على فاضلهم ثبت فضل النوع على النوع ـ أعني صالحنا عليهم.

وأما الذوات، فإن ذات آدم خلقها الله بيده، وخلقها الله على صورته ونفخ فيه من روحه، ولم يثبت هذا لشيء من الذوات، وهذا بحر يغرق فيه السابح، لا يخوضه إلا كل مؤيد بنور الهداية، وإلا وقع إما في تمثيل، أو في تعطيل. فليكن ذو اللب على بصيرة أن وراء علمه مرماة بعيدة، وفوق كل ذي علم عليم. وليوقن كل الإيقان بأنّ ما جاءت به الآثار النبوية حق ـ ظاهراً وباطناً ـ وإن قصر عنه عقله ولم يبلغه علمه ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ {الذاريات: ٢٣} فلا تلجَنّ باب إنكار،
٤/ ٣٧٥ ورد وإمساك وإغماض ـ رداً/ لظاهره وتعجباً من باطنه ـ حفظاً لقواعدك التي كتبتها بقواك وضبطتها بأصولك التي عقلتك عن جنَاب مولاك.

إياك مما يخالف المتقدمين من التنزيه وتَوَقَ التمثيل والتشبيه، ولعمري إن هذا هو الصراط المستقيم، الذي هو أحَدّ من السيف، وأدق من الشعر، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وأما الصفات التي تتفاضل، فمن ذلك الحياة السرمدية والبقاء الأبدي في الدار الآخرة وليس للملك أكثر من هذا، وإن كانت حياتنا هذه منغوصة بالموت فقد أسلفت أن التفضيل إنما يقع بعد كمال الحقيقتين، حتى لا يبقى إلا البقاء وغير ذلك من العلم الذي امتازت به الملائكة.

قيل

مجموعة الفتاوى

لشيخ الإسلام

تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨هـ

قدم له

الدكتور سيد حسين العفاني

خرج أحاديثه وعلق عليه

خيري سعيد

وجعلت أحاديث الكتاب على كتب

فضيلة العلامة / ناصر الدين الألباني رحمه الله

راجعه

إسماعيل عبد الجواد عبد الغني

دار العلوم - جامعة القاهرة

راجعه

إبراهيم أمين محمد

دار العلوم - جامعة القاهرة

راجعه

ايهاب عبد الحميد

دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الخامس

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

قيل

لنفسه وجها ـ وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم، فقال: في هذا الحديث من أوصاف الله ـ عز وجل ـ لا ينام، موافق لظاهر الكتاب: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأن له «وجهاً» موصوفاً بالأنوار، وأن له «بصراً» كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ثم إن الله ـ تعالى ـ تعرف إلى عباده المؤمنين، أن قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت./ ٥/ ٧٥

ثم ذكر حديث: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله»[1] وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى: «يضع عليها قدمه»[2].

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله، وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السدى، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: موضع قدميه، وبعضهم يقول: واضع رجليه عليه.

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة، موافقة لقول النبي ﷺ، متداولة في الأقوال، ومحفوظة في الصدر، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم، إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم، ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس، وكفر المتقدمين وأنكروا على الصحابة والتابعين، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابه لنجدة الحروري، ثم حديث «الصورة»، وذكر أنه صنف فيه كتاباً مفرداً، واختلاف الناس في تأويله/. ثم قال: وسنذكر أصول ٥/ ٧٦ السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦/ ٣٦) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٤٩).

فهو سماء فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله ـ عز وجل ـ ذكر السموات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن وإنه فيهن جميعا.

ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله على عرشه الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

ثم قال:

فصل

وقد قال القائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]: أنه استولى وقهر وملك، وأن الله ـ عز وجل ـ في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه ـ كما قال أهل الحق ـ وذهبوا في/ ٩٠ الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء، والأرض، فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء ـ وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ـ لكان مستويا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش، والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها.

وإذا كان قادراً على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية ـ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش، دون الأشياء كلها. وذكر دلالات من القرآن والحديث، والإجماع والعقل.

ثم قال:

باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

وذكر الآيات في ذلك. ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته: مثل قوله: فإن سئلنا: أتقولون لله يدان؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾

قيل

الحكيم. قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً، أو قال كلاماً هذا معناه [١].

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامة، فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب - إن شاء الله - في ذلك ما يحصل به المقصود.

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة؛ مثل أن يقول القائل: مافي الكتاب والسنة - من أن الله فوق العرش - يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه»[٢]، ونحو ذلك، فإن هذا غلط. /

١٠٣/٥

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[٣].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١١) عن يزيد بن عميرة عن معاذ بن جبل قال: «أحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال: قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها: ما هذه. ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نوراً»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٦) وأبو داود (٤٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ضعيف: وقد تقدم تخريجه.

ونظيرها من بعض الوجوه «الربوبية، والعبودية»، فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨] كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق؛ فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره، فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] و﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق، كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وتارة يعنى به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علماً وحالا كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «مشككة»؛ لتشكك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط. والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

١٠٦/٥ ومن علم أن «المعية» تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات ـ كإضافة/ الربوبية مثلا ـ وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازاً، علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ثم من توهم أن كون الله في السماء، بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب ـ إن نقله عن غيره ـ وضال ـ إن اعتقده في ربه ـ وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله: «**إن الله في السماء**»: أن السماء تحويه، لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا، فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند الناس «إن الله في السماء»، «وهو على العرش» واحد؛ إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى: أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم

قيل

اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ «مجمل»، فإن قوله: «ظاهرها غير مراد» يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين، وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون« اللّه قِبَل وجه المصلي»: أنه مستقر في الحائط الذي يصلى إليه، وأن «اللّه معنا» ظاهره: أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع. اللّهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار، معذوراً في هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام اللّه وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى. وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: «الظاهر غير مراد عندهم» أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال اللّه وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين، بل هي واجبه للّه، أو جائزة
١٠٩/٥ عليه جوازاً ذهنيًا، أوجوازاً خارجيًا غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل ـ لا نصًا ولا ظاهراً ـ أنهم كانوا يعتقدون أن اللّه ليس فوق العرش، ولا أن اللّه ليس له سمع ولا بصر، ولا يد حقيقية.

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقولون : إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف ـ بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها، لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقولون: الفرق بين الطريقين أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل، وأولئك، لايعينون لجواز أن يراد غيره.

وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف. أما في كثير من الصفات فقطعاً: مثل أن اللّه ـ تعالى ـ فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم ـ الذي لم يحك هنا عشره ـ علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن اللّه فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

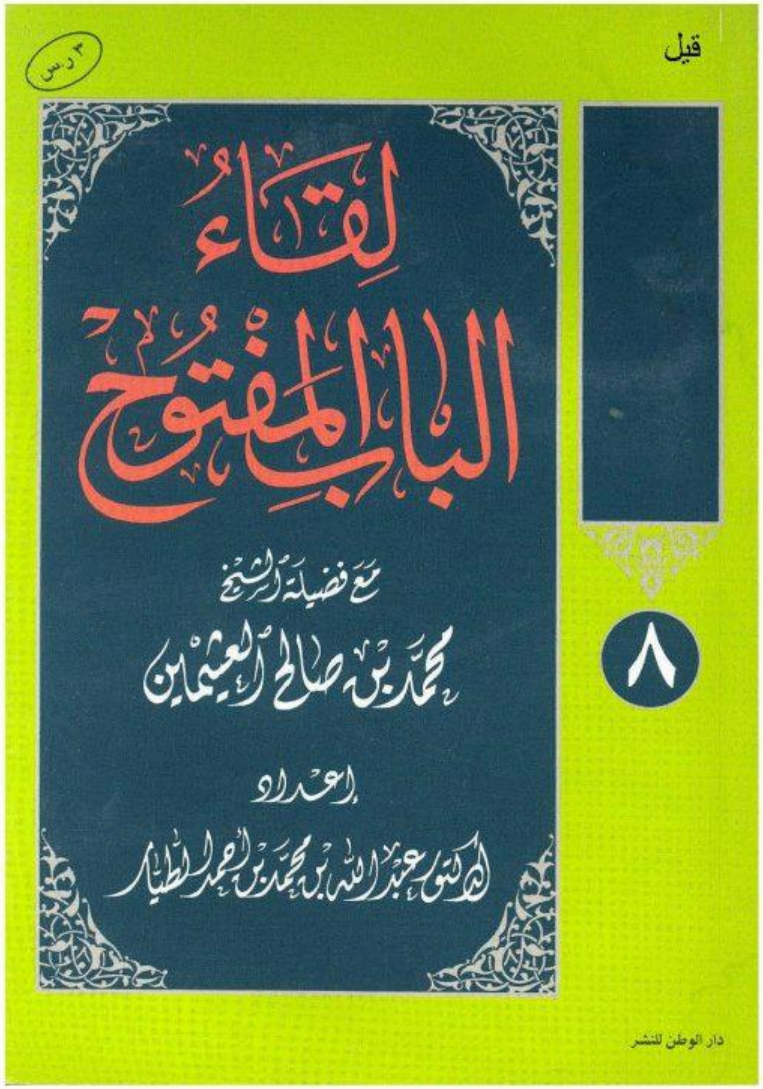
﴿الواقعة: ٨٨ ـ ٩٤﴾، ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقربه منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون، وإنما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ ﴿النساء: ٩٧﴾، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ﴿الأنفال: ٥٠﴾، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿الأنعام: ٩٣﴾، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿الأنعام: ٦١﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿السجدة: ١١﴾. ٥/٥٠٧

ومما يدل على ذلك: أنه ذكره بصيغة الجمع، فقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وهذا كقوله سبحانه: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿القصص: ٣﴾، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ ﴿يوسف: ٣﴾، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ﴿القيامة: ١٧-١٩﴾.

فإن مثل هذا اللفظ إذا ذكره الله ـ تعالى ـ في كتابه دل على أن المراد أنه ـ سبحانه ـ يفعل ذلك بجنوده وأعوانه من الملائكة؛ فإن صيغة «نحن» يقولها المتبوع المطاع العظيم الذي له جنود يتبعون أمره، وليس لأحد جند يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم، وهو خالقهم وربهم، فهو ـ سبحانه ـ العالم بما توسوس به نفسه، وملائكته تعلم؛ فكان لفظ «نحن» هنا هو المناسب.

وكذلك قوله: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ فإنه سبحانه يعلم ذلك، وملائكته يعلمون ذلك كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا همّ العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر/ حسنات، وإذا همّ بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وإن تركها لله كتبت حسنة»[1]. فالملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة، وليس ذلك من علمهم بالغيب الذي اختص الله به، وقد روى عن ابن عيينة أنهم يشمون رائحة طيبة فيعلمون أنه همّ بحسنة، ويشمون رائحة خبيثة ٥/٥٠٨

(١) صحيح: وقد تقدم تخريجه.


قيل
٣ دروس
لقاء
الباب المفتوح
مع فضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين
٨
إعداد
أشرف عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
دار الوطن للنشر

من هذا الإشكال الذي أدى إلى تضارب آراء العلماء، الذي نرى أن أهل البدع في بدعهم ليسوا من أهل السنة والجماعة، لأن هذه البدعة ليس عليها أهل السنة والجماعة وكيف يكون من أهل السنة والجماعة وهو مخالف لهم.

وهل مصطلح أهل السنة والجماعة يستعمل للسلفيين أم لا؟

أبدًا ما حاجة لذلك، لأن أهل السنة والجماعة حقيقة هم من كانوا على ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ولهذا فسر النبي، عليه أفضل الصلاة والسلام، الفرقة الناجية بأنهم مثل ما كان عليه هو وأصحابه.

كمثال نجعل النووي وابن حجر نجعلهما من غير أهل السنة والجماعة؟

فيما يذهبان إليه في الأسماء والصفات ليسا من أهل السنة والجماعة.

بالاطلاق ليسوا من أهل السنة والجماعة؟

لا نطلق ولهذا أنا قلت لك إن من خالف السلف في صفات الله لا يعطى الاسم المطلق بأنه من أهل السنة والجماعة، بل يقيد يقال هو من أهل السنة والجماعة في طريقته الفقهية مثلاً، أما في طريقته البدعية فليس من أهل السنة والجماعة.

س ٣٧٤ الاستدلال على تعميم الرأس بما يتعلق بحرف الباء وأنه مسألة لغوية تتعلق بحرف الباء وهل هو للتبعيض أو لا، والاستدلال بقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾. وأيضا سمعت بيتا من الشعر العربي لكني لا أستحضره الآن القائل؟

الجواب: لعله:

شربنا بماء البحر ثم طلبت
إلى لجى لهن هميج

لا شك أن من حروف المعاني ما يختلف معناه بحسب متعلقه فنجد «من» مثلاً تارة تكون للتبعيض

بدائع الفوائد

للعلامة الامام شيخ الاسلام علم العلماء الأعلام

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر

بابن قيم الجوزية المتوفى

(سنة ٧٥١ هجرية)

قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه

قال البرهان البقاعي في تفسيره المبنى على التناسب بين الآيات (وأبدى الامام شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي في كتاب له كالتذكرة سماه « بدائع الفوائد » سراً غريباً في ابتداء القرآن بقوله آلم الخ)

الجزء الثالث

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

فوائد شتى

قال القاضي نص أحمد على أن الاسراء كان يقظة وحكى له أن موسى بن عقبة قال أحاديث الاسراء منام فقال هذا كلام الجهمية ونقل حنبل أن الرؤية منام ونقل الأثرم وغيره أنه رآه ولا يطلق سوى ذلك وقال أبو بكر النجار رآه إحدى عشرة مرة بالسنة تسع مرات ليلة المعراج حين كان يتردد بين موسى وبين ربه عز وجل ومرتين بالكتاب *

فائدة

قال القاضي صنف المروزى كتابا فى فضيلة النبي ﷺ وذكر فيه اقعاده على العرش قال القاضى وهو قول أبي داود وأحمد بن أصرم ويحيى بن أبي طالب وأبي بكر بن حماد وأبي جعفر الدمشقي وعياش الدورى واسحق بن راهويه وعبد الوهاب الوراق وابراهيم الاسبهاني وابراهيم الحربى وهرون بن معروف ومحمد بن اسماعيل السلمى ومحمد بن مصعب العابد وأبي بكر ابن صدقة ومحمد ابن بشر بن شريك وأبي قلابة وعلى بن سهل وأبي عبد الله بن عبد النور وأبي عبيد والحسن بن فضل وهرون بن العباس الهاشمى واسماعيل بن ابراهيم الهاشمى ومحمد بن عمران الفارسى الزاهد ومحمد ابن يونس البصرى وعبد الله بن الامام أحمد والمروزى وبشر الحافي انتهى (قلت) وهو قول بن جرير الطبرى وامام هؤلاء كلهم مجاهد امام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطنى ومن شعره فيه *

قيل

حديث الشفاعة عن أحمد * إلى أحمد المصطفى مسنده
وجاء حديث باقعاده * على العرش أيضاً فلا نجحده
امروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولا تنكروا أنه قاعد * ولا تنكروا أنه يقعده

فائدة

سئل القاضى عن مسائل عديدة وردت عليه من مكة ﴿ وكان منها ﴾ ما نقول فى قول الانسان إذا عثر محمد أو على فقال إن قصد الاستعانة فهو مخطىء لأن الغوث من الله تعالى فقال وهما ميتان فلا يصح الغوث منهما ولانه يجب تقديم الله على غيره * ومنها إذا قال القاضى أفضل الناس بعد رسول الله الخلفاء ثم طلحة ثم الزبير ثم سعد إلى آخر العشرة · فأجاب الاولى العطف على الاربعة بالواو لأن ثم تقتضى الترتيب فيقتضى تقديم طلحة على الزبير والزبير على عبد الرحمن ولا يمكن لأنه ليس فيه نقل يرجع اليه وعمر رضى الله عنه أمرهم أن يختاروا للخلافة واحدا من ستة ولم ينص على واحد منهم وظاهره التساوى (ومنها) وقد سئل عن حركة اللسان بالقرآن فقال لا يجوز أن يقال إنها قديمة بل حركة اللسان بالقرآن محدثة (ومنها) فى البدريين أنهم أفضل فى الجملة من غيرهم ولا تفضل آحادهم على غيرهم لانه قد يكون فى غيرهم من هو أفضل من آحادهم كما قال النبى ﷺ خيركم القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فخاير بين القرون فى الجملة لأنه قد يكون فى التفضيل من غيره أفضل منه · ولهذا يعلم أن أحمد أفضل من يزيد ويزيد فى عصر التابعين لما جرى من يزيد بما عاد فى القدح فى عدالته (ومنها) هل يجوز أن يقال ان الله يرحم الكافر فقال لا يجوز أن يقال ان الله يرحم الكافر

قيل

فتح المجيد

شرح كتاب التوحيد

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

راجع حواشيه وصححه وعلق عليه :

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

دار القلم

من الموالي . قال فمن يسود أهل البصرة ؟ قال قلت : الحسن البصري ، قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : ويلك ، ومن يسود أهل الكوفة ؟ قال قلت : ابراهيم النخعي ، قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت : من العرب قال : ويلك يا زهري فرجت عني ، والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها . قال قلت : يا أمير المؤمنين ، إنما هو دين : مَن حفظه ساد ومن ضيعه سقط » .

قوله (عن ابن عباس) قد تقدم ، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن ، ودعا له النبي ﷺ وقال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وروى عنه أصحابه أئمة التفسير : كمجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاوس وغيرهم .

قوله (ما فرق هؤلاء) يستفهم من أصحابه ، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس ، فاذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن ومعناه حصل معهم فرَق أي خوف ، فاذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له ، فلم يحصل منهم الايمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين(١) قال الذهبي : حدث وكيع عن اسرائيل بحديث « إذا جلس الرب على الكرسي » فاقشعر رجل عند وكيع . فغضب وكيع . وقال « أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها » أخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب الرد على الجهمية . وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الايمان به ؛ فتشبه حالهم حال من قال الله فيهم (٢ : ٨٥ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟) فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الايمان بكتاب الله كله واليقين كما قال تعالى (٣ : ٧ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخَر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ؛ والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ؛ كلٌ من عند ربنا ،

(١) قال الشيخ رحمه الله في قرة عيون الموحدين : وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره . فقتل من دعاتهم فيلان . قتله هشام بن عبد الملك لما أصر على قوله بنفي القدر . ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية ، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد بمكة . اه

في ظلال القرآن

بقلم

سيّد قطب

المجلّد السادس

الأجزاء: ٢٦ - ٣٠

الطبعة الخامسة
والثلاثون
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

طبعة جديدة مشروعة

تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف
وتُنشر للمرة الأولى

مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق
لما كان في الطبعة الأصلية - التي صُوّرت عنها الطبعات غير المشروعة -
من أخطاء في الآيات القرآنية والتفسير

دار الشروق

عداد ولا حصر من خلائق لا يعلمها إلا الله . وفي كل لحظة ينزل من السماء من الأمطار والأشعة والنيازك والشهب ، والملائكة والأقدار والأسرار ؛ ويعرج فيها كذلك من المنظور والمستور ما لا يحصيه إلا الله .. والنص القصير يشير إلى هذه الحركة الدائبة التي لا تنقطع ، وإلى هذه الأحداث الضخام التي لا تحصى ؛ ويدع القلب البشري في تلفت دائم إلى ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وفي تصور يقظ لعلم الله الشامل وهو يتبع هذه الحركات والأحداث ، في مساربها ومعارجها .

والقلب في تلفته ذاك وفي يقظته هذه يعيش مع الله ، ويسبح في ملكوته بينما هو ثاوٍ في مكانه ؛ ويسلك فجاج الكون ويجوب أقطار الوجود في حساسية وفي شفافية ، وفي رعشة من الروعة والانفعال .

وبينما القلب في تلفته ذاك في الأرض والسماء ، إذا القرآن يرده إلى ذاته ، ويلمسه في صميمه . وإذا هو يجد الله معه ، ناظراً إليه ، مطلعاً عليه ، بصيراً بعمله ، قريباً جد قريب :

« وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير » ..

وهي كلمة على الحقيقة لا على الكناية والمجاز . فالله ـ سبحانه ـ مع كل أحد ، ومع كل شيء ، في كل وقت ، وفي كل مكان مطلع على ما يعمل بصير بالعباد . وهي حقيقة هائلة حين يتمثلها القلب . حقيقة مذهلة من جانب ، ومؤنسة من جانب . مذهلة بروعة الجلال . ومؤنسة بظلال القربى . وهي كفيلة وحدها حين يحسها القلب البشري على حقيقتها أن ترفعه وتطهره ، وتدعه مشغولاً بها عن كل أعراض الأرض ؛ كما تدعه في حذر دائم وخشية دائمة ، مع الحياة والتحرج من كل دنس ومن كل إسفاف .

* * *

ومرة أخرى يعود إلى ملكية السماوات والأرض في مجال آخر غير الذي وردت فيه أول مرة :

« له ملك السماوات والأرض . وإلى الله ترجع الأمور » ..

ففي المرة الأولى جاء ذكرها في معرض الإحياء والإماتة والقدرة المطلقة . وهنا يجيء ذكرها في معرض رجعة الأمور كلها إلى الله . وهي متصلة بملكية الله للسماوات والأرض ومكملة لحقيقتها .

والشعور بهذه الحقيقة يحرس القلب من كل لفتة لغير الله في أي أمر . في أول الأمر وفي آخره . ويحميه من التطلع لغير الله في أي طلب ، ومراقبة غير الله في أي عمل . ويقيمه على الطريق إلى الله في سره وعلنه ، وحركته وسكونه ، وخواجله ونجواه . وهو يعلم أن لا مهرب من الله إلا إليه ، ولا ملجأ منه إلا إلى حماه !

* * *

وينتهي هذا المطلع بحركة لطيفة من حركات القدرة في مجال الكون ، وفي أطواء الضمير :

« يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل . وهو عليم بذات الصدور » ...

ودخول الليل في النهار ، ودخول النهار في الليل ، حركة دائبة ، وهي في الوقت ذاته حركة لطيفة سواء كان المعنى طول الليل وأخذه من النهار ، وطول النهار وأخذه من الليل ؛ أو كان المعنى مجرد تداخل الليل في النهار عند الغروب ، وتداخل النهار في الليل عند الشروق .. ومثل هذه الحركة في خفائها ولطفها ، حركة العلم بذات الصدور. وذات الصدور هي الأسرار المصاحبة لها ، التي لا تفارقها ولا تبرحها !

والشعور بيد الله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ، في لطف ؛ ينشئ في القلب حالة من التأمل

قيل

في ظلال القرآن

بقلم

سيّد قطب

المجلّد الأوّل

الأجزاء: ١ - ٤

الطبعة الخامسة والثلاثون
١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م

طبعة جديدة مشروعة

تتضمّن إضافات وتنقيحات تركها المؤلّف
وتُنشر للمرّة الأولى

مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق
لما كان في الطبعة الأصلية - التي صُوّرت عنها الطبعات غير المشروعة -
من أخطاء في الآيات القرآنية والتفسير

دار الشروق

عليها وكفرتها . . ويسمى هذا الاستسلام دخولاً في السلم . فيفتح بهذه الكلمة باباً واسعاً للتصور الحقيقي الكامل لحقيقة الإيمان بدين الله ، والسير على منهجه في الحياة (كما سنفصل هذا عند مواجهة النص القرآني بإذن الله) .

وفي مواجهة نعمة الإيمان الكبرى ، وحقيقة السلام التي تنشر ظلالها على الذين آمنوا . . يعرض سوء تصور الكفار لحقيقة الأمر ، وسخريتهم من الذين آمنوا بسبب ذلك التصور الضال . ويقرر إلى جانب ذلك حقيقة القيم في ميزان الله : « والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة » . .

يلي هذا تلخيص لقصة اختلاف الناس . وبيان للميزان الذي يجب أن يفيئوا إليه ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه . وتقرير لوظيفة الكتاب الذي أنزله الله بالحق ليحكم بين « الناس فيما اختلفوا فيه » . .

وينطرق من هذا إلى ما ينتظر القائمين على هذا الميزان من مشاق الطريق ؛ ويخاطب الجماعة المسلمة فيكشف لها عما ينتظرها في طريقها الشائك من البأساء والضراء والجهد الذي لقيته كل جماعة نيطت بها هذه الأمانة من قبل . كي تعد نفسها لتكاليف الأمانة التي لا مفر منها ولا محيص عنها . وكي تقبل عليها راضية النفس ، مستقرة الضمير ؛ تتوقع نصر الله كلما غام الأفق ، وبدا أن الفجر بعيد !

وهكذا نرى أطرافاً من المنهج الرباني في تربية الجماعة المسلمة وإعدادها ، تنحو أنحاء متنوعة من الإيقاعات المؤثرة ، تتخلل التوجيهات والتشريعات التي يتألف من مجموعها ذلك المنهج الرباني الكامل للحياة البشرية .

° ° °

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد . . ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد » . .

هذه اللمسات العجيبة من الريشة المبدعة في رسم ملامح النفوس ، تشي بذاتها بأن مصدر هذا القول المعجز ليس مصدراً بشرياً على الإطلاق . فاللمسات البشرية لا تستوعب ـ في لمسات سريعة كهذه ـ أعمق خصائص النماذج الإنسانية ، بهذا الوضوح ، وبهذا الشمول .

إن كل كلمة أشبه بخط من خطوط الريشة في رسم الملامح وتحديد السمات . . وسرعان ما ينتفض النموذج المرسوم كائناً حياً ، مميز الشخصية . حتى لتكاد تشير بأصبعك إليه ، وتفرزه من ملايين الأشخاص ، وتقول : هذا هو الذي أراد إليه القرآن ! . . إنها عملية خلق أشبه بعملية الخلق التي تخرج كل لحظة من يد البارىء في عالم الأحياء !

هذا المخلوق الذي يتحدث ، فيصور لك نفسه خلاصة من الخير ، ومن الإخلاص ، ومن التجرد ، ومن الحب ، ومن الترفع ، ومن الرغبة في إفاضة الخير والبر والسعادة والطهارة على الناس . . هذا الذي يعجبك حديثه . تعجبك ذلاقة لسانه ، وتعجبك نبرة صوته ، ويعجبك حديثه عن الخير والبر والصلاح . . « ويشهد الله على ما في قلبه » . . زيادة في التأثير والإيحاء ، وتوكيداً للتجرد والإخلاص ، وإظهاراً للتقوى وخشية الله . . « وهو ألد الخصام » ! تزدحم نفسه باللدد والخصومة ، فلا ظل فيها للود والسماحة ، ولا موضع فيها للحب والخير ، ولا مكان فيها للتجمل والإيثار .

هذا الذي يتناقض ظاهره وباطنه ، ويتنافر مظهره ومخبره . . هذا الذي يتقن الكذب والتمويه والدهان . .

يحتمل أن يشتري نفسه بكل أعراض الحياة الدنيا ، ليعتقها ويقدمها خالصة لله ، لا يتعلق بها حق آخر إلا حق مولاه . فهو يضحي كل أعراض الحياة الدنيا ويخلص بنفسه مجردة لله . وقد ذكرت الروايات سبباً لنزول هذه الآية يتفق مع هذا التأويل الأخير :

قال ابن كثير في التفسير : قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة : نزلت في صهيب بن سنان الرومي . وذلك أنه لما أسلم بمكة ، وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله ، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل ؛ فتخلص منهم ، وأعطاهم ماله ؛ فأنزل الله فيه هذه الآية ؛ فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة ، فقالوا له : ربح البيع . فقال : وأنتم . فلا أخسر الله تجارتكم . وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية .. ويروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : « ربح البيع صهيب » .. قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مردويه ، حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، حدثنا عوف ، عن أبي عثمان النهدي ، عن صهيب ، قال : لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت لي قريش : يا صهيب . قدمت إلينا ولا مال لك ؛ وتخرج أنت ومالك ؟ والله لا يكون ذلك أبداً . فقلت لهم : أرأيتم إن دفعت إليكم مالي تخلون عني ؟ قالوا : نعم ! فدفعت إليهم مالي ، فخلوا عني ، فخرجت حتى قدمت المدينة ، فبلغ ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ربح صهيب .. ربح صهيب » .. مرتين ..

وسواء كانت الآية نزلت في هذا الحادث ، أو أنها كانت تنطبق عليه ، فهي أبعد مدى من مجرد حادث ومن مجرد فرد . وهي ترسم صورة نفس ، وتحدد ملامح نموذج من الناس ؛ ترى نظائره في البشرية هنا وهناك

والصورة الأولى تنطبق على كل منافق مراء ذلق اللسان ؛ فظ القلب ، شرير الطبع ، شديد الخصومة ، مفسود الفطرة .. والصورة الثانية تنطبق على كل مؤمن خالص الإيمان ، متجرد لله ، مرخص لأعراض الحياة .. وهذا وذلك نموذجان معهودان في الناس ؛ ترسمهما الريشة المبدعة بهذا الإعجاز ؛ وتقيمهما أمام الأنظار يتأمل الناس فيهما معجزة القرآن ، ومعجزة خلق الإنسان بهذا التفاوت بين النفاق والإيمان . ويتعلم منهما الناس ألا ينخدعوا بمعسول القول ، وطلاوة الدهان ؛ وأن يبحثوا عن الحقيقة وراء الكلمة المزوقة ، والنبرة المتصنعة ، والنفاق والرياء والزواق ! كما يتعلمون منهما كيف تكون القيم في ميزان الإيمان .

* * *

وفي ظلال هاتين اللوحتين المشخصتين لنموذج النفاق الفاجر ، ونموذج الإيمان الخالص . يهتف بالجماعة المسلمة ، باسم الإيمان الذي تعرف به ، للدخول في السلم كافة ، والحذر من اتباع خطوات الشيطان ، مع التحذير من الزلل بعد البيان .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين . فإن زللتم ، من بعد ما جاءتكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم » ..

إنها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان . بهذا الوصف المحبب إليهم ، والذي يميزهم ويفردهم ، ويصلهم بالله الذي يدعوهم .. دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة ..

وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله ، في ذوات أنفسهم ، وفي الصغير والكبير من أمرهم . أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور ، ومن نية أو عمل ، ومن رغبة أو رهبة ، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه . استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية . الاستسلام

قيل

سورة النساء

هذه الآيات الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض ـ أي علم الميراث ـ أما التفريعات فقد جاءت السّنة ببعضها نصاً ، واجتهد الفقهاء في بقيتها تطبيقاً على هذه الأصول . وليس هنا مجال الدخول في هذه التفريعات والتطبيقات فمكانها كتب الفقه ـ فنكتفي ـ في ظلال القرآن ـ بتفسير هذه النصوص ، والتعقيب على ما تتضمنه من أصول المنهج الإسلامي ..

« يوصيكم الله في أولادكم : للذكر مثل حظ الأنثيين .. » ..

وهذا الافتتاح يشير ـ كما ذكرنا ـ إلى الأصل الذي ترجع إليه هذه الفرائض ، وإلى الجهة التي صدرت منها ، كما يشير إلى أن الله أرحم بالناس من الوالدين بالأولاد ، فإذا فرض لهم فإنما يفرض لهم ما هو خير مما يريده الوالدون بالأولاد ..

وكلا المعنيين مرتبطان ومتكاملان ..

إن الله هو الذي يوصي ، وهو الذي يفرض ، وهو الذي يقسم الميراث بين الناس ـ كما أنه هو الذي يوصي ويفرض في كل شيء ، وكما أنه هو الذي يقسم الأرزاق جملة ـ ومن عند الله ترد التنظيمات والشرائع والقوانين ، وعن الله يتلقى الناس في أخص شؤون حياتهم ـ وهو توزيع أموالهم وتركاتهم بين ذريتهم وأولادهم ـ وهذا هو الدين . فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شؤون حياتهم كلها من الله وحده ؛ وليس هناك إسلام ، إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور ـ جل أو حقر ـ من مصدر آخر . إنما يكون الشرك أو الكفر ، وتكون الجاهلية التي جاء الإسلام ليقتلع جذورها من حياة الناس .

وإن ما يوصي به الله ، ويفرضه ، ويحكم به في حياة الناس ـ ومنه ما يتعلق بأخص شؤونهم ، وهو قسمة أموالهم وتركاتهم بين ذريتهم وأولادهم ـ لهو أبر بالناس وأنفع لهم ، مما يقسمونه هم لأنفسهم ، ويختارونه لذرياتهم .. فليس للناس أن يقولوا : إنما نختار لأنفسنا . وإنما نحن أعرف بمصالحنا .. فهذا ـ فوق أنه باطل ـ هو في الوقت ذاته توقح ، وتبجح ، وتعالم على الله ، وادعاء لا يزعمه إلا متوقح جهول !

قال العوفي عن ابن عباس :« يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » .. وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض ، للولد الذكر ، والأنثى ، والأبوين ، كرهها الناس ـ أو بعضهم ـ وقالوا : تعطى المرأة الربع أو الثمن ، وتعطى الابنة النصف ، ويعطى الغلام الصغير . وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ، ولا يحوز الغنيمة ! اسكتوا عن هذا الحديث ، لعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينساه ، أو نقول له فيغير ! فقالوا : يا رسول الله ، تعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ، ولا تقاتل القوم . ويعطى الصبي الميراث ، وليس يغني شيئاً ـ وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ، ولا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ، ويعطونه الأكبر فالأكبر) .. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ..

فهذا كان منطق الجاهلية العربية ، الذي كان يحيك في بعض الصدور ؛ وهي تواجه فريضة الله وقسمته العادلة الحكيمة .. ومنطق الجاهلية الحاضرة الذي يحيك في بعض الصدور اليوم ـ وهي تواجه فريضة الله وقسمته ـ لعله يختلف كثيراً أو قليلاً عن منطق الجاهلية العربية . فيقول : كيف نعطي المال لمن لم يكد فيه ويتعب من الذراري ؟ وهذا المنطق كذلك .. كلاهما لا يدرك الحكمة ، ولا يلتزم الأدب ؛ وكلاهما يجمع من ثم بين الجهالة وسوء الأدب !

« للذكر مثل حظ الأنثيين » ..

وحين لا يكون للميت وارث إلاذريته من ذكور وإناث ، فإنهم يأخذون جميع التركة ، على أساس أن

ويبقى الاستقسام بالأزلام . والأزلام : قداح كانوا يستشيرونها في الإقدام على العمل أو تركه . وهي ثلاثة في قول ، وسبعة في قول . وكانت كذلك تستخدم في الميسر المعروف عند العرب ؛ فتقسم بواسطتها الجزور ـ أي الناقة التي يتقامرون عليها ـ إذ يكون لكل من المتقامرين قدح ، ثم تدار ، فإذاخرج قدح أحدهم كان له من الجزور بقدر ما خصص لهذا القدح .. فحرم الله الاستقسام بالأزلام ـ لأنه نوع من الميسر المحرم ـ وحرم اللحوم التي تقسم عن هذا الطريق ..

... « فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم » .

فالمضطر من الجوع ـ وهو المخمصة ـ الذي يخشى على حياته التلف ، له أن يأكل من هذه المحرمات ؛ ما دام أنه لا يتعمد الإثم ، ولا يقصد مقارفة الحرام . وتختلف آراء الفقهاء في حد هذا الأكل : هل هو مجرد ما يحفظ الحياة . أو هو ما يحقق الكفاية والشبع . أو هو ما يدخر كذلك لأكلات أخرى إذا خيف انقطاع الطعام .. فلا ندخل نحن في هذه التفصيلات .. وحسبنا أن ندرك ما في هذا الدين من يسر ، وهو يعطي للضرورات أحكامها بلا عنت ولا حرج . مع تعليق الأمر كله بالنية المستكنة ؛ والتقوى الموكولة إلى الله .. فمن أقدم مضطراً ، لا نية له في مقارفة الحرام ولا قصد ، فلا إثم عليه إذن ولا عقاب :

« فإن الله غفور رحيم » ..

وننتهي من بيان المحرم من المطاعم لنقف وقفة خاصة أمام ما تخلل آية التحريم من قوله تعالى :

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » ..

وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم ، ليعلن كمال الرسالة ، وتمام النعمة ، فيحس عمر ـ رضي الله عنه ـ ببصيرته النافذة وبقلبه الواصل ـ أن أيام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الأرض معدودة . فقد أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ؛ ولم يعد إلا لقاء الله . فيبكي ـ رضوان الله عليه ـ وقد أحس قلبه دنو يوم الفراق .

هذه الكلمات الهائلة ترد ضمن آية موضوعها التحريم والتحليل لبعض الذبائح ؛ وفي سياق السورة التي تضم تلك الأغراض التي أسلفنا بيانها .. ما دلالة هذا ؟ إن بعض دلالته أن شريعة الله كل لا يتجزأ . كل متكامل . سواء فيه ما يختص بالتصور والاعتقاد ؛ وما يختص بالشعائر والعبادات ؛ وما يختص بالحلال والحرام ؛ وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية والدولية . وأن هذا في مجموعه هو « الدين » الذي يقول الله عنه في هذه الآية : إنه أكمله . وهو « النعمة » التي يقول الله للذين آمنوا : إنه أتمها عليهم . وأنه لا فرق في هذا الدين بين ما يختص بالتصور والاعتقاد ؛ وما يختص بالشعائر والعبادات ؛ وما يختص بالحلال والحرام ؛ وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية والدولية .. فكلها في مجموعها تكوّن المنهج الرباني الذي ارتضاه الله للذين آمنوا ؛ والخروج عن هذا المنهج في جزئية منه ، كالخروج عليه كله ، خروج على هذا « الدين » وخروج من هذا الدين بالتبعية ..

والأمر في هذا يرجع إلى ما سبق لنا تقريره ؛ من أن رفض شيء من هذا المنهج ، الذي رضيه الله للمؤمنين ، واستبدال غيره به من صنع البشر ؛ معناه الصريح هو رفض ألوهية الله ـ سبحانه ـ وإعطاء خصائص الألوهية لبعض البشر ؛ واعتداء على سلطان الله في الأرض ، وادعاء للألوهية بادعاء خصيصتها الكبرى .. الحاكمية .. وهذا معناه الصريح الخروج على هذا الدين ؛ والخروج من هذا الدين بالتبعية ..

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ..

يئسوا أن يبطلوه ، أو ينقصوه ، أو يحرفوه . وقد كتب الله له الكمال ؛ وسجل له البقاء .. ولقد يغلبون

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ..

بهذا الحسم الصارم الجازم . وبهذا التعميم الذي تحمله « من » الشرطية وجملة الجواب . بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان ، وينطلق حكماً عاماً ، على كل من لم يحكم بما أنزل الله ، في أي جيل ، ومن أي قبيل ..

والعلة هي التي أسلفنا .. هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله ، إنما يرفض ألوهية الله . فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية . ومن يحكم بغير ما أنزل الله ، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب ، ويدعي لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر .. وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الإيمان أو الإسلام باللسان ، والعمل ـ وهو أقوى تعبيراً من الكلام ـ ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟!

إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة . والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه .. وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد .

وبعد بيان هذا الأصل القاعدي في دين الله كله ، يعود السياق ، لعرض نماذج من شريعة التوراة التي أنزلها الله ليحكم بها النبيون والربانيون والأحبار للذين هادوا ـ بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء :

« وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص » ..

وقد استبقيت هذه الأحكام التي نزلت بها التوراة في شريعة الإسلام ، وأصبحت جزءاً من شريعة المسلمين ، التي جاءت لتكون شريعة البشرية كلها إلى آخر الزمان . وإن كانت لا تطبق إلا في دار الإسلام ، لاعتبارات عملية بحتة ؛ حيث لا تملك السلطة المسلمة أن تطبقها فيما وراء حدود دار الإسلام . وحيثما كان ذلك في استطاعتها فهي مكلفة تنفيذها وتطبيقها ، بحكم أن هذه الشريعة عامة للناس كافة ، للأزمان كافة ، كما أرادها الله .

وقد أضيف إليها في الإسلام حكم آخر في قوله تعالى :

« فمن تصدق به فهو كفارة له » ..

ولم يكن ذلك في شريعة التوراة . إذ كان القصاص حتماً ؛ لا تنازل فيه ، ولا تصدق به ، ومن ثم فلا كفارة ..

ويحسن أن نقول كلمة عن عقوبات القصاص هذه على قدر السياق في الظلال .

أول ما تقرره شريعة الله في القصاص ، هو مبدأ المساواة .. المساواة في الدماء والمساواة في العقوبة .. ولم تكن شريعة أخرى ـ غير شريعة الله ـ تعترف بالمساواة بين النفوس ، فتقتص للنفس بالنفس ، وتقتص للجوارح بمثلها ، على اختلاف المقامات والطبقات والأنساب والدماء والأجناس ..

النفس بالنفس . والعين بالعين . والأنف بالأنف . والأذن بالأذن . والسن بالسن . والجروح قصاص .. لا تمييز . ولا عنصرية . ولا طبقية . ولا حاكم . ولا محكوم .. كلهم سواء أمام شريعة الله . فكلهم من نفس واحدة في خلقة الله .

نجد أن الله ـ سبحانه ـ يقرر أن أهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم .. وحتى يدخلوا في الدين الأخير تبعاً لهذه الإقامة كما هو بديهي من دعوتهم إلى الإيمان بالله والنبي . في المواضع الأخرى المتعددة .. فهم إذن لم يعودوا على « دين الله » ولم يعودوا أهل « دين » يقبله الله .

ونجد أن مواجهتهم بهذه الحقيقة قد علم الله أنها ستزيد الكثيرين منهم طغياناً وكفراً .. ومع هذا فقد أمر رسوله أن يواجههم بها دون مواربة . ودون أسى على ما سيصيب الكثيرين منها !

فإذا نحن اعتبرنا كلمة الله في هذه القضية هي كلمة الفصل ـ كما هو الحق والواقع ـ لم يبق هنالك موضع لاعتبار أهل الكتاب .. أهل دين .. يستطيع « المسلم » أن يتناصر معهم فيه للوقوف في وجه الإلحاد والملحدين ؛ كما ينادي بعض المخدوعين وبعض الخادعين ! فأهل الكتاب لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ؛ حتى يعتبرهم المسلم « على شيء » وليس للمسلم أن يقرر غير ما قرره الله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .. وكلمة الله باقية لا تغيرها الملابسات والظروف !

وإذا نحن اعتبرنا كلمة الله هي كلمة الفصل ـ كما هو الحق والواقع ـ لم يكن لنا أن نحسب حساباً لأثر المواجهة لأهل الكتاب بهذه الحقيقة ، في هياجهم علينا ، وفي اشتداد حربهم لنا ، ولم يكن لنا أن نحاول كسب مودتهم بالاعتراف لهم بأنهم على دين نرضاه منهم ونقرهم عليه ، ونتناصر نحن وإياهم للدفع الإلحاد عنه ـ كما ندفع الإلحاد عن ديننا الذي هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس ..

إن الله ـ سبحانه ـ لا يوجهنا هذا التوجيه . ولا يقبل منا هذا الاعتراف . ولا يغفر لنا هذا التناصر . ولا التصور الذي ينبعث التناصر منه . لأننا حينئذ نقرر لأنفسنا غير ما يقرر ؛ ونختار في أمرنا غير ما يختار ؛ ونعترف بعقائد محرفة أنها « دين » إلهي ، يجتمع معنا في آصرة الدين الإلهي .. والله يقول : إنهم ليسوا على شيء ، حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم .. وهم لا يفعلون !

والذين يقولون : إنهم مسلمون ـ ولا يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم ـ هم كأهل الكتاب هؤلاء ، ليسوا على شيء كذلك . فهذه كلمة الله عن أهل أي كتاب لا يقيمونه في نفوسهم وفي حياتهم سواء . والذي يريد أن يكون مسلماً يجب عليه ـ بعد إقامة كتاب الله في نفسه وفي حياته ـ أن يواجه الذين لا يقيمونه بأنهم ليسوا على شيء حتى يقيموه . وأن دعواهم أنهم على دين ، يردها عليهم رب الدين . فالمفاصلة في هذا الأمر واجبة ؛ ودعوتهم إلى « الإسلام » من جديد هي واجب « المسلم » الذي أقام كتاب الله في نفسه وفي حياته . فدعوى الإسلام باللسان أو بالوراثة دعوى لا تفيد إسلاماً ، ولا تحقق إيماناً ، ولا تعطي صاحبها صفة التدين بدين الله ، في أي ملة ، وفي أي زمان !

وبعد أن يستجيب هؤلاء أو أولئك ؛ ويقيموا كتاب الله في حياتهم ؛ يملك « المسلم » أن يتناصر معهم في دفع غائلة الإلحاد والملحدين ، عن « الدين » وعن « المتدينين » .. فأما قبل ذلك فهو عبث ؛ وهو تمييع ، يقوم به خادع أو مخدوع !

إن دين الله ليس راية ولا شعاراً ولا وراثة ! إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء . تتمثل في عقيدة تعمر القلب ، وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة .. ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل ؛ ولا يكون الناس على دين الله إلا وهذا الكل المتكامل متمثل في نفوسهم وفي حياتهم .. وكل اعتبار

من حقه كالتحريم والتحليل ، نقضها وعليه التكفير .

ونعود بعد ذلك إلى الموضوع الأصيل الذي نزلت الآيات بسببه .. فأما من ناحية « خصوص السبب » فإن الله يبين أن ما أحله الله فهو الطيب ، وما حرمه فهو الخبيث . وأن ليس للإنسان أن يختار لنفسه غير ما اختاره الله له . من وجهين : الوجه الأول أن التحريم والتحليل من خصائص الله الرازق بما يجري فيه التحليل والتحريم من الرزق ، وإلا فهو الاعتداء الذي لا يحبه الله ، ولا يستقيم معه إيمان .. والوجه الثاني أن الله يحل الطيبات ، فلا يحرم أحد على نفسه تلك الطيبات ، التي بها صلاحه وصلاح الحياة ؛ فإن بصره بنفسه وبالحياة لن يبلغ بصر الحكيم الخبير الذي أحل هذه الطيبات . ولو كان الله يعلم فيها شراً أو أذى لوقاه عباده . ولو كان يعلم في الحرمان منها خيراً ما جعلها حلالاً .. ولقد جاء هذا الدين ليحقق الخير والصلاح ، والتوازن المطلق ، والتناسق الكامل ، بين طاقات الحياة البشرية جميعاً ، فهو لا يغفل حاجة من حاجات الفطرة البشرية ؛ ولا يكبت كذلك طاقة بناءة من طاقات الإنسان ، تعمل عملاً سوياً ، ولا تخرج عن الجادة . ومن ثم حارب الرهبانية ، لأنها كبت للفطرة ، وتعطيل للطاقة وتعويق عن إنماء الحياة التي أراد الله لها النماء ، كما نهى عن تحريم الطيبات كلها لأنها من عوامل بناء الحياة ونموها وتجددها .. لقد خلق الله هذه الحياة لتنمو وتتجدد ، وترتقي عن طريق النمو والتجدد المحكومين بمنهج الله . والرهبانية وتحريم الطيبات الأخرى تصطدم مع منهج الله للحياة . لأنها تقف بها عند نقطة معينة بحجة التسامي والارتفاع . والتسامي والارتفاع داخلان في منهج الله للحياة ، وفق المنهج الميسر المطابق للفطرة كما يعلمها الله .

وخصوص السبب ـ بعد هذا ـ لا يقيد عموم النص . وهذا العموم يتعلق بقضية الألوهية والتشريع ـ كما أسلفنا ـ وهي قضية لا تقتصر على الحلال والحرام في المآكل والمشارب والمناكح . إنما هو أمر حق التشريع لأي شأن من شئون الحياة ..

ونحن نكرر هذا المعنى ونؤكده ؛ لأن طول عزلة الإسلام عن أن يحكم الحياة ـ كما هو شأنه وحقيقته ـ قد جعل معاني العبارة تتفلص ظلالها عن مدى الحقيقة التي تعنيها في القرآن الكريم وفي هذا الدين . ولقد جعلت كلمة « الحلال » وكلمة « الحرام » يتقلص ظلهما في حس الناس ، حتى عاد لا يتجاوز ذبيحة تذبح ، أو طعاماً يؤكل ، أو شراباً يشرب ، أو لباساً يلبس ، أو نكاحاً يعقد .. فهذه هي الشئون التي عاد الناس يستفتون فيها الإسلام ليروا : حلال هي أم حرام ! فأما الأمور العامة والشئون الكبيرة فهم يستفتون في شأنها النظريات والدساتير والقوانين التي استبدلت بشريعة الله ! فالنظام الاجتماعي بجملته ، والنظام السياسي بجملته ، والنظام الدولي بجملته ؛ وكافة اختصاصات الله في الأرض وفي حياة الناس ، لم تعد مما يستفتى فيه الإسلام !

والإسلام منهج للحياة كلها . من اتبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله . ومن اتبع غيره ولو في حكم واحد فقد رفض الإيمان واعتدى على ألوهية الله ، وخرج من دين الله . مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم . فاتباعه شريعة غير شريعة الله ، يكذب زعمه ويدمغه بالخروج من دين الله .

وهذه هي القضية الكلية التي تعنيها هذه النصوص القرآنية ، وتجعلها قضية الإيمان بالله ، أو الاعتداء على الله .. وهذا هو مدى النصوص القرآنية . وهو المدى اللائق بجدية هذا الدين وجدية هذا القرآن ، وجدية معنى الألوهية ومعنى الإيمان ..

* * *

وفي سياق قضية التشريع بالتحريم والتحليل ، وفي خط التربية للأمة المسلمة في المدينة ، وتخليصها من جو

وسياق السورة يسوق على هذه القضية أدلته في تلك المشاهد والمواقف والإيقاعات البالغة حد الروعة الباهرة ، والتي تواجه القلب بالحشود الحاشدة من المؤثرات الموحية ، من كل درب ومن كل باب !

والقضية الكبيرة التي تعالجها السورة هي قضية الألوهية والعبودية في السماوات والأرض . في محيطها الواسع ، وفي مجالها الشامل .. ولكن المناسبة الحاضرة في حياة الجماعة المسلمة حينذاك ، المناسبة التطبيقية لهذه القاعدة الكبيرة الشاملة ، هي ما تزاوله الجاهلية من حق التحليل والتحريم في الذبائح والمطاعم ، ومن حق تقرير بعض الشعائر في النذور من الذبائح والثمار والأولاد .. وهي المناسبة التي تتحدث عنها هذه الآيات في أواخر السورة :

« فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، إن كنتم بآياته مؤمنين . وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ، إن ربك هو أعلم بالمعتدين . وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون . ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » .. (١١٨ ـ ١٢١) .

« وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله ـ بزعمهم ـ وهذا لشركائنا . فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون ! وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليرْدوهم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون . وقالوا : هذه أنعام وحرث حجر ، لا يطعمها إلا من نشاء ـ بزعمهم ـ وأنعام حرّمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ـ افتراء عليه ـ سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء . سيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله ـ افتراء على الله ـ قد ضلوا وما كانوا مهتدين » .. (١٣٦ ـ ١٤٠)

هذه هي المناسبة الحاضرة في حياة الأمة المسلمة ـ والجاهلية حولها ـ التي تتمثل فيها تلك القضية الكبيرة .. قضية التشريع .. ومن ورائها القضية الكبرى .. قضية الألوهية والعبودية التي تعالجها السورة كلها ، ويعالجها القرآن المكي كله ، كما يعالجها القرآن المدني أيضاً كلما جاء ذكر النظام فيه وذكر التشريع .

والحشد الذي يتدفق به سياق السورة من التقريرات والمؤثرات ، وهو يواجه الجاهلية وأهلها في أمر هذه الأنعام والذبائح والنذور ـ وهي المناسبة التي تتمثل فيها قضية حق التشريع ـ وربطها بقضية العقيدة كلها ـ قضية الألوهية والعبودية ـ وجعلها مسألة إيمان أو كفر ، ومسألة إسلام أو جاهلية .. هذا الحشد ـ على النحو الذي سنحاول أن نستعرض نماذج منه في هذا التعريف المختصر بالسورة ، والذي سيتجلى على حقيقته في المواجهة التفصيلية للنصوص في السياق بعد ذلك ـ يوقع في النفس تلك الحقيقة الأصيلة في طبيعة هذا الدين . وهي أن كل جزئية صغيرة في الحياة الإنسانية يجب أن تخضع خضوعاً مطلقاً لحاكمية الله المباشرة ، الممثلة في شريعته . وإلا فهو الخروج من هذا الدين جملة من أجل الخروج على حاكمية الله المطلقة في تلك الجزئية الصغيرة .

كذلك يدل ذلك الحشد على مدى الأهمية التي ينوطها هذا الدين بتخليص مظهر الحياة كله من ظلال حاكمية البشر في أي شأن من شؤون البشر ـ جل أم حقر ، كبر أم صغر ـ وربط أي شأن من هذه الشؤون

وأنه يفاصلهم على هذاعند مفرق الطريق، وأنه يتبرأ من شركهم في صيغة التشديد والتوكيد :

« أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل : لا أشهد ، قل : إنما هوإله واحد ، وإنني بريء مما تشركون » . .

والنصوص القرآنية بمقاطعها هذه ، وبإيقاعاتها هذه ، تهز القلوب بما لا يملك البيان البشري أن يفعل . فلا أريد أن أوقف تدفقها وانسكابها في القلب بأي تعليق .

* * *

ولكني أريد أن أتحدث عن القضية التي تضمنها هذا المقطع ، وجرت بها هذه الموجة . . إن هذه القضية التي عرضها السياق القرآني في هذه الآيات . . قضية الولاء والتوحيد والمفاصلة . . هي قضية هذه العقيدة ؛ وهي الحقيقة الكبرى فيها . وإن العصبة المؤمنة اليوم لخليقة بأن تقف أمام هذا الدرس الرباني فيها وقفة طويلة . .

إن هذه العصبة تواجه اليوم من الجاهلية الشاملة في الأرض ، نفس ما كانت تواجهه العصبة التي تنزلت عليها هذه الآيات ، لتحدد على ضوئها موقفها ، ولتسير على هذا الضوء في طريقها ؛ وتحتاج – من ثم – أن تقف وقفة طويلة أمام هذه الآيات ، لترسم طريقها على هداها .

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية ، وعادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويوم جاءها الإسلام مبنياً على قاعدته الكبرى : « شهادة أن لا إله إلا الله » . . شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس ، وهو يسأله : « ما الذي جاء بكم ؟ » فيقول : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » . . وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهاً خالقاً للكون ؛ ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة ؛ ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع ، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه ؛ فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد ، ويقرون لهم بخصائص الألوهية – وهي الحاكمية والتشريع والخضوع لهذه الحاكمية والطاعة لهذا التشريع – (وهي الأديان) . . إلى عبادة الله وحده وإلى عدل الإسلام .

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله . فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد ، وإلى جور الأديان ؛ ونكصت عن لا إله إلا الله ، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن : « لا إله إلا الله » ؛ دون أن يدرك مدلولها ، ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددها ، ودون أن يرفض شرعية « الحاكمية » التي يدعيها العباد لأنفسهم – وهي مرادف الألوهية – سواء ادعوها كأفراد ، أو كتشكيلات تشريعية ، أو كشعوب . فالأفراد ، كالتشكيلات ، كالشعوب ، ليست آلهة ، فليس لها إذن حق الحاكمية . . إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية ، وارتدت عن لا إله إلا الله . فأعطت هؤلاء العباد خصائص الألوهية . ولم تعد توحد الله ، وتخلص له الولاء . .

البشرية بجملتها ، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات : « لا إله إلا الله » بلا مدلول ولا واقع . . وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة ، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد – من بعدما تبين لهم الهدى – ومن بعد أن كانوا في دين الله !

فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلاً أمام هذه الآيات البينات !

ما أحوجها أن تقف أمام آية الولاء :

إلهاً واحداً » أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حلله فهو الحلال ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ) ..

فهذا قول السدي وذاك قول ابن كثير .. وكلاهما يقرر في حسم وصرامة ووضوح ـ مستمدة من حسم النص القرآني وصرامته ووضوحه ، ومن حسم التفسير النبوي للقرآن وصرامته ووضوحه كذلك ـ أن من أطاع بشراً في شريعة من عند نفسه ، ولو في جزئية صغيرة ، فإنما هو مشرك . وإن كان في الأصل مسلما ثم فعلها فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضاً .. مهما بقي بعد ذلك يقول : أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه . بينما هو يتلقى من غير الله ، ويطيع غير الله .

وحين ننظر إلى وجه الأرض اليوم ـ في ضوء هذه التقريرات الحاسمة ـ فإننا نرى الجاهلية والشرك ـ ولا شيء غير الجاهلية والشرك ـ إلا من عصم الله ، فأنكر على الأرباب الأرضية ما تدعيه من خصائص الألوهية ؛ ولم يقبل منها شرعا ولا حكما ... إلا في حدود الإكراه ..

فأما الحكم الفقهي المستفاد من قوله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق .. » فيما يتعلق بحل الذبائح وحرمتها عند التسمية وعدم التسمية فقد لخصها ابن كثير في التفسير في هذه الفقرات قال :

« استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها ، وإن كان الذابح مسلماً » ..

« وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

« فمنهم من قال : لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة . وسواء متروك التسمية عمدا أو سهوا . وهو مروي عن ابن عمر ، ونافع مولاه ، وعامر الشعبي ، ومحمد بن سيرين . وهو رواية عن الإمام مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل ، نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين . وهو اختيار أبي ثور ، وداود الظاهري . واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين ، واحتجوا لمذهبهم بهذه الآية ، وبقوله في آية الصيد : « فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه » .. ثم قد أكد ذلك بقوله : « وإنه لفسق » والضمير قيل : عائد على الأكل ، وقيل : عائد على الذبح لغير الله . وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد ، كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » . وهما في الصحيحين . وحديث رافع بن خديج : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » . وهو في الصحيحين أيضاً ...

« والمذهب الثاني في المسألة : أنه لا يشترط التسمية ، بل هي مستحبة ، فإن تركها عمدا أو نسياناً لا يضر . وهذا مذهب الإمام الشافعي ، رحمه الله ، وجميع أصحابه . ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل . وهو رواية عن الإمام مالك ، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه . وحكي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعطاء بن أبي رباح . والله أعلم . وحمل الشافعي الآية الكريمة : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى : « أو فسقا أهل لغير الله به » . وقال ابن جريج عن عطاء : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .. قال : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان ، وينهى عن ذبائح المجوس .. وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوي ...

« وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أنبأنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » قال : هي الميتة . وقد استدل لهذا المذهب بما رواه

إلا أن تكون الحاكمية العليا لله في حياة البشر ، كما أن له الحاكمية العليا في نظام الكون سواء . فهو المتحكم في الكون والعباد بقضائه وقدره ، وهو المتحكم في حياة العباد بمنهجه وشريعته .. وبناء على هذه القاعدة لا يعتقد المسلم أن لله شريكاً في خلق الكون وتدبيره وتصريفه ؛ ولا يتقدم المسلم بالشعائر التعبدية إلّا لله وحده . ولا يتلقى الشرائع والقوانين ، والقيم والموازين ، والعقائد والتصورات إلا من الله ، ولا يسمح لطاغوت من العبيد أن يدعي حق الحاكمية في شيءٌ من هذا كله مع الله .

هذه هي قاعدة هذا الدين من ناحية الاعتقاد .. فأين منها البشرية كلها اليوم ؟

إن البشرية تنقسم شيعاً كلها جاهلية .

شيعة ملحدة تنكر وجود الله أصلاً وهم الملحدون .. فأمرهم ظاهر لا يحتاج إلى بيان !

وشيعة وثنية تعترف بوجود إله ، ولكنها تشرك من دونه آلهة أخرى وأرباباً كثيرة . كما في الهند ، وفي أواسط إفريقية ، وفي أجزاء متفرقة من العالم .

وشيعة « أهل كتاب » من اليهود والنصارى . وهؤلاء أشركوا قديماً بنسبة الولد إلى الله . كما أشركوا باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ـ لأنهم قبلوا منهم ادعاء حق الحاكمية وقبلوا منهم الشرائع . وإن كانوا لم يصلوا لهم ولم يسجدوا ولم يركعوا أصلاً ! .. ثم هم اليوم يقصون حاكمية الله بجملتها من حياتهم ويقيمون لأنفسهم أنظمة يسمونها « الرأسمالية » و« الاشتراكية » .. وما إليها . ويقيمون لأنفسهم أوضاعاً للحكم يسمونها « الديمقراطية » و« الديكتاتورية » ... وما إليها . ويخرجون بذلك عن قاعدة دين الله كله ، إلى مثل جاهلية الإغريق والرومان وغيرهم ، في اصطناع أنظمة وأوضاع للحياة من عند أنفسهم .

وشيعة تسمي نفسها « مسلمة » ! وهي تتبع مناهج أهل الكتاب هذه ـ حذوك النعل بالنعل ! ـ خارجة من دين الله إلى دين العباد . فدين الله هو منهجه وشرعه ونظامه الذي يضعه للحياة وقانونه . ودين العباد هو منهجهم للحياة وشرعهم ونظامهم الذي يضعونه للحياة وقوانينهم !

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية ؛ وانتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية .. شيعها جميعاً لا تتبع دين الله أصلاً .. وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة ، يستهدف منها نفس ما استهدفه في المرة الأولى من إدخالها في الإسلام ابتداء من ناحية العقيدة والتصور . ثم إدخالها في دين الله بعد ذلك من ناحية النظام والواقع .. وعاد حامل هذا الكتاب يواجه الحرج الذي كان يواجهه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يواجه البشرية الغارقة في مستنقع الجاهلية ، المستنيمة للمستنقع الآسن ، الضالة في تيه الجاهلية ، المستسلمة لاستهواء الشيطان في التيه ! .. وهو يستهدف ابتداء إنشاء عقيدة وتصور في قلوب الناس وعقولهم تقوم على قاعدة : أشهد أن لا إله إلا الله . وإنشاء واقع في الأرض آخر يعبد فيه الله وحده ، ولا يعبد معه سواه . وتحقيق ميلاد للإنسان جديد ، يتحرر فيه الإنسان من عبادة العبيد ، ومن عبادة هواه !

إن الإسلام ليس حادثاً تاريخياً ، وقع مرة ، ثم مضى التاريخ وخلفه وراءه .. إنه اليوم مدعو لأداء دوره الذي أداه مرة ؛ في مثل الظروف والملابسات والأوضاع والأنظمة والتصورات والعقائد والقيم والموازين والتقاليد ... التي واجهها أول مرة .

إن الجاهلية حالة ووضع ؛ وليست فترة تاريخية زمنية .. والجاهلية اليوم ضاربة أطنابها في كل أرجاء الأرض ، وفي كل شيع المعتقدات والمذاهب والأنظمة والأوضاع .. إنها تقوم ابتداء على قاعدة : « حاكمية العباد للعباد » ، ورفض حاكمية الله المطلقة للعباد .. تقوم على أساس أن يكون « هوى الإنسان » في أية

صورة من صوره هو الإله المتحكم ، ورفض أن تكون « شريعة الله » هي القانون المحكم .. ثم تختلف أشكالها ومظاهرها ، ورايتها وشاراتها ، وأسماؤها وأوصافها ، وشيعها ومذاهبها .. غير أنها كلها تعود إلى هذه القاعدة المميزة المحددة لطبيعتها وحقيقتها ..

وبهذا المقياس الأساسي يتضح أن وجه الأرض اليوم تغمره الجاهلية . وأن حياة البشرية اليوم تحكمها الجاهلية . وأن الإسلام اليوم متوقف عن « الوجود » مجرد الوجود ! وأن الدعاة إليه اليوم يستهدفون ما كان يستهدفه محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تماماً ؛ ويواجهون ما كان يواجهه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تماماً ، وأنهم مدعوون إلى التأسي به في قول الله ـ سبحانه ـ له :

« كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ، لتنذر به وذكرى للمؤمنين » ..

ولتوكيد هذه الحقيقة وجلائها نستطرد إلى شيء قليل من التفصيل :

إن المجتمعات البشرية اليوم ـ بجملتها ـ مجتمعات جاهلية . وهي من ثم مجتمعات « متخلفة » أو « رجعية » ! بمعنى أنها « رجعت » إلى الجاهلية ، بعد أن أخذ الإسلام بيدها فاستنقذها منها . والإسلام اليوم مدعو لاستنقاذها من التخلف والرجعية الجاهلية ، وقيادتها في طريق التقدم و« الحضارة » بقيمها وموازينها الربانية .

إنه حين تكون الحاكمية العليا لله وحده في مجتمع ـ متمثلة في سيادة شريعته الربانية ـ تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً حقيقياً كاملاً من العبودية للهوى البشري ومن العبودية للعبيد . وتكون هذه هي الصورة الوحيدة للإسلام أو للحضارة ـ كما هي في ميزان الله ـ لأن الحضارة التي يريدها الله للناس تقوم على قاعدة أساسية من الكرامة والتحرر لكل فرد . ولا كرامة ولا تحرر مع العبودية لعبد .. لا كرامة ولا تحرر في مجتمع بعضه أرباب يشرعون ويزاولون حق الحاكمية العليا ؛ وبعضهم عبيد يخضعون ويتبعون هؤلاء الأرباب ! والتشريع لا ينحصر في الأحكام القانونية . فالقيم والموازين والأخلاق والتقاليد .. كلها تشريع يخضع الأفراد لضغطه شاعرين أو غير شاعرين ! .. ومجتمع هذه صفته هو مجتمع رجعي متخلف .. أو بالاصطلاح الإسلامي : « مجتمع جاهلي مشرك » !

وحين تكون آصرة التجمع في مجتمع هي العقيدة والتصور والفكر ومنهج الحياة . ويكون هذا كله صادراً من الله ، لا من هوى فرد ، ولا من إرادة عبد . فإن هذا المجتمع يكون مجتمعاً متحضراً متقدماً . أو بالاصطلاح الإسلامي : مجتمعاً ربانياً مسلماً .. لأن التجمع حينئذ يكون ممثلاً لأعلى ما في « الإنسان » من خصائص ـ خصائص الروح والفكر ـ فأما حين تكون آصرة التجمع هي الجنس واللون والقوم والأرض ... وما إلى ذلك من الروابط .. فإنه يكون مجتمعاً رجعيا متخلفا .. أو بالاصطلاح الإسلامي : مجتمعاً جاهلياً مشركاً .. ذلك أن الجنس واللون والقوم والأرض ... وما إلى ذلك من الروابط لا تمثل الحقيقة العليا في « الإنسان » . فالإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض . ولكنه لا يبقى إنساناً بعد الروح والفكر !

ثم هو يملك بإرادته الإنسانية الحرة ـ وهي أسمى ما أكرمه الله به ـ أن يغير عقيدته وتصوره وفكره ومنهج حياته من ضلال إلى هدى عن طريق الإدراك والفهم والاقتناع والاتجاه . ولكنه لا يملك أبداً أن يغير جنسه ، ولا لونه ، ولا قومه . لا يملك أن يحدد سلفاً مولده في جنس ولا لون ؛ كما لا يمكنه أن يحدد سلفا مولده في قوم أو أرض .. فالمجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة هو بدون شك أرقى وأمثل وأقوم من المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمور خارجة عن إرادتهم ولا يد لهم فيها !

وحين تكون « إنسانية الإنسان » هي القيمة العليا في مجتمع ؛ وتكون « الخصائص الإنسانية » فيه موضع

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه . هذا الخطأ الذي طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع . .

على أنه أياً كان المنهج وأياً كانت النتائج التي يصل إليها ؛ فإن تقريراته مخالفة مخالَفة أساسية للتقريرات الإلهية كما يعرضها القرآن الكريم . . وإذا جاز لغير مسلم أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفة صريحة قول الله سبحانه في مسألة من المسائل ؛ فإنه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه « مسلم » أن يأخذ بتلك النتائج . ذلك أن التقريرات القرآنية في مسألة الإسلام والجاهلية ، وسبق الإسلام للجاهلية في التاريخ البشري ، وسبق التوحيد للتعدد والتثنية . . قاطعة ، وغير قابلة للتأويل . فهي مما يقال عنه : إنه معلوم من الدين بالضرورة . وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنة في هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان . أو بتعبير آخر : أن يختار بين الإسلام وغير الإسلام ! لأن قول الله في هذه القضية منطوق وصريح ، وليس ضمنياً ولا مفهوماً !

وعلى أية حال فإن هذا ليس موضوعنا الذي نستهدفه في هذا التعقيب الأخير . . إنما نستهدف هنا رؤية الخط الحركي للعقيدة الإسلامية في التاريخ البشري ؛ والإسلام والجاهلية يتعاوران البشرية ؛ والشيطان يستغل الضعف البشري وطبيعة التكوين لهذا المخلوق المزدوج الطبيعة والاتجاه ، ويجتال الناس عن الإسلام بعد أن يعرفوه ، إلى الجاهلية ؛ فإذا بلغت هذه الجاهلية مداها بعث الله للناس رسولاً يردهم إلى الإسلام . ويخرجهم من الجاهلية . وأول ما يخرجهم منه هو الدينونة لغير الله سبحانه من الأرباب المتفرقة . . وأول ما يردهم إليه هو الدينونة لله وحده في أمرهم كله ، لا في الشعائر التعبدية وحدها ، ولا في الاعتقاد القلبي وحده .

إن هذه الرؤية تفيدنا في تقدير موقف البشرية اليوم ، وفي تحديد طبيعة الدعوة الإسلامية كذلك . .

إن البشرية اليوم ـ بجملتها ـ تزاول رجعية شاملة إلى الجاهلية التي أخرجها منها آخر رسول ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهي جاهلية تتمثل في صور شتى :

بعضها يتمثل في إلحاد بالله سبحانه ، وإنكار لوجوده . . فهي جاهلية اعتقاد وتصور ، كجاهلية الشيوعيين .

وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه ، وانحراف في الشعائر التعبدية وفي الدينونة والاتباع والطاعة ، كجاهلية الوثنيين من الهنود وغيرهم . . وكجاهلية اليهود والنصارى كذلك .

وبعضها يتمثل في اعتراف صحيح بوجود الله سبحانه ، وأداء للشعائر التعبدية . مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ومع شرك كامل في الدينونة والاتباع والطاعة . وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم « مسلمين » ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحقوقه ـ بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبدية ؛ مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين ؛ ومع استسلامهم ودينونتهم لغير الله من العبيد !

وكلها جاهلية . وكلها كفر بالله كالأولين . أو شرك بالله كالآخرين[1] . .

إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ؛ تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة ، وأنها تعاني رجعية نكدة إلى الجاهلية التي أنقذها منها الإسلام مرات متعددة ، كان آخرها الإسلام

(١) يراجع فصل : « لا إله إلا الله منهج حياة » في كتاب : « معالم في الطريق » نشر « دار الشروق »

وحين يستجيب الناس ـ أو الجماعة منهم ـ لهذا القول ، فإن المجتمع المسلم يكون قد بدأ أولى خطواته في الوجود . وهذا المجتمع يكون حينئذ هو الوسط الواقعي الحي الذي ينشأ فيه الفقه الإسلامي الحي وينمو ، لمواجهة حاجات ذلك المجتمع المستسلم لشريعة الله فعلاً ..

فأما قبل قيام هذا المجتمع فالعمل في حقل الفقه والأحكام التنظيمية هو مجرد خداع للنفس ، باستنبات البذور في الهواء ، ولن ينبت الفقه الإسلامي في الفراغ ، كما أنه لن تنبت البذور في الهواء !

إن العمل في الحقل « الفكري » للفقه الإسلامي عمل مريح ! لأنه لا خطر فيه ! ولكنه ليس عملاً للإسلام ؛ ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته ! وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالأدب وبالفن أو بالتجارة ! أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه الفترة فأحسب ـ والله أعلم ـ أنه مضيعة للعمر وللأجر أيضاً !

إن دين الله يأبى أن يكون مجرد مطية ذلول ، ومجرد خادم مطيع ، لتلبية هذا المجتمع الجاهلي الآبق منه ، المتنكر له ، الشارد عنه .. الذي يسخر منه الحين بعد الحين باستفتائه في مشكلاته وحاجاته ؛ وهو غير خاضع لشريعته وسلطانه ..

إن فقه هذا الدين وأحكامه لا تنشأ في فراغ ، ولا تعمل في فراغ .. وإن المجتمع المسلم الخاضع لسلطان الله ابتداء هو الذي صنع هذا الفقه وليس الفقه هو الذي صنع ذلك المجتمع .. ولن تنعكس الآية أبداً .

إن خطوات النشأة الإسلامية ومراحلها هي دائماً واحدة ؛ والانتقال من الجاهلية إلى الإسلام لن يكون يوماً ما سهلاً ولا يسيراً . ولن يبدأ أبداً من صياغة الأحكام الفقهية في الفراغ ، لتكون معدة جاهزة يوم يقوم المجتمع الإسلامي والنظام الإسلامي . ولن يكون وجود هذه الأحكام المفصلة على « الجاهز » والناشئة في الفراغ هي نقطة البدء في التحول من الجاهلية إلى الإسلام . وليس الذي ينقص هذه المجتمعات الجاهلية لكي تتحول إلى الإسلام هو الأحكام الفقهية « الجاهزة » ! وليست الصعوبة في ذلك التحول ناشئة عن قصور أحكام الفقه الإسلامي الحاضرة عن ملاحقة حاجات المجتمعات المتطورة .. إلى آخر ما يخادع به بعضهم ، وينخدع به بعضهم الآخر !

كلا ! إن الذي يحول دون تحول هذه المجتمعات الجاهلية إلى النظام الإسلامي هو وجود الطواغيت التي تأبى أن تكون الحاكمية لله ؛ فتأبى أن تكون الربوبية في حياة البشر والألوهية في الأرض لله وحده . وتخرج بذلك من الإسلام خروجاً كاملاً . يعد الحكم عليه من المعلوم من الدين بالضرورة .. ثم هو بعد ذلك وجود جماهير من البشر تعبد أولئك الطواغيت من دون الله ـ أي تدين لها وتخضع وتتبع ـ فتجعلها بذلك أرباباً متفرقة معبودة مطاعة . وتخرج هذه الجماهير بهذه العبادة من التوحيد إلى الشرك .. فهذا هو أخص مدلولات الشرك في نظر الإسلام ..

وبهذا وذلك تقوم الجاهلية نظاماً في الأرض ؛ وتعتمد على ركائز من ضلال التصور بقدر ما تعتمد على ركائز من القوة المادية .

وصياغة أحكام الفقه لا تواجه هذه الجاهلية ـ إذن ـ بوسائل مكافئة . إنما الذي يواجهها دعوة إلى الدخول في الإسلام مرة أخرى ؛ وحركة تواجه الجاهلية بكل ركائزها ؛ ثم يكون ما يكون من شأن كل دعوة للإسلام في وجه الجاهلية . ثم يحكم الله بين من يسلمون لله وبين قومهم بالحق .. وعندئذ فقط يجيء دور أحكام الفقه ، التي تنشأ نشأة طبيعية في هذا الوسط الواقعي الحي ، وتواجه حاجات الحياة الواقعية المتجددة

٢٠١٢

نزول النص القرآني .. لا بد من هذا لإدراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته ؛ ولرؤية حيويته وهو يعمل في وسط حي ؛ ويواجه حالة واقعة ؛ كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده . وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه وتذوقها ؛ كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف والملابسات في فترة تاريخية تالية ، وعلى الأخص فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدعوة الإسلامية .

نقول هذه المقالة ونحن على يقين أنه لن يرى هذه الرؤية اليوم إلا الذين يتحركون فعلاً بهذا الدين في مواجهة الجاهلية الحاضرة ؛ ومن ثم يواجهون أحوالاً وملابسات وظروفاً وأحداثاً كالتي كان يواجهها صاحب الدعوة الأولى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والعصبة المسلمة معه .. من الإعراض والتولي عن هذا الدين في حقيقته الكبيرة الشاملة ؛ التي لا تتحقق إلا بالدينونة الكاملة لله وحده في كل شأن من شؤون الحياة الاعتقادية والأخلاقية والتعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وما يلقونه كذلك من الإيذاء والمطاردة والتعذيب والتقتيل كالذي كانت تلك العصبة المختارة الأولى تبتلى ـ في سبيل الله ـ به ..

إن هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية ؛ ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى .. هم وحدهم الذين يرون تلك الرؤية .. وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ؛ ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه . على النحو الذي أسلفنا .. وهم وحدهم الذين يملكون استنباط فقه الحركة الذي لا يغني عنه فقه الأوراق ، في مواجهة الحياة المتحركة التي لا تكف عن الحركة !

وبمناسبة هذه الإشارة إلى فقه الحركة نحب أن نقرر أن الفقه المطلوب استنباطه في هذه الفترة الحاضرة هو الفقه اللازم لحركة ناشئة في مواجهة الجاهلية الشاملة . حركة تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ؛ ومن الدينونة للعباد إلى الدينونة لرب العباد ؛ كما كانت الحركة الأولى ـ على عهد محمد صلى الله عليه وسلم ـ تواجه جاهلية العرب بمثل هذه المحاولة ؛ قبل أن تقوم الدولة في المدينة ؛ وقبل أن يكون للإسلام سلطان على أرض وعلى أمة من الناس .

نحن اليوم في شبه هذا الموقف لا في مثله ، وذلك لاختلاف بعض الظروف والملابسات الخارجية .. نحن نستهدف دعوة إلى الإسلام ناشئة في مواجهة جاهلية شاملة .. ولكن مع اختلاف في الملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية للحركة .. وهذا الاختلاف هو الذي يقتضي « اجتهاداً » جديداً في « فقه الحركة » يوائم بين السوابق التاريخية للحركة الإسلامية الأولى وبين طبيعة الفترة الحاضرة ومقتضياتها المتغيرة قليلاً أو كثيراً ..

هذا النوع من الفقه هو الذي تحتاج إليه الحركة الإسلامية الوليدة .. أما الفقه الخاص بأنظمة الدولة ، وشرائع المجتمع المنظم المستقر ، فهذا ليس أوانه ... إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم ، قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي !.. هذا النوع من الفقه يأتي في حينه ؛ وتفصل أحكامه على قد المجتمع المسلم حين يوجد ؛ ويواجه الظروف الواقعية التي تكون محيطة بذلك المجتمع يومذاك !

إن الفقه الإسلامي لا ينشأ في فراغ ولا تستنبت بذوره في الهواء !

* * *

ونعود إلى استكمال الحديث عن موضوعات السورة :

محور هذه السورة الأول : هو إبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين ودوافعهم الأصيلة للتكذيب ، وتصوير المصير المخوف الذي ينتظر الكافرين المكذبين .. وحول هذا المحور يدور السياق في عدة جولات ، متنوعة

المتوالية ، بلا فتور ولا انقطاع ! وصيغة الاستفهام الموجهة إلى المخاطبين – وهي في اللغة تفيد التقرير – صيغة مقصودة هنا ، وكأنما هي يد قوية تهز الغافلين ، وهي توجه أنظارهم وقلوبهم إلى هذا الحشد من الخلائق والظواهر التي تشي بما وراءها من التدبير والتقدير ، والقدرة على الإنشاء والإعادة ، والحكمة التي لا تدع أمر الخلائق سدى بلا حساب ولا جزاء .. ومن هنا تلتئي بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون !

واللمسة الأولى في هذه الجولة عن الأرض والجبال :

« ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ؟ » ..

والمهاد : الممهد للسير .. والمهاد اللين كالمهد .. وكلاهما متقارب . وهي حقيقة محسوسة للإنسان في أي طور من أطوار حضارته ومعرفته . فلا تحتاج إلى علم غزير لإدراكها في صورتها الواقعية . وكون الجبال أوتاداً ظاهرة تراها العين كذلك حتى من الإنسان البدائي ؛ وهذه وتلك ذات وقع في الحس حين توجه إليها النفس .

غير أن هذه الحقيقة أكبر وأوسع مدى مما يحسها الإنسان البدائي لأول وهلة بالحس المجرد . وكلما ارتقت معارف الإنسان وازدادت معرفته بطبيعة هذا الكون وأطواره ، كبرت هذه الحقيقة في نفسه ، وأدرك من ورائها التقدير الإلهي العظيم والتدبير الدقيق الحكيم ، والتنسيق بين أفراد هذا الوجود وحاجاتهم ؛ وإعداد هذه الأرض لتلقي الحياة الإنسانية وحضانتها ؛ وإعداد هذا الإنسان للملاءمة مع البيئة والتفاهم معها .

وجعل الأرض مهاداً للحياة – وللحياة الإنسانية بوجه خاص – شاهد لا يمارى في شهادته بوجود العقل المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر . فاختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة في خلق الأرض هكذا بجميع ظروفها . أو اختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة في خلق الحياة لتعيش في الأرض .. الاختلال هنا أو هناك لا يجعل الأرض مهاداً ؛ ولا يبقي هذه الحقيقة التي يشير إليها القرآن هذه الإشارة المجملة ، ليدركها كل إنسان وفق درجة معرفته ومداركه ..

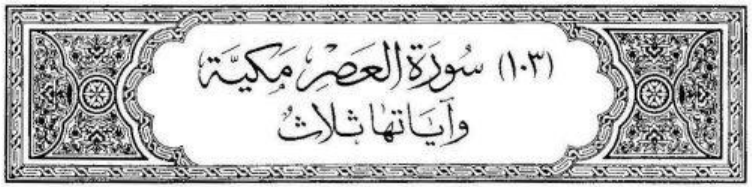
وجعل الجبال أوتاداً .. يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد ، فهي أشبه شيء بأوتاد الخيمة التي تشد إليها . أما حقيقتها فتلقاها من القرآن ، وندرك منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها .. وقد يكون هذا لأنها تعادل بين نسب الأغوار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال .. وقد يكون لأنها تعادل بين التقلصات الجوفية للأرض والتقلصات السطحية ، وقد يكون لأنها تثقل الأرض في نقط معينة فلا تميد بفعل الزلازل والبراكين والاهتزازات الجوفية .. وقد يكون لسبب آخر لم يكشف عنه بعد .. وكم من قوانين وحقائق مجهولة أشار إليها القرآن الكريم . ثم عرف البشر طرفاً منها بعد مئات السنين !

واللمسة الثانية في ذوات النفوس ، في نواحي وحقائق شتى :

« وخلقناكم أزواجاً » ..

وهي ظاهرة كذلك ملحوظة يدركها كل إنسان بيسر وبساطة .. فقد خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى ، وجعل حياة هذا الجنس وامتداده قائمة على اختلاف الزوجين والتقائهما . وكل إنسان يدرك هذه الظاهرة ، ويحس ما وراءها من راحة ولذة ومتاع وتجدد بدون حاجة إلى علم غزير . ومن ثم يخاطب بها القرآن الإنسان في أية بيئة فيدركها ويتأثر بها حين يتوجه تأمله إليها ، ويحس ما فيها من قصد ومن تنسيق وتدبير .

ووراء هذا الشعور المبهم بقيمة هذه الحقيقة وعمقها ، تأملات أخرى حين يرتقي الإنسان في المعرفة وفي الشعور أيضاً .. هنالك التأمل في القدرة المدبرة التي تجعل من نطفة ذكراً ، وتجعل من نطفة أنثى ، بدون مميز



بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام . وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة . إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار . وتصف الأمة المسلمة : حقيقتها ووظيفتها . في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة .. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله ..

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي هذه :

إنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار ، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار ، ليس هنالك إلا منهج واحد رابح ، وطريق واحد ناج . هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه . وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار ..

« والعصر ، إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

إنه الإيمان . والعمل الصالح . والتواصي بالحق . والتواصي بالصبر ..

* * *

فما الإيمان ؟؟

نحن لا نعرّف الإيمان هنا تعريفه الفقهي ؛ ولكننا نتحدث عن طبيعته وقيمته في الحياة .

إنه اتصال هذا الكائن الإنساني الفاني الصغير المحدود بالأصل المطلق الأزلي الباقي الذي صدر عنه الوجود . ومن ثم اتصاله بالكون الصادر عن ذات المصدر ، وبالنواميس التي تحكم هذا الكون ، وبالقوى والطاقات المذخورة فيه . والانطلاق حينئذ من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابة الكون الكبير . ومن حدود قوته المزبلة إلى

قيل

(١١٢) سورة الإخلاص مكية وآياتها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

هذه السورة الصغيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء في الروايات الصحيحة . قال البخاري : حدثنا إسماعيل : حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعد ، أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ : « قل هو الله أحد » يرددها . فلما أصبح جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك له ـ وكأن الرجل يتقالها ـ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » ..

وليس في هذا من غرابة . فإن الأحدية التي أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلنها : « قل هو الله أحد » . . هذه الأحدية عقيدة للضمير ، وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة . . وقد تضمنت السورة ـ من ثم ـ أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة . .

« قل هو الله أحد » .. وهو لفظ أدق من لفظ « واحد » .. لأنه يضيف إلى معنى « واحد » أن لا شيء غيره معه . وأن ليس كمثله شيء .

إنها أحدية الوجود .. فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية .

وهي ـ من ثم ـ أحدية الفاعلية . فليس سواه فاعلاً لشيء ، أو فاعلاً في شيء ، في هذا الوجود أصلاً .

وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضاً ..

فإذا استقر هذا التفسير ، ووضح هذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية .

خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا الوجود ـ إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلاً ! ـ فلا حقيقة لوجود إلا ذلك الوجود الإلهي . ولا حقيقة لفاعلية إلا فاعلية الإرادة الإلهية . فعلام يتعلق القلب بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته !

قيل

معارج القبول

بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
في التوحيد

تأليف
الشيخ حافظ بن أحمد حكمي

قرأه وصححه وعلق عليه
الشيخ صلاح محمد عويضة

دققه وخرج أحاديثه
أحمد بن يوسف القادري

الجزء الأول

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

وفي مسند أحمد رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «ينزل الله كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك؛ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له»[1] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد من أكثر من ثلاثين طريقاً عن أبي هريرة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ.

وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه. فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه»[2] رواه ابن منده قال وله أصل مرسل.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له»[3] حديث صحيح رواه النسائي وأبو الوليد الطيالسي.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لثلث الليل فيقول: ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب له، أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه رزقه، ألا مظلوم يستنصرني فأنصره، ألا عان يدعوني فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه»[4] رواه الدارقطني.

---

(١) ينزل الله كل ليلة: المصادر السابقة نفسها.

(٢) حديث ينزل وفي كل سماء كرسي: إن علامات الموضع ظاهرة عليه كيف يكتبه المؤلف في مجال العقيدة.

(٣) حديث ينزل الله كل ليلة: انظر مسلم في صلاة المسافرين/ ١٦٨ والترمذي ٣٢٩، وبخاري ٦٦/٢ ومسند أحمد ٢٨٢/٢ - ٢٦٤، وأبو داود/ ١٣١٥، ٤٧٣٣.

(٤) حديث الدارقطني مرفوض: لأن الكتب الصحيحة لم تذكر سبه وقوله إلا قتر عليه رزقه يخالف الحديث الصحيح إن الإنسان يقدر رزقه حين ينفخ الملك فيه الروح وهو في بطن أمه.

قيل

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

تأليف

الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

طبعة سنة
١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

دار الجيل
بيروت - لبنان

قيل

خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(١)) وقال تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده قال تعالى: (وما هم بخارجين من النار) وقال: (وما هم منها بمخرجين) وقال: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال تعالى: (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى: (لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال تعالى: (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وهذا ابلغ ما يكون في الأخبار عن استحالة دخولهم الجنة (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الإسلام والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم (الخامس) قول من يقول بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان(٢) وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها قال شيخ الإسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر « لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه » وقال حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: « لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان

(١) سورة البقرة الآية ٨٠-٨١.

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب. ــ رأس الجهمية ــ قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه فقال نصر: «لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قت».
وأمر بقتله فقتل سنة (١٢٨هـ-٧٤٥م)
ــ الاعلام ــ

انتهى ما قدر الله جمعه

سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله ربّ

العالمين

